

شرح

عين العلم وزير الحكيم

للامام العلامة والخبر النابغة الفهامة الشيخ نور الدين
منلا على بن سلطان محمد الهروي المعروف بالقاري
صاحب المؤلفات الكثيرة المتوفى سنة ١١٤٠ هـ



الجزء الثاني

صححه وقابل أصوله وعلق عليه للمرة الأولى سنة ١٣٥٣ هـ

إدارة الطباعة المنيرة

لصاحبها ومطبعها في مدينة بغداد

طبع على نفقة مكتبة احيا العلوم العربية

حقوق الطبع محفوظة الى الادارة

بدرج الاتراك بمصر رقم ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الباب العاشر)

(في الأناة والعجلة والحلم والعفو والنصيحة والحقد)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الأناةُ معنى باعثٌ على الاحتياط في الأمور، والثاني اتباعها بعد الدخول فيه والتوقف قبله، وضدها العجلة وهي باعثٌ على الإقدام بأول خاطر، والاستعجال اتباعه، وورد العجلة من الشيطان إلا في تزويج البكر وقضاء الدين وتجهيز الميت وقرى الضيف.

الأناة بفتح الهمزة اسم لضد العجلة، والحلم التحمل، والعفو التجاوز، والنصيحة إرادة الخير للنصوح له، والحقد بالكسر الداوة بالقلب وينتج نحو الحسد والغضب (بسم الله الرحمن الرحيم) الذي يستعان به على كل خلق كريم ويستعاذ به من كل طبع ذميم (الأناة معنى) أي خاق باطن (باعث على الاحتياط في الأمور) أي المتعلقة بالحكم الخارجى وهو إرادة إتمام الأمور على وجهها بحيث لا يفوت شئ من حقها (والثاني) مصدر من باب التفعّل وتأوّه للطلب أو التكاف (اتباعها) أي تتبع تلك الأمور (بعد الدخول) أي دخول الإنسان (فيه) أي في حال الدخول قبل الدخول، وضده التعسف في الحصول (والتوقف قبله) أي ويقال له التوقف (وضدها) أي الأناة (العجلة وهي) أي العجلة معنى (باعث على الإقدام) أي إقدام الإنسان على الأمور (بأول خاطر) من غير تأمل وتفكر (والاستعجال اتباعه) أي تتبع ذلك الباعث من غير تأخر (وورد العجلة من الشيطان) أبو يعلى من حديث أنس بلفظ «الثاني من الله والعجلة من الشيطان» والترمذى وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ «الأناة من الله» (الافى تزويج البكر) أي خصوصاً إذا بلغت ووجدت لها كفواً (وقضاء الدين) ولو كان مؤجلاً (وتجهيز الميت) إذا كان ميسراً (وقرى الضيف)

والتَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ وَأَفَاتُهَا الْحَرَمَانُ فَمَنْ اسْتَعْجَلَ نَيْلَ مَنْزِلَةٍ أَوْ إِجَابَةَ دَعْوَةٍ قَبْلَ الْوَقْتِ
بِتَرْكِ مَلَالَةٍ أَوْ مُكَافَأَةٍ ظَالِمٍ يَبْطُلُ بِالدُّعَاءِ عَلَيْهِ وَاقْتِحَامِ الشَّبْهِةِ فَاصْلُ الْوَرَعِ النَّظَرُ
الْبَالِغُ فِي كُلِّ شَيْءٍ

اذ حسنه ان يكون معجلا لقوله تعالى : (فما لبث أن جاء بمعجل حينئذ) ففيه الدلالة على المبادرة
بالعبادة ، الإشارة (والتوبة من الذنب) إذ يجب ان تكون في الحال فان اكثر عذاب
أهل النار من تسويهم في القال ويستثنى أيضا الصلاة اذا دخل وقتها فان في التأخير
آفات (وآفات) اي العجلة اشياء منها (الحرمان) من المطلوب (فمن استعجل نيل
منزلة) من مال أو جاه اولذة أو مقام أو حال أو مرتبة (أو اجابة دعوة بل الوقت)
أي المقدر لها فان الامور مرهونة بأوقاتها (بترك ملالة) اي بترك المستعجل طلب تلك
المنزلة والدعوة من جهة الملالة فيكون سبب الحرمان عن وصول تلك الحالة لا محالة ، او يغلو
ويبالغ في الجهد واثاب النفس فينقطع عن الطريق فهو بين افراط وتفریط و كلاهما
نتيجة الاستعجال ، وقد ورد برواية البزار والحالم والبيهقي وغيرهم ان ديننا هذا متين
فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى ، والمنبت الذي انقطع به في سفره
وعطبت راحلته ، والفعل انبت مطاوع به من البت وهو القطع . وفي المثل السائر ان لم تستعجل
تصل : ول بعضهم يقول قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
فيفتر ويسأم ويترك الدعاء فيحرم حاجته قال تعالى : (لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان
مسه الشرفيؤوس قنوط) (أو مكافأة ظالم) اما منصوب عطفا على نيل منزلة أو مجرور
عطفا على منزلة (يبطل) اجره لعدم صبره (بالدعاء عليه) أي على الظالم وذلك بان
يظلمه انسان فيغيظه ويدعو عليه وربما يتجاوز عن الحد فيقع في المعصية والهلاك ،
قال تعالى : (ويدع الانسان بالشردعاءه بالخير وكان الانسان عجولا) (واقتحام الشبهة)
أي ومن آفات العجلة دخول الشبهات المورثة للسبثات (فاصل الورع) أي أساسه
الذي عليه مدار الشرع (النظر البالغ في كل شيء) أي من الاصل والفرع الذي هو
بصدده من اكل وشرب وظلام وغيره ، فاذا كان الرجل مستعجلا في أموره غير متأن
ولا مثبت عند صدورها فيميل الى كل طعام وكلام فيقع في شبهة أو حرام . وكذا
في سائر المرام فيفوته الورع الذي عليه مدار أحكام الاسلام ، وقد ورد أخبار وآثار
في فضل الرفق الذي عليه مدار حسن الخلق في معاشرته الخلق . ففي صحيح مسلم

وَالْأَفْرَاطُ فِي الْغَضَبِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَوَرَدَ الْغَضَبُ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ
الْعَسَلَ وَهُوَ غَلِيَانٌ دَمُ الْقَلْبِ لَطَابُ الْإِنْتِقَامِ وَالْحَمُودُ الْإِعْتِدَالُ

من حديث عائشة « ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطى على العنف » وفي
الصحيحين من حديثها « يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله » ولمسلم من حديث جرير
« من يحرم الرفق يحرم الخير » أى كله كما في رواية أبي داود . وللطبراني في الاوسط
من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب كلاهما من حديث عائشة « الرفق يمن
والخرق (١) شؤم » ولابن المبارك في الزهد من حديث أبي جعفر مرسله « اذا أردت امرا
فتدبر عاقبته فان كان رشدا فافضه وان كان سوى ذلك فانه » وعن الحسن « المؤمن
وقاف (٢) متان وليس كحاطب ايل » ثم العنف وان كان محمودا في بعض الاحوال ولكن
الاحتياج الى الرفق أقوى في اكثر الافعال والاقوال ، ومن هنا قال سفيان لاصحابه :
أندرون ما للرفق ؟ قالوا قل يا أبا محمد ، قال : أن تضع الامور في مواضعها : الشدة في
موضعها ، واللين في موضعه ، والسيف في موضعه ، والسمط في موضعه . وفيه تنبيه نبيه
على انه ينبغي مزج الغلظة باللين والعنف بالرفق كما قيل :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلاء * أى بأهله * مضر كوضع السيف في موضع الندى
أى العطاء : وعن أبي عون الانصارى ماتكلم الناس بكلمة صعبة الاوالى جانبها
كلمة اللين منها تجرى مجراها (والافراط) أى ومن آفات العجلة الاكثار والمبالغة
(في الغضب وهو) أى الغضب أو افراطه (مذموم) أى شرعا وعرفا (فورد)
أى برواية الطبراني والبيهقي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده (الغضب يفسد
الايمان) أى كاله أو يطفىء نوره أو يمنع ظهوره (كما يفسد الصبر العسل) وهو
بفتح الصاد وكسر الباء عصارة شجرة مرة ، وعن أبي هريرة « أن رجلا قال : يا رسول
الله مرني بعمل واقلل قال : لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب » رواه البخارى .
ومن هنا قيل لابن المبارك : أجل لنا الخلق الحسن في كلمة ، قال : ترك الغضب . وعن
عكرمة في قوله تعالى : (وسيدوا حصورا) قال : السيد الذى لا يغلبه الغضب . وقد قيل
الغضب غول العقل (وهو) أى الغضب (غليان دم القلب لطالب الانتقام والمحمود)
من الغضب (الاعتدال) كسائر الاخلاق والاحوال . فللبيهقي في الشعب مرسله « خير

(١) الخرق ضم الحاء الجهل والحق (٢) الوقاف الذى لا يستعمل في الامور

وَهُوَ الضَّبْطُ تَحْتَ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ فَالتَّفْرِيطُ مَذْمُومٌ كَالْإِفْرَاطِ فَوَرَدَ (أَشَدُّ)
عَلَى الْكُفَّارِ - وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ (وَقَلْعُهُ فِي زَوَالٍ مَا اسْتَغْنَى عَنْهُ
يُمْكِنُ لَأَمَّا احْتِيجَ إِلَيْهِ كَطَعَامٍ يَسُدُّ جُوعَهُ وَثَوْبٍ يَسْتُرُ عَوْرَتَهُ وَيَتَّ يُوَارِيهِ
وَكِتَابٌ يُطَالَعُهُ لَصُعُوبَةٍ تَفْرِغُ الْقَلْبَ عَنْ حُبِّهَا

الأمور أوسطها » (وهو) أى الاعتدال (الضبط تحت الشرع والعقل) بأن لا يكون فيه
تفريط ولا إفراط ، فيغلب حيث وجبت الحجة الشرعية ، وينطفىء حيث يحسن الحلم
في القضية الفرعية (فالتفريط) أى يفقد الغضب أو ضعفه (مذموم) وهو الذى
يقال فيه : انه لاجمية له ، ولذا قال الشافعى : من استغضب فلم يغضب فهو حمار ،
ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان (كالإفراط) أى كما أن الإفراط بالتجاوز عن الحد
مذموم قال تعالى : (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة من
الغضب بالباطل ، ومدح المؤمنين بما أنعم الله عليهم من السكينة (فورد) فى مدح
الاعتدال قوله تعالى (أشداه على الكفار) تمامه (رحما بينهم) وكذا قوله
(أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وقد قال تعالى لئيه عليه السلام (يا أيها
النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلاظ عليهم) (ولا تأخذكم بهما) أى بالزاني والزانية
فى حدهما (رافة فى دين الله) أى شدة رحمة وهو دليل الذم التفريط ، وقال عليه
السلام « خير أمتى أحداؤها » يعنى فى الدين ، رواه الطبرانى والبيهقى عن على (وقله)
أى قطع الغضب ورفع (فى زوال ما استغنى عنه) كالجاء والمال الكثير والغلمان
والدواب (يمكن) إذ ليست هذه الأشياء ضروريات لاحد من الخلق فيمكن رفعها بالرياضة
والمجاهدة العلية والعملية (لا) أى لا يمكن قلعه فى زوال (ما احتيج إليه) أى ولا
يستغنى عنه بحال (كطعام يسد جوعه) من قوت يومه وليلته (وثوب يستر عورته)
ويصح صلانه (ويتر يواريه) أى يستر حاله ويدفع برودته وحرارته (وكتاب
يطالعه) وفى معناه كل آلة بها يكتسب صاحبها ، والاخير من ضروريات بعض افراد
الناس (لصعوبة تفريغ القلب عن حبا) أى عن حب هذه الأشياء بحكم الطبيعة ،
فانه لا يمكن قلعه بالرياضة ولا كلف احد بها فى أبواب الشريعة ، وقد اشار إليه

الْأَمَنُ غَلَبَ عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ فَرَى الْخَاقَ مُسَخَّرِينَ لِلْحَقِّ كَالْقَلَمِ لِلْكَاتِبِ، وَفِيهِ
يَتَصَوَّرُ الْكُسْرُ أَنَّ لَا يَظْهَرُ الْأَثَرُ

صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله « من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يوم فكأنما حيزت له الدنيا » أى جمعت له لذاتها . الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن محصن . وقال الترمذى . حسن غريب : ورواه الطبرانى فى تاريخه . والكل بدون زيادة بهذا فیرها (الامن غلب عليه التوحيد) فلا يغضب على تفويت هذه الاشياء لما عنده من المقام السديد وحال الفناء (فیرى الخاق مسخرين للحق) القاهر الغالب (كالقلم للكاتب) لكن غلبة التوحيد الى هذا الحد فى مقام التفريد انما يكون كالبرق الخاطف يقع فى أحوال نادرة مع الرب ثم يرجع القلب الى الوسائط رجوعاً طبعياً لا يندفع عنه ، ولو تصور ذلك على الدوام لاحد من الانام لتصور لرسوله عليه السلام فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه ، ويقول « انما أنا بشر اغضب كما يغضب البشر » كما فى الصحيحين ، وفى رواية « فایما مسلم سیتة اولعنته او ضربته فاجعلها منى صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة » (وفيه) أى فيما احتيج اليه (يتصور الكسر) أى كسر النفس (بان لا يظهر الاثر) أى اثر الغضب فى البشرة لاقام الغضب بالمرة لانه غير مقدور للبشر . وعن على كرم الله وجهه « كان عليه السلام لا يغضب للدينا فاذا اغضبه الحق لم يقربه احد ولم يقم لغضبه شئ . حتى ينتصر له » رواه الترمذى فى الشمائل . وفى صحيح مسلم عن عروة « ان عائشة حدثت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خرج من عندها ليلا قالت ففرت عليه فجاء فرأى ما اصنع فقال مالك يا عائشة اغرت ؟ فقلت : وما لى لا يغار مثلى على مثلك ، فقال ﷺ : لقد جاءك شيطانك ، قالت يا رسول الله او معى شيطان . قال نعم ، قلت ومع كل انسان . قال نعم ، قلت ومعهك يا رسول الله ؟ قال نعم ولكن ربى اعاننى عليه حتى اسلم فلا يأمرنى الا بخير ، وفى الاحياء اراد شيطان الغضب . والمعنى انه لا يحملنى على الشر ، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص « يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت فى الغضب والرضا . قال اكتب فوالذى بعثنى بالحق ما يخرج منه الا حق » و اشار الى لسانه ، فلم يقل انى لا اغضب ، ولكن قال ان الغضب لا يخرجنى عن الحق ولا اعمل بموجب الغضب . والحديث رواه أبو داود باسناد صحيح وهو متضمن لما فى قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) وقوله سبحانه : (قل انما انا بشر

وَالسَّبَبُ الْكِبَرُ وَالْعُجْبُ وَالْمَرَحُ وَالِاسْتِهْزَاءُ وَالِاِيْذَاءُ وَالْحِرْصُ فِي الْفُضُولِ
وَعِلَاجُ كُلِّ فِي مَوْضِعِهِ

مثلكم (يوحى الى) أى التمييز بينى وبينكم بوقوع الوحي الى دونكم *
هذا وقد يفقد أصل الغضب فيما هو ضرورى اذا كان القلب مشغولا بضرورى اهم
منه ، فلا يكون فى القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره ، فان استغراق القلب ببعض
المهمات يمنع الاحساس بما عداها ولو كانت من الضروريات ، ومن هنالما شتم سلمان قال :
ان خفت موازينى فانا شر مما تقول ، وان ثقلت موازينى فلا يضرنى ما تقول . فقد كان همه
مصرفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتيم ولم يصير سببا لغضبه ، وكذلك شتم الربيع بن
خيثم فقال : يا هذا سمع الله كلامك ، وان دون الجنة عقبة ان قطعته لم يضرنى ما تقول ، وان
لم اقطعها فانا شر مما تقول ، وقيل للبسطامى : لحيتك افضل أم ذنب الكلب ؟ فقال : ان
مت مؤمنا فلحيتى والا فذنب الكلب فكان همه حسن الخاتمة ، وشتيم رجل أبا بكر الصديق
فقال : ما ستر الله عنك اكثر ، فكأنه كان مشغولا بالنظر فى تقصير نفسه عن أن يتقى الله حق
تقائه ويعرف الله حق معرفته ، فلم يفض به نسبة غيره اياه الى نقصان فى امره ، اذ كان ينظر
الى نفسه بعين النقصان وذلك لكمال قدره . وقالت امرأة لملك بن دينار : يا امرانى ، فقال
ما عرفنى غيرك ، فكأنه كان مشغولا بان ينفى عن نفسه آفة الرياء ليصل الى حالة الاخلاص
ومقام البقاء بعد الفناء ، وسب رجل الشعبي فقال : ان كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت
كاذبا فغفر الله لك (والسبب) أى باعث الغضب ستة أشياء (الكبر والعجب والمزاح
والاستهزاء والايذاء) أى بالتعبير والمراء (والحرص) أى شدة الميل (فى الفضول)
أى زيادة المال والجاه ، وهى باجمعها اخلاق رديئة واحوال دنية مذمومة فى امور
شرعية واحكام فرعية . ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب ، فلا بد من ازالتها
باضدادها المعروفة فى الباب (وعلاج كل) أى من الكبر ونحوه (فى موضعه) أى
يأتى مفصلا ، واما مجملا فهو بان يمت الكبر بالتواضع ، ويميت العجب بمعرفة النفس
اذا كان بالعلم والعمل ، واما اذا كان بالنسب المجرد فبمعرفة ان بنى آدم جنس واحد ،
وان الشرف بالفضائل . والفخر والعجب من اكبر الرذائل ، ويميت المزاح بالاشتغال
بالمهمات الدينية والامور الاخرى ، ويزيل الهزل بالجد ، ويميت الباطل بالحق لقوله
تعالى : (انه لقول فصل وما هو بالهزل) ويزيل التعبير بالاشتغال بعبود نفسه فورد

وَبِالْأَجْمَالِ التَّوَضُّؤُ وَالْتَّعْبُدُ وَالْقُعُودُ وَالْإِتِّكَاءُ وَالْاضْطِجَاعُ

«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، ومن غير أخاه بذنب لم يمت حتى يتلى به» ، ويزيل الحرص على مزايا العيش بالقناعة والاشتغال بالعبادة على قدر الاستطاعة فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة ، مع ما في القناعة من الاستغناء والترفع عن ذل الحاجة . ثم المراقبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة سديدة ، فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وظهرت عن هذه الرذائل واتصفت بمحامد الفضائل .
و. كرام السمائل .

والحاصل ان الغضب انما هو لضعف النفس ، فالمرضى أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا من الرجل ؛ والصبي أسرع غضبا من الكبير ، والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكمل ، وذو الخلق السيئ والرذائل أسرع غضبا من صاحب الفضائل ، فالرذل يغضب لشهوته عند فرت لقمته ، وليلخله عند فوت حبه . وصاحب الفضل يملك نفسه عند غضبه وحدته ، ففى الصحيحين عن أبى هريرة « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » وهو الذى ذكرناه : علاجه بتفصيل الاحوال (وبالأجمال) علاجه اثنا عشر (التوضؤ) والاعتسالى أتم . ففى الحديث « إذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فان الغضب من النار » أبوداود من حديث عطية السعدى : وفى رواية أخرى « ان الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ » وروى « أن عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال : ان الغضب من الشيطان » وهذا يذهب الغضب فى الجملة (والتعبد) أى بالصلاة ونحوها ، وفى نسخة التغسل وهو الظاهر فى الأصل تصحيف وتحريف اذ لم يرد فيه حديث شريف بخلاف الاعتسالى فقد أخرج ابن عساكر من حديث معاوية « الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار والماء يطفيء النار فاذا غضب أحدكم فليغتسل » ومن جملة العلاج السكوت فعن ابن عباس مرفوعا « اذا غضبت فاسكت » رواه أحمد وابن ابى الدنيا والطبرانى والبيهقى فى شعب الايمان (والقعود) أى الجلوس اذا كان قائما (والائتكاء) اذا كان جالسا (والاضطجاع) اذا كان متكئا فللترمذى من حديث أبى سعيد « ان الغضب جمره فى القلب الم تروا الى اتفاح أوداجه وحمرة عينه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليتم » (أى فليضطجع) فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يقتسل

وَالصَّاقُ الْخَدَّ بِالْأَرْضِ فَالْكُلُّ مَرْوِيٌّ مَأْمُورٌ بِهِ مُعَلَّلًا بِأَنَّهُ جَمْرَةٌ

فإن النار لا ينطفئها إلا الماء ، ولا بن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة كان عليه السلام « إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه » ولا أحد باسناد جيد « وكان أبو ذر قائما فجلس ثم اضطجع ، فقيل له : لم جلست ثم اضطجعت ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا : إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب والا فليضطجع » والمرفوع عند أبي داود بسند فيه انقطاع . والاضطجاع غاية السكون ، فإن سبب الغضب الحرارة ، وسبب الحرارة الحركة ، والظاهر عنوان الباطن ، ويستعان بكل منهما على الآخر كما حقق في طهارة الظاهر والباطن ، وقد ورد « أن أبا ذر قال لرجل يا ابن الحراء - في خصومة بينهما - وفي رواية - يا ابن الخضراء فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : يا أبا ذر بلغني أنك اليوم عبرت رجلا بأمره قال نعم ، فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : « يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر ثم أعلم أنك لست بأفضل من أحر فيها ولا أسود الا أن تفضله بعمل ، ثم قال : إذا غضبت فإن كنت قائما فاقعد ، وإن كنت قاعدا فاتكى . وإن كنت متمكنا فاضطجع » رواه ابن أبي الدنيا باسناد صحيح . وفي الصحيحين من حديثه قال « كان بيني وبين رجل من اخواني كلام وكانت امه أعجمية فميرته بأمره فشكا إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية » ولا أحد أنه عليه السلام قال له : « انظر فانك لست بخير من أحر ولا أسود الا أن تفضله بتقوى » ورجاله ثقات « والصاق الخد بالأرض » فعن أبي سعيد الخدري مرفوعا « الا ان الغضب جمر في قلب ابن آدم لا تروى إلى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فزوجه من ذلك شيئا فليصق خده بالأرض » الترمذي وحسنه . وكان هذا إشارة إلى تمكين اعز الاعضاء من أذل الاشياء لتستشعر به النفس المذلة وتزيل عنها الزهو والعزة ، وإيماء إلى أن من أوله وآخره التراب لا يصلح له الغضب في باب من الابواب ، وإلى قول بعض اولي الالباب : ما للتراب ورب الارباب والله أعلم بالصواب ، وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أبي : أوليت ؟ قلت نعم ، قال : فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظم خالفهما « فالكل مروي » أي فعله بما قدمنا « مأمور به » كما بينا . والمعنى انه جمع فيه بين العمل والقول « معلا » وفي نسخة معلل « بانه » أي الغضب « جمر » أي حرارة غريزية أو

(م - ٢ - ج - ٢ - شرح عين العلم)

فِي الْقَلْبِ بِدَلِيلِ حُرَّةِ الْعَيْنِ وَانْتِفَاحِ الْأَوْدَاجِ وَالْإِسْتِعَادَةِ وَالْإِسْتِعَاذَةَ بِاللَّهِ
تَعَالَى وَالْعِلْمُ بَثْوَابِ الْحِلْمِ وَالتَّحَلُّمِ فُورِدَ (وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ) أَيِ الْمُتَحَلِّينَ وَ«مَنْ
كَفَّ اللَّهُ غَيْظَهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ» إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيَدْرِكُ بِالْحِلْمِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ

حادثة عرضية تنوقد ((في القلب بدليل حرمة العين)) أي حينئذ ((وانتفاخ الأوداج)) أي
عروق الرقبة. وقد سبقت به الرواية وتحققت فيه الدراية ((والاستعادة)) أي ومن جملة
العلاج العودة إلى الحالة الأولى بعد التغير عنها إلى الحالة الثانية ((والاستعاذة)) أي التعوذ
بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ، وهو متفق عليه من حديث سليمان بن صرد، قال :
كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان فاحدهما أحمروا وجهه وانتفخت أوداجه فقال
عليه السلام. لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد، الحديث. ولابن عدي
من حديث أبي هريرة : إذا غضب الرجل فقال : أعوذ بالله سكن غضبه، ولابن السني في
اليوم والليلة. من حديث عائشة : كان عليه السلام إذا غضبت عائشة أخذ بانفها وقال
يا عويش قولي : اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات
العين، ((والاستعاذة بالله تعالى)) أي بحوله وقوته في دفع غضبه وشدة حدته ((والعلم
بثواب الحلم والتحمل)) عطف على العلم لا الحلم أي ومن العلاج التكلف في الحلم فإنه
محمود أيضاً وللطبراني ((إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم)) (فورد) في التنزيل ((والكاظمين
الغيظ)) أي المتحللين وذلك في معرض مدح المتقين من المؤمنين، وتماه ((والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين)) وللطبراني في الأوسط واليهيقي في الشعب من
حديث أنس ((من كف الله غيظه كف الله عنه عذابه)) ولابن أبي الدنيا من حديث
ابن عمر «من ملك غضبه وقاه الله عذابه» ولابن أبي الدنيا من حديث علي «أشدكم
من ملك نفسه عند الغضب وأحلكم من عفا عند المقدرة» ((إن المسلم ليدرك بالحلم
درجة الصائم)) أي بالنهار ((القائم)) أي بالليل رواه الطبراني في الأوسط. ولابن
السني من حديث أبي هريرة «اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم» وفي الصحيحين
«يا أشجع إن فيك خلقين يحبهما الله الحلم والأناة» وللطبراني من حديث فاطمة «إن الله يحب
الحيي الحليم» ولابن ماجه بإسناد جيد من حديث ابن عمر «ما جرع عبد جرعة أعظم
أجر من جرعة غيظ كظلمها ابتغاء وجه الله» زاد ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس
«وما كظلم ما عبد إلا ملاء الله قلبه إيماناً» وقال أيوب : حلم ساعة يدفع شراً كثيراً.

وَشِدَّةَ غَضَبِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتَهُ وَفَضِيحَةَ الْآخِرَةِ وَتَشْيِيهِ الْحَلِيمِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ
وَالْغَضُوبِ بِالسَّبْعِ الضَّارِي وَقُبْحِ هَيْئَتِهِ

واجتمع سفيات الثورى وفضيل بن عياض فتذاكرا واجتمعا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع ، وقال رجل لعمر : والله ما تقضى بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ألم تسمع أن الله قال : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وهذا من الجاهلين ، فقال عمر صدقت ، وكأنما كانت نارا فاطفئت (وشدة غضبه تعالى وقدرته وفضيحة الآخرة) أى والعلم بها فانها تكون سببا لاطفاء نار الغضب وتسكينها عن اللهب ، فيخوف نفسه بمقاب الله بأن يقول : قدرة الله على أعظم من قدرتى على هذا الانسان ، فلو ا مضيت غضبى عليه لم آمن أن يمضى الله غضبه على يوم القيامة أحوج ما أكون الى العفو والرحمة ، وقد قال تعالى فى بعض الكتب المتقدمة : يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب اذكرك حين أغضب فلا أحقك فيمن أحق « وبعث رسول الله ﷺ وصيفا الى حجة فابطأ عليه ، فلما جاءه قال : لولا القصاص لأوجعتك ضربا » أى خوف القصاص فى القيامة أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف . ولاحد من حديث عبد الله بن عمر . « وسأل رجل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما يبعدنى من غضب الله قال لا تغضب » (وتشبيهه الحليم بالانبياء) فورد د كاد الحليم ان يكون نبيا ، وقدمدح الله سبحانه خليله بانه حليم ، وكذا بشره بغلام حليم (والاولياء) أى باتباع الانبياء من الاصفياء فقد ورد د العلماء ورثة الانبياء ، وضد ذلك من حال الاكراذ والاتراك والجهلة والاغبياء (والغضوب) أى وتشبيه كثير الغضب (بالسبع الضارى) أى الصائل العادى من الاسد ونحوه ، فهو من اخلاق البهائم والكلب الهائم (وقبح هئته) أى بتغيير صورته حال غضبه وشدة حدته بان يتفكر ويتذكر صورة غيره حال غضبه وتغير لونه وشدة رعدته فى اطرافه واكتافه ، وخروج افعاله عن ترتيبه ونظامه من اضطراب الحركة فى اعضائه . وكلامه ، حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمرا الاحداق وتقلب المناخر ، وتستحيل الخلقة فى المظاهر . ولورأى الغضبان نفسه فى حال غضبه وقبح صورته لسكن غضبه من قبح هئته واستحالة خلقته ، وقبح باطنه اعظم من ظاهره . وهذا التغير فى جسده . واما اثره باللسان فانطلاقه بالاشتم والفحش وقبح الكلام الذى يستحي منه

وَالْعَجْزُ عَنِ الْغَلْبَةِ عَلَى مُرَادِهِ تَعَالَى وَاتِّقَامِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ، وَحُدُوثِ الذُّنُوبِ
لَاخْذِ اللِّسَانِ فِي الْفُحْشِ وَالسَّبِّ، وَالْجَوَارِحِ فِي الضَّرْبِ وَالْجَرْحِ وَالْقَتْلِ
وَالْقَلْبِ فِي الْحَقْدِ وَهُوَ ذَمِيمَةٌ فَاحِشَةٌ فُورِدَ «الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِحَقُودٍ»

ذوو العقول ، ويستحي منه قائله ايضا عند فتور غضبه ، وذلك مع تخطيط نظمه او اضطراب لفظه . وأما أثره على الاعضاء فالضرب والهجم والتزيق والجرح والقتل عند التمكين من غير مبالاة ، فان هرب منه المغضوب عايه او فاته بسبب لديه وعجز عن التشفى اليه مرجع الغضب على نفسه بتمزيق ثوبه ولطم وجهه ، وقد يضرب بيده على الارض أو جدره ويعدو عدو الواله والسكران في مشيه ، وربما يسقط صريعا لا يطبق العدو سريعا ، وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض ويكسر المائدة ويتعاطى افعال المجانين ؛ فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول لها الى متى الى متى منك يا هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا ، حتى ربما رفته دابة فيرفس هـ والدابة ويقابلها بذلك ، وربما قتل نفسه بيده اما بالآلة أو بشنق او برمي في بحر ونحوه (والعجز) أى والعلم بالعجز (عن الغلبة على مراده تعالى) فانه غالب على أمره ، وهو القاهر فوق عباده ، فان الغضبان يورد جريان الشيء على وفق مراد نفسه دون مراد ربه ، ومن وقع في هذه الورطة وبأبهاء بغضب من الله وعذابه ، ونعم ما قيل :
تود النفس ان تلقى منهاها هـ ويأبى الله الا ما يريد

فيفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فكان مسلما لامره ان كنت من المريد الطالب لمقام المزيد (واتقَامِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ) أى فيحذر نفسه عاقبة الانتقام من تسلط المغضوب عليه على اظهار معائبه والشماتة بمصائبه (وحدث الذنوب) أى انواع العصيان (لاخذ اللسان في الفحش والسب) للانسان (والجوارح في الضرب والجرح والقتل) ما سبق في معرض البيان (والقلب في الحقد) فان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفى في غيظه رجع الى باطنه واحتقن فيه فصار حقدًا ، فحينئذ يازم قلبه استقاله ويحسده في حسن حاله ، ويظهر الشماتة بمسائه . والحزن بمسره ، والعزم على افشاء سره وهتك ستره والاستهزاء به في قوله وفعله وجميع أمره (وهو) أى الحقد (ذميمة) أى خصلة مذمومة (فاحشة) أى متجاوزة عن الحد لاشتماله على سيئات متعددة عن العد (فورد المؤمن) أى الكامل (ليس بحقود) فعول بمعنى فاعل ، أى ليس بذى حقد ، أو ليس

وَالْعَلَّاجُ قَلْعُ الْغَضَبِ وَذِكْرُ مَا وَرَدَ فِي الْعَفْوِ مِثْلُ (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ - خُذِ الْعَفْوَ - وَإِنْ تُعْفُوا اقْرَبُ لِلتَّقْوَى) وَهُوَ اسْقَاطُ حَقٍّ وَجَبَ أَمَا قَوْلُ أَبِي ضَمْضَمٍ
اللَّهُمَّ تَصَدَّقْتُ بِعَرْضِي عَلَى عِبَادِكَ فَوَعْدُ وَعَلَيْهِ الْوَفَاءُ

بمبالغ في الحقد ، والحديث في الاحياء ، وقال يخرجهم اقبله على اصل (والعلاج) اي علاج الحقد (قلع الغضب) أي الذي سبب الحقد الباعث على الحسد ونحوه (وذكر ماورد) أي من الفضائل في الكتاب والسنة (في العفو مثل والعافين عن الناس) وتامه (والله يحب المحسنين) وللطبراني في مكارم الاخلاق من حديث أنس : اذا رفق العباد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فيدخل الجنة قيل من ذا الذي أجره على الله؟ قال العافون عن الناس ، وهو مستفاد من قوله : (فمن عفو واصباح فاجره على الله) ولاحد والحاكم وصححه وان الله عفو يحب العفو « فالمنخلق باخلاق الله له شأن عظيم عند مولاه (خذ العفو) تامه : (وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) وورد في تفسير العفو وان تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عن من ظلمك ، (وان تعفو اقرب للتقوى) تامه : (ولا تنسوا الفضل بينكم) (وهو) أي العفو (اسقاط حق وجب) أي ثبت للعبث على غيره (اما قول أبي ضمضم) وهو رجل من بني اسرائيل (اللهم تصدقت بعرضي على عبادك فوعد) أي لا عفو لانه اثبات ماله للغير لا اثبات حق واجبه له على الغير (وعليه الوفاء) أي بوعده وعهده . وتوضيحه انه لما قال العفو اسقاط حق وجب ورد عليه ان قول أبي ضمضم تصدقت يدل على ان العفو قد يكون باسقاط الحق قبل الوجوب ، فاجاب بانه وعده بانه لا يخاصمه به يوم القيامة لا عفو كما قدمناه ، وفي الاحياء « قال رجل من المسلمين : اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها ، فابمارجل أصاب من عرضي شيئا فهو صدقة عليه ، فاوحى الله الى النبي عليه السلام اني قد غفرت له » قال يخرج رواه أبو نعيم في الصحابة ، والبيهقي في الشعب ، وابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي هريرة أن رجلا من المسلمين ولم يسمه ، وقال أظنه أبا ضمضم ، وتقدم في آفات اللسان حديث : أيعجز أحدكم أن يكون كآبي ضمضم ، قالوا وما أبو ضمضم؟ قال : رجل فيمن كان قبلكم اذا أصبح قال اللهم اني قد تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني ، والمعنى أتم أولى بهذه الخصلة المهمة فانكم خير أمة ، وقيل في قوله تعالى : (ربانين) أي علماء حلماء . وعن الحسن في قوله تعالى : (واذا خاطبهم الجاهلون

وَمَا ارْتَكَبَ الْحَقُودُ مِنْ مَكْرُوهِ كَتَرَكَ الْإِعَانَةَ فِي الْحَاجَةِ وَالْدُّعَاءِ

قالوا سلاما قال علماء ان جهل عليهم لم يجهلوا يعني بل يجيئونهم بقول يسلمون فيه عنهم . وقال عطاء بن أبي رباح: ويمشون على الأرض هونا أي حملاء . وقال ابن أبي حبيب في قوله : (وكهلا) قال الكهل منتهى الحلم . وقال مجاهد : (واذا مروا باللغو مروا كراما) أي اذا أودوا صفحوا ، وروى أن ابن مسعود مر بالغو معرضا فقال عليه السلام : « أصبح ابن مسعود وأمسى كريما » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوى قوله تعالى : (واذا مروا باللغو مروا كراما) ابن المبارك في البر والصلة . ولأحمد من حديث سهل بن سعد « اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الخليم ، فلو بهم قلوب العجم والستهم السنة العرب » وعن علي كرم الله وجهه « ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر عليك ويظم حلك وأن لا تباعى الناس بعبادة ربك . فاذا أحسنت حمدت الله واذا أسأت استغفرت الله » وعن الحسن « اطلبوا العلم وزينوه بالحلم » وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان بزينة العلم ، وما أحسن العلم بزينة العمل ، وما أحسن العمل بزينة الرفق ، وما أضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم ، وعن أنس بن مالك في قوله تعالى : (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) الى قوله : (عظيم) هو الرجل يشتمه أخوه فيقول ان كنت كاذبا يغفر الله لك ، وان كنت صادقا فيغفر الله لى ، وعن بعضهم قال شتمت فلانا من أهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا . وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضها . فنكس الرجل رأسه واستحي . وعن علي بن الحسين انه سبه رجل فرمى اليه خبيصة كانت عليه وأمرله بالف درهم . ومر المسيح ابن مريم عليهما السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا ، فقال لهم خيرا فقبل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا ، فقال كل واحد ينفق بما عنده . ولأحمد من حديث جابر بن سمرة « ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه ، ولا يابى داود من حديث أبي هريرة « شتم رجل أبا بكر وهو ساكت فلما ابتداء ينتصر منه قام عليه السلام فقال انك كنت ساكتا لما شتمنى فلما تكلمت قلت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلما كن لا جالس في مجلس فيه الشيطان » (وما ارتكب) أي وذكر ما اكتسب (الحقود من مكروه كترك الاعانة في الحاجة) وقد قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) (والدعاء) أي وكترك الدعاء له في الغيبة فان الدعاء

وَالْوَعْظِ وَالرَّفْقِ فَوَرَدَ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ» وَمِنْ حَرَامِ كَالْشِمَانَةِ وَالْأَعْرَاضِ
وَالْأَهَانَةِ وَالْغِيَةِ وَتَرْكِ صَلَةِ الرَّحِمِ وَقَضَاءِ الْحَقِّ، وَالنَّصِيحَةِ وَهِيَ أَرَادَةُ بَقَاءِ
النِّعْمَةِ عَلَى الْمُسْلِمِ مِمَّا لَهُ فِيهِ صَلَاحٌ عُرِفَ بِغَلْبَةِ الظَّنِّ أَوْ قَيْدِ بَشْرُطِهِ، وَضِدَّهَا
الْحَسَدُ وَهُوَ أَرَادَةُ زَوَالِهَا عَنْهُ مِمَّا لَهُ فِيهِ صَلَاحٌ فَإِنْ انْتَفَى الصَّلَاحُ فَغَيْرُهُ وَإِنْ
أَرَادَ مِثْلَهَا لِنَفْسِهِ دُونَ الزَّوَالِ عَنْهُ فَغِبْطَةٌ وَمَنَافَسَةٌ، وَالْحَسَدُ حَرَامٌ

يَسْتَجَابُ فِي غِيَةِ الْمُؤْمِنِ وَيَكُونُ لِلدَّاعِي مِثْلُهُ (وَالْوَعْظُ) أَيْ النَّصِيحَةُ وَتَرْكُ الْفَضِيحَةِ ،
فَقَدْ وَرَدَ : إِلَّا أَنْ الدِّينَ النَّصِيحَةُ قِيلَ لِمَنْ يَأْمُرُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَمَّةِ
الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَتِهِمْ (وَالرَّفْقُ) أَيْ بِالنِّبْيَةِ الصَّحِيحَةِ (فَوَرَدَ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ) أَيْ
اللُّطْفَ وَهُوَ ضِدُّ الْعَنْفِ وَقَدْ تَقَدَّمَ مَخْرَجُهُ (وَمِنْ حَرَامِ كَالْشِمَانَةِ) وَهِيَ الْفَرْحُ بِيَلِيَةِ
الْعَدُوِّ (وَالْأَعْرَاضِ) عِنْدَ الْمُوَاجَهَةِ بِتَرْكِ السَّلَامِ وَالْكَلَامِ (وَالْأَهَانَةِ) بِتَرْكِ
الْقِيَامِ وَالتَّوَسُّعِ فِي الْمَقَامِ (وَالْغِيَةِ) أَيْ ذَلُّ مَا يَكْرَهُهُ فِي الْغِيَةِ (وَتَرْكُ صَلَةِ الرَّحِمِ)
إِنْ كَانَ مِنْ ذَوِي الْقُرَابَةِ (وَقَضَاءُ الْحَقِّ) أَيْ وَتَرْكُهُ مِنْ حَقُوقِ الْمُسْلِمِينَ مَزِيدَ السَّلَامِ
وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَأَمثالها (وَالنَّصِيحَةُ) أَيْ وَتَرْكُهَا (وَهِيَ أَرَادَةُ
بَقَاءِ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُسْلِمِ مِمَّا لَهُ) أَيْ مِنْ شَيْءٍ (لَهُ) أَيْ لِلْمُسْلِمِ (فِيهِ) أَيْ فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ
(صَلَاحٌ) دُنْيَوِيٌّ أَوْ آخِرَوِيٌّ (عُرِفَ) كَوْنُهُ صَلَاحًا (بِغَلْبَةِ الظَّنِّ أَوْ قَيْدِ بَشْرُطِهِ)
أَيْ أَوْ قَيْدِ الْبَقَاءِ بِشَرَطِ الصَّلَاحِ بَأَن يَقُولَ : إِنْ كَانَ لَهُ فِيهَا صَلَاحٌ فَابْقِهَا (وَضِدَّهَا)
أَيْ النَّصِيحَةُ (الْحَسَدُ وَهُوَ أَرَادَةُ زَوَالِهَا) أَيْ النِّعْمَةِ (عَنْهُ) أَيْ عَنِ الْمُسْلِمِ (مِمَّا لَهُ فِيهِ
صَلَاحٌ ، فَإِنْ انْتَفَى الصَّلَاحُ) وَقَدْ أَرَادَ زَوَالَهَا عَنْهُ مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْشُرَ سَبِيحًا لِأَجْلِ
زَوَالِهَا (فَغَيْرُهُ) وَهِيَ مَذْمُومَةٌ (وَإِنْ أَرَادَ مِثْلَهَا لِنَفْسِهِ دُونَ الزَّوَالِ عَنْهُ فَغِبْطَةٌ وَمَنَافَسَةٌ)
وَهِيَ خِصْلَةٌ مَحْمُودَةٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) وَحَدِيثُ
الصَّحِيحِينَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ : لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ وَيُعَلِّمُهُ
النَّاسَ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَطَهُ عَلَى مِلْكِهِ فِي الْحَقِّ ، (وَالْحَسَدُ) أَيْ الْمَذْمُومُ
(حَرَامٌ) لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (أَمْ يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) وَعَنِ الْفَضِيلِ
الْمُؤْمِنِ يَغْبُطُ وَالْمُنَافِقُ يَحْسَدُ . وَلِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ
النَّارُ الْحَطَبَ ، أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَإِنْ مَاجَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ . وَفِي الصَّحِيحِينَ

فَأَفَاتُهُ كَرَاهَةُ نِعْمَتِهِ تَعَالَى وَقَضَائِهِ وَرَاحَةُ الْمُسْلِمِ وَفَعْلُ الْمَعَاصِي كَالْتِمَاقِ وَالْغِيَةِ
وَالشَّمَانَةِ فُورَدَ (وَمَنْ شَرَّ حَاسِدًا إِذَا حَسَدَ)

« لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا » وللبيهقي في الشعب « كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر » (فافاته) ستة (كراهة نعمته تعالى) فللطبراني من حديث معاذ « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وللطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس ان لاهل النعم حسادا فاحذروهم » (وقضائه) فعن زكريا عليه السلام قال تعالى : (الحاسد عدو لنعمتي ، ساخط لقضائي ، غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي . وقد يؤخذ هذا المعنى من قوله تعالى : (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما كنسبن واسئلو الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما) وقال تعالى : (لكل اجل كتاب » وكل شيء عنده بمقدار) وقد شكى نبي من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فالوحى الله اليه : فر من قدامها حتى تنقضى آياها . (وراحة المسلم) أى وكرامتها وهو من خصال المناقين كما قال الله تعالى فى حقهم (ان تمسككم حسنة تسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) وقال معاوية . كل الناس أقدر على رضاه الاحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذا قيل :

كل العداوة قد ترجى اماتها . إلا عداوة من عاداك من حسد

ومن هنا قال الله تعالى : (قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور) وقال اعرابي : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، انه يرى النعمة عليك نقمة عليه ، وقال الحسن : يا ابن آدم لم تحسد أخاك . فان كان الذى أعطاه الله آياه لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله ، وان كان غير ذلك فلم تحسد من يصيره الى النار . (وفعل المعاصي) بالرفع أى من آفاته (كالتعلق) فى الحضرة ، وانما يتعلق المحسود على المحسود لئلا يطلع على ارادته الباطنة ، اذ الخائن يخاف من الفضيحة وهو من صفات المناقين ، وقد سبق ان المؤمن ليس يتعلق الا فى طالب العلم (والغية) أى غيبة المحسود فى الغيبة (والشمانة) وهى الفرح ببيلة المحسود فللترمذى من حديث واثلة بن الاسقع « لا تظهر الشمانة لآخيك فيما فيه الله وبتليك ، وفى رواية ابن الدنيا « فيرحمه الله » (فورد) فى التنزيل (ومن شر حاسدا اذا حسد) أى اذا اظهر الحسد

وَالْتَعَبُ فِي الدُّنْيَا وَالْعِقَابُ فِي الْآخِرَةِ بِلَا نَفْعٍ بَلْ يَنْفَعُ الْمُحْسِدُ فِي الدُّنْيَا بِمَضْرَةِ الْعَدُوِّ
وَفِي الْآخِرَةِ بِطَلَبِ الْمُكَافَأَةِ وَعَمَى الْقَلْبِ وَالْخُذْلَانُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَمِنْهُ الْإِثْرُ
إِلَّا فِي نِعْمَةِ الْكَافِرِ وَالْفَاسِقِ الْمُسْتَعِينِ بِهَا عَلَى الْفَسْقِ وَالْمُبْتَدِعِ وَهُوَ يُكْرَهُ مِنْ
حَيْثُ آتَتْهُ دُونَ النِّعْمَةِ بِخِلَافِ الْغَيْرَةِ فَوَرَدَ أَنْ تَعْجِبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ فَوَاللَّهِ إِنَّ
سَعْدَ الْغَيُورِ وَأَنَا أَغَيْرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغَيْرُ مِنَّا وَالْغِبْطَةُ فَوَرَدَ . وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ
«هُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ فِيمَنْ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي مَالُ فُلَانٍ لَكُنْتُ أَعْمَلُ فِيهِ بِمِثْلِ عَمَلِهِ»

والا فلا يخلو الجسد من الحسد ، وعن الحسن انه سئل عن الحسد فقال : فمة فانه
لا يضرك ما لم تبده (والتعب في الدنيا) فان الحسود لا يسود ولعدم خلو الدنيا من ذي
نعمة (والعقاب في الآخرة بلا نفع) أي للحاسد (بل ينفع المحسود في الدنيا بمضرة
العدو) وهو الحاسد (وفي الآخرة بطلب المكافأة) أي المجازاة على عمله الكاسد
(وعمى القلب) الناشئ من عدم الرضا بقضاء الرب (والخذلان) أي عدم النصرة
(في الدنيا والآخرة ففيه الاثر) أي المروى عن بعض السلف « ان الحاسد لا ينال من
المجالس الا مذمة وذلا ، ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ، ولا ينال من الخلق الا
جزعا وغما ، ولا ينال عند النزاع الا شدة وهولا ، ولا ينال عند الموقف الا فضيحة
ونكالا » (الا في نعمة الكافر) مستثنى من قوله والحسد حرام (والفاسق المستعين
بها على الفسق) والظالم المتقوى بها على الظلم (والمبتدع) الذي يشتد بها على البدعة
(وهو يكره من حيث آتته) أي آله ما ذكر من الذم والفسق والظلم والبدعة (دون
النعمة) أي اصلها (بخلاف الغيرة) فانها غير حرام (فوردت تعجبون من غيرة
سعد) وهو ابن أبي وقاص (فوالله ان سعدا لغير من الله والله اغير منا)
وغيرة الله ان يأتي المؤمن ما حرم الله عليه (والغبطة) أي وبخلاف الغبطة فانها ليست
بحرام (فورد) أي في التنزيل (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أي ليرغب الراغبون
ويطلب الطالبون المنازل العالية والمحافل العالية ، وورد في الحديث (هما في الاجر
سواء فممن قال لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله) أي من الخيرات والمبرات ،
فلا بن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح « مثل هذه الامة مثل اربعة رجال ، رجل آتاه

فَهِيَ تَتَّبِعُ مَا غَبَطَ فِيهِ حُرْمَةٌ وَابَاحَةٌ وَوُجُوبًا وَنَدْبًا وَالسَّبَبُ خُبْتُ النَّفْسِ وَهُوَ دَاءُ مَزْمِنٍ
لأنه جَبَلِي وَالرَّغْبَةُ فِي نِعْمَةِ الْغَيْرِ كَالرِّيَاسَةِ وَخَوْفُ فَوَاتِ الْمَقَاصِدِ كَالْفِضْرَةِ وَالْعَدَاوَةُ
وَالْتَعَزُّزُ بِكَرَاهَةِ تَرْفَعِ الْغَيْرِ عَلَيْهِ وَالتَّكْبَرُ وَالتَّعَجُّبُ بِرَجْحَانٍ مِنْ سَاوَاهُ

الله مالا وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله ، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالا فيقول رب
العلم لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه الله
مالاً فهو ينفقه في معاصي الله ، ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مثل مال فلان
لكنت اعمل بمثل عمله فهما في الوزر سواء (فهي) أي الغبطة (تتبع ما غبط فيه)
بصيغة المجهول (حرمة) كالمعاصي (و اباحة) كالمباحات من الثياب الفاخرة وسائر
النعم الظاهرة ، لكن الغبطة في المباحات تناقض علو الحالات والمقامات كالزهد والرضا
والتوكل والقناعة والتسليم ، وتحجب عن المقامات الرفيعة من غير اثم في قواعد
الشريعة (ووجوباً) كالإيمان والصلاة والزكاة وسائر الأعمال (وندباً) كاتفاق
الأموال في تحسين الأحوال

(هو السبب) أي للحسد سبعة (خبث النفس وهو داء مزمن) أي لازم (لانه
جَبَلِي) لا علاج له : فقد يوصف عنده حسن حال رجل من عباد الله فيما انعم به عليه مولاه
فيشق ذلك عليه ويحب زوال نعمة الله تعالى عنه وليس بينه وبينه عداوة خفية ولا جنسية
جلية ولا شيء مما ذكر من اسباب الحسد ، بل انما هو لخبث في نفسه ورذالة في طبعه
لا يزول الا بموته كما تقدم في ذمه (والرغبة في نعمة الغير كالرياسة) في مقام الجاه
والسياسة فانه يحب ان يكون فريده دهره ووحيد عصره (وخوف فوات المقاصد كما في
الضرة) على توهم المضرة . ومن هذا القبيل الاخوان عند الأب ، والتلاميذ عند
العلماء ، والندماء عند الأمراء ، بل ومن ذلك حسد العالم للعالم دون العابد ، وحسد
العابد للعابد دون العالم وقس على هذا (والعداوة) الكامنة في القلب (والتعزز
بكرامة ترفع الغير عليه) في المنازل والمحافل فيما بين أهل الفضائل ، ومنه قوله تعالى
(اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) (والتكبر) وهو من اردء الرذائل (والتعجب
برجحان من ساواه) أي نسباً وحسباً ، ومنه قوله تعالى : (ولئن اطعمتم بشرًا مثلكم انكم
لذاتخاسرون) تعجبوا من ان يكون الرسول بشراً وجوزوا ان يكون الا له حجراً ،
ومنه ايضاً قوله تعالى : (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)

فَنَ ثَمَّ كَثُرَ الْحَسَدُ بَيْنَ الْأَقَارِبِ لَكثْرَةِ تَحَقُّقِهَا دُونَ عُلَمَاءِ الْآخِرَةِ فَوَرَدَ
(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) وَعِلَاجُ كُلِّ ضِدِّهِ وَذِكْرُهُ
الْآفَاتِ الْمَذْكُورَةِ وَمَا وَرَدَ فِيهِ ، وَوُجُوبُ مَوَالَاتِ الْمُؤْمِنِ وَرِعَايَةُ حُقُوقِهِ
وَعِظَمُ قَدْرِهِ وَالْفَوَائِدُ كَالْتِعَاوُنِ وَبَرَكَاتِ الْجَمَاعَةِ .

وقوله : (. أنزل عليه الذكر من بيننا) وقوله : (أو عجبت من آن جاءكم من دونه)
على رجل منكم لينذرهم) (فن ثم كثر الحسد بين الأقارب) وقل بين الأجانب (لكثرة
تحققها) أي المساواة في ذوى القربى (دون علماء الآخرة) فإنه لا يكثرونهم بل
لا يوجد عندهم ، إذ مقصودهم معرفة الله تعالى وهي بحر واسع لا ضيق فيه ، وغرضهم
المنزلة عنده وليس فيه عناية ولا مزاحمة بل يزيد الانس بسبب الكثرة (فورد)
في التنزيل (ونزعنا) أي في الدنيا والآخرة (ما في صدورهم من غل) أي حقد
وحسد (إخوانا على سرر متقابلين . وعلاج كل) أي كل واحد من أسباب الحسد
(ضده) فعلاج خبث النفس سلامته وطيبه ، وعلاج الرغبة التغير ، وعلاج الخوف
الامن لعدم خلاف المقدور ، وعلاج العداوة المحبة ، والتعزز بالتدليل ، والتدبر التواضع
والتعجب الاطمئنان بالتفكر في قدرته وقضائه واراادته في خلقته (وذكروه الآفات
المذكورة) أي من جملة علاج الحسد (وما ورد فيه) أي ذكره ما ورد في ذم الحسد
(ووجوب) أي وذكره وجوب (موالاة المؤمن ورعاية حقوقه وعظم قدره ،
والفوائد) أي وذكره الفوائد الواصلة من المؤمن اليه من ترك الحسد (كالتعاون) على
البر والتقوى والتساعد على العلم والعمل والفتوى (وبركة الجماعة) لاسيما في الجمعة
والجنازة والمشاعر العظام والاجتماع بالعلماء الكرام والمشايخ الفخام ، وقد قال تعالى :
(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم) وقال
(ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء) وقال : (بشس
ماشروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا) أي حسداً . والله در القائل من
ذوى الفضائل :

لامات أعداؤك بل خللوا . حتى يروا فيك الذي يحمد
لازلك محسودا على نعمة . فانما التكامل من يحسد
ونعم المقال من بعض أهل الحال : حسد حافده وحقد حاسده

﴿الباب الحادى عشر فى العزلة والخمول﴾

وحب الذم وبغض المدح﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • فى العُزْلَةِ فَوَائِدُ وَهِيَ الْفَرَاغُ لِلْعِبَادَةِ فَالْخَلْقُ شَاغِلُونَ

العزلة ضد الخلطة ، والخول ضد الشهرة . فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على الخلطة سفيان الثورى وابن أدهم وداود الطائى والفضيل بن عياض وبشر الحافى وطائفة . وقال أكثر التابعين باستحباب الخلطة تعاوناً على البر والتقوى ، ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن عيينة وأبو حنيفة وابن المبارك والشافعى وأحمد ابن حنبل وجماعة ، فمن الفضيل : كفى بالله محابو بالقرآن ونساو بالموت واعظا ، اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً . وقال الثورى : هذا زمان السكوت ولزوم البيوت وقيل : كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطى الاخوان حقوقهم فترك ذلك كله واحداً واحداً حتى تركها كلها ، وكان يقول : لايتها للبر أن يخبر بكل عذره . وقال الفضيل : انى لأجد للرجل عندي يدا اذا لقينى أن لا يسلم علىّ واذا مرضت أن لا يعودنى ، وقال أبو سليمان الدارانى : بينما الربيع بن خيثم جالس على باب داره اذ جاءه حجر فصكه فى الجبهة فشجه فجعل يمسح الدم ويقول : لقد وعظت ياربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته . وكان سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد لزمانا يوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتیان المدينة للجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق . ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له : ألك حاجة ؟ قال نعم ، قال ما هي ؟ قال : أن لا ترانى ولا أراك . وقيل للفضيل : ان ابنك عليا يقول لو ددت انى فى مكان أرى الناس ولا يرونى ، فبكى الفضيل فقال : ويح علي أفلا أتمها فقال لأبراهم ولا يرونى . وعن ابن عباس : أفضل المجالس مجلس فى قعر بيتك لا ترى ولا ترى .

(بسم الله الرحمن الرحيم) الذى يأنس به أرباب الخلوة ويستأنس به أصحاب الجلوة (فى العزلة فوائد) نسمة ﴿وهى الفراغ للعبادة فالخلق شاغلون﴾ بل مانعون لاهل الارادة وفق العادة ، فانهم كما قال تعالى : (اقرب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) فمن حاتم الأصم : طلبت من هذا الخلق خمسة أشياء فلم أجدهم بها واحدة

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْتَزِلُ فِي جَبَلٍ حَرَاءٍ وَاجْتَمَعَ مُتَعَذِّرُ الْإِلْمَنِ اسْتَفْرَقَ بَاطِنُهُ
بِهِ تَعَالَى فَغَابَ عَنْهُمْ قَلْبًا وَشَهِدَهُمْ لِسَانًا، وَالْخَلَّاصُ عَنِ الْمَعَاصِي كَالرِّيَاءِ وَالْغِيَةِ

طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا، فقلت أعينوني عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت
ارضوا عني ان فعلت فلم يفعلوا، فقلت لا تمنعوني عنها اذا فنعوني فقلت لا تدعوني الى
ما لا يرضى الله ولا تعادوني عليها ان لم اتابعكم فيها فلم يفعلوا فتركتمهم واشتغلت بمخاصمة
نفسى فانها اولى منهم بها (وكان عليه السلام يعتزل في جبل حراء) أى في أول مرة
كفى الصحيحين من حديث عائشة «كان يخلو بغار حراء يتحنث فيه أى يتعبد الليالى المتابعة
حتى قوى فيه أنوار النبوة وظهر منه أسرار الرسالة» (والجمع) أى بين الفراغ والخلطة
(متعذر) فتعين الخلوة (الالمن استغرق باطنه به تعالى) بحيث لا تمنعه الوحدة
عن الكثرة ولا تنجبه الكثرة عن الوحدة وهو مقام جمع الجمع للصوفية المعبر عنها
بالكامن البائن والقريب الغريب والعرشى الفرشى (فغاب عنهم قلبا) أى جازانا (وشهدهم
لسانا) أى حضرهم بيانا وبرهانا، وهذا انما يتصور لمن أراد به سبحانه شأنًا، فقد نقل عن
الجنيدانه قال: أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أنى أكلمهم. وقال بعضهم:
لا يتمكن أحدهم من الخلوة الا بالتسك بكتاب الله، والمتمسكون بكتابه استراحوا
من الدنيا، وبذكرا الله عاشوا وبذكرا الله ماتوا وبذكرا الله لقوا الله. وقيل لبعضهم: ما أصبرك
على العزلة؟ فقال: ما أنا وحدى، أنا جليس الله تعالى اذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه،
واذا شئت أن أناجيه صليت. وقيل: الاستيناس بالناس من علامة الافلاس. وقيل: بينما
أويس القرنى جالس اذا تاه هرم بن حيان فقال له أويس: ما جاء بك؟ قال جئت لأنس
بك، فقال أويس ما كنت أرى أحدا يعرف ربه فيانس بغيره. وقال بعض الحكماء:
انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته من الفضيلة التى سبب انسه، وقال الفضيل:
اذا أقبل الليل فرحت به وقلت أخلو برى، واذا أصبحت استرجعت كراهية لقاء
الناس وأن يحى من يشغلنى عن ربي، وعن بعضهم انى أصبح وأمسى بين نعمة وخطيئة
فاشغل نفسى بشكر الله على النعمة وبالاستغفار من الخطيئة (والخلاص عن المعاصي)
التي يتعرض لها الانسان غالبا بالخلطة ويسلم منها فى الخلوة (كالرياء) والسمعة اذ كل
من خالطهم داراهم ومن داراهم رآهم. واقد صدق يحيى بن معاذ فى قوله روية الناس بساط
الرياء (والغية) والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من

وَالْبِدْعِ مِثْلَ كَيْفِ أَصْبَحْتَ وَعَاثُكَ اللَّهُ وَمُشَاهَدَتُهَا

الأخلاق الرديئة والأحوال الدنية (والبدع) في الأقوال المتعارفة (مثل كيف أصبحت) فإنه إن لم يكن على قصد الإعانة فهو نفاق وليس من أخلاق أهل الديانة ؛ فقد كان السلف يتلاقون ويمتازون في قولهم كيف أصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه ، وكان سؤالهم عن أحوال الدين لأحوال الدنيا . قال حاتم الأصم لحامد اللقاف : كيف أنت في نفسك ؟ قال سالم معافى ، فكره حاتم جوابه ؛ فقال يا أبا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة - أى على بساط النشاط وحال الانبساط - وقد ورد « اللهم لا تعيش إلا على الآخرة » وكان إذا قيل لميسى عليه السلام كيف أصبحت قال : أصبحت لأملك نفع ما أرجو ، ولا أستطيع دفع ما أحتز ، وأصبحت مرتبها بعملى والخير كله بيد غيرى . فلا فقير أفقر منى ، وكان الربيع بن خيثم إذا قيل له كيف أصبحت قال : أصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفى أرزاقنا وننظر آجالنا ، وكان أبو الدرداء إذا قيل له كيف أصبحت قال : أصبحت بخير إن نجوت من النار . وكان سفيان الثوري إذا قيل له كيف أصبحت يقول : أصبحت أشكو ذا إلى ذا ، وأذهم ذا إلى ذا ، وأفر من ذا إلى ذا ، وقيل لا ويس القرني : كيف أصبحت . قال كيف يصبح رجل إذا أمسى لا يدري أنه يصبح وإذا أصبح لا يدري أنه يمسي . وقيل للملك بن دينار كيف أصبحت . قال : أصبحت في صرين قص وذنوب يزيد . وقيل لبعض الحكماء كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت لا أَرْضَى حياتي لمعاني ولا نفسي لربي . وقيل لحكيم كيف أصبحت . قال : أصبحت آكل رزق ربي وأطعم عدوه ابليس . وقيل لمحمد بن واسع كيف أصبحت ؟ قال : ما ظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة . قلت وعن على كل نفس خطوة إلى اجلك . وقيل لحامد اللقاف كيف أصبحت : قال : أصبحت اشتبهت عافية يوم إلى الليل ، فقيل له ألسنت في عافية كل الأيام : فقال العافية يوم لا أعصى الله فيه . وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك ؟ فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ، ويدخل قبرا موحشا بلا مونس ؛ وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة . وقيل لبعضهم ما حالك ؟ قال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب (عَاثُكَ اللَّهُ) أى إذا كان قبل السلام ولم يكن في الحمام . وعن الحسن إنما كانوا يقولون السلام عليك إذا سلمت والله القلوب ، فاما الآن كيف أصبحت عَاثُكَ اللَّهُ ، كيف أنت أصلحك الله ، فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة ولا كرامة ، فإن شاموا غضبوا علينا وإن شاموا لا . وفي الأحياء . وإنما قال ذلك لأن البداية بقوله كيف أصبحت بدعة (ومشاهدتها)

فهو يورث الاستحقاق بها

أى ورؤية المعاصى (فهو يورث الاستحقاق بها) بل رؤية أرباب الدنيا فانه يورث الاستعظام بها ومن هنا قال تعالى : (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تعتمد عينيك الى ما تعناه ازواجاً منهم) وذلك لان مسارقة الطبع لما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم وسائر أحوالهم داء دفين قل ما يتنبه له العقلاء فضلاً عن الغافلين ؛ فلا يجالس الانسان فاسقاً او مبتدعاً مدة مع كونه منكراً عليه فى باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته لادرك فيها تفرقة فى النفرة عن الفساد ، اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة من العباد هينا على الطبع ويسقط عنه وقعه واستعظامه له فى الشرع ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استصغر الصغائر من نفسه ، ولذا يزدري الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالستهم فى ان يستصغر ما عنده ويؤثر مجالسة الفقراء فى استعظام ما قدر له من النعماء فكذا النظر الى المطيعين والعصاة فمن يقصر نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين فى عبادة المولى والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقاق ، ومادام يرى نفسه مقصراً فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة فى الاستكمال واستتماماً للاقتداء ، ومن نظر الى الاحوال الغالبة على أهل الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصى استعظم امر نفسه بادنى رغبة فى الخير يصادفها من قلبه وذلك هو الهلاك لنفسه ، وبما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر الناس اذا رأوا مسلماً أفطر فى نهار رمضان استبعدوه استبعاداً يكاد يفضى الى اعتقادهم كفره ، وهم يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع ان صلاة واحدة يفضى تركها الى الكفر عند قوم ، وحز الرقة عند قوم ، وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه . وكذا لو لبس الفقيه ثوباً من حرير أو خاتماً من ذهب استبعدته النفوس وقد يشاهد فى مجلس طويل لا يتكلم فيه الا بما هو اغتياى للناس ولا يستبعد منه ، والغيبة اشد من الزنا فكيف لا تكون اشد من لبس الحرير ، ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين أسقط عن القلوب وقعها وهون على النفوس امرها ، وقيل لبعضهم : ما حملك على العزلة ؟ قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر به . ففطن لهذا القول الأسد وفر من الناس فرارك من الأسد ، لانك لا تشاهده منهم الا ما يريد على حرصك فى الدنيا وغفلتك عن العقبي وهون عليك المعصية ويضعف رغبتك فى الطاعة ، فان وجدت جليسا

وَالْجَلِيسِ السُّوءِ لِتَأْثِيرِ الصُّحْبَةِ فَوْرَدَ مَثُلُ الْجَلِيسِ السُّوءِ مَثُلُ الْقَيْنِ، وَالْفِتَنِ
فَوْرَدَ. إِلْزَمَ يَتَكَ وَأَمْلَكَ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكَرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ
الْخَاصَّةِ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ حِينَ قِيلَ مَاذَا تَأْمُرُنِي فِي زَمَانِ الْفِتَنِ

يذكر الله صورته وانيسا يفكره الله سيرته فالتزمه واغتتمه فان المجلس الصالح
خير من الوحدة ، وان الوحدة خير من المجلس السوء . لكن المجلس الصالح عزيز
الشهود في محن الوجود كما قال عليه السلام « اخبر تقيه والناس كابل مائة لا تجد فيها
راحلة ، وكما قيل :

أتمنى على الزمان محالا • ان ترى مقتلتي طلعة حر

فان الحر من لا يستعبده هواه ولا تسترقه دنياه بل تستغرقه خدمة مولاه وهذا
معنى قوله (والمجلس السوء) بفتح السين وضمها أى ومشاهدته أو والخلاص عنه
(لتأثير الصعبة) أى خيرا أو شرا بحسب الرتبة (فورد مثل المجلس السوء مثل
القين) أى الحداد تمامه « ان لم يحرق ثوبك اصابك ريحه ، ومثل المجلس الصالح مثل
الطار ان لم يعطك من عطره اصابك من ريحه » وفي البخارى من حديث أبى موسى « مثل
المجلس الصالح والمجلس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب
المسك اما تشترية أو تجدر ريحه وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة ،
(والفتن) أى والخلاص من محن أنواع الفتن وقل ما يخلو العباد في البلاد عن تعصبات
وخصومات (فورد) أى عن عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر عليه السلام الفتن
ووصفها وقال : « إذا رايت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك
بين أصابعه قلت فاما تأمرني فقال (الزم بيتك) أى لازم سكونه (واملك عليك
لسانك) أى التزم سكوتهم (وخذ ما تعرف) واعمل به (ودع ما تنكر) أى اتركه
(وعليك بأمر الخاصة) أى والزم خاصة نفسك (ودع عنك أمر العامة) أى من
لم يتعلق بك (حين قيل) ظرف لورد (ماذا تأمرني في زمان الفتن) والحديث رواه
أبو داود والنسائي في اليوم والليلة باسناد حسن . وفي البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى :
« ويوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطير يفر بدينه من
الفتن » والخطاى من حديث ابن مسعود . واليهقى من حديث أبى هريرة : « وسياق
على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاق إلى

وَإِيذَانَهُمْ بِنَحْوِ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ

شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذى يروغ ، قيل له ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصى الله تعالى فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة ، قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج ؟ قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبيه ، فان لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده ، فان لم يكن فعلى يدي قرابته . قالوا وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال يعبرونه بضيق اليد فيتكلف ، الا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة » وفي الاحياء هذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منها ، إذ لا يستغنى المتأهل عن المعيشة والمخالطة ، ثم لا ينال المعيشة الا بالمعصية ولا جله قال سفيان الثوري : والله لقد حلت العزلة . اقول : وفي زماننا وجبت . وعن سفيان بن عيينة : لقيت ابراهيم بن ادم في بلاد الشام فقلت له : يا ابراهيم تركت خراسان . قال : ما هنأت بالعيش الا ههنا فرديني من شاهق الى شاهق ، فن رأيت يقول موسوس أو حال أو ملاح . وعن ابن عمر انه لما بلغه توجه الحسين الى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام ، فقال له أين تريد ؟ فقال العراق ، فاذا معه طوامير وكتب ، فقال هذه كتبهم ويبيعهم ، فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تأتهم فاني ، فقال ابن عمر : انى محدثك حديثا « ان جبريل اتى النبي عليه السلام فخير بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة على الدنيا ، وانك بضعة من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبدا ، وما صرفها عنكم الا للذى هو خير لكم ، فاني أن يرجع ، فاعتقه ابن عمرو بكى وقال : أستودعك الله من قبل أو اسير » رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه واسنادهما حسن . وكان في الصحابة اكثر من عشرة آلاف فما خف ايام الفتنة اكثر من أربعين رجلا ، ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه فقل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رأيت مساجد لم لاهية ، واسواقكم لا غيرة والفاحشة في فجأكم عالية ، وفيما هناك عما اتم فيه عافية (وإيذانهم) أى والخلاص عن ايذاء الجاساء فانهم يؤذونك تارة (بنحو الغيبة والنميمة) واخرى بسوء الظن والتهمة والنقول الذميمة ، ومرة بالاطماع الكاذبة التى يعسر الوفاء بها فيشتد الجفاء بسببها : وقد قيل : معاشره الاشرار تورث الظن بالاخيار . وقيل لعبد الله بن الزبير : الا تأتى المدينة ؟ قال ما بقى فيها الا حاسد نعمة أو فرح بنقمة وقيل : كان الناس دواء يتداوى به فصاروا داء لا دواء له ، وعن أبى الدرداء كان الناس وردا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورد فيه : وقال رجل لابراهيم بن ادم :

وَطَمَعِهِمْ فَرِاعِيَةُ الْحُقُوقِ شَدِيدَةٌ وَفِيهَا ضَيَاعُ الْأَوْقَاتِ وَفَوَاتُ الْمُهْمَاتِ
وَالطَّمَعُ عَنْهُمْ فَالْنَّظَرُ إِلَى زَهْرَاتِ الدُّنْيَا يُحَرِّكُ الْحَرَصَ

أوصني ، فقال : اياك والناس ، وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس
وليس كل الناس بالناس ؛ ذهب الناس وبقي السخاس والنسناس وما أراهم بالناس ، بل
غمسوا في ماء الناس . وقيل . الزم الدفاتر والمقابر . وقال الحسن : اردت الحج فسمع
ثابت البناني وكان أيضا من أولياء الله فقال للحسن بلغني انك تريد الحج فاجبت ان
نصطحب ، فقال الحسن : ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا ، اني اخاف الله ان نصطحب
فيرى بعضنا من بعض ما تنماقت عليه . قال في الاحياء : وهذه اشارة الى فائدة أخرى في العزلة
وهي بقاء السر على الدين والمروءة [والاخلاق والحق وسائر العورات] ، ولقد قال الشاعر :

ولا عار ان زالت عن المرء نعمة هـ ولكن عاراً أن يزول التجميل

وقال أبو الدرداء : اتقوا الله واحذروا الناس فاهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ،
ولا ظهر جواد الا عقروه ، ولا قلب مؤمن الا خربوه (وطمعهم) من اضافة المصدر
الى الفاعل أى والخلاص من طمع الناس عنك فان رضاء الناس غاية لا تدرك (فرعاية
الحقوق شديدة) ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنائز وعيادة المريض وحضور
الولائم والاملاكات (وفيها) أى فى رعاية الحقوق (ضياع الأوقات وفوات
المهمات) والتعرض للآفات ، ثم قديعوق عن بعضها عائق ويستثقل فيها المعاذير ولا
يمكن اظهار تلك الاعذار فيقولون قام بحق فلان وتصرفى حقى ، ويصير ذلك سبب
عداوة . ومن عهم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم . وعن عمرو بن العاص كثرة
الاصدقاء كثرة الغرماء (والطمع عنهم) وفي نسخة فيهم أى والخلاص من أن يطمع
هو فيهم (فالنظر الى زهرات الدنيا) أى انواع زينتها واصناف بهجتها (يحرك الحرص)
وانبعث بقوة الحرص طمعه ثم لا يرى الا الخيبة فى كثرة الاطماع فيتأذى بذلك ، ومهما
انزل لم يشاهد : واذالم يشاهد لم يشته ولم يطمع هنالك ، ولذا قال تعالى : (ولا تمدن
عينك الى ما متعناه به ازواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزقك خيره وابقى
وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) وقال
عليه السلام فيما رواه مسلم من حديث أبى هريرة « انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا
الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزددوا نعمة الله عليكم » وحكى ان المزني خرج من باب

وَلِقَاءِ الثَّقِيلِ وَالْأَحْقِ فَهُوَ أَشَدُّ الْبَلَايَا، وَأَفَاتٌ وَهِيَ فَوَاتُ التَّعَلُّمِ فَهُوَ مُقَدِّمٌ
لِاِفْتِقَارِ الْعِبَادَةِ وَالتَّقْوَى إِلَيْهِ وَالتَّعْلِيمِ فَهُوَ أَوْلَى أَيْضًا إِنْ كَانَ فِي عِلْمِ الْآخِرَةِ وَرَاعَى
حَقَّهُ تَعَالَى بِالْإِحْتِرَازِ عَنِ الذَّمِّ كَالرِّيَاءِ وَحُبِّ الْجَاهِ

جامع القسطنطين وقد أقبل ابن عبيد الحليم في موكبه فبهره مارأى من حسن حاله
وهيئته فتلا قوله تعالى : (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة اتصبرون) ثم قال اصبر وارضى
يعنى كما قيل :

رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم وللأعداء مال
فان المال يفنى عن قريب * وان العلم يبقى لا يزال

(ولقاء الثقليل والاحق) أى والخلاص عن ملاقة الثقلاء والحقى ومشاهدة
اخلاقهم ومقاساة احوالهم (فهو اشد البلاء) أى المعنوية ، فان رؤية الثقل هو العمى
الاصغر . قيل للاعمش : مم عمشت عينك ؟ قال : من النظر الى الثقلاء ، وبحكى انه دخل
عليه أبو حنيفة فقال له : فى الخبر « ان من سلب الله برميتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما »
فما الذى عوضك . فقال فى معرض المطاوعة : عوضنى الله عنهما انه كفى فى رؤية الثقلاء
وانت منهم . وقيل : النظرة الى الاحق حمى باطن (وآفات) أى فى العزلة (وهى)
عشرة (فوات التعلم فهو مقدم) على العزلة (لافتقار العبادة) العلمية (والتقوى)
العملية (اليه) ولذا قال النخعي وغيره : تفقه ثم اعزل . وفى لطائف العارف الجامى
قدس الله سره السامى : ان العزلة بغير عين العلم زلة ، كما انها بغير رضى الزهد علة (والتعليم)
أى وفوائده (فهو اولى) من العزلة (ايضا) أى كالتعلم (ان كان) التعليم (فى علم
الآخرة) أى علم ينفعه فى العقبى (وراعى حقه تعالى) بالاخلاص وابتغاء وجهه
الاعلى ، وكذا (بالاحتراز عن الذمائم كالرياء وحب الجاه) من الاستكثار بالاصحاب
والاتباع وما يتبعه من حب المال وسائر الاخلاق الذميمة فى الاحوال ، فحكم العالم فى
هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه ، فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة ليقينه ، بل
يستعمله فى معرض المنافسة والمباهاة بعلمه وتبيينه ، ولا يطلبه غالبا الا للتوصل الى التقدم
على الامثال ، وتولى الولايات ، واجتلاب الاموال ، واستشعار الاذلال على الجهال ،
فان صودف طالب الله ومتقرب بالعلم الى رضا مولاه فلا اعتزال عنه وكتمان العلم منه

فَرَدَ إِذَا ظَهَرَتِ الْفِتْنَةُ وَسَكَتَ الْعَالَمُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ «وَلَا فَالْعَزْلَةُ كَمَا فِي
زَمَانَنَا لَذَهَابِ عِلْمِ الْآخِرَةِ وَالْعَمَلِ عَلَيْهِ وَتَعَذُّرِ عَايَةِ الْحُقُوقِ

من أكبر الكبائر ﴿ فرود اذا ظهرت الفتنة وسكت العالم فعليه لعنة الله ﴾ لم اجده اصلا ،
وقد قال تعالى : (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في
الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) وقد قيل : مافسدت الرعية الا بفساد
الأمراء ، ومافسدت الأمراء الا بفساد العلماء ، ومن هنا قيل : فساد العالم فساد العالم .
فعمود بالله من الغرور والعمى فانه الداء الدفين الذي ليس له دواء ﴿ والا ﴾ أى وان لم يكن
تعاليمه وتعلمه في علم الآخرة ﴿ فالعزلة ﴾ متعينة بل واجبة ﴿ كما في زماننا لذهاب علم
الآخرة ﴾ من التفسير والحديث والفقهاء المتعلق بالعبادة في أكثر البلدان ﴿ والعمل
عليه ﴾ أى ولذهاب العمل على طبق العلم في عامة أهل الزمان ، ولا ينبغي ان يغتر الانسان
بقول سفيان : تعلمنا العلم لغير الله فإني أن يكون الله ، وان الفقهاء يتعلمون لغير الله
ثم يرجعون الى الله . وانظر الى أواخر أعمار الاكثرين منهم واعتبر بهم ، انهم ماتوا
وهم هلكى على طالب الدنيا ومتسكالين عليها أوراغبين عنها وزاهدين فيها ، وليس
الخبر كالمعاينة . وأما العلم الذى أشار اليه سفيان فهو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة
سير الانبياء والصحابة ، فان فيها التخويف والتحذير ، فان لم يؤثر في الحال قد يؤثر في
المال . فاما الكلام وجدل الخصام والفقهاء المجرد الذى يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل
الخصومات فلا يريد الراغب فيه الا الدنيا لا الله ، بل لا يزال متهاديا في حرصه الى آخر
عمره ونهاية أمره ، ومن هنا قال بشر الحافي : حديثنا باب من أبواب الدنيا ﴿ وتعذر
رعاية الحقوق ﴾ أى ولتعذرهما أو تعسرهما من حقوق الاساندة والتلازمة ، فعن
أبي سليمان الخطابي : دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال ،
اخوان العلانية اعداء السر ، اذ القوك تملقوك ، واذا غبت منهم سلقوك ، من اتاك منهم
كان عليك رقبيا ، واذا خرج كان عليك خطيبا ، اهل نفاق ونميمة ، وغل وخديعة ، فلا
تغتر باجتماعهم عليك ، فاغرضهم العلم وحسن الحال في المال ، بل الجاه وكثرة المال ،
وان يتخذوك سلما الى أوطارهم ، وحمارا في حاجاتهم واوزارهم . ان قصرت في غرض
من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ، ثم يعدون ترددهم اليك دلالا عليك ويرونه حقا واجبا
لديك ، ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم ، فتعاضد عدوهم ،

وَمَوْجِ الْفِتَنِ، وَالْإِتِّفَاعِ مِنَ الْغَيْرِ بِالْكَسْبِ لِلْكَفَايَةِ أَوِ الصَّدَقَةِ فَهُوَ أَوْلَى
مِنْ عَمَلِ الظَّاهِرِ، وَالتَّادِبِ بِالْإِرْتِيَاظِ فِي الْبِدَايَةِ وَالْأَدِيبِ بِالرِّيَاضَةِ وَهُوَ كَالْتَعْلِيمِ

وتنصر قريبيهم وخادمهم ووليهم ، وتنمض لهم سفيرا وقد كنت فقيها ، وتكون لهم تابعا
خسيسا بعدان كنت متبوعا رئيسا ﴿ وموج الفتن ﴾ أى ولغلبة الفتن وما يترقب عليه من
أنواع المحن مظهر منها وما بطن ، فانك ترى المدرس في رق دائم ، وتحت حق لازم ومنة
ثقيلة ممن يتردد لديه ، فكأنه يهدى تحفة اليه ؛ فيرى حقه واجبا عليه ، فلا يزال يتردد إلى
أبواب السلاطين ويقاسى الذل والشدائد مقاساة الذليل المهن حتى يكتب له على بعض
وجوه السحت من مال المسلمين من اليتامى والمساكين . ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخذه ،
ويمتته ويستبدله إلى أن يسلم اليه ما بعده نعمة مستأنفة من عنده عليه ، ثم يبقى في مقاساة
القسمة على أصحابه أن سوى بينهم مقتته المبرزون ونسبوه إلى الجنون وقلة التمييز والمعرفة في
الفنون . وإن فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة حدادوا وأروا عليه ثوران الاسود والآساد
فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالم ما يأخذه ويفرقه في العقبي ﴿ والاتفاع ﴾ أى
وفواته ﴿ من الغير ﴾ وكذا نفع الغير ﴿ بالكسب للكفاية ﴾ أى لكفاية نفسه عن أبناء
جنسه ﴿ أو الصدقة ﴾ على غيره بالزيادة على قدر الكفاية بطريق القناعة ﴿ فهو ﴾ أى
الكسب وفي نسخة فهي أى الصدقة ﴿ أولى من عمل الظاهر ﴾ كالصلاة والصوم وتلاوة
القرآن ، وتوضيحه : أن حاله لا يخلو من أن تكون محتاجا إلى القوت أولا ، فإن كنت
محتاجا اليه فاشتغالك بالكسب أولى بل فرض لا يخلو ، وإن كنت مستغنيا عنه فلا يخلو
أما إن تكون في خلوتك مشغولا بالأعمال الظاهرة فالكسب للصدقة أفضل من العزلة
لتمدى المنفعة ، وأما إن تكون مشغولا بالأعمال الباطنة من الانس بالله والحضور مع الله
والتفكير في صفات الله والتذكر لأحوال الآخرة في عقباه والشوق إلى لقاء ربه والذوق
إلى مقام رضاه فالعزلة أولى من الكسب لبقاء المنفعة ودرامها وتتمامها في الدنيا
والآخرة ﴿ والتاديب ﴾ أى فوات كسب الأدب وتحصيله ﴿ بالارتياض ﴾ أى المجاهدة
وقبول رياضة النفس والمعاودة ﴿ في البداية والتاديب ﴾ أى وفوات تعليم الأدب
﴿ بالرياضة ﴾ في النهاية ﴿ وهو كالتعليم ﴾ في مقام الهداية وفي الأحياء . ويعنى بالتاديب
الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل أذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات ،
وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة ، وهو أفضل من العزلة في حق من لم تهذب

وَالْمُؤَانَسَةُ فَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ لِقَطْعِ الْمَلَالَةِ الْمُنْفِرَةِ لِلْعِبَادَةِ وَثَوَابِ إِقَامَةِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ
وَنَحْوِهِمَا ، وَحَقُّوْقِهِمْ كَالْعِبَادَةِ وَالَّتَشْيِيعِ

بعد أخلاقه ولم تدعن لحدود الشرع شهواته، وأما التأديب فتعني به أن يروض غيره وهو حال مشايخ الصوفية معهم ، فانه لا يقدر على تهذيب حالتهم الا بمخالطتهم . وللتزهدى وابن ماجه من حديث ابن عمر «المؤمن الذى يخاط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يخاط الناس ولا يصبر على أذاهم» (والمؤانسة) أى وفرات الاستيناس والائناس بالناس فى المصاحبة والمجالسة ، كالاناس بملازمة أرباب التقوى من الأولياء وبمواظبة أصحاب الفتوى من العلماء، وإنما سمي الانسان بالاناس لما فيه نوع من الاناس لاسيما والمؤمنون آخرة وبينهم زيادة ألفة لقوله تعالى : (وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ) وقرله عليه السلام : (المؤمن يالف ولاخير فيمن لا يالف ولا يؤلف) رواه أحمد عن سهل بن سعد (فهى) أى المؤانسة (مستحبة لقطع الملالة المنفرة للعبادة) أى كما هو فى العادة ، والرفق فى العبادة من حزم أهل الإرادة. فورد وان الله لا يمل حتى تملوا، وقد تقدم : ومن يشاد هذا الدين يغلبه، فان الدين متين والا يغال فيه برفق دأب المستبصرين ، ولذا قال ابن عباس : لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس . وقال مرة : لدخلت بلدا لا أنيس بها وهل يفسد الناس الا الناس . قلت : وكذا لا يصلح الناس الا الناس ، ومن هنا قيل : ما زينة الناس الا الناس ، فلا يستغنى المتزل اذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ويستلذ بمحادثته فى اليوم والليلة من ساعته ، فيجتهد فى طلب من لا يفسد فى ساعته تلك شيئا من طاعته ، فقد قال عليه السلام «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال» وقد تقدم، وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء فى أمور الدين وحكاية المشايخ الصالحين والعلماء المجتهدين ، فهذا النوع من الجلوة فى بعض الاوقات قد يكون أفضل من الخلوة فى تحيين المقامات، فقد ورد «نوم العالم عبادة» ومنه «كلهينى يا حيراء» (و ثواب إقامة الجمعة والجماعة) أى وفوات اقامتهما وادامتهما (ونحوهما) من حضور الجنازة وصلاة العيدين ومجالس العلم ووقوف عرقة وأمثالها (وحقوقهم) أى وفواتها (كالعبادة) للمرضى (والتشييع) للجنازة ومنها اجابة الدعرة فى نحو الوليمة ، وقد حكى عن جماعة من

والتواضع فقد يحمل التكبر عليها بحب زيارتهم تبركا

الساف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوة وعبادة المرضى وحضور الجنازة ، بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة أو زيارة القبور ، وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال ميلا الى القرار . تفرغا للعبادة وحذرا عن الشواغل في الارادة (والتواضع) أى وفواته من آداب المخالطة ولا يقدر عليه في الوحدة (فقد يحمل التكبر عليها) أى على العزلة (بحب زيارتهم تبركا) أى على سبيل التبرك والمعنى انه قد يكون الكبر سببا للعزلة . وعلامته انه يحب ان يزار ولا يحب ان يزور ، ولو كان له الاشتغال بذكره والاستغراق في فكره لبغض زيارة الناس اليه ووقفهم عليه لشغلهم عن المقصود لديه ، ثم اعلم ان التواضع في المخالطة لا ينقص عن منصب من هو كبير بعلمه أو دينه ، وقد كان على يحمل النمر والملح في ثوبه ويده ويقول :

لا ينقص الكامل من كماله • ما جر من نفع الى عياله

وكان أبو هريرة . وحذيفة . وأبى . وابن مسعود يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق وغيره على اكتافهم . وكان أبو هريرة يقول وهو وال على المدينة والحطب على رأسه : طرقتوا لأميركم ، وكان عليه السلام يشتري الشيء فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه ائطني احمله فيقول « صاحب المتاع أحق بحمله » رواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة في حمله سراويله التي اشتراها . ثم اعلم ان من حبس نفسه في بيته لتحسين اعتقاد الناس في حقه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى . فلا تستحب العزلة للمستغرق الأوقات بربذه ذكر أو فكريا وعلميا وعبادة واشتغالا بامرته تجردا وزهادة بحيث لو خالط الناس لصاعت أوقاته أو كثرت آفاته أو تشوشت عليه عباداته ، فمن شغل نفسه لطلب رضى الناس فهو مغرور لانه لو عرف حق المعرفة لم ان الخلق لا يغنون عنه ، من الله شيئا ، وان ضرره ونفعه بيد الله فلا تافع ولا تضار سواه وان من طلب رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه الخلق واسخط عليه الخلق ، بل رضى الناس غاية لا تدرك ولذا قيل :

من رافب الناس مات غما • وفاز بالراحة الجسور

وقيل للحسن : يا أبا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعتك في السؤال فتبسم وقال للقائل : هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاررة الرحان فطمعت ، وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالفهم ورازقهم ومحييهم وميتهم لم يسلم منهم ، وقال موسى : يا رب احبس عني السنة الناس ،

وَالْتَجَارِبُ فَتَعَاقُ بِهَا مَصَالِحُ الدَّارَيْنِ لَا سِيَّمَا الرِّيَاضَةُ وَالْأَصْلُ الْإِسْتِفْتَاءُ مِنَ
الْقَلْبِ وَحَقَّقَهَا نِيَّةُ الْإِحْتِرَازِ عَنِ شَرِّ النَّفْسِ وَالْغَيْرِ

فقال : يا موسى هذا نبي لم اصنعه لنفسى فكيف افعله لك . واوحى الله سبحانه الى عزير :
ان لم تطب نفسا بان اجعلك على كافي افواه الماضين لم اكتبك عندى من المتواضعين .
وفى الحديث النبوى ، اذ كروا الله حتى يقولوا يجنون ، وقد قالوا فى حق آتقل الخلق مجنون
وساحر ومسحور وكذاب وشاعر ومغرور (والتجارب) أى وفواته فانها استفاد
من الخلطة ولا ترجد فى العزلة ، فالقلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب
وسائر الاخلاق الذميمة انما تنفجر وتظهر آثارها من القلوب السقيمة اذ حرك بآدنى
الحرك كذا المستقيمة كما يشير اليه خبر « اخبر تقيه ، وقولهم : حرك ترى مايجرى (فتعلق
بها) أى بالتجارب (مصالح الدارين) من المناقب والمراتب (لاسيما الرياضة) فى
ترك المناصب وعند حصول المصائب ، فمن هنا كانوا يجربون أنفسهم ، فمنهم من كان يحمل
قربة ماء او نحرها بين الناس على ظهره او حزمة حطب على رأسه ويتردد فى الأسواق لتجربة
نفسه إذا استشعر كبرا فى باطنه ، فان غوائل النفس ومكائدها قل من يتفطن بها ، فقد
حكى عن واحدانه قال : اعدت صلاة ثلاثين سنة مع انى كنت أصليها فى الصف الأول ،
ولكنى تخلفت يوما بعذر فوافجت موضع فى الصف الأول ، فوقفت فى الصف الثانى
فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس الى وقد سبقت الى الصف الأول فعلمت ان
جميع صلاتى كانت مشوبة بالرياء ، فالخاطلة لها فائدة ظاهرة فى استخراج القبايح واطهارها ،
ولذا قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانها نوع من المخاطلة مع الخلق . واذا عرفت هذا
فان تحققت الفوائد وانتفت الآفات فاختر العزلة ، والا فالخلطة ، وان تقابلا فخذ
بالأرجح فى المسألة (والأصل الاستفتاء من القلب) اذا كان مشحونا بذكر الرب ،
والأفضل هو الجمع بين الخلوة والجلوة لما يشير اليه قول الشافعى : الانقباض عن الناس
مكسبة للمداوة . والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فى المحادثة ، فكن بين المنقبض
والمنبسط ولذا قيل كن وسطا واش جانباً . ويومى اليه قوله تعالى : (هو الذى
جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) (وحقها)
أى العزلة (نية الاحتراز) أى الاحتراز (عن شر النفس) وما فيها من الوسواس
(والغير) أى غيرها من الجنة والناس ، فينبغى للمعتزل ان ينوى بعزله كف شر نفسه

والتَّقْصِيرُ فِي رِعَايَةِ الْحُقُوقِ وَالتَّجَرُّدُ لِلْعِبَادَةِ وَتَهْذِيبُ الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ فِي طَرِيقِهِ تَعَالَى وَالْحُضُورُ فِي نَحْوِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْعِيدِ وَالْحَجِّ وَمَجْلِسِ الْعِلْمِ وَيَجُوزُ التَّرْكَ عَنْدَ مُعَارَضَةٍ مُنْكَرٍ أَفْخَسَ مِنْهُ وَالْأَحَبُّ حِينَئِذٍ أَنْ يَسْكُنَ مَوْضِعًا يُسْقِطُهَا وَالسُّكُونُ فِي رِبَاطِ السَّالِكِينَ يُفِيدُ سَلَامَةَ الْعِزْلَةِ وَبِرَكَّةِ الْجُمُعَةِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّأْدِبِ فَلِسَانُ الْحَالِ أَفْصَحُ وَوَرَدَتْقَوْلُ اللَّهِ وَكُنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ وَالطَّرِيقُ الْإِسْتِغْرَاقُ بِالْعِبَادَةِ

عن الإبرار ثم طلب السلامة من شر الأشرار (والتقصير في رعاية الحقوق) أي ثم الخلاص عن آفة القصور عن القيام بحق الأنام (والتجرد للعبادة) أي ثم العزيمة بـ: الهمة للعبادة والفراغ للطاعة (وتهذيب الأخلاق) بأن يكون في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ودفع الأمل وانتظار الأجل (والسلوك في) طريقه تعالى (بمنع الناس عن زيارته لئلا يكون مشوشا في وقته وحالته ، وعدم السؤال عن أخبار الناس وأفعالهم وأراجيفهم في أحوالهم ، والقناعة باليسير من المعيشة ، والصبر على ما يلقاه من أذى الجيران وغيرهم ، وعدم الاصغاء إلى ما يقال في حقه من مدح فيه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة . وينبغي أن يكون له أهل صالح أو جليس معتمد عليه لتستريح نفسه إليه في اليوم ساعة عن كد المواظبة في الطاعة . ثم لا يتم له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه بما يوافقه أو ينافيه ، ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل وتقريب الأجل (والحضور في نحو الجمعة) فانه فرض (والجماعة) فانه واجب أو فرض كفاية أو سنة مؤكدة (والعيد) فانه واجب أو سنة من سنن الهدى وشعار أهل التقى (والحج) فانه طريق أهل السلوك (ومجلس العلم) فانه لا يستغنى عنه الصعلوك ولا الملوك ولا المملوك (ويجوز الترك) أي ترك الحضور في تلك الأمور (عند معارضة منكر أفخس منه) أي من ترك الحضور (والأحب حينئذ أن يسكن مَوْضِعًا) بعيدا من العمارات (يسقطها) أي المذكورات من الجمعة والجماعات ونحوها من المأمورات (والسكون في رباط السالكين) أي خائفا الصالحين (يفيد سلامة العزلة) عن آفات الخلطة (وبركة الجمعة) والجماعة (والتعاون على البر) والتقوى (والتأديب) بآداب أهل الشرع والفتوى (فلسان الحال أفصح) من بيان الحال (وورد) في التنزيل : (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والطريق) أي الموصل للعزلة (الاستغراق بالعبادة) ذكر أو فكا أو علما وعملا وصبرا وشكرا ،

فَالْأَسْتِيْنَاسُ بِالنَّاسِ مِنَ الْإِفْلَاسِ ، وَقَطْعُ الطَّعْمِ وَذِكْرُ الْآفَاتِ وَإِثَارُ الْخَمُولِ
وَهِيَ فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ فُورِدَ «رَبِّ أَشَعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمَرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ
عَلَى اللَّهِ لَا بَرَهُ»

صحوا ومجروا وسكروا فناء وبقاء وقبضوا وبسطا (فالأستيناس بالناس من الإفلاس) أى
من علامة الإفلاس عن مقام الایناس ، فاذا رأيت نفسك تتطلع الى سلامهم وكلامهم
وملاقاتهم فى مقامهم فاعلم ان ذلك فضول ساعة الفراغ . وفى الحديث « نعمتان مغبون
فيهما أكثر الناس : الصحة والفراغ » وقيل :

إن الشباب والفراغ والجدة ه مفسدة للبرء أى مفسدة

ومتى عانقت العبادة ولازمتها حق الملازمة ووجدت حلاوة المناجاة مع الحضرة
واستأنست بكتاب الله وآياته واخبار رسوله وآثار صفاته استوحشت عن الأغيار ، على
انه ليس فى الدار غيره ديار فى نظر الابرار ، وفى بعض الاخبار : ان موسى عليه السلام
كان إذا رجع من المناجات يستوحش من كلام الناس ويجعل أصبعه فى أذنيه كيلا يسمع
كلامهم ولا يفهم مرادهم . فعليك بما قال بعضهم : اتخذ الله صاحباه ودع الناس جانبا
شاهدا كنت فيه ه أو غائبا . قلب الناس كيف شئت ه مت تجدهم عقاربا . (وقطع الطعم) عن
الحاق بل عن الحق أيضا بان يعطيك غير ما قسم لك فيهن عليك أمر الخلق والنظر اليهم
والطعم فيهم ، فان من لا ترجو نفعه ولا تخاف ضره فوجوده وعدمه سواء عليك ،
وقبوله ورده مستولدك ، وهذا نبذة من توحيد الافعال حيث قال تعالى خيرا عن ما لهم
من الأحوال : (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون
لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) (وذكر الآفات)
أى آفات الخلطة وفوائد العزلة (وإيثار الخمول) فانه الراحة وضده الشهرة ففيها
الآفة (وهى) أى صفة الخمول (فضيلة عظيمة) ومنقبة جسيمة وقد قيل فى تعريفه هو
اسقاط النفس عن نظر الخلق (فور د رب اشعث) أى متفرق الشعر (أغبر) مغبر الوجه
(ذى طمرين) أى كسائين اسودين أو ازارين خلقين (لا يؤبه له) أى لا يعتبر له عند
أكثر الخلق (لو أقسم على الله) فى شئ نفيًا أو اثباتًا (لا بره) أى لجعله الحق بارا فى قسمه
ذلك بان يجعله مطابقا لما أراد ههنا لك . والحديث رواه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ
« رب أشعث مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لا بره » وللحالم « رب أشعث أغبر ذى طمرين »

وَلَوْ اتَّسَعَ الْجَاهُ بَلَا طَلَبَ فَعَيْرٌ مَذْمُومٌ كَمَا لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْخُلَفَاءِ وَالْأَئِمَّةِ إِلَّا أَنَّ فِيهِ فِتْنَةٌ لِلضَّعَفَاءِ فَوَرَدَ «حَسْبُ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ أَنْ يُشِيرَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ» وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ حُبُّ الْجَاهِ فَوَرَدَ (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا)

ينبوعه عين الناس لو اقسم على الله لا يره ، وقال صحيح الاسناد . ولا بن أبي الدنيا ومن طريق الديلمي من حديث ابن مسعود « رب ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لا يره » أو قال اللهم انى اسئلك الجنة لا عطاء الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا « وفي الاحياء عن أبى هريرة مرفوعا « ان أهل الجنة كل اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم ، واذا خطبوا النساء لم ينكحوا ، واذا قالوا لم ينصت لهم ، حوائج أحدهم تتجلى في صدره لو قسم نوره يرم القيامة على الناس لو سمعهم ، وسكنت عليه مخرجه وفي رواية « ان من أمتي من لو اتى أحدكم فسأله دينارا لم يعطه اياه ولو سأله درهما لم يعطه اياه ولو سأله فلسا لم يعطه اياه ولو سأل الله تعالى الجنة لأعطاه اياه ، الطبرانى فى الأوسط من حديث ثوبان باسناد صحيح ، وزاد فى الاحياء « ولو سأل الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه لخوانه عليه بل لكرامته لديه ، قال مخرجه وروى مرسل « ولو اتسع الجاه بلا طلب فغير مذموم كما للأنبياء والمرسلين (والخلفاء) الراشدين (والأئمة) المجتهدين من العلماء والصلحاء المعتمدين (الأن فيه) أى فى اتساع الجاه (فتنة للضعفاء) أى ابتلاء ومحنة لغير الاقوياء حيث لم يتلذذوا بحال الفقراء فى خاطرهم ميل الى مقام الاغنياء وذهلوا عما ورد من أن سليمان يدخل الجنة بعد سائر الانبياء . بخمسائة عام ، وكذا ابن عوف من العشرة المبشرة يدخل الجنة بعد الفقراء المهاجرين بخمسائة عام ، بل فى الاحياء ان عذاب الكافر الفقير أخف من الغنى فى دار البقاء (فورد) من حديث أنس عند البيهقى (حسب امرى من الشر الامن عصمه الله أن يشير الناس اليه بالأصابع فى دينه) أى بالعلم والعمل أى مخافة عجزه وغروره (ودنياه) أى بالمال والجاه أى خشية كبره وبطوره ، وفسر الحسن دينه بالبدعة ودنياه بالفسق (وانما المذموم حب الجاه) أى لا وجوده وشهوده (فورد) فى التنزيل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض) أى لا يحبون اعتلاء بالجاه والمال ، اذ لا يريدون استعلاء بغير الحق (ولا فسادا) بحال الخلق بل يريدون صلاحا لأهل الحق ، لكن كما قيل: آخر ما يخرج

وَأَصْلُهُ انْتِشَارُ الصِّيتِ وَحَقِيقَتُهُ تَمْلِكُ الْقُلُوبَ الْمُوَصَّلُ إِلَى الْمَقَاصِدِ وَهُوَ
 أَشْبَى مِنَ الْمَالِ فَتَحْصِيلُ الْغَرَضِ بِهِ أَيْسَرُ مَعَ أَنَّهُ مَأْمُونٌ عَنْ نَحْوِ السَّرِقَةِ
 وَالنَّغْصِ وَنَامَ دُونَ التَّعَبِ وَمُطَاعٌ بِالطَّوْعِ حَرَامٌ إِنْ كَانَ بَارِتْكَابِ ذَنْبٍ
 كَالْكَذِبِ

من قلوب الصديقين حب الرياسة ولو كان من حيث المشيخة وباب السياسة، والحاصل
 ان الله سبحانه علق جعل الدار الآخرة بنفى ارادة العلو المستازم لحب الجاه دون نفس
 الجاه فعلم ان المذموم حب الجاه دون نفس الجاه من غير حبله (وأصله) أى الجاه
 (انتشار الصيت) واشتهار السميت ، فالخول محمود الا من شهره الله لنشر دينه
 من غير تكلف طلب الشهرة منه اقوة بيقينه (وحقيقته) أى الجاه (تملك القلوب)
 المطلوب منها تعظيمها وطاعتها (الموصل الى المقاصد) أى الدنيوية وقد تكون
 الدنيوية والاخرية ، قال ابن ادهم: ما صدق الله من أحب الشهرة، وقال أيوب السخيتاني
 ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان أنه كان اذا كبرت
 حلقتة قام . وخافة الشهرة . وعن أبى العالية أنه كان اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة قام
 وقال بشر: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس ، وعن معاذ بن جبل:
 « ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين إذا غابوا لم يفقدوا وإذا
 حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصاييح الهدى ينجون من كل غرباء مظلمة ، الطبراني والحاكم
 وصححه، وقال الفضيل : بلغنى ان الله عز وجل يقول فى بعض ما يمين به على عبده الم أنعم
 عليك . الم استرك . الم اخمل ذكرك ، وكان الخليل بن أحمد يقول : اللهم اجعلنى عندك
 من ارفع خلقك ، واجعلنى فى نفسى من اوضع خلقك ، واجعلنى عند الناس من اوسط
 خلقك . وقال الثورى وجدت قلبى بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب خوف وعبادة
 (وهو) أى الجاه (اشهى) أى الذم (من المال) ولذا يبذل المال لتحصيل الجاه ولانه
 يحصل به المال ولو فى المال (فتحصيل الغرض) من حفظ النفس واتباع الهوى (به)
 أى بالجاه (أيسر) أى أهون من تحصيله بالمال (مع انه) أى الجاه (مأمون عن نحو
 السرقة والنصب) بخلاف المال (ونام) أى منتشر فى العالم (دون التعب) يبذل المال
 ويان الحال (ومطاع بالطوع) أى بالرغبة فى خدمته لأرباب الكمال واصحاب الجلال
 (حرام) أى الجاه (ان كان بارئتكاب ذنب كالكذب) بكونه علموياً فى النسب أو من نسل

وَالْخِدَاعِ بِإِظْهَارِ أَنَّهُ عَالِمٌ أَوْ وَرِعٌ أَوْ شَرِيفٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ، وَيَبِيعُ الْعِبَادَةَ لِجَعْلِهَا
وَسِيلَةً لِلدُّنْيَا جَنَابَةً وَإِلَّا فُبَّاحٌ فَوَرَدَ . (قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ
إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ) وَالْأَوَّلَى الْإِحْتِرَازُ عَنْهُ فَقِيهِ آفَاتٍ وَهِيَ النِّفَاقُ وَاضْطِرَابُ
الْقَلْبِ لَشُغْلِهِ بِرِعَايَةِ الْقُلُوبِ وَحِفْظِ الْجَاهِ وَدَفْعِ الْحُسَادِ إِلَّا قَدْرًا يُعِينُ عَلَى الطَّاعَةِ
كَاسْتِمَالَةِ قَلْبِ خَادِمٍ يَتَعَهَّدُ أَوْ رَفِيقٍ يُعَاوَنُ أَوْ سُلْطَانٍ يَدْفَعُ الشَّرَّ

الملوك والعلماء والمشايخ في الحسب (والخداع باظهار انه عالم او ورع او شريف
وهو بخلافه) من جاهل او فاسق او وضيع ، ومن هنا قيل : فن ادعى المشيخة فان
كان صادقا فهو افضل الخلق وان كان كاذبا فهو شر الخلائق ، وقد ورد « ما ذنبان
ضاريان في زرية غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم »
رواه النسائي . والترمذي وقال حسن صحيح من حديث كعب بن مالك (وبيع العباد)
اي وحرام ان كان يبيعها وهي من امور الدين بشيء من امور الدنيا مالا او جاها ،
(فجعلها) اي العباد النافعة في العقبي (وسيلة للدنيا) الدنية الفانية (جنابة)
وعلى نفسه خيانة (والا) اي وان لم يكن حب الجاه بار تكاب ذنب ولا يبيع عبادة
(فباح) وبضم نية نفع مسلم او دفع ظالم بصير مندوبا وقد يكون مطلوبا (فورد)
في سورة يوسف (قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) اي مخاطبا للملك مصر ،
فانه طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما ، وكان محتاجا الى طلبه وكان صادقا في قوله
ونافعا لغيره في امره (والاولى) لغير الاقوياء (الاحتراز عنه) اي عن طلب
الجاه فانه لا يخلو عن خطر لحظ نفسه وما بهواه (فقيه آفات) اربعة (وهي النفاق)
لان صاحب الجاه لا يستغنى عن المداهنة في الاخلاق وهي مخالفة الظاهر الباطن قولا
او فعلا (واضطراب القلب) اي تزلزله عند ظهور العيوب (لشغله برعاية القلوب
وحفظ الجاه) اي تمامه بين العباد ودوامه في البلاد (ودفع الحساد) اي ضررهم
وشرهم المعتاد (الاقدرا) استثناء من الاحتراز اي الاقدرا يسيرا من الجاه (يعين)
على الطاعة) ويكون سببا للراحة بقدر الاستطاعة (كاستمالة قلب خادم يتعهد)
امورا ضروريا للمخدوم (اورفيق يعاون) في السفر او الحضر على البر والتقوى
ومحافظة امور الدين (او سلطان يدفع الشر) والبلوى .

وَالسَّبَبُ طُولُ الْأَمَلِ وَخَوْفُ الْآفَةِ وَاسْتِدْعَاءُ الطَّبَعِ الْكَمَالِ لِتَحَقُّقِ الطَّبَعِ
الرَّبُّوبِيِّ فِي الْإِنْسَانِ كَالسَّبْعِيِّ وَالشَّيْطَانِيِّ وَالْبَيْمِيِّ فَيُحِبُّ الْاسْتِعْلَاءَ بِالْإِسْتِرْقَاقِ
إِنْ أَمَكَنَ كَمَا فِي الْأَجْسَادِ الْأَرْضِيَّةِ

(والسبب) أى سبب حب الجاه ثلاثة (طول الامل) أى بتباعد الاجل
(وخوف الآفة) أى توهم المحنة التى تكون منشأ للمحنة . وتوضيحه ان الشفيق بسوء
الظن مولع ، والانسان وان كان مكفيا فى الحال فانه طويل الآمال فيخطر بباله ان
المال الذى فيه كفاية ربما يتلف فيحتاج الى غيره ، واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف
من قلبه فلا يدفع المرء خوفه الا الامن الحاصل لوجود مال آخر يفرع اليه ان اصاب
هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبته لاجاء يقدر طول الحياة ، ويقدر هجوم
الحاجات ، ويقدر امكان طرق الآفات ، وهذا خوف لاموقف له عند مقدار مخصوص
من المال او الجاه ، ومن هنا ورد « نهومان لا يشبعان : منوم العلم ومنوم المال »
الطبرانى وغيره « ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبغي ثالثا ولا يملا جوف ابن
آدم الا التراب ويترب الله على من تاب » (واستدعاء الطبع) أى استشهاده (الكمال)
الحقيقى أو الوهمى (لتحقق الطبع) أى الخلق (الرئوبى فى الانسان) من الاستعلاء
والاستيلاء والتكبر والتجبر واظهار العظمة والكبرياء ، اذ معنى الرئوبية التوحد بالكمال
والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال ، وكل انسان بطبعه يحب لان يكون منفردا
بالكمال فى الجاه والجلال ، ولذا قال بعض الصوفية : ما من انسان الا وفى باطنه ما صرح
به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ، ولكنه ليس يجد بجالا ، وفى الاحياء وهو كما
قال فان العبودية قهر على النفس والرئوبية محبوبة بالطبع ، ولكن لما عجزت النفس عن
درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فى جميع الاحوال (كالسبعى) من القتل
والجرح والضرب والابذاء (والشيطانى) كالمكر والخديعة والاغواء (والبيمى)
من الاكل والشرب والوقاع مع النساء (فيحب) أى الانسان بالطبع الرئوبى
(الاستعلاء بالاسترقاق) أى استرقاق العبيد على وجه الاكثار واستعباد اجساد
الاحرار (ان امكن) الاسترقاق ولو بالقهر والغلبة متى يتصرف فيهم بالاستسخار
(كما فى الاجسام الارضية) من نحو الكلا والاغراس والاشجار بالقلع والابقاء
والابذاء والافناء ، وكالبرام والدنانير والامتعة ، فيحب ان يكون قادر اعليها يفعل

ثُمَّ بِالْإِسْتِمَالَةِ كَمَا فِي الْقُلُوبِ ثُمَّ بِالْإِطْلَاعِ كَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَعَالَمِ الْمَلَكُوتِ
وَالْعِلَاجُ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ كَالْوَهْمِيِّ لَزَوَالِهِ بِالْمَوْتِ وَلِأَنَّ الْقُدْرَةَ الْحَقِيقِيَّةَ لَهُ تَعَالَى
وَفِيهِ التَّشْبَهُ بِالسَّبَاعِ وَالشَّيَاطِينِ وَالْبَهَائِمِ أَمَّا الْحَقِيقِيُّ فَعَرَفْتُهُ تَعَالَى وَحُبَّتْهُ وَمَا
يُعِينُ عَلَيْهِ لِبَقَائِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَفِيهِ التَّشْبَهُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ

فيها ما يشاء من الرفع والوضع والعطاء والمنع ، فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال
من صفات الربوبية ، والربوبية محبوبة بالطبع والجلبة الخلقية ، ولذا احب الاموال
وان كان لا يحتاج اليها في ما كثر ومشربه وملبسه وشهوات نفسه (ثم بالاستمالة)
اي بطلب ميل الخلق اليه ظاهرا وغلبة اوباطنا ورغبة (كما في القلوب) طوعا وكرها
(ثم بالاطلاع) اي الاشراف (كما في السموات) وفي نسخة السماويات اي اخبارها
وامورها واسرارها (وعالم الملكوت) من العرش والكرسي وحوطهما من الملائكة
وانوارها ، والمراد بالملكوت عالم الباطن بما يخطر من الخطرات والعزائم في الحركات
والسكنات . والحاصل ان مطلوب القلب الكمال ، والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت
الدرجات فيه غير محصور ، فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال ، فهذا
هو السبب في كون العلم والمال والجاه من المحبوبات ، وهو امر وراه كونه محبوبا
لاجل التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات واللهوات ،
بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصاح للتوصل به الى قضاء الاغراض ، بل ربما يفوت
عليه جملة من الاغراض والاعراض ، ولكن الطبع يتقاضى العلم في جميع العجائب
والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلومات وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات
الربوبية فكان محبوبا بالطبع ولو كان صاحبه في مقام العبودية .

(والعلاج) اي علاج رفع حب الجاه خمسة اشياء (العلم بانه) اي الجاه
الديني (كمال وهمي) ليس في الواقع كمال حقيقي (لزواله بالموت) انتهاء وحدوثه
ابتداء (ولان القدرة الحقيقية له تعالى) ازلا وابدا (وفيه) اي في الجاه الوهمي
التصوري (التشبه بالسباع والشياطين والبهائم) كما تقدم (اما الحقيقى) اي كماله
(فعرفته تعالى وحبته وما يعين عليه) اي على ثماله من العلم والعمل لما حكم به شريعته ،
وانما يكون هذا ثما لاحقيقيا (لبقائه بعد الموت) فالكمال الحقيقى ما ينتقل مع صاحبه
ولا ينفك عن جانبه (وفيه) اي في هذا الكمال (التشبه بالانبياء والملائكة) الموصوفين

وَأَفَاتِ الدُّنْيَا وَخَسَّاسَتَهَا وَمَا وَرَدَ فِي ذِمِّ الْجَاهِ وَمَدْحِ الْخُئُولِ وَأَحْوَالِ السَّلَفِ
فِي إِثَارِ الْعُقْبَى وَمُبَاشَرَةِ أَمْرِ يُسْقِطُهُ

بكمال المعرفة والمحبة الدائمة الباقية ، فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان وهم غافلون ، واقبلوا على طلب الكمال بالجاء والمال وهو الكمال الذي لا يسلم من الزوال وان سلم في الحال فلا بقاء له في المآل ، واعرضوا عن كمال الحرية والمعرفة المسمى علما لدنيا ، واذا حصل ابديا لانقطاع له لكونه سرمديا . فهو لاهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ، وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا ملا) فالعلم والقربة هي الباقيات الصالحات التي تبقى دائما في النفس ، واما المال والجاء فيفنى في الحال أو المآل كما مثله الله تعالى بقوله (انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) الآية ﴿ وَأَفَاتِ الدُّنْيَا ﴾ اى والعلم بها ﴿ وَخَسَّاسَتَهَا ﴾ اى دناءة نفسها من كثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركاؤها وسرعة فناؤها ، فلهذا در القائل :

اشد الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقلا
ولآخر من أهل الفضائل :

أضغاث أحلام وظل زائل ان اللبيب بمثله لا يخدع
﴿ وما ورد ﴾ اى والعلم بما جاء من السنة ﴿ فى ذم الجاه ومدح الخئول ﴾ على ما تقدم ﴿ وأحوال السلف فى ايثار العقبي ﴾ على مناصب الدنيا ومعاونة بعضهم لبعض فى البر والتقوى ، فقد كتب الحسن البصرى الى عمر بن عبد العزيز : أما بعد فكاّنك باآخر من كتب عليه الموت وقدمات ، فانظر كيف مدت نظره والمستقبل وقدره كاتنا . وكتب عمر بن عبد العزيز فى جوابه : أما بعد فكاّنك بالدنيا لم تكن وكأّنك بالآخرة لم تنزل فهو لاه كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للبتقين واستحققوا الجاء والمال فى الدنيا وبصائر أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهد العواقب الآجلة كما قال تعالى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وقال تعالى : (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) ﴿ ومباشرة أمر ﴾ بالرفع عطفا على العلم اى والعلاج للأمل وهو مباشرة فعل ﴿ يسقطه ﴾ اى جأه وقدره من قلوب الخائق وأعينهم ، وتفارقة لذة القبول ويأنس بالخئول ويقنع بنظر

كُشْرِبَ الْمَاءُ فِي قَدَحٍ يُشَبِّهُ الْخَزْرَ لَوْ نَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَتْبُوعًا فَيَبَاشِرُ مَا يَرَى مَبَاحًا
كَأَظْهَارِ الشَّرِّهِ وَالْأَقْوَى الْقَنَاعَةُ وَالْإِغْتِرَابُ، وَأَمَّا الْإِعْتَزَالُ فِي الْوَطَنِ فَلَا
يَخْلُو عَنْهُ لِمَعْرِفَةِ النَّاسِ بِهِ

الحائِق وقوله ، وهذا طريق الملامية الطالبين للحالة السلامية (كشرب الماء) الحلال (في قدح يشبه الخمر لونا) أى يشبه لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من الآئين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا أن أرباب الاحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتى به الفقيه مهما رأى اصلاح قلوبهم فيه ، ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم ، فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه ، فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه واخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وسموه لص الحمام (الا أن يكون متبوعا) أى من المقتدين حيث لا يجوز ان يفعل ما لا يكون بظاهره مشروعا فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين . وأما الذى لا يقتدى به فلا ينبغي له أيضا أن يقدم على محذور لاجل ذلك (فيباشر ما يرى مباحا) بما يسقط قدره عند الناس (كأظهار الشره) بفتحين أى الحرص في الطعام ، كما روى ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره وبعظم اللقم فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد : الخمر لله الذى صرفك عني . وهذا بالنسبة الى المتقدمين ، وأما فى زماننا فمن عمل بالكتاب والسنة فى امره لم ياق صديقاقى دهره مدة عمره (والأقوى) أى فى المعالجة (القناعة) بلزوم الطاعة وعدم الطمع من اهل الاستطاعة والاكتفاء بما لا بد منه للاحياء كلفمة تسد جوعته وخرقه تستر عورته ويبت يدفع عنه حره وقره (والإغتراب) أى طلب الغربة والهجرة الى موضع الخول وعدم الشهرة (وأما الاعتزال فى الوطن فلا يخلو عنه) أى عن نوع من الجاه (لمعرفة الناس به) فان المعتزل فى البلد التى هو فيها مشهور لا يخلو فى بيته عن حب المنزلة التى يترشح له فى القلوب بسبب عزله ، فربما يظن أنه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور بها ، وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ، ولوتغير الناس عليه عما اعتقدوا فيه وذموه جزعت نفسه وتألمت ثم لا يمكنه أن لا يحب المنزلة فى قلوب الناس مادام يطمع فيهم ، فاذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع الطمع عنهم أصبح الناس ظلم عنه كالأرازل ، فلا يبالي

(م - ٦ ج - ٢ شرح عين العلم)

ثُمَّ الْأَوَّلَى كَرَاهِيَةُ الْمَدْحِ وَحُبُّ الذَّمِّ فَوَرَدَ وَيْلٌ لِلصَّائِمِ وَيْلٌ لِلْقَائِمِ وَيْلٌ
لِلصَّاحِبِ الصُّوفِ إِلَّا مَنْ تَنَزَّهَتْ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَبْغَضَ الْمَدْحَةَ وَاسْتَحَبَّ
الْمَذْمَةَ ثُمَّ التَّسْوِيَةُ وَيَعْرِفُ بِتَسْوِيَةِ الْمَادِحِ وَالذَّامِّ فِي اسْتِقْطَالِ جُلُوسِهِمَا وَالْفَرَحِ
بُسُورِهِمَا وَالْغَمِّ بِمُصِيبَتَيْهِمَا ثُمَّ عَكْسُ الْأَوَّلِ دُونَ إِظْهَارِ قَوْلٍ وَفَعْلٍ ثُمَّ
بِإِظْهَارِهِمَا

أَكْبَرُ لَهُ مَنْزِلَةٌ فِي قُلُوبِهِمْ كَمَا لَا يَبَالِي بِمَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ هُمْ مِنْهُ فِي أَقْصَى الْمَشْرِقِ
أَوْ الْمَغْرِبِ لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُمْ وَلَا يَطْمَعُ فِيهِمْ، ثُمَّ لَا يَقْطَعُ الطَّمَعُ عَنْهُمْ إِلَّا بِالْقَنَاعَةِ فَمَنْ قَنَعَ
شَبَعَ وَاسْتَغْنَى عَنْ غَيْرِهِ، وَمِنْ هُنَا وَرَدَ مَا يَكْمُلُ إِيمَانُ أَحَدِكُمْ حَتَّى يَكُونَ الْخَلْقُ عِنْدَهُ
كَالْأَبَاعِرِ .

﴿ثُمَّ الْأَوَّلَى﴾ فِي بَابِ الْعِلَاجِ ﴿كَرَاهِيَةُ الْمَدْحِ وَحُبُّ الذَّمِّ﴾ فَإِنَّ مَعَالَجَةَ الْفُسَادِ أَنْ تَكُونَ
بِالْإِضْدَادِ ﴿فَوَرَدَ : وَيْلٌ لِلصَّائِمِ وَيْلٌ لِلْقَائِمِ وَيْلٌ لِلصَّاحِبِ الصُّوفِ﴾ الْإِمْنُ تَنَزَّهَتْ
نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَبْغَضَ الْمَدْحَةَ وَاسْتَحَبَّ الْمَذْمَةَ ﴿كَذَا فِي الْأَحْيَاءِ﴾ وَقَالَ مَخْرَجُهُ لَمْ أَجِدْهُ
هَكَذَا ، وَذَكَرَ صَاحِبُ الْفَرْدُوسِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ «وَيْلٌ لِمَنْ لَبَسَ الصُّوفَ فَخَالَفَ
فَعَلَهُ قَوْلُهُ» وَلَمْ يَخْرُجْهُ وَلَدَهُ فِي مَسْنَدِهِ ﴿ثُمَّ التَّسْوِيَةُ﴾ أَيُّ تَسْوِيَةِ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ بِأَنْ لَا تَنْفَعَهُ
الْمَذْمَةُ وَلَا تَسْرَهُ الْمَدْحَةُ ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : إِذَا قِيلَ لَكَ : نَعَمْ الرَّجُلُ أَنْتَ فَكَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ
أَنْ يُقَالَ بِشَرِّ الرَّجُلِ أَنْتَ فَأَنْتَ وَاللَّهِ بِشَرِّ الرَّجُلِ وَهَذَا قَدِظْنَهُ بَعْضُ الْعِبَادِ بِنَفْسِهِ
وَيَكُونُ مَغْرُورًا بِهِ أَنْ لَمْ يَمْتَحِنْ نَفْسَهُ فِي حَالِ أَنْسِهِ ﴿وَيَعْرِفُ﴾ اسْتَوَاءَ الْمَدْحِ
﴿بِتَسْوِيَةِ الْمَادِحِ وَالذَّامِّ فِي اسْتِقْطَالِ جُلُوسِهِمَا﴾ عِنْدَهُ ﴿وَالْفَرَحِ بِسُورِهِمَا وَالْغَمِّ
بِمُصِيبَتَيْهِمَا﴾ وَحُزْنِهِمَا وَنَحْوَهُ مِنَ الْمُنْعِ وَالْعَطَاءِ فِي فَعْلِهِمَا وَالسَّعْيِ فِي قَضَائِ حَاجَتَيْهِمَا
وَمَا أَبْعَدَ ذَلِكَ عَنْ قُلُوبِ أَكْثَرِ الْعِبَادِ مِنَ الْعُلَمَاءِ . وَالْعِبَادِ وَالزَّهَادِ . فَإِنْ وَجَدَ فُجُورَ
الْكِبَرِيَّةِ الْآخِرِ يَتَحَدَّثُ بِهِ وَلَا يَرَى ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا سَمِعَ الْمَدْحَ لَمْ يَسْرِبْهُ وَلَمْ يَقْتُمْ وَلَكِنْ
لَمْ يُوَثِّرْ فِيهِ فَهَذَا عَلَى خَيْرٍ كَثِيرٍ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ بَقِيَ عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ مِنَ الْإِخْلَاصِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ
الْإِخْلَاصِ مِنَ الْمَنَاصِرِ ﴿ثُمَّ عَكْسُ الْأَوَّلِ﴾ الَّذِي ذَكَرَ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى وَهِيَ أَنْ يُحِبَّ الْمَدْحَ
وَيَكْرَهُ الذَّمَّ فِي الضَّمِيرِ ﴿دُونَ إِظْهَارِ قَوْلٍ وَفَعْلٍ﴾ فِي وَجْهِهِمَا بِضَرْبِ أَوْشْتِمْ أَوْ ثَنَاءِ
وَعَطَاءِ ﴿ثُمَّ بِإِظْهَارِهِمَا﴾ أَيُّ إِظْهَارِ الْقَوْلِ وَالْفَعْلِ فِي مُقَابَلَةِ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ فَيُقَابِلُ الذَّامِّ

وَحُبُّ الْمَدْحِ كَحُبِّ الْجَاهِ حُرْمَةٌ وَإِبَاحَةٌ وَنَفْعٌ وَضَرٌّ، وَالسَّبَبُ الشُّعُورُ بِكُلِّ
النَّفْسِ وَالِاسْتِيْلَاءُ عَلَى الْمَادِحِ وَاسْتِمَالَةُ قُلُوبِ السَّامِعِينَ، فَيَقْوَى مِنَ الْمُعْتَبَرِ
وَالْمُرْتَفِعِ وَفِي الْمَلَأِ أَقْوَى

بالشتم والضرب والمادح بالثناء والعطاء وهو حال أكثر الخلق ﴿وحب المدح كحب الجاه
حرمة﴾ ان كان بار تكاب ذنب ﴿واباحة﴾ ان كان بأمر مباح ﴿ونفعا﴾ أى كان لدفع
شر ﴿وضرا﴾ ان كان يجلب نفع محرم كما سبق مفصلا *

﴿والسبب﴾ لحب المدح ثلاثة : ﴿الشعور بكال النفس﴾ أى استشعار الكمال
بسبب قول المادح ، فطريقك فيه أن ترجع الى عقلك الراجع وتقول لنفسك : هذه
الصفة التى يمدحك بها أنت متصفة بها أم لا فان كنت متصفة بها ففى أما أن تكون صفة
تستحقق بها المدح كالعلم والورع فينبغى أن لا تفرحى بها لأن الخاتمة غير معلومة ، وأما صفة
لا تستحق المدح كالمال والجاه فالفرح بها كالفرح بذات الأرض مما تذروه الرياح ولا ينبغى أن
يفرح الانسان بعروض الدنيا ، وان فرح فلا ينبغى أن يفرح بمدح المادح بل بوجودها
فالمدح ليس هو سبب وجودها وشهودها فلا يجب أن تفرح به بل بسبب وجودها هو الله
سبحانه فهو المستحق للحمد والثناء تبارك وتعالى ، ومنه قوله عز وعلا : (قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وان كان الصفة التى مدحت بها وفرحت
بسببها أنت خال عنها ففرحك بمدحه غاية الجنون عند أهل الفنون ؛ اذ مثال ذلك مثال
من يهزؤ به انسان ويقول : سبحان الله ما أكثر العطار الذى فى احشائك ، وما أطيب المسك
الذى فى أعضائك وأنت تعرف نفسك بكثرة الاقدار والذين فى أثوابك وأجزائك
﴿والاستيلاء على المادح﴾ فان المدح يدل على تسخير قلب المادح ﴿واستمالة قلوب
السامعين﴾ فهذا يرجع الى حب الجاه ، وعلاجه بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله
﴿فيقوى﴾ أى حب المدح اذا حصل ﴿من المعتبر﴾ علما وعملا أكثر وأظهر من
غيره ﴿والمرتفع﴾ قدره فى الجاه والمال ، وفى نسخة المترفع أى من أهل التصدر فى
المجالس والمحافل وان لم يكن من ذرى الفضائل ﴿وفى الملاأ أقوى﴾ من الخلاء وفيه
خطر للمدوح ، ولذا قال عليه السلام للمادح «وبحكك قطعت ظهره لو سمعك ما أفاح
الى يوم القيامة»

وَالْعَلَّاجُ عِلَّاجُ الْجَاهِ وَعَلَيْهِ أَنْ الصِّفَةُ الْمَمْدُوحَ بِهَا إِنْ فَقِدَتْ فَاسْتِهْزَاءٌ وَإِنْ
وُجِدَتْ فَالْدُنْيَوِيَّةُ كَمَالٌ وَهَمِيٌّ وَالْدِينِيَّةُ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الْخَاتَمَةِ، وَالْأَوَّلَى إِظْهَارُ
الْبُغْضِ لِلْمَادِحِ قَطْعًا لِلْفِتْنَةِ، وَسَبَبُ كَرَاهَةِ الذَّمِّ النَّقَائِصِ الْمَذْكُورَةِ فِي حُبِّ الْجَاهِ

(والمعالج) أي علاج حب المدح شيان (علاج الجاه) أي حبه وقد تقدم حكمه (وعليه) أي الممدوح (أن الصفة الممدوح بها أن فقدت) بأن يكون كذباً (فاستهزاء) وهذا كثير في قصائد الشعراء الأغنياء والأمراء، وقد ورد «إذا رأيتم المداحين فاحشوا في وجوههم التراب» وهو كناية عن الحية، أو إيماء إلى دفع شرهم بباب من الأبواب وسبب من الأسباب من إعطاء الدراهم والدنانير، والثياب، فقد ورد «ما وقى به العرض فهو صدقة» (وإن وجدت) أي تلك الصفة بأن يكون صادقاً في قوله (فالدينية) من المال والجاه (كآل وهمي، والدينية) من العلم والعمل (موقوفة على الخاتمة) أي حسنها وهي غير معلومة، فأنما الأعمال بالخواتيم كما ورد (والأولى) في علاج حب الجاه (إظهار البغض للمادح قطعاً للفتنة) ومن هنا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته، وما يدخل على القلب من السرور بمدحته، وما يفرغ عليه من محنته، حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلاً عن شيء فقال: يا أمير المؤمنين أنت خير مني وأدلم، فغضب وقال: إني لم أمرك أن تزكيني. وقيل لبعض الصحابة: لن يزال الناس بخير ما بقاك الله فيهم، فغضب وقال: إني لأحسبك عراقياً. وقال بعضهم لما مدح: اللهم إن عبدك تقرب إلى بمقتك فاشهدك على مقتته. وإنما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم معقوتون عند الخلق، فكان اشتغال قلوبهم بأحوالهم عند الله يبغض إليهم مدح الخلق لأن الممدوح على الحقيقة هو المقرب عند الله تعالى، والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله الملقى في النار مع الأشرار في دار البوار. فهذا الممدوح إن كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره، وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله وبرحمته وليس أمره بيد الخلق، وهما علم أن الآجال والأرزاق بيد الله قل التفاته إلى مدح الخلق وذم من سواء، وسقط من قلبه حب مدحه واشتغل بما يهمه من أمر دينه وحب ربه (وسبب كراهة الذم النقائص المذكورة) أي الأسباب المستورة (في حب الجاه) من الشعور بكمال النفس واستيلاء المدح واستمالة قلوب

وَالْعَلَّاجُ عِلْمُ أَنَّ الصِّفَةَ الْمَذْمُومَ بِهَا إِنِّ وَجَدْتُ قَبْصِيرَ الْعُيُوبِ وَفِيهِ
الْفَرَحُ وَالشَّغْلُ بِالْإِزَالَةِ وَإِنْ فُقِدَتْ فَسُكْفَارَةُ الذُّنُوبِ وَفِيهِ الشُّكْرُ لَهُ تَعَالَى
وَالْتَرَحُّمُ عَلَيْهِ حَيْثُ أَهْلَكَ نَفْسَهُ وَوَرَدَ، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَانَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ «دَعَا
لِقَوْمٍ كَسَرُوا سِنَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»

السامعين (والعلاج) لكرامة الذم (علم ان الصفة المذموم بها ان وجدت) فيك
سواء قصد القاتل به النصيحة او التعت و الفضيحة (قبصير العيوب) وهو مطلوب
اهل القلوب (وفيه الفرح) بالاطلاع على الصفة الذميمة (والشغل بالازالة)
اي بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها وليس للكرامة مجال لديها فعن
عمر رضى الله عنه رحم الله من اهدى الى بعيوب نفسه (وان فقدت) تلك الصفة
بان يكون القاتل كاذبا في المذمة (فكفارة الذنوب) اي ببقية مساورك فكاه رماك
بعيب انت برىء منه وطهرت عن عيب انت متلوث به (وفيه الشكر له تعالى)
اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت برىء منه وماستر الله من عيوبك
اكثر فتدبر (والترحم عليه) اي على الدام (حيث اهلك نفسه) بذمك فالمسكين
جنى على دينه حتى سقط من عين ربه واهلك نفسه باقترائه وتعرض لمقابله الاليم يوم
جزائه فلا ينبغي ان يغضب عليه مع غضب الله لديه ويقول اللهم اهله ونحوه فيشمت
الشيطان بك وبه بل ينبغي لك ان تقول رغما للشيطان وحزبه اللهم اصلحه اللهم تب عليه
اللهم ارحمه اللهم اهده (وورد) في دلائل النبوة للبيهقي (اللهم اهْدِ قَوْمِي فَانَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
دعا) اي النبي عليه السلام (لقوم) من كفار قريش (كسروا سِنَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)
اي رباعيته وشجوا رأسه وذلك باحد، ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج رأسه بالمغفرة
ف قيل له في ذلك فقال اعلم اني مأجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي،
وما يهون عليك كرامة المذمة قطع الطمع فان من استغثت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر
ذلك في قلبك، وأصل الدين القناعة بما اعطاه الله من المال وبها ينقطع الطمع من الجاه
والمال واما مادام الطمع قائما فكان حب المدح والجاه يغلب في قلب من طمعت
فيه دائما

(البَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي التَّوَاضُّعِ وَذِكْرِ الْمَنَّةِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَرَدَّ «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ» الشَّرْفُ التَّوَاضُّعُ
وَضَدُّهُ التَّكَبُّرُ وَهُوَ اتِّبَاعُ الْكِبَرِ وَهُوَ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ فَوْقَ غَيْرِهِ فِي صِفَةِ الْكَمَالِ
فِيَحْصُلُ بِهِ نَفَخَةٌ.

(البَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي التَّوَاضُّعِ وَذِكْرِ الْمَنَّةِ)

أَيُّ فِي مَدْحِهِمَا وَذَمِّ ضَدِّهِمَا وَهُمَا الْكِبَرُ وَالْعَجَبُ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)
الَّذِي يَتَوَاضَعُ لَهُ الْعَرْشُ الْكَرِيمُ (وَرَدَّ) فِي الْحَلِيلَةِ لِأَبِي نَعِيمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (مَنْ
تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ) وَمَعْنَاهُ مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ وَضَعَهُ، وَلِلْبَيْهَقِيِّ فِي الشَّعْبِ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ إِذَا تَوَاضَعَ الْعَبْدُ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَلِلْأَصْفَهَانِيِّ فِي التَّرغِيبِ وَالتَّرْهيبِ
مَنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ التَّوَاضُّعَ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ الْارْفَعَةَ، وَلِمُسْلِمٍ فِي إِثْنَاءِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
«وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ الْارْفَعَهُ اللَّهُ، وَلَا أَحَدٌ وَابِيهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبَرٍ أَوْ كِبَرِ اللَّهِ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ»
وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَحَسَنُهُ مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يَكْتُبَ
فِي الْجَبَّارِينَ فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ» وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَمِيْسٍ «بَشَّ الْعَبْدُ عَبْدَ تَجْبَرٍ
وَاعْتَدَى وَنَسَى الْجَبَّارَ الْأَعْلَى بِشَّ الْعَبْدِ عَبْدٌ تَكْبَرُوا خُتَالًا وَنَسَى الْكَبِيرَ الْمُتَعَالَى بِشَّ الْعَبْدِ
عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا وَنَسَى الْمُقَابِرَ وَالْبَلَى بِشَّ الْعَبْدِ عَبْدٌ عَتَى وَبَغَى وَنَسَى الْمَبْدَأَ وَالْمُنْتَهَى» وَرَوَاهُ
الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ وَصَحَّحَهُ (الشَّرْفُ التَّوَاضُّعُ) فَلِإِبْنِ أَبِي الدُّنْيَا الْكَرَمُ الْقَوِيُّ وَالشَّرْفُ
التَّوَاضُّعُ وَالْيَقِينُ الْغَنَى، وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ التَّوَاضُّعُ أَحَدُ مَصَائِدِ الشَّرْفِ وَكُلُّ
نِعْمَةٍ مَحْصُودٍ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا إِلَّا التَّوَاضُّعَ، وَقَالَ الْفَضِيلُ التَّوَاضُّعُ أَنْ تَخْضَعَ لِلْحَقِّ وَتَقَادُلَهُ
وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ صَبِي قَبْلَهُ مِنْهُ وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ قَبْلَهُ، وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ التَّوَاضُّعُ
أَنْ تَضَعَ نَفْسَكَ عِنْدَ مَنْ دُونَكَ فِي نِعْمَةِ الدُّنْيَا حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ بِدُنْيَاكَ فَضْلٌ
وَأَنْ تَرَفَعَ نَفْسَكَ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بِدُنْيَاكَ عَلَيْكَ فَضْلٌ،
وَقَالَ قَتَادَةُ مَنْ أَعْطَى مَالًا أَوْ جَلَالًا أَوْ ثَنَاءً أَوْ عِلْمًا ثُمَّ لَمْ يَتَوَاضَعْ فِيهِ كَانَ عَلَيْهِ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ وَبِالْأَلَمِ وَضَدُهُ التَّكَبُّرُ وَهُوَ اتِّبَاعُ الْكِبَرِ) وَأَظْهَارُهُ أَنَّ التَّوَاضُّعَ اتِّبَاعَ الضَّعْفِ
وَأَظْهَارُ الْمُسْكِنَةِ بَأَن يَرَى نَفْسَهُ دُونَ غَيْرِهِ فِي صِفَةِ الْكَمَالِ فَتَكْبَرُ عَلَى أَمثَالِهِ فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ
فِي حَالِهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُمْ فَهُوَ مُتَوَاضِعٌ فِي مَقَامِ كَالِهِ.

(وَهُوَ) أَيُّ الْكِبَرِ (أَنْ يَرَى نَفْسَهُ فَوْقَ غَيْرِهِ فِي صِفَةِ الْكَمَالِ فَيَحْصُلُ بِهِ نَفَخَةٌ) أَيُّ

وَوَرَدَ «أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْخَةِ الْكِبَرِ، وَآثَارِهِ الَّتِي تَرْفَعُ فِي الْمَجْلِسِ وَالتَّقَدُّمُ فِي الطَّرِيقِ وَالنَّظَرُ بِالْمَا قِي وَعَيْنِ الاسْتِحْقَارِ

انتفاخ الكبر في نفسه، وعن ابن عباس في قوله تعالى (ان في صدورهم الاكبر ما هم ببالغيه) فقال عظمة لم تبلغوها، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود لا «يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» وعن ثابت بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم تجبر فلان فقال أليس بعده الموت؟ البيهقي في الشعب هكذا مرسله، ويروى أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن: التواضع أن تخرج من منزلك فلا ترى مسلما الا رأيت له عليك فضلا وقال الجنيد التواضع عند أهل التوحيد تكبر، وفي الاحياء لعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها أو يرفعها (وورد أعوذ بك من نفخة الكبر) روى أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم مرفوعا أعوذ بالله من الشيطان من نفخة ونفثه وهمزه فنفخه الكبر ونفثه الشعر أو السحر وهمزه الوسوسة في السر (وآثاره) أي علامات الكبر ثلاثة عشر (الترفع في المجلس) على الاقران أي من غير استحقاق له به (والتقدم في الطرق) على الاخوان مع استحقاقهم به، قال أبو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه، وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة، ومشى قوم خلف الحسن البصري فنعمهم وقال: ما يبقى هذا من قلب العبد، وكان عليه السلام في بعض الاوقات يمشى مع اصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشى في الغمار اما لتعليم غيره وأما لئني وسواس الشيطان بالكبر والعجب كما انتزع الثوب الجديد في الصلاة ولبس الخلق لاحد هذين المعنيين كذا في الاحياء، والمعروف نزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق ونزع الخميصة ولبس الانبجانية كما تقدم والله أعلم به وللدلي في مسند الفردوس من حديث أبي امامة بسند ضعيف جدا انه خرج يمشى الى البقيع فتبعه اصحابه فوقف وأمرهم أن يتقدموا ومشى خلفهم فسئل عن ذلك فقال: اني سمعت خفي فقالكم فاشفقتم أن يقع في نفسي شيء من الكبر (والنظر) الى الغير (بالمآقي) أي بطرف العين تكبر أو تجبر اقال تعالى: (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور) (وعين الاستحقار) بان يستنكف عن جلوس غيره بالقرب منه الا أن يجلس بين يديه، فعن ابن وهب: جلست الى عبد العزيز بن أبي رواد فس فخذني فخذته فنحييت نفسي عنه فأخذ بثوبي فجرتني الى

وَتَعْوِجُ الْعُنُقِ وَإِطْرَاقُ الرَّأْسِ وَالْإِتِّكَاءُ، وَقِيَامُ النَّاسِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَاءَ «إِنَّ مَنْ قَعَدَ وَالنَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ قِيَامٌ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»

نفسه وقال: لم تعلمون بي ما تعملون بالجباية؟ انى لا أعرف منكم رجلا شرامنى، وقال أنس: كانت الوليدة من ولادة المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شامت. وقد تقدم مخرجه هـ ومن ذلك أن يتوقى في مجالسه المرضى والمعلولين وعنهم يتحاشى، فكان ابن عمر لا يجلس عن طعامه بجنوما ولا أبرص ولا مبتلى الا أقعدهم على مائدته، وقد ثبت أنه عليه السلام مع مجذوم وقال له «قل بسم الله ثقة بالله» رواه أبو داود. والترمذى وابن ماجه من حديث جابر «وَتَعْوِجُ الْعُنُقِ» مع تحريك الألف «وَإِطْرَاقُ الرَّأْسِ» فروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال: ليست هذه مشية من في بطنه خراء، فقال عمر كالتعذر: يا عم لقد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلتها، وعن الحسن: أن فى كل عضو من الأعضاء لله نعمة والشیطان به لعنة، ورأى محمد بن واسع ولده يمشی يختال فدعاه فقال: أتدرى من أنت؟ أما أمك فاشتريتها بمائتى درهم، وأما أبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله، ولأحمد والطبرانى. والخامس. وصححه والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر «من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته اتقى الله وهو عليه غضبان» ولله مقتبس من قوله تعالى: (إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) ومن قوله: (ولا تمش فى الارض مرفحا إنك لن تخرق الارض وإن تبلغ الجبال طولا) وفى الصحيحين من حديث ابن هريرة «لا ينظر الله الى من جر أزاره بطرا» وفى لفظ مسلم «خيلاء» (والإتكاء) أى الميل الى احد جوانبه بحضور اقاربه واجانبه من غير ضرورة وعارضة فى بابه، وكذا حكم التربع المشير الى الترفع «وقيام الناس بين يديه، فجاء» أى فى الخبر أو الاثر «ان من قعد والناس بين يديه قيام» واقفون بأمره «فهو من اهل النار» والحديث معروف بافظ «من احب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار، احمد وابو دلود والترمذى عن معاوية، وفى الشمايل للترمذى عن أنس «لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك» وقال الفضيل: من احب الرياسة لم يفلح ابدا، وقال الشبلى: من رأى لنفسه

وَالْمَشَى رَاكِبًا مَعَ الْمَشَاةِ وَتَرَكَ الْخُرُوجَ إِلَّا بِشَخْصٍ عَقِيْبِهِ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَمْشِي بَيْنَ الْجَمْعِ غَيْرِ مُتَقَدِّمٍ وَعَمِلَ الْبَيْتَ وَحَمَلَ السَّلْعَةَ فَوَرَدَ مِنْ حَمْلِهَا فَقَدَّرَ بَرَى مِنَ الْكِبَرِ

قيمة فليس له من التواضع حصة . والتحقيق ان من رأى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار أورد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ، ومن اتف من ان يخضع لله ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر بينه وبين الحق (والمشي) اى الخروج (راكبا مع المشاة) بين يديه (وترك الخروج) من منزله ولو الى المسجد للجمعة والجماعة (الا بشخص) او اشخاص (عقيبه ، وكان عليه السلام يمشى بين الجمع غير متقدم) كما تقدم (وعمل البيت) اى وتركه وهو خلاف التواضع ومخالف لفعله عليه السلام ، ففى مسند احمد « عن عائشة انه عليه السلام كان يخط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم ، وليبهي فى الشعب من حديث ابى هريرة « من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برى من الكبر » وبالجملة فجامع حسن الاخلاق تؤخذ من سيرته عليه السلام واتباعه من اصحابه الكرام ، ولما عوتب عمر فى بذاذة هيئته عند دخول الشام قال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز من غيره (وحمل السلعة) اى وتركه (فورد من حملها) اى سلعته ، وفى رواية بضاعته (فقد برى من الكبر) البيهقى عن ابى امامة . ولا بى يعلى الموصلى عن ابى هريرة انه عليه السلام حمل سروا لا اشتراه لنفسه وابى ان يحمله غيره وقال « صاحب المتاع احق بحمله » وعن على لرم الله وجهه .

لا ينقص الكامل من كماله • ماجر من شىء الى عياله

وكان ابو عبيدة بن الجراح - وهو امير - يحمل سطلاله من خشب الى الحمام . وقال ثابت بن مالك : رأيت ابا هريرة اقبل من السوق ويحمل حزمة من حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال : اوسع الطريق للامير يا ابن مالك . وعن الاصمغ بن ابى بنانة قال : كأنى انظر الى عمر معلقا لحا فى يده اليسرى وفى يده اليمنى الدرة يدور فى الاسواق حتى دخل رحله . وقال بعضهم : رأيت عليا يشتري لحا بدرهم لحمله فى ملحفته ، فقلت له : احمل عنك يا امير المؤمنين ، فقال : لا ابو العيال احق ان يحمل . ويروى ان عبد الله بن سلام حمل حزمة حطب فقيل له : يا ابا يوسف قد كان فى غلمانك ويتك ما يذفونك

وَاحْتِمَالِ الْاِذَى فَهُوَ الْاَصْلُ الْمَأْثُورُ وَلِبَاسِ الدُّونِ فَوَرَدَ «مَنْ تَرَكَ زِينَةَ اللَّهِ
وَوَضَعَ ثِيَابًا حَسَنَةً تَوَاضَعًا لِلَّهِ وَابْتِغَاءَ وَجْهِهِ كَانَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ عِبْقَرَى
الْجَنَّةِ وَنَزَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجَدِيدَ وَلَبَسَ الْعَتِيقَ لِلتَّعْلِيمِ أَوْ الْبُعْدِ عَنِ الْوَسْوسَةِ
إِلَّا لِلنَّظَافَةِ

فقال اجل ، ولكنى اردت ان اجرب نفسى هل تنكر ذلك منى ، فلم يقنع منها . بما اعطيه
من العزيمة على ترك الانفة حتى يجربها اهي صادقة ام كاذبة ؟ وروى ان عمر بن الخطاب
حمل قربة على عنقه فقال له اصحابه : يا امير المؤمنين ما حملك على هذا ؟ فقال : ان نفسى
اعجبتنى فاردت ان اذلها ، وروى ان ابا موسى قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة
بسبب ثيابهم فلبس عباءة صلى فيها بالناس (واحتمال الاذى) اى وتركه (فهو)
اى احتمال الاذى من السب وغيره (الاصل) الذى عليه مدار حسن الخلق
والتواضع للحق (المأثور) المروى عن السلف والخلف خلافا لالة الحشيش والملف ،
وقد قدمنا ما نقل عنهم فى ذم الغضب وما يتعلق به من الادب (ولباس الدون) اى
وترك اللباس الحسن او الخلق او المرقع (فورد) من ترك زينة الله ووضع ثيابا حسنة)
اى دفعها مع القدرة عليها (تواضعا لله وابتغاء وجهه) اى لالرياء والسمعة فى حقه
(كان على الله) اى واجبا بمقتضى وعده (ان يدخر له عبقرى الجنة) اى دياجها
من سندسها واستبرقها ، ابو سعد المالينى فى مسند الصوفية ، وابو نعيم فى الحلية من
حديث ابن عباس : من ترك زينة الدنيا لله الحديث . وقد ورد البذاذة من الايمان ،
ابوداود . وابن ماجه من حديث ابى امامة بن ثعلبة . وقال هارون : سألت عن معنى
البذاذة فقيل هو الدون من اللباس ، وقال زيد بن وهب : رأيت عمر بن الخطاب
خرج الى السوق ويده الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم اى جلده .
وعتب على فى ازاره مرقوع فقال : يقتدى به المؤمن ويخشم له القلب . وقال
عيسى عليه السلام : جودة اللباس خلاء القلب . وقال طاوس : ابنى لا غسل تولى
هذين فانكر قلبى ماداما تقيين . وقيل لسلان : الاتلبس ثوبا جيدا فقال انما انا عبد فاذا
اعتقت يوما لبست ، اشار به الى العتق فى الآخرة وما اعد الله لعبيده من الثياب الفاخرة
(ونزع عليه السلام الجديد) اى من الشراك والخميصة (ولبس العتيق) منهما
(للتعليم) اى لتعليم غيره (او البعد عن الوسوسة) فى نفسه على ما تقدم (الا للنظافة)

فَوَرَدَ نَفْيُ الْكِبَرِ فِي حُسْنِ الثِّيَابِ لِمَعْرِفَةِ حَالِ السَّائِلِ، وَيَعْرِفُ بِتَسْوِيَةِ الْخَلَاءِ
وَالْمَلَأِ وَالْغَضَبِ عَلَى مَنْ لَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ وَالْإِهْتِمَامِ بِأَصَابَةِ الْخَصْمِ الْمُنَاطِرِ
وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ

أى بقصدها فانه حينئذ لا بأس بترك الدون من اللباس ولبس الثوب الفاخر كسائر
الناس (فورد نفى الكبر في حسن الثياب لمعرفة حال السائل) أى لمعرفة عليه السلام
لحال السائل ومقامه من المرام ، ففى الطبرانى من حديث ثابت بن قيس بن شماس
انه سأل النبى عليه السلام وقال : انى امرؤ قد حجب الى من الجمال ماترى فهل من
الكبر ؟ فقال لا ، ولكن من سفه الحق اى جملة وانكره ، وغمص الناس اى حقروهم .
رواه احمد من حديث عقبة بن عامر . وفى رواية مسلم عن ابن مسعود د الكبر من
بطر الحق وغمص الناس ، وفى رواية الترمذى « من بطر الحق وغمص الناس » وقال
حسن صحيح ، وفى رواية ابن بكار عن ابن مسعود قال د جاء رجل الى رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فقال انه ليعجبنى ان يكون ثوبى غسिला ورأسى دهينا وشراك فعلى
جديدا وذكر اشياء حتى ذكر علاقة سوطه أفن الكبر هذا ؟ فقال عليه السلام لا هذا
من الجمال والله يحب الجمال لكن الكبر من سفه الحق وظلم الناس » (ويعرف)
أى حال من يلبس للنظافة ، أو كونه مظهرا للغنى شكرا للنعمة ، أو كونه فقيرا يرى نفسه
غنيا للعفة (بتسوية الخلاء والملأ) عنده فى لباسه للنظافة ونحوها بان يلبس فى الخلاء
للصلاة وغيرها د يلبس فى الملأ عند حضور الجماعة ونحوها ، ثم المحبوب الوسط
المطلوب ، فللنسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده د ظوا
واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير اسراف ولا بخيلة » (والغضب) بالرفع عطف
على الترفع ، اى ومن آثار الكبر الغضب (على من لا يبدأ بالسلا) اولا يبادر
بالقيام ونحوه من انواع الاكرام (والاهتمام) بالرفع أى والاهتمام (بأصابة الخصم
المناطر) اى المجادل فى منقوله (والانكار عليه) اى وبانكار الخصم عليه فى معقوله ،
وتوضيحه ان يناظر فى مسألة مع واحد من أقرانه ، فان ظهر شئ من الحق على لسان
صاحبه فنقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه
الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دقيقا فليتنق الله ولا يشتغل بعلاجه ، اما من حيث العلم
فبان يذكر نفسه خيبة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى ، واما بالعمل

وَأَفَاتُهُ مُنَازَعَتُهُ تَعَالَى فَوَرَدَ «الْكِبْرِيَاءُ رَدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا قَصَمْتُهُ» وَبَغْضُهُ تَعَالَى فَوَرَدَ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَعَمَى الْقَلْبُ فَوَرَدَ (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ - وَيَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا)، وَالذَّلُّ

فَبِأَن يَكْلَفَ نَفْسَهُ مَا ثَقُلَ عَلَيْهِ مِنَ الْاعْتِرَافِ بِالْحَقِّ فَيَطْلُقَ لِسَانَهُ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ، وَيَقْرَأَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْعِجْزِ فِي الْإِدَاءِ وَيَشْكُرُهُ عَلَى الْإِسْتِفَادَةِ وَيَقُولُ : مَا أَحْسَنَ مَا فَطَنْتُ لَهُ مِنَ الْإِفَادَةِ وَقَدْ كُنْتُ غَافِلًا عَنْهُ فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا عَلَى مَا نَبَهْتَنِي لَهُ فَالْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَإِذَا وَجَدَهَا فَيَنْبَغِي أَنْ يَشْكُرَ مِنْ دَلِهِ عَلَيْهَا •

(وَأَفَاتُهُ) أَيُ الْكِبَرِ سِتَّةُ (مُنَازَعَتُهُ تَعَالَى) أَيُ فِي مُشَارَكَتِهِ سُبْحَانَهُ فِي بَعْضِ صِفَاتِهِ (فَوَرَدَ) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : وَغَيْرِهِ (الْكِبْرِيَاءُ رَدَائِي) أَيُ بِمَنْزِلَتِهِ فِي إِظْهَارِ مُلْكِي وَجِبْرَوْتِي (وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي) أَيُ بِمَنْزِلَتِهِ فِي إِسْرَارِ مُلْكُوْتِي وَالْمَعْنَى أَنَّهُمَا صِفَتَانِ مُخْتَصِمَتَانِ بِي كَمَا أَنَّ رَدَاءَ الْإِنْسَانِ وَإِزَارَهُ مُخْتَصِمَانِ بِهِ وَلَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي لِبْسِهِ (فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا) أَيُ وَاحِدًا مِنْهُمَا كَمَا فِي رَوَايَةِ (قَصَمْتُهُ) أَيُ أَهْلَكْتُهُ، وَفِي رَوَايَةِ عَذْبَتِهِ، وَفِي أُخْرَى أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ، وَفِي أُخْرَى قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ (وَبَغْضُهُ تَعَالَى) أَيُ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (فَوَرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) وَمِنْهُ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَاضِعِينَ (وَعَمَى الْقَلْبُ) بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ (فَوَرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي) أَيُ الْمُنْصَوْبَةِ فِي الْآفَاقِ وَالْإِنْفُسِ مِنْ مَصْنُوعَاتِي. وَقِيلَ فِي التَّفْسِيرِ سَادَفَعَ فَهَمَّ الْقُرْآنُ عَنْ قُلُوبِهِمْ (الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ) تَمَامُهُ (فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَازِيرُوا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا) وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) وَفِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ سَأَحْجِبُ قُلُوبَهُمْ عَنْ مَشَاهِدَةِ مُلْكِي وَمُلْكُوْتِي وَعَجَائِبِ قُدْرَتِي وَغَرَائِبِ جِبْرَوْتِي. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : سَأَصْرِفُهُمْ عَنْ أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِيهَا وَيَعْتَبَرُوا بِهَا، وَلِذَا قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ الزَّرْعُ يَنْبِتُ فِي السَّهْلِ لَا فِي الْوَعْرِ، وَكَذَلِكَ الْحِكْمَةُ تَنْمُو فِي قَلْبِ الْمُتَوَاضِعِ دُونَ الْمُنْتَكِبِ الْآخِرَى أَنَّ مَنْ تَمَشَّحَ بِرَأْسِهِ إِلَى السَّقْفِ شَجَّهَ وَمَنْ طَاطَأَ أَظْلَهُ وَاسْتَكْبَرَ (وَيَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ) بِالْإِضَافَةِ وَدُونِهَا (جَبَّارٌ) مُبَالِغٌ فِي الْفُسَادِ مِنْ قَهْرِ الْعِبَادِ وَكُسْرِ الْبِلَادِ (وَالذَّلُّ) أَيُ الْمَذَلَّةُ فِي الْعَاقِبَةِ وَالْمُهَانَةُ فِي الْآخِرَةِ. فَلَا تَرْمِذِي وَحُسْنُهُ مِنْ رَوَايَةِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ (الْمُسْتَكْبِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ الذَّرِّ يَطُومُ النَّاسُ لِهَوَانِهِمْ عَلَى اللَّهِ) وَعَنْ

وَالْبَعْثُ عَلَى الذَّمَامِ كَتَغْيِيرِ الْخَلْقِ وَالْجَحْدُ عَنِ الْحَقِّ وَالْحَجْبُ عَنِ الْفَضَائِلِ كَالْتَوَاضُعِ
وَالْحِلْمِ وَالنَّصِيحَةِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَسْتَلْزِمُهُ، فَالْعَبْدُ الرَّقِيبُ يَضْرِبُ وَلَدَ
الْمَوْلَى عِنْدَ الْأَسَاءَةِ وَيَتَوَاضَعُ لَهُ، ثُمَّ التَّخَاسُّسُ كَتَأْخُرِ الْعَالَمِ عَنِ الْخَصَافِ
مَذْمُومٌ أَيْضًا كَعَكْسِهِ

حاتم : اجتنب الموت على ثلاثة : على الكبر والحرص والخلاء ، فاز المتكبر لا يخرج به
الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من ارذل اهله وخدمه ، والحريص لا يخرج به الله
تعالى من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة ولا يجد مساعدا ، والمختال لا يخرج به الله
تعالى من الدنيا حتى يمرغه ببوله وقذره (والبعث) اى التحريض والحث (على
الذمائم) من صفات البهائم (كتغير الخلق) من اثر سوء الخلق كالإشاشة الى العبوسة
(والجحد عن الحق) اى بانكاره وعدم اقراره ، وقد سبق فى الحديث تفسير الكبر
المذموم به ، ومنه البعد عن اهل الحق فقد قالت قريش لرسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم : كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء الفقراء ؟ فنزل قوله تعالى : (ولا تطرد الذين
يدعون ربهم) رواه مسلم وابن ماجه (والحجب) اى ومنعه (عن الفضائل)
وحجزه عن حسن الشرائع (كالتواضع) للحق (والحلم) عن الخلق (والنصيحة)
للعمامة من غير الفضيحة (والامر بالمعروف) اى ولذا انتهى عن المنكر (ولا يستلزمه)
اى الامر بالمعروف التكبر (فالعبد الرقيب) بأمر الحبيب (يضرب ولد المولى
عند الاساءة ويتواضع له) مع ذلك بعد تلك الحالة (ثم التخاصس) اى طالب
الحسة المسمى بالضعفة وهو الافراط فى التواضع (كتأخر العالم عن الخصاص) ونحوه
من الداف والعلاف فى المجلس او الطريق (مذموم ايضا كعكسه) وللغوى . وابن
قانع والطبرانى والبيهقى من حديث انس « طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وانفق
ماله لجمعه فى غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وغالط اهل الفقه والحكمة » ،
ومن ذلك حديث « من تواضع لغنى لغناه ذهب ثلثا دينه » البيهقى فى الشعب عن
ابن مسعود من قوله « من خضع لغنى ووضع له نفسه اعظاما له وطما عافيا قبله ذهب
ثلثا دينه » وذلك لان آلة العبادة قلب ولسان وادكان ، وفى تعظيم الغنى لا بد من
اهتمام اللسان والجوارح . وله عن انس بلفظ « من أصبح حزينا على الدنيا أصبح

فَالْتَوَاضِعُ مَعَهُ يَعْدَمُ الْإِسْتِحْقَارَ وَظَهَارُ الْبُشْرِ وَالرَّفْقُ وَاجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَالسَّعْيُ فِي الْحَاجَةِ لَكِنِ التَّكْبَرُ الْخَشْيُ، وَالسَّبَبُ الْعَجَبُ فَقَطْ

ساخطا على ربه ، ومن أصبح يشكو مصيبته قائما يشكوره ، ومن دخل على غنى فتضعضع له ذهب ثلثا دينه » و اخرج الديلمي من حديث أبي ذر « لعن الله فقيرا تواضع لغنى من اجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه » وكذا ابو داود ، ولم يصب ابن الجوزى في ذكره في الموضوعات كما قاله السيوطي . ومن التخاصس بل اخسه ان يمشى العالم خلف الظالم ، ولذا قيل : بقس الفقير على باب الامير ، ونعم الامير على باب الفقير . وعن يحيى بن معاذ : التكبر على ذى التكبر عليك بماله تواضع . ويقال : التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن ، والتكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح ، وكان بشر الحافي يقول : سلوا على ابناء الدنيا بترك السلام (فالتواضع معه يعدم الاستحقار) فعن الصديق « لا يحقرن احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير » ولمسلم من حديث ابى هريرة « بحسب امرى ، من الشر ان يحقر اخاه المسلم » (و اظهر البشر) وفق مرامه (والرفق) بحسب مقامه (واجابة الدعرة) فكان عليه السلام يجيب دعوة المملوك ونحوه (والسعى في الحاجة) لقوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) وحديث « من كان في عون اخيه المؤمن كان الله في عونه » فالعدل ان يعطى كل ذى حق حقه فقد ورد اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ، (لكن التكبر الخش) من التخاصس اذورد عن بعض المشايخ ما يقاربه وكأنه كان في مقام المعالجة .

(والسبب) أى سبب التكبر الحقيقى (العجب فقط) أى العجب سبب التكبر والكبر سبب التكبر ، فسبب سبب الشئ سبب لذلك الشئ وهو مذموم ، قال تعالى : (ويوم نحين اذا عجبتمكم كثيرا) ذكر ذلك الاخبار في معرض الانكار . ولابى داود والترمذى وحسنه . وابن ماجه « اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وعجاب على ذى رأى برأيه فعليك بنفسك » وللبزار والبيهقى في الشعب من حديث أنس « لو لم تذبوا الخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب » وعن مطرف لان أبيت نائما أصبح نادما أحب الى من أبيت قائما وأصبح معجبا . وكان بشر بن منصور من الذين اذا رأوا ذكر الله فأنطال الصلاة يوما ورجل جالس خلفه ينظر ففطن له بشر ، فلما انصرف من الصلاة

وَيُطْلَقُ مَجَازًا لُجُودَ آثَارِهِ عَلَى الْمُنْبَعِثِ مِنْ غَيْرِهِ كَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ
وَيَخْتَصُّ هَذَا بِالْمَلَأِ، وَالْعَلَّاجُ ذَكَرُ مَا وَرَدَ فِيهِ وَأَحْوَالُ السَّلَفِ وَمُوَاطَّئَةُ
أَخْلَاقِ الْمُتَوَاضِعِينَ وَالتَّكَلُّفُ فِيهِ وَقَعُ الْعُجْبِ وَهُوَ اسْتِعْظَامُ النَّفْسِ وَخِصَالُهَا
الَّتِي هِيَ النَّعْمُ

قال لا يعجبك ما رأيت منى فان ابليس قد عبد مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار
اليه . وقيل لعائشة : متى يكون الرجل مسيئاً؟ قالت : اذا ظن انه محسن ، وكأنه مقتبس
من قوله تعالى : (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وفى الصحيحين « بينما رجل
يتبخر . فى برديه قد أعجبه نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة »
(ويطلق) أى الكبر (مجازاً أى بطريق المجاز) لوجود آثاره أى آثار الكبر
من أسرار (على المنبعث من غيره) أى على الكبر المنبعث من غير العجب (كالحقد)
فى الباطن (والحسد) أعم (والرياء) فى الظاهر (ويختص هذا) أى الأخير وهو الكبر
المنبعث من غير العجب (بالملا) دون الخلا . والمعنى أن الرياء يختص بالملا دون الحقد
والحسد والعجب فان الذى يتكبر بها يستوفى الخلا والملا .

والحاصل أن آثار الكبر اذا ظهرت من الكبر تسمى تكبراً حقيقة واذا ظهرت من غير
الكبر كالحقد والحسد والرياء تسمى تكبراً مجازاً ، ثم أعلم أن العجب انما هو بالاسباب التى
بها يتكبر وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأى الخطأ الذى تزين له بجهله ، وثمرته
الاستبداد بالرأى وترك المشورة واستجهاال الناس المخالفين لرأيه .

(والعلاج) أى علاج الكبر خمسة أشياء (ذكر ما ورد فيه) أى فى ذم الكبر من الاخبار
(وأحوال السلف الاخيار وما) صدر عنهم من الآثار فى ترك الكبر واختيار التواضع
(ومواطئة أخلاق المتواضعين) من العلماء الأبرار والمشايع الكبار (والتكلف فيه)
أى فى رفع العجب بدفع الحجب والتكلف فى تحصيل أخلاق المتواضعين بالتشبه فى
أفعالهم والتزين بأحوالهم والتصنع بأعمالهم فان المجاز قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة
الاخلاص ، ويشير اليه حديث دان لم تبكوا فتباكوا والعلم بالتعلم والحلم بالتحلم ، (وقلع
العجب) أى استنصاله من أصله وقطعه من مادة فرعه وفصله من وصله ولا يحصل أصل
قلعه الا بقلع الحقد والرياء والحسد من قلبه (وهو) أى العجب (استعظام النفس)
أى عداها عظيمة برؤية قدرها فوق قدر غيرها (وخصالها التى هى الذم) فيها جسيمة ووسيمة

مَعَ الرُّكُونِ إِلَيْهَا وَنِسْيَانُ الْإِضَافَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَالْأَمْنُ مِنَ الزَّوَالِ فَمَنْ رَأَى
النَّعْمَةَ مِنْهُ تَعَالَى وَفَرِحَ بِهَا مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا مِنْهُ وَخَافَ عَلَى الزَّوَالِ لَا يَكُونُ مُعْجَبًا
وَهُوَ غَيْرُ الْإِدْلَالِ فَهُوَ مُعْجَبٌ مَعَ رُؤْيَا حَقِّ النَّفْسِ عِنْدَهُ تَعَالَى، فَوَرَدَ «إِنَّ صَلَاةَ
الْمُدَلِّ لَا تَرْفَعُ فَوْقَ رَأْسِهِ، وَيَعْرِفُ بِالتَّعَجُّبِ عَنْ رَدِّ دُعَائِهِ وَاسْتِقَامَةِ حَالِ
مُؤْذِيهِ وَغَيْرِ الْكِبَرِ لِكَوْنِهِ أَثَرُهُ وَاسْتِدْعَاؤُهُ الْمُتَكَبِّرَ عَلَيْهِ وَهُوَ مَذْمُومٌ وَآفَاتُهُ
الْهَلَاكُ فَهُوَ عَدَمُ الْمُهْلِكَاتِ

(مع الركون إليها) أى إلى النفس وما صدر منها وظهر عليها (ونسيان الإضافة) أى نسبة
النعم (إليه تعالى) وهو المنعم بجميع النعم على جميع الأمم (والأمن من الزوال) لتوهم
أنه من أهل الكمال (فمن رأى النعمة منه تعالى) ابتداء (وفرّح بها من حيث أنها منه) أى من
الله تعالى ويستوجب عليه حمدا وثناء (وخاف على الزوال) أى زوال تلك النعمة انتهاء
(لا يكون معجبا) وإن كان مستعظما لها (وهو) أى العجب (غير الإدلال فهو) أى
الإدلال (عجب مع رؤية حق النفس عنده تعالى) على مظنة أن لها الكمال، فلا مدل
إلا وهو معجب ورب معجب لا يكون مدلا، وإذا العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة
دون توقع جزاء، والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء (فورد إن صلاة المدل لا ترفع فوق
رأسه) وهو كناية عن عدم قبولها، والحديث كذا في الأحياء، وقال مخرجه لم أجده أصلا،
وقال قتادة في قوله تعالى: (ولا تمنن تستكثر) أى لا تدل بعملك قيل: ولأن تضحك وأنت
معتزف بذنبك خير من أن تبكى وأنت مدل بعملك أو بعلمك (ويعرف) أى الإدلال
والمدل (بالتعجب) أى بعجبه (عن رد دعائه) حال استدعائه في كشف بلائه أو استجلاب
عطائه بناء على ظن أنه من أهل ولائه (واستقامة حاله مؤذيه) أى ويعرف أيضا بتعجبه
عن استقامة أهل إيدائه (وغير الكبر) أى والعجب ليس عين الكبر بل غيره (لأنه)
أى الكبر (أثره) أى العجب والأثر غير المؤثر (واستدعائه) أى ولا استدعائه الكبر
(المتكبر عليه) بخلاف العجب فإنه يتصور بغيره حيث لا يستدعى غير المعجب به
(وهو) أى العجب (مذموم) لما تقدم (وآفاته) أى العجب ثمانية (الهلاك فهو)
أى العجب (عد من المهلكات) فقد ورد «ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع

وَنَسِيَانُ الذُّنُوبِ وَاسْتَحْقَارُهَا وَتَرْكُ التَّدَارُكِ وَتَفَقُّدُ آفَاتِ الْعَمَلِ عَلَى زَعْمِ
أَنَّهُ مَغْفُورٌ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِهِ تَعَالَى وَالْإِسْتِنكَافُ مِنَ التَّعَلُّمِ وَالْإِتْعَازُ وَتَرْكِ
النَّفْسِ، وَوَرَدَ (فَلَا تَزُكُوا أَنْفُسَكُمْ) وَضِدُّهُ وَهُوَ ذِكْرُ تَوْفِيقِهِ تَعَالَى فَرَضَ أَنْ
حَدَّثَ دَاعِيَةَ الْعُجْبِ فِي خَاطِرِهِ وَالْإِنْفِلَ، وَالسَّبَبُ خُبْتُ الطَّبَعِ وَهُوَ دَاءُ
مَعْضَلٍ، وَالْجَهْلُ بِالْحَقَائِقِ وَاعْتِقَادُ كَيْلِ النَّفْسِ

وَأَعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ الْبِزَارُ وَالْبِيهْقَى وَالطَّبْرَانِي فِي الْأَوْسَطِ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ (وَنَسِيَانُ
الذُّنُوبِ) فَانْه لَوْ ذَكَرَهَا لَمَّا أَعْجَبَ مَعَ وَجُودِ الْغُيُوبِ . وَعَنْ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :
« كُمْ مِنْ سِرَاجٍ قَدْ أَطْفَأَهُ نَسِيَانُ الذُّنُوبِ ، وَكُمِنْ عَمَلٍ قَدْ أَفْسَدَهُ الْعُجْبُ ، (وَاسْتَحْقَارُهَا)
أَيِ اسْتِصْغَارِ الذُّنُوبِ وَهُوَ قَدْعِدْ مِنْ كِبَارِهَا (وَتَرْكُ التَّدَارُكِ) أَيِ لَمَّا فَاتَهُ مِنَ الطَّاعَاتِ
وَالْعِبَادَاتِ وَحَقُوقِ الْآدَمِيِّينَ وَالْحَيَوَانَاتِ (وَتَفَقُّدُ آفَاتِ الْعَمَلِ) أَيِ وَتَرْكُ تَفَقُّدِهَا
وَتَعَهُدِهَا (عَلَى زَعْمِ أَنَّهُ مَغْفُورٌ) أَيِ بِنَاءٍ عَلَى تَوْهَمِ أَنَّهُ غَيْرُ مَا خُذَ بِنَقْصِهَا (وَالْأَمْنُ
مِنْ مَكْرِهِ تَعَالَى) وَلَوْ بِالْكَرَامَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ (فَانْه لَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْخَاسِرُونَ) (وَالْإِسْتِنكَافُ) أَيِ الْعَارِ (مِنَ التَّعَلُّمِ) عَنِ الْإِبْرَارِ وَهَذَا مِنْ كَيْلِ جَهْلِهِ
(وَالْإِتْعَازُ) أَيِ مِنَ الْإِتْعَازِ بِغَيْرِهِ وَقَدْ وَرَدَ كُنْفِي بِالْمَوْتِ وَاعْظَاوُ السَّعِيدِ مِنْ وَعْظِ بَغِيرِهِ
وَالشَّقَى مِنْ وَعْظِ بِهِ غَيْرِهِ (وَتَرْكِ النَّفْسِ) أَيِ وَمِنْ آفَاتِ الْعُجْبِ ثَنَاؤُهَا وَمَدْحُهَا
(وَوَرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (فَلَا تَزُكُوا أَنْفُسَكُمْ) تَمَامُهُ (هُوَ أَعْلَمُ مِنَ اتَّقَى) وَقَالَ تَعَالَى : (وَنَفْسٍ
وَمَا سَوَاهَا فَالْهَذَا لِحُرَرِهَا وَتَقْوِيهَا قَدْ أَفْلَحَ مِنْ زَكِيَّهَا وَقَدْ خَابَ مِنْ دَسِيسِهَا) وَقَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُمَّ آتْ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكَاةً أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَاةً أَنْتَ وَإِيَّاهَا وَمَوْلَاهَا .
قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : مَعْنَى قَوْلِهِ فَلَا تَزُكُوا أَنْفُسَكُمْ إِذَا عَمِلْتَ خَيْرًا فَلَا تَقُلْ عَمِلْتُ . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ
لَا تَبْرُوَهَا أَيِ لَا تَعْتَقِدُوا أَنَّهَا بَارَةٌ وَهُوَ مَعْنَى الْعُجْبِ (وَضِدُّهُ) مُبْتَدَأُ أَيِ ضِدِّ الْعُجْبِ
(وَهُوَ ذِكْرُ تَوْفِيقِهِ تَعَالَى) جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ مَفْسُورَةٌ لِلْمَنْعَةِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْعُجْبِ (فَرَضَ)
أَيِ حَتَمَ لِأَنَّهُ لَزِمَ (أَنْ حَدَّثَ دَاعِيَةَ الْعُجْبِ فِي خَاطِرِهِ وَالْإِنْفِلَ) فِي أَمْرٍ بَاطِنٍ وَظَاهِرٍ
(وَالسَّبَبُ) أَيِ سَبَبِ الْعُجْبِ (خُبْتُ الطَّبَعِ وَهُوَ) أَيِ خُبْتُ الطَّبَعِ (دَاءُ) مَعْنَى
(مَعْضَلٍ) أَيِ مُشْكَلٍ لِأَدْوَاءِهِ (وَالْجَهْلُ بِالْحَقَائِقِ وَاعْتِقَادُ كَيْلِ النَّفْسِ) أَيِ بِحَقَائِقِ
النَّفْسِ وَدَقَائِقِهَا وَهُوَ أَنَّهَا مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَتْ ابْتِدَاءً وَمَا تَكُونُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهَا أَنْتَاهَا فَانْه

وَالْعَلَّاجُ قَلْعُ السَّبَبِ بِالنَّظَرِ فِي حَقَّارَةِ النَّفْسِ فَأَوْهَلُهَا النُّطْفَةُ وَآخِرُهَا الْجِيفَةُ وَأَنَّهُ

مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل فإنه لا يابق به إلا التواضع والمسكنة ، وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله وحده ، ثم معرفة ربه وعظمته ومجده ، فالقول فيه يطول وهو إلى علم المكاشفة يؤل . وأما معرفة نفسه فيكفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب ربه ففيه علم الأوين والآخرين لمن فتح عين بصيرته ورفع حجاب قلبه فقد قال تعالى (قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره) وفي الأحياء هنا كلام طويل فيه تنبيه جزيل (والعلاج) للعجب (قلع السبب) له (بالنظر) أي بالتأمل (في حقارة النفس) وخساستها (فأولها النطفة) أي المذرة لما قال تعالى : (فليظفر الإنسان من خالق خالق من ماء دافق يخرج من بين الصائب والترائب) (وآخرها الجيفة) أي القذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة ، وعن الحسن : العجب لابن آدم يغسل الخراء بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات ، وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريرته ، فجاءه يوما ومصعب ، أدرجليه فلم يقبضهما وقعدا الأحنف فزحمه بهض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه ، فقال عجبنا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ، وقيل في قوله تعالى : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) هو سبيل الغائط والبول ، وفي قوله تعالى : (كانا يأكلان الطعام) أيما إلى أنهما يولان ويذوطان (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر اني يؤفكون) أي يصرفون عن الحق ولا يعرفون أنهما لا يستحقان الروبية مع ما ظهر فيهما من أثر العبودية ، ولابن ماجه والحاكم وصحيح أسناده من حديث بشر بن جحاش : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول الله : لابن آدم اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وتيد - أي رزاة وثقاله - جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت اتصدق واني . أو ان الصدقة منك » ويروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب بن أبي صفرة وهو يتبختر في جبة خز فقال : يا أبا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله ، فقال له المهلب : أما تعرفني . فقال لي اعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل بين ذينك عذرة ، فمضى المهلب وترك مشيته . وقال مجاهد في قوله تعالى : (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أي يتبختر ثم قال عز وعلا : (يحسب الإنسان ان يترك سدى الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقه مخلوق فسوى) (وانه) أي وبالنظر

لَوْ اسْتَأْذَنَ عَلَى أَمِيرِ الْبَلَدَةِ رُبَّمَا لَا يَأْذَنُ لَهُ وَأَحْوَالُهَا الْهَاجِمَةُ كَالْمَحْنِ وَالشَّدَائِدِ

في انه (لو استأذن) للدخول (على امير البلدة ربما لا يأذن له) اى لحقارته عنده ، فإى فائدة في عجزه بنفسه والامير من ارذل الخدام على باب الملك العلام ، وقد اذن الله سبحانه حتى يعبد له ويثنى عليه ويتوجه اليه ويرضى بركعتيه مع معايبهما ووعد به من الثواب الجزيل على ادائهما في اقل مراتبهما (واحوالها) اى وبالنظر في احوال النفس (الهاجمة) اى الآتية بغتة بالورود عليها والوجود لدنياها (كالمحن والشدائد) المتوجبة اليها من الفقر والمرض وسائر المصائب ، وربما يتعجب من تفاوت المراتب اذ رزقه الله عقلا وافقره وافاض على غيره المال مع كونه جاهلا واقدره ، فيقول منى من قوت يومى وانا الفاضل العاقل ، وافاض على غيرى وهو الجاهل الغافل ، حتى يكاد يرى هذا ظلما كما يشير اليه قوله عليه السلام « كاد الفقر ان يكون كفرا » ولا يدركى المغرور بعلمه المعذور في جهله بانه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبا في ظاهر الحال ، اذ يقول الجاهل الفقير : يارب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتنى منهما فهلا جمعتهمالى او هلا رزقتنى احدهما ، والى هذا اشار على لرم الله وجهه حيث قيل له : ما بال العقلاء فقراء . فقال : ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما رأى الجاهل الغنى احسن حالا من نفسه ، ولو قيل له : هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لا تمتنع من ذلك ، ومن هنا قال تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) الآيات . وقال عز وعلا (كل حزب بما لديهم فرحون) وفى الحديث « اللهم قنعنى بما رزقتنى » والله در القائل .

رضينا قسمة الجبار فينا ه لنا علم والاعداء مال

فان المال يفنى عن قريب ه وان العلم يبقى لا يزال

وقال عز وجل (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) أى ممنوعا عن احد من خلقه ، وقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا) فيعلم من يصلح للفقر ومن يصلح للغنى ومن يصلح للجمع بينهما . وقد رأى النبى ﷺ رجلا غنيا جلس لجنبه فقير فاقبض منه وجمع اليه ثيابه فقال عليه السلام « أخشيت ان يعدو عليك فقره » رواه أحمد . وقال أبوذر : « كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل المسجد فقال لى يا أباذر ارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه ثياب جواد ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه خلقان

وَأَعْمَالُهَا فَاجِرَةٌ أَجِيرٌ يَعْمَلُ طُولَ النَّهَارِ أَوْ يَجْرُسُ طُولَ اللَّيْلِ دَرَهْمَانِ وَإِنَّمَا يُعْطَى الْمَالُ الْخَسِيسُ بِالِاسْتِخْدَامِ عَلَى الدَّوَامِ وَالْإِلْقَاءِ فِي الْأَخْطَارِ، وَكَرَمُهُ تَعَالَى بِالتَّوْفِيقِ وَوَعْدُهُ الثَّوَابِ الْمُخْلَدِ عَلَى سَاعَةٍ مِنَ الْعَمَلِ الْمَعْيُوبِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ مَعَ جَلَالِهِ الَّذِي عَجَزَ الْعَالَمُونَ عَنْ ادْرَاكِهِ، وَبِمَعْرِفَةِ أَنَّ الْكَمَالَ الدُّنْيَوِيَّ وَهْمِيٌّ كَمَا سَبَقَ وَالْدِّينِيَّ يُنَافِيهِ فَالْعِلْمُ النَّافِعُ مَا يَزِيدُ خَوْفًا مِنْهُ تَعَالَى

فقال يا اباذر هذا خير عند الله من قراب الارض مثل هذا، رواه ابن حبان في صحيحه ﴿واعمالها﴾ اي وبالنظر في اعمال النفس اي من اعمالها واعمالها ﴿واجرة اجير يعمل طول النهار او يجرس﴾ ذلك الاجير ﴿طول الليل درهمان﴾ اي لذلك الاجير او لكل منهما، اذ يعلم به ان اعمال العباد انما صارت ذات قيمة لما وقع من الله في موقع الرضا والقبول والا فاجره اجر الاجير المعمول، وبه يعرف نقصان كمالها فيضعف حينئذ بعض دلالها ﴿وانما يعطى المال الخسيس بالاستخدام على الدوام﴾ في العمل النفيس ﴿والإلقاء في الاخطار﴾ كالغوص في الماء وتعليق البناء من جانب الهواء في جو السماء، وانت تصلى ركعتين في غمضة العين بقوة ما اعطاك الله من النعم الظاهرة والباطنة، وتطعم ما وعدك من الدرجات الداخلة في الدار الآخرة فتعجب منهما وتستعظمهما وليس هذا شان العاقل ﴿وكرمه تعالى﴾ اي وبالنظر الى كرمه ولطفه ﴿بالتوفيق﴾ اي بالاعانة على الطاعة والعبادة ﴿ووعده﴾ اي وبوعده سبحانه ﴿الثواب المخلد﴾ اي المؤبد مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما ورد في الخبر ﴿على ساعة من العمل المعيوب﴾ في حد ذاته المخلوط بسائر سيئاته ﴿والنظر﴾ اي وكرمه بنظره ﴿اليه﴾ واقباله عليه وهو حقير ذليل في مقداره ﴿مع جلاله﴾ اي عظمة الله في جماله ﴿الذي عجز العالمون﴾ من الانبياء والاولياء ﴿عن ادراكه﴾ اي ادراك كنه كماله ﴿وبمعرفة﴾ عطف على بالنظر اي وبعلم ﴿ان الكمال الدنيوي﴾ من النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار من الرجال ﴿وهي﴾ لزواله بالموت في مآله ﴿كما سبق﴾ في حب الجاه ﴿والديني﴾ من العلم النافع والعمل الصالح ﴿ينافيه﴾ اي العجب ﴿فالعلم النافع﴾ في الدنيا والاخرى ﴿ما يزيد خوفا منه تعالى﴾ كما قال تعالى ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وورد

وَلَا عِبْرَةَ لغيرِهِ وَلَا عَمَلَ دُونَهُ فَهُوَ شَرْطُهُ هَذَا وَلَا يَصْلُحُ النَّسَبُ لِلتَّعْوِيلِ فَهُوَ تَعَزُّزٌ
بِالْغَيْرِ وَوَرَدَ (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ) يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَيَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
إِعْمَلَا لَا نَفْسَكُمَا فَاَنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمَا شَيْئًا، حِينَ نَزَلَ قَوْلُهُ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ)

« انا أعلمكم بالله واخشاكم منه » ومن لم يزد من العلم زهدا لم يزد من الله الا بعدا
(ولا عبرة لغيره) اي غير العلم النافع فقد تعوذ منه عليه السلام حيث قال « اسألك
علما نافعا » واعوذ بك من دلم لا ينفع ، واعلم ان العلم هو معرفة العبودية والربوبية ،
واما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والنحو والشعر وفصل الخطاب وطريق
المجادلات ، فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ بها ، امتلأ بها كبرا وشقا قابل كفر او نفاقا ، وهذه
العلوم تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما (ولا عمل) موجود (دونه)
اي بدون العلم (فهو) اي العلم (شرطه) اي العمل صحة كمالا فلا يستقيم لغيره
في جميع عمره (هذا) الكلام مضي ، او احفظ هذا (ولا يصالح النسب) اي المجرد
عن الحساب (للتعويل) اي الاعتماد عليه والاستناد اليه (فهو تعزز بالغير) اي
بغيره سبحانه ، فروى « من تعزز بالعبيد اذله الله » ولان داود والترمذي وحسنه
وابن حبان من حديث ابي هريرة « ليد عن قوم الفخر بابائهم وقد صاروا اخفافا في
جهنم او ليكونن اهلن على الله من الجمعان الذي تزوف بانافها القدر ، وتفاخرت
قريش عند سلمان يوما فقال : لكني خلقت من نطفة فذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم
ما لي الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لثيم ، وروى ابن المبارك « عن
ابي ذر قال قال رسول الله ﷺ فقلت له : يا ابن السرداء فقال عليه السلام :
يا اباذر طف الصاع طف الصاع اعيرته بامه ، ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل »
قال ابو ذر : فاصطحبت وقلت للرجل : قم فطأ على خدي . والله در الفائل :

اتن غفرت باباء ذوى شرف * لقد صدقت ولكن يس مارلدوا
(وورد) في التنزيل (فلا أنساب بينهم) تمامه (يومئذ ولا يتساءلون فمن
ثقلت موازينه) الآيات (يا فاطمة بنت محمد ويا صافية بنت عبد المطلب اعملالا نفسكما
فاني لا اغني) اي لا ادفع (عنكما شيئا) اي من العذاب (حين) اي خاطبهما
حين (نزل قوله وانذر عشيرتك الاقربين) ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة

وَلَا الْجَمَالَ فَلَا عَتَبَ لِلْبَاطِنِ وَهَمَّا مَمْلُوءَانِ بِالْأَقْدَارِ وَالرِّذَائِلِ، وَلَا الْمَالَ وَلَا الْقُوَّةَ
وَلَا الْإِتْبَاعَ فَوَرَدَ (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً) الْآيَةُ (فَقَالَ
لصَّاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) الْآيَةُ

وفي مسلم من حديث عائشة لما نزل قوله تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين) ناداهم
بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة الحديث وفيه «الان انما رحما سألها بيلالها» وللطبراني
من حديث عمر ان بن حصين د يامعشر بنى هاشم يأتي الناس بالاعمال يوم القيامة
وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم، وقال د اترجوسليم شفاعتي ولا يرجوها بنوع عبد
المطلب د الطبراني في الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر (ولا الجمال) اي
ولا يصلح للتعويل الجمال الظاهر المتغير في المال (فلا اعتبار للباطن) والقلب من
الكمال (وهما مملوءان بالاقدار) الحسية (والرذائل) المغنوية وخاليان عن الفضائل
العلمية والفواضل العملية، وللدبلي والقضاعي عن علي مرفوعا «آفة العلم النسيان وآفة
الجمال الخلاء» (ولا المال) لانه سريع الزوال (ولا القوة) اذ لا حول ولا قوة
الا بالله، ثم لوسله الذباب شيئا لم يستفذه منه، وان بقه لودخلت انفه او نمل دخلت
اذنه لقتلته، وان شوكه لودخلت رجله لا يجزته، وان حمى يوم تأخذ من قوة عديدة
مالات تجبر في مدة مديدة. ثم ان اقوى انسان لا يكون اقوى من حيوان، فاي افتخار
بين ارباب العظام بما سبق به البهائم، وقد حكى الله عن قوم عاد اذ قالوا من اشد منا
قوة (اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة) وكما اتكل عرج على قوته
واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فتقب الله تلك القطعة
من الجبل حتى صارت في عنقه كالخرزة، وقد ورد دليس الشديد بالصرعة انما الشديد
من يملك نفسه عند الغضب. والحاصل ان القوة المحمودة هي التي تصرف في العبادة
التي هي وسيلة للسعادة (ولا الاتباع) اي الاشياع الملتزمين للاتباع (فورد)
في التزويل (حتى اذا فرحوا) اي فرح بطر (بما اوتوا) اي من كثرة المال
وقوة الحال وغلبة الرجال (اخذناهم بغتة) فجأة (الآية) (فاذا هم مبلسون) اي
آيسون متحيرون (وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعدين) (فقال لصاحبه
وهو يحاوره) اي يخاطبه وينظره (الآية) اي (انا اكثر منك مالا واعز نفرا)
حتى اجابه صاحبه بقوله (ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فمسي ربي ان يؤتين

(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ) الْآيَةِ، وَلَا الْعَمَلُ فُورَدَ (وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) وَلَا الْعِلْمُ فَلَا طَّلَاعُ عَلَى الذُّنُوبِ الْبَاطِنَةِ صَعْبٌ، وَالْخَاتِمَةُ مَعَ هَذَا مُسْتَوْرَةٌ

خيرًا من جنتك ويرسل عليها حسبًا من السماء فتصبح صعيدًا زلقًا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبًا) ومن ذلك تكبر قارون وتجبره كما أخبر سبحانه عنه بقوله: (خُرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون) الْآيَاتِ (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ) أَيْ (وصاحبه وبنيه لكل أمره منهم يومئذ شأن يغنيه) (وَالْعَمَلُ) أَيْ الْمَجْرَدُ عَنِ الْقَبُولِ (فُورَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا) (وَبَدَّلَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) وَبَدَّلَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا عَمِلُوا) وَبِالْجُمْلَةِ مَنْ جُوزَ أَنْ يَكُونَ شَقِيًّا عِنْدَ اللَّهِ فَهَلْ سَبِيلٌ أَنْ يَتَكَبَّرَ عَلَى مَنْ سِوَاهُ، وَيُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) أَيْ يُؤْتُونَ الطَّاعَاتِ وَيَخَافُونَ مِنْ عَدَمِ قَبُولِهَا، فَالْكِبَرُ دَلِيلُ الْأَمْنِ وَالْأَمْنُ مَبْعَدُ التَّوَاضُّعِ دَلِيلُ الْخَوْفِ وَهُوَ مُسَعِدٌ (وَالْعِلْمُ) أَيْ الْمَجْرَدُ مِنَ الْعَمَلِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ (فَلَا طَّلَاعُ عَلَى الذُّنُوبِ الْبَاطِنَةِ صَعْبٌ) وَالْخُلَاصُ عَنْهَا بَعْدَ الْاطَّلَاعِ عَلَيْهَا لَا يُمْكِنُ إِلَّا إِذَا كَانَ هُنَاكَ كَسْبٌ وَوَهَبٌ، وَمِنْ هُنَاورد «أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه، وقد تقدم. وفي الصحيحين «يُوتَى بِالْعَالَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَذَلُّقُ أَقْبَابِهِ فَيَدْرَرُ بِهَا كَمَا يَدْرَرُ الْحَمَارُ بِالرَّحَى فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ مَا لَكَ أَفِيْقُولُ كُنْتَ آمَرَ بِالْخَيْرِ وَلَا آتِيَهُ وَأَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَآتِيَهُ وَقَدْ مَثَّلَ اللَّهُ مَنْ يَعْلَمُ وَلَا يَعْمَلُ بِالْحَمَارِ وَالْكَلْبِ فَقَالَ: (مِثْلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمِثْلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا) وَقَالَ فِي بُلْعَامَ بْنِ بَاعُورَ (وَآتَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي أُتِيَناه آيَاتِنَا) إِلَى قَوْلِهِ (فَمِثْلُهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَوْتَى بُلْعَامَ كِتَابًا فَأَخْلَدَ إِلَى شَهْوَاتِ الْأَرْضِ أَيْ سَكَنَ حُبَّهَا فَمِثْلُهُ بِالْكَلْبِ أَنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَاهُثُ أَوْ تَرْكُ يَاهُثُ، أَيْ سِوَاهُ آتِيَتْهُ الْحِكْمَةُ أَوْ لَمْ أَوْتَهِ فَلَا يَدْعُ شَهْوَتَهُ، وَمِنْ هُنَا كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ تَلِدْنِي أُمِّي، وَيَأْخُذُ الْآخَرُ تَبَنًى مِنَ الْأَرْضِ وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ هَذِهِ التَّبَنَةَ وَيَقُولُ الْآخَرُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ طَيْرًا كُلَّ ذَلِكَ خَرَفًا مِنْ خَطَرِ الْعَاقِبَةِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ (وَالْخَاتِمَةُ مَعَ هَذِهِ مُسْتَوْرَةٌ) وَالرَّوَايَاتُ بِأَنَّ الْمَدَارَ عَلَى الْخَاتِمَةِ مَشْهُورَةٌ فَيَنْبَغِي لِلْعَالَمِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ التَّكْبَرَ لَا يُلِيقُ إِلَّا بِاللَّهِ

وَالْمَعْصِيَةُ الْمُسْتَعْقِبَةُ نَدْمًا خَيْرٌ مِنَ الطَّاعَةِ الْمُسْتَعْقِبَةِ عَجَبًا لِأَضْمِحْلَاهَا مَعَ حُصُولِ
النَّدَامَةِ وَوَرَدَ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُنَجِّهِ عَمَلُهُ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ۝

وحده وإنه إذا تكبر صار ممقونا عند الله بغضاً، وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له إن
لك عندي قدراً ما لم تر لنفسك قدراً، وإذا نظر إلى العاقبة تيسر له أن يتواضع للفسفة
والمبتدعة بل للكفرة، فكم من مسلم نظر إلى عمر بن الخطاب قبل إسلامه فاستحققه للكفر وقد
رزقه الإيمان وفاق أكثر أهل الايقان، فاذا حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل أن ينظر إلى جاهل
قال: إنه قد عصى الله بجهل وأنا عصيت الله بعلم فهو أعذر مني، وإن نظر إلى عالم قال
قد علم ما لم أعلم، وإن نظر إلى كبير قال قد أطاع الله قبلي، وإن نظر إلى صغير قال:
قد عصيت الله قبله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالإسلام
ويختم لي بما هو عليه الآن من سوء المقام فليس دوام الهداية إلى ثلما لم يكن ابتداءها
إلى وكل ذلك بأن يعلم أن السكال في سعادة الآخرة والقرب من الله في المرتبة الفاخرة
الباقية لا فيما يظهر للناس من الدنيا من الأمور الفانية (والمعصية المستعقبة ندمًا)
أي ندامة وحسرة (خير من الطاعة المستعقبة: عجباً) أي غرور أو غفلة (لا ضمحلاها)
أي لذهاب المعصية (مع حصول الندامة) وبقاء العجب بالطاعة من غير الملامة وهو
أكبر من كل سيئة وفي الحكم معصية أورثت ذلاً واستصغاراً خير من طاعة أورثت عزاً
واستكباراً (وورد ما منكم من أحد ينجي عمله) أي من غير قبوله بفضل (ولأننا) أي
ولا ينجيني عملي أيضاً (إلا أن يتغمدني الله برحمته) متفق عليه من حديث أبي هريرة
هذا، وفي الأحياء: قد صلى حذيفة يقوم فلما سلم قال: لتأتسن أماً ما غيري أو لتصلن
وحدانا إنني رأيت في نفسي أنه ليس في القوم أفضل مني فإذا كان مثل حذيفة لا يسلم
من هذا فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة فما أعرف على بساط الأرض عالماً
يستحق أن يسمى عالماً ثم إنه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه
فلا ينبغي أن يفارق، بل يكون النظر إليه من العبادة فضلاً عن الاستفادة من أنفاسه
وأحواله، ولو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا إليه رجاء لأن تشملنا بركته وتسرى
إلينا سيرته وسجيته، وهيات فاني يسمع آخر الزمان بمثلهم فهم أرباب الأقيال وأصحاب
الدول، وقد انقضوا في القرن الأول ومن يليهم من أهل العلم والعمل، بل يعز في
زماننا عالم يختلج في نفسه الأسف والحزن والحسرة على فوات هذه الخصلة فذلك

﴿البَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ فِي الْاِخْلَاصِ وَالنِّيَّةِ وَالصَّدَقِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • الْاِخْلَاصُ تَجْرِيدُ النِّيَّةِ عَنِ الشُّوبِ فَالْاَعْلَى
إِرَادَةُ وَجْهِهِ تَعَالَى، وَيُعْرَفُ بِالتَّفَكُّرِ

أيضاً إما معدوم أو عزيز ، ولولا بشارة رسول الله ﷺ بقوله: «سيأتى على الناس زمان من تمسك بعشر ما أنتم عليه نجا» كما رواه الترمذى من حديث أبى هريرة .
واحمد عن أبى ذر لكان جديرا بنا أن نفتحم والعباذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع مانحن عليه من سوء اعمالنا، ومن لنا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه ، وليتنا تمسك بعشر عشره . ونسال الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهله ، وأن يستر علينا قبائح اعمالنا لما يقتضيه كرمه وفضله •

﴿البَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ فِي الْاِخْلَاصِ وَالنِّيَّةِ وَالصَّدَقِ﴾

أى الصدق فى الاخلاص الذى هو تصحيح النية وتخليصها عن الرياء والسمعة
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الذى به يحصل المناص فى الدنيا والخلاص فى العقبى
﴿الاخلاص تجريد النية﴾ وهى الارادة المتوسطة بين العلم والعمل ، ويطلق عليها
القصد ﴿عن الشوب﴾ أى خلطة الرياء والسمعة ، أى عن شائبة مخالطة النفس بها
ومن شوائبها ومعايبها ان تدعى ترك الدعوى على التواضع مع ادعائها انها قد بلغت
رتبتهم ، او تعجب بكمالها حيث تركت هذه الدعوى باستقلالها . وله مراتب عند اهل
المناقب ﴿فالاعلى﴾ أى اعلى مراتب الاخلاص للمولى ﴿ارادة وجهه تعالى﴾ أى
قصد رضاه فى الدنيا والاخرى دون جلب الثواب وخوف العقاب كما قال تعالى :
(يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) وقال عز وعلا : (وما لا حد عنده
من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) وقال (انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا) وقال (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا) نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه ، الحالم من حديث طاوس
مرسلا « قال رجل انى اقف الموقف ابتغاء وجه الله واحب ان يرى موطنى فلم يرد
عليه حتى نزلت هذه الآية » والابزار من حديث معاذ « من صام رياء فقد اشرك »
وفيه انه عليه السلام تلا هذه الآية . وعن رابعة : وحقك ما عبدتك خوفا من نارك
ولا طمعا فى جنتك الا ابتغاء وجهك ﴿ ويعرف ﴾ أى الاخلاص الاعلى ﴿ بالتفكر

فِي صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَالْمُنَاجَاةِ ثُمَّ ارَادَةُ نَقَمِ الْآخِرَةِ فَهُوَ حَظُّ النَّفْسِ، وَوَرَدَ فِي حَقِيقَتِهِ «أَنْ تَقُولَ رَبِّي اللَّهُ ثُمَّ تَسْتَقِيمَ لِمَا أَمَرَتْ» خَالِصُ الْأَعْمَالِ هُوَ الَّذِي تَعْمَلُهُ اللَّهُ لَا تُحِبُّ أَنْ يَحْمَدَ عَلَيْهِ أَحَدٌ

فِي صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ (اى فى . مصنوعاته) (والمناجاة) مع ربه فى جميع اوقاته . وقد قال بعضهم : فى اخلاص ساعة نجاته الابد . ولكن الاخلاص عزيز . قال عز وجل : (الا لله الدين الخالص) وللدبلى من حديث معاذ . اخلاص العمل يحزك منه القليل ، ولا بن عدى من حديث ابى موسى « ما من عبد يخلص لله اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكم من قلبه على لسانه » وكان معروف الكرخى يضرب نفسه ويقول : يا نفس اخلصى تخلصى . وقال يعقوب المكفوف : المخلص من يكتسب حسناته كما يكتسب سيئاته . وقال ابو سليمان : طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى ، ويشير اليه قوله تعالى (وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما) (ثم ارادة نفع الآخرة) سواء اراد النجاة من النار ، ودرجات الابرار (فهو حظ النفس) اى فى الجملة فهو حظ عن مرتبة الاخراج (وورد فى حقيقته) اى حقيقة الاخلاص اوفى تحققة فى الاشخاص (ان تقول ربى الله ثم تستقيم لما امرت) اى لاتعبد هواك ونفسك ولا تعبد الاربعك وتستقيم فى عبادته كما امرت باستقامته ، فى الاحياء سئل عليه السلام عن الاخلاص فقال : « ان تقول ربى الله ثم تستقيم لما امرت » قال مخرجه : لم اره بهذا اللفظ . وللترمذى وصححه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفى « قلت يا رسول الله حدثنى بامر اعتصم به ، قال : قل ربى الله ثم استقم » وهو عند مسلم بلفظ « قل لى فى الاسلام قول لا اسأل عنه احدا بعدك قال : قل آمنت بالله ثم استقم » والكل مقتبس من قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) الآيتين ومن قوله عز وعلا (فاستقم كما امرت) (خالص الاعمال) اى وورد خالص الاعمال اى العمل الخالص (هو الذى تعمله الله لا تحب ان يحمد عليه احد) ولم اعرف له اصلا فى المرفوع ، نعم ورد عن عيسى عليه السلام انه قال الحواريون : ما الخالص من الاعمال ؟ قال الذى يعمل العمل لله لا يحب ان يحمد عليه احد . وهذا المعنى فى سبب نزول الآية السابقة قد تقدم ، ولا يبعد ان تكون الجملة من مبتدأ وخبر

وَفِي فَضْلِهِ (وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ) الْإِخْلَاصُ سِرِّی اسْتَوْدَعَتْهُ قَلْبَ مَنْ أَحَبَّتْ مِنْ عِبَادِی وَأَصْلُهُ النِّيَّةُ وَهِيَ الْإِرَادَةُ الْبَاعِثَةُ لِلْأَعْمَالِ الْمُنْبَعِثَةِ عَنِ الْمَعْرِفَةِ كَشَهْوَةِ الطَّعَامِ الْحَاصِلَةِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِتَحَقُّقِهِ وَدَفْعِهِ الْجُوعَ الْبَاعِثَةَ لِامْتِدَادِ الْيَدَالِيهِ

فى تعريف الاخلاص ، وتكون معترضة . وقد قال بعضهم : كنت تصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرم الى فوجدته لاعلى ولالى ، قال سفيان لما سمع هذا : ما احسن حاله لديه . ان لم يكن عليه فقد احسن اليه . وقال يحيى بن معاذ : الاخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم . وقال سهل : الاخلاص ان يكون سكون العبد وحر كته لله خاصة . قال السوسى : الاخلاص فقد رؤية الاخلاص ، لان من يشاهد فى اخلاصه الخلاص فقد احتاج فى اخلاصه الى خلاص . والى المقامين يشير قوله تعالى : (الاعبادك منهم المخلصين) بكسر اللام وفتحها . وقال رويم : الاخلاص فى العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا فى الدارين . وقيل لسهل : اى شىء اشد على النفس ؟ فقال : الاخلاص ، اذ ليس لها فيه نصيب . وقال ابو عثمان : الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الحق . وقيل : الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفى عن العلائق . وقال الجنيد : الاخلاص تصفية الاعمال من كدورات الاحوال : وقال الفضيل : ترك العمل لاجل الناس رياء ، والعمل لاجل الناس شرك ، والاخلاص ان يعافيك الله عنهما . وهذا افضل ما قيل فى هذا الباب (وفى فضله) اى وورد فى فضل الاخلاص فى التنزيل (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين) اى له الدين ، فتقييد العبادة بالاخلاص يشير الى فضله الخاص (الاخلاص) اى وورد فى الحديث القدسى والكلام الانسى : الاخلاص (سرى استودعته قلب من احببت من عبادى) رواه القشيرى فى رسالته من حديث على كرم الله وجهه (واصله) اى اصل الاخلاص (النية) اى تصحيحها وتحسينها (وهى) اى النية (الارادة الباعثة) اى الداعية (للاعمال المنبعثة) اى تلك النية (عن المعرفة) بالاحوال فعنى الارادة انبعث القلب الى ما يراه . موافقا لغرضه المعروف بعوضه اما فى الحال واما فى المآل (كشهوة الطعام الحاصلة من المعرفة بتحقيقه) اى الطعام (ودفعه) اى وعن المعرفة بدفع الطعام (الجوع الباعثة) بالجر صفة بعد صفة للشهوة اى الداعية (لامتداد اليداليه)

فَلَا تَدْخُلُ تَحْتَ الْإِخْتِيَارِ فَمَنْ وَطِئَ لَغْلَبَةَ الشَّهْوَةِ أَنَّى يَنْفَعُهُ قَوْلُهُ الْحَسِيُّ
أَوِ النَّفْسِيُّ نَوَيْتُ بِهِ إِقَامَةَ السُّنَّةِ وَتَكْثِيرَ الْأُمَّةِ، وَهِيَ أَحَدُ جُزْئِي الْعِبَادَةِ

فان امتداد اليد الى الطعام انما يكون بعد المعرفة بتحقيق الطعام وبانه دافع للجوع
عن الانام لان الارادة اثر والاثر لا يدخل تحت الاختيار ﴿ فلا تدخل ﴾ اى النية
﴿ تحت الاختيار ﴾ بل الداخل تحت الاختيار انما هو المؤثر . وتوضيحه ان كل
عمل اختياري فانه لا يشتم الا بثلاثة امور : علم ، وارادة ، وقدرة ، لانه لا يريد الانسان
مالا يعلمه فلا بد ان يعلم ، ولا يعمل مالم يرد فلا بد من الارادة بعد خلق الانسان بحيث
يوافقه بعض الامور ويلاتم غرضه ، ويخالفه بعض الاور وينافيه فاحتاج الى جلب
الملائم الموافق لقلبه الهائم ﴿ فن وطئ ﴾ المرأة ﴿ لغلبة الشهوة ﴾ عليه في تلك
الحالة ﴿ ائنى ينفعه قوله الحسى ﴾ اى اللسانى ﴿ او النفسى ﴾ اى الجنانى ﴿ نويت
به ﴾ اى بالوطء ﴿ اقامة السنة وتكثير الامة ﴾ ومن هنا ورد « الشرك اخفى في
قلب ابن آدم من ديب التلثة السوداء ، في الظلمة الظلمات ، على الصخرة الصماء » رواه
احمد وغيره . ولهذا امتنع جماعة من الساف من جملة الطاعات اذالم يحضرم تصحيح
النيات لعلهم بان النية روح العمل ، وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف ، وهو
سبب مقت لا باعث قرب ، حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصرى ،
وقال : ليس تحضرني نية . ومات حماد بن ابي ساليان وكان من اكابر علماء الكوفة وشيخ
ابى حنيفة ، فقيل للثورى : الا تشهد جنازته ؟ فقال : لو كان لى نية لفعلت ، وكانوا اذا
سئلوا عملا من اعمال البر قالوا : ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا ذلك . وحكى ان داود
ابن المحبر لما صنف كتاب المعتقد جاءه احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا
فرده ، فقال له : مالك ؟ قال فيه اسانيد ضعاف ، فقال داود : انالم اخرجك على الاسانيد
فانظر فيه بعين الخبر ، انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت . قال احمد فرده على حتى
انظر فيه بالعين التى نظرت بها اليه ؛ فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال : جزاك الله خيرا
قد انتفعت به . وقال بعضهم : انافى طالب نية لعبادة رجل منذ شهر فما صحت لى بعد . وقال
عيسى بن كثير : مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت ، فقال له ابنة
الاتعرض عليه العشاء ؟ فقال : ليس من نيتى ﴿ وهى ﴾ اى النية ﴿ أحد جزئى العبادة ﴾ اى

فَهِىَ تَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا تَوَقُّفُهَا عَلَى الْعَمَلِ، وَوَرَدَ « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ أَمْرٍ أَمْرٌ مَانَوَى » وَخَيْرُهُمَا لَوْ رُوِيَ « نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ »

ركنيتها وهما النية والعمل (فهى) أى العبادة (تتوقف عليها) أى على النية (توقفها) أى مثل توقف النية (على العمل) لأن العبادة بدون النية لا تسمى عبادة فالنية خيرهما ، ويتوقف العمل عليهما دون العكس (وورد) أى فى الصحيحين من الروايات (إنما الاعمال بالنيات) أى معتبرة بها فى جميع الحالات (واكل امرئ ما نوى) أى من الخير والشر فى المباحات وتماه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ، (وخيرهما) أى والنية أفضل جزئى العبادة (لورود نية المؤمن خير من عمله) رواه البيهقى فى الشعب عن أنس به مرفوعا. وذلك لأن النية عمل السر ولا رياء فيها ، والعمل يخالطه الرياء ولأنها تمتد الى ما لا نهاية له والعمل محصور فى محصوره ، ولأنها بافترادها تصير عبادة يترتب عليها الثواب ، بخلاف أعمال الجوارح فانها انما تكون عبادة اذا صاحبت النية، لحديث « من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، متفق عليه ولأنها تبقى ، بخلاف العمل ولذا قيل : الخلود فى الجنان والنار جزاء النية ، ولأن مكانها مكان المعرفة أعنى قلب المؤمن ، قال سهل بن عبد الله التستري قدس الله سره العلى : ما خلق الله تعالى مكانا أعز وأشرف عنده من قلب عبده المؤمن وما أعطى كرامة للخلق أعز عنده من معرفته ، فجعل الأعز فى الأعز فما نشأ من أعز الامكنة يكون أعز مما نشأ من غيره ، قال سهل : فتعس عبد اشغل المكان الذى هو أعز الامكنة عنده تعالى بغير معرفته سبحانه ، وفى خبر « انا عند المنكسرة قلوبهم والمندرسة قبورهم وما وسعنى ارضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن ، اشعار بذلك . وقيل : نية المؤمن خير من عمله ، وعمل المنافق خير من نيته . وقيل : نية المؤمن خير من عمله بغير نية ، ثم قيل للقلب عملان : النية والندامة ، فالنية تجعل المعدم موجودا ، والندم يجعل العصيان الموجود معدوما . وما ورد فى نفع النية بدون فى النية بدون العمل حديث أنس . ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطننا يغيب الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا بخمصة الا شر كونا فى ذلك وهم بالمدينة ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله

وَتَوَقَّفْ نَفْعَ الْعَمَلِ عَلَيْهَا دُونَ الْعَكْسِ فَوَرَدَ فِي الْمُقَاتَلَيْنِ أَنَّ الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ فِي النَّارِ
وَبَيْنَ عِلَّةِ الْمَقْتُولِ أَنَّهُ قَصَدَ الرِّيَاءَ وَفِي مَنْ تَمَنَّى أَنْ لَوْ أَصَابَ مَا لَا يَنْفِقُ فِي الْمَعْصِيَةِ
أَنَّهُ شَرِيكَ الْمُنْفِقِ فِيهَا فِي الْوِزْرِ وَكَوْنُ الشَّرَابِ لِعَلَّاجِ الْمَعْدَةِ أَنْفَعُ مِنْ
الطَّلَاءِ عَلَى الصَّدْرِ

وليسوا معنا . قال : حبسهم العذر فشركونا بحسن النية « البخارى مختصرا و ابو داود
(وتوقف) اى ويتوقف (نفع العمل) اى تأثيره طاعة او معصية (عليها)
اى النية (دون العكس) اذ لا يتوقف نفع النية على وجود كل عمل (فورد في
المقاتلين) اى فى حقهما (ان القاتل والمقتول فى النار ، وبين) اى النبى عليه السلام
(علة المقتول) اى فى دخوله النار (انه قصد الرياء) كذا فى النسخ ، والظاهر
انه قصد قتل اخيه لادفعه عن نفسه ، او اراد بالقاتل الكافرو بالمقتول المسلم المراتى ،
ويؤيد ما اخترناه حديث الاحنف عن ابى بكر « اذا التقى المسلمان سيفيهما فاقالقاتل
والمقتول فى النار ، قلوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال لانه اراد قتل
صاحبه ، متفق عليه ، ولابن ابى الدنيا من حديث عمر « انما بيعت المقتلون على النيات ،
ولمسلم من حديث جابر « بيعت الله كل عبد على مامات عليه ، ويؤيده ما فى الاصل حديث
« اكثر شهداء امتى اصحاب الفرش ورب قيل بين الصفيين الله اعلم بنيتة » احمد من
حديث ابن مسعود (وفيمن) اى وورد فيمن (تمنى ان لو اصاب ما لا ينفق فى
المعصية) اى مقدرة (انه شريك المنفق فيها) اى فى المعصية حقيقة (فى الوزر)
اى فهما فى الوزر سواء ، ومفهومه ان لو اصاب ما لا ينفق فى الطاعة انه شريك المنفق
فيها ، فهما فى الاجر سواء ، فقد ورد « الناس اربعة : رجل آتاه الله علما وما لا فو
يعمل بعلمه فيقول لو آتاني الله بما آتاه لعملت كما يعمل فهما فى الاجر سواء ،
ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجملته فى ماله فيقول رجل لو آتاني
الله مثل ما آتاه لعملت كما يفعل فهما فى الوزر سواء » ابن ماجه . والترمذى (وكون
الشراب) اى ولكون شرب المعجون (لعللاج المعدة انفع من الطلاء على الصدر)
لسرعة تأثير الاول وبطء الثانى فى العمل . ووجه كونه علة لمشابهة الشراب الداخلى
فى المعدة بالنية الداخلة فى القلب من حيث انهما من الامور الباطنة ، ومشابهة الطلاء
الظاهر على الصدر بالعمل الظاهر على الجوارح من حيث انهما من الامور الظاهرة .

بَلْ هِيَ الْأَصْلُ لِكَوْنِ الْمَقْصُودِ مِنَ الْعَمَلِ تَأْتِرُ الْقَلْبَ بِالْمِيلِ إِلَيْهِ تَعَالَى عَنِ
الْغَيْرِ فَوَرَدَ . (أَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) وَوَقَعَ
الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ الْجَمَاعَ أَمْرَاتُهُ عَلَى قَصْدِ أَنَّهَا غَيْرُهَا بِخِلَافِ الْجَمَاعِ غَيْرُهَا عَلَى
قَصْدِ أَنَّهَا هِيَ وَأَنَّ الْمَصْلَى الْمُتَوَضَّى عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ مُحَدَّثٌ بِخِلَافِ الْمُحَدَّثِ عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ
مُتَوَضَّى . وَهِيَ أَمَّا وَاحِدٌ وَهُوَ الْخَالِصُ كَالْقِيَامِ لِلْأَكْرَامِ وَأَمَّا مُتَعَدِّدٌ كَالْتَصَدَّقِ
لِلْفَقِيرِ وَالْقَرَابَةِ فَأَمَّا لَا يَسْتَقِلُّ كُلُّ شَيْءٍ وَيُعْرِفُ بِالْإِمْتِنَاعِ عِنْدَ انْفِرَادِ أَحَدٍ مِنَ
الْمَقَاصِدِ أَوْ يَسْتَقِلُّ مُتَسَاوِيًا

(بل) هو اضراب عن قوله وخيرهما (هي) أي النية (الاصل) وما سواها الفرع
(لكون المقصود من العمل تأثر القلب بالميل إليه تعالى عن الغير) أي عما سوى
الرب وذلك التأثير بالميل إلى الله تعالى حاصل بالنية دون مجرد العمل فهي الأصل
(فورد) في التذييل (لأن ينال الله لحومها ولأدمائها ولكن يناله التقوى منكم)
وهي إنما تكون في القلب كما قال عليه السلام «والتقوى هنا وأشار إلى صدره» وفي
الخبر أيضا «أن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم» (ووقع
الاجماع على أن جماع أمراته على قصد أنها غيرها) أي غير أمراته (بخلاف الجماع
غيرها) أي غير أمراته (على قصد أنها هي) أي أمراته ، ولا أحد من حديث صهيب
«من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي إدامه فهو زان» (وإنهم المصلي) أي
والاجماع على أن المصلي (المنوضي) على ظن أنه محدث بخلاف المحدث (أي المصلي
(على ظن أنه متوضي) . وهي) أي النية التي معناها القصد (أما واحد وهو الخالص)
عن المشاركة (كاليقيم للأكرام) أي الأكرام المسلم حال السلام من غير نظر إلى سائر
أوصافه الفخام (وأما متعدد كالتصدق للفقير والقربة) ونحوهما من استحقاق
الصدقة (فأما) أي ثم المتعدد (أما) (لا يستقل كل شيء) أي من المقصود بنفسه
عند انفراده في باعث العطاء (ويعرف) عدم الاستقلال المذكور (بالامتناع) أي
بامتناع النية والقصد (عند انفراد أحد من المقاصد) أي عن الآخر فلا يعطى
الغنى القريب بمجرد قرابته ولا الفقير الأجنبى بمجرد فقره ، وعند الاجتماع لا يمتنع
عن العمل فيعطى الفقير القريب (أو يستقل) كل من المقصود (متساويا) بأن

أَوْ مُتَفَاوِتًا كَقُوَّةِ فَرَحَةِ الْمُصَلِّي عِنْدَ حُضُورِ النَّاسِ مَعَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَرْجُ الثَّوَابَ
لَمَا صَلَّى ، وَيَتَعَدَّدُ الْجَزَاءُ بِتَعَدُّهَا خَيْرًا كَانَ كَالدُّخُولِ فِي الْمَسْجِدِ لِلزِّيَارَةِ
وَأَنْتَظَارِ الصَّلَاةِ وَالْإِعْتِكَافِ وَالْإِنْزِوَاءِ وَالتَّجَرُّدِ لِلذِّكْرِ وَتَرْكِ الذُّنُوبِ ، أَوْ شَرًّا
كَالْقُعُودِ لِلتَّحَدُّثِ بِالْبَاطِلِ وَمُلاحِظَةِ النَّسَاءِ وَالْمُنَاطَرَةِ لِلْبُهَاهَةِ وَالْمِرَاءَةِ

يكون كل واحد داعيا الى القصد (او متفاورتا) في مراتب القصد او مناقب الاستقلال
فيكون بعضها مستقلا وبعضها لا يكون مستقلا (كقوة فرحة المصلي عند حضور الناس)
اي بمجرد باعث الرياء وهو الفرحة في قول المصنف (مع انه لو لم يرج الثواب لما
صلى) وتوضيحه ان يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات ، فاتفق ان
حضر في وقتها جماعة من الناس ، فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من
نفسه انه لو كان منفردا لم يفتر عن الصلاة ، وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد
الرياء بعمله فهو شوب تطرق الى النية وتشوش في تحسين الطوية (ويتعدد الجزاء)
اي الثواب (بتعددتها) اي بمقدار تعدد النية (خيرا كان) المتعدد في النية (كالدخول
في المسجد) اي مسجد كان (للزيارة) اي لزيارة بيت الله او اخ الله فيه ، فعنه
عليه السلام « من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره »
ابن حبان من حديث سلمان ، وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة « من غدا الى
المسجد اوراح اعد الله له الجنة نزلا كلما غدا اوراح » (وانتظار الصلاة) اي
لادائها بالجماعة في وقتها وقد عد من الرباط في قوله تعالى (ورابطوا) وفي الخبر
« انتظار الصلاة صلاة » (والاعتكاف) وهو من جملة العبادات الفاضلة فتارة
مستحبة نافلة واخرى سنة مؤكدة كاملة ، وان كان بمكة فزيادة الطواف ، وان كان
بالمدينة فزيادة الزيارة المندوبة بلا خلاف (والانزواء) اي الاعتزال عن الاشتغال
بالسوى (والتجرد للذكر) من التهليل والتمجيد والتحميد والثناء (وترك الذنوب)
ولو كان من باب الحياء فان من العصمة ان لا تقدر على الجفاء (اوشرا) اي او كان المتعدد
شرا (كالقعود فيه) اي في المسجد (للتحدث بالباطل) فان كلام الدنيا في المسجد
يبطل الحسنات في العقبى (وملاحظة النساء) اي ومخالطة المردان يعنى الاشتهاء
(والمناظرة للبهاهة) اي المفاخرة (والمراءاة) اي المجادلة للسمعة والرياء وكذا
قصد التنزه في الليلة القمراء ، وسماع ما فيه من الذكر والشعر المشابهة بمجلس السمر

وَيَجْعَلُ خَيْرَهَا الْمُبَاحَ عِبَادَةً كَالْتَّطِيبِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِاقَامَةِ السَّنَةِ وَتَعْظِيمِ الْمَسْجِدِ
وَالْيَوْمِ وَدَفْعِ الْأَذَى بِالنَّتَنِ وَالْإِسْرَارِ بِالْعَرَفِ وَسَدِّ بَابِ الْغِيَةِ وَرُبَّمَا تَفْضُلُهُ مِنْ
مَحْضِهَا فَالْتَّرَفُ بِنَوْمَةٍ أَوْ دُعَابَةٍ مُبَاحَةٍ لِرَدِّ نَشَاطِ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي الْمَلَالِ
وَشَرُّهَا مَعْصِيَةٌ كَالْتَّطِيبِ لِلتَّفَاخُرِ بِإِظْهَارِ الثَّرْوَةِ وَالتَّزِينِ لِلرِّيَاءِ

(و يجعل خيرها) أى خير النية (المباح عبادة كالتطيب) الذى فى أصله، مباح بوقوعه
(يوم الجمعة لاقامة السنة وتعظيم المسجد) فقد قال تعالى: (وطهر بيته) قيل فى معناه
بحره (واليوم) أى وتعظيمه فانه أفضل أيام الأسبوع بلا خلاف، وقيل أفضل الأيام
مطلقا، وهو عيد المؤمنين وجمع المساكين (ودفع الأذى بالنتن) أى الريح الحبيثة عن
نفسه وغيره لاسيما الملائكة الحاضرون فى وقته (والإسرار بالعرف) بفتح العين،
أى وبغريح من يجنبه بالريح الطيبة (وسد باب الغيبة) بالريح الكريهة (وربما
تفضله) أى النية المباح (من محضها) أى فيصير المباح بالنية أفضل من العبادة
المحضة (فالترفيه) أى التمتع والأسراء (بنومة) قايلة نحو قياولة (أودعابة) أى
من اخ ومطايبة (مباحة لرد نشاط الصلاة أفضل منها) أى من الصلاة (فى الملل)
أى فى حال الكسالة، فعن أبى الدرداء: «انى لا استجم نفسى باللغو لىكون ذلك عونا على
الحق» ويؤيده قول أبى مدين، لا تنكر الباطل فى طوره، فانه بعض ظهوراته، وقد قال
على رضى الله عنه: «روحوا القلوب ساعة فساعة فانها اذا اكرهت عميت». ومن هنا
حرم الصوم فى بعض الاوقات، وكذا الصلوات فى الازمنة المكروهات (وشرها)
أى تجعل شر النية المباح (معصية كالتطيب) المباح فى أصله (للتفاخر بإظهار الثروة)
أى الغنى والنعمة على وجه الكثرة فانه يصير به معصية، ففى الخبر: «من تطيب لله جاء
يوم القيامة وريحه أطيب من المسك»، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن
من الجيفة، أبو الوليد الصغار مرسلا (والتزين) أى كالتزين المباح فى أصله
(للىاء) فانه معصية لما انه للعبادة طاعة لقوله تعالى: (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل
مسجد) وللطبرانى بإسناد جيد من حديث ابن مسعود: «من هاجر يبتغى شيئا فهو له هاجر
رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجرا من قيس» وللنسائى من حديث عبادة بن
الصامت: «من غزا وهو لا بنوى الاعتقال فله مانوى» ولابى داود بإسناد جيد من

وَلَا تُؤْثَرُ فِي الْحَرَامِ فَلَا يُبَاحُ شُرْبُ الْخَمْرِ لِمُؤَافَقَةِ الْإِخْوَانِ

حديث يعلى ابن أمية انه استأجر أجيرا للغزو وسمى له ثلاثة دنانير فقال عليه السلام: « وما أجده في غزوته هذه في الدنيا والآخرة الا دنانيره التي سمي » وقال بعض السلف رب عمل صغير تهظمه النية . ورب عمل كبير تصغره النية ، وقال داود الطائي : من كان أكثر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يومالي نية صالحة ، وكذا الجاهل بعكس ذلك . وقال أبو هريرة « مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي فقليله كثير وما أريد به غير وجهي فكثيره قليل » وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) يبكي ويرددها ، ويقول : انك إن بلوتنا فضحتنا وهدمت استارنا (ولا تؤثر) أي النية (في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الإخوان) ولا لموافقة أحكام الزمان ، فقد ورد « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره ، أو يطعم فقيرا من مال ظلم به ، أو يبني مسجدا أو مدرسة أو رباطا ونحوه بمال حرام وقصد الخير به ، ومن هنا قال سهل : ما عصى الله بمعصية اعظم من الجهل ، قيل يا أبا محمد هل تعرف شيئا أشد من الجهل ؟ قال نعم ، الجهل بالجهل ، ويسمى هذا الجهل المركب . وكذا أفضل ما أطيع الله به العلم ، ورأس العلم العلم بالعلم ، فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب عليه الناس من العلوم المزخرفة التي هي من وسائلهم الى الدنيا ، وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العلم ، والمقصود ان من قصد الخير بمعصيته عن جهل فهو غير معذور قال تعالى : (فاستلوا أهل الذل ان كنتم لا تعلمون) وقال عليه السلام : لا يعذر الجاهل على الجهل ، ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه » يارواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر . ثم لا يجوز امداد المتعلم بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته والحصول في مقام رياسته ، فلم يزل علماء السلف يتفقون أحوال من يتردد اليهم فاذا رأوا منه تقصيرا في نقل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه ، واذا رأوا منه فجورا هجروه ونفوه عن مجالستهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم ان من يعلم مسألة لم يعمل بها فليس يطالب الا آلة الشير ، وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة ، وما تعوذوا من الفاجر الجاهل . وقد هجر احمد بعض أصحابه الملازم له سنين بان طين حائط داره ما أخذه من الطريق فدرسمك الطين .

والحاصل ان الشيطان لا يسلم منه أحدا لا من دق في نظره وسعد بمعصية الله وقدره .

وَكَلَّهِ الصَّدَقُ فُورَدَ (وَإِذْ كُرِّ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا). «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا» وَأَدْنَى رُتَبِهِ فِي الْقَوْلِ فِي كُلِّ حَالٍ

وحفظ من خطره ، والا فالعدو لازم للمشمرين لعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في سكون أو حركة حتى في كحل العين وقص الشارب ونحوهما وما هو صورة العبادة ، ولذا قال تعالى : (إِنْ الشَّيْطَانُ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذْهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) وقال عز وجل حكاية عنه انه قال (فَمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) أى من أهول الدنيا والآخرة (وعن إيمانهم وعن شمالكهم) أى من طريق الحسنات والسيئات (ولا تجدا أكثرهم شاكرين) ولذا قيل ركعتان من عالم أفضل من عبادة ألف سنة من جاهل ، وفي الخبر د لهقيه واحد اشد على الشيطان من ألف عابد » (وكَلَّهِ) أى كمال الاخلاص وجماله (الصدق) فى نيته وقوله وعمله ، فمن جمع له هذا يكون صديقا بالغة الصادق ، والا فهو صادق اضافى عند ذوى الحقائق والدقائق ، ويدل عليه حديث د ان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا » متفق عليه (فورد) فى التنزيل (وإِذْ كُرِّ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ) لأنه كان صديقا (أى قبل النبوة) (نبيا) أى مخبرا عن الله حال الرسالة . ثم الصدق لا ينافى المعارض الصادرة عند المعبر عنها بثلاث كذبات لصورتها لان العبرة بمعانيها لا ببيانها ، وكان رسول الله ﷺ إذا توجه فى سفر ورى بغيره كما فى الصحيحين من حديث كعب بن مالك ، وذلك كيلا ينتهى الخبر إلى عدوه . وقد ورد فى الصحيحين أيضا من حديث أم كلثوم د ليس بكاذب من أصلح بين اثنين وقال خيرا أو تمنى خيرا » ورخص فى النطق على وفق المصلحة فى ثلاثة مواضع : من أصلح بين اثنين ، ومن كان له زوجتان ، ومن كان فى مصالح الحرب . فالصدق ههنا يتحول من القول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق الطوية . فهما صدقت نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيف ما كان لفظه توفيقا (ان الرجل) أى وورد فى الحديث (ان الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وأدنى رتبة) أى أقل مراتب الصدق (فى القول) مع الخبر (فى كل حال) من الأمن والخوف والنفع والضرب والتمنيب والرضا

وَالْكَأَلُ بِتَرْكِ الْمَعَارِضِ حَذْرًا عَنْ تَفْهِيمِ غَيْرِ الْحَقِّ وَكَسْبِ الْقَلْبِ صُورَةَ كَاذِبَةٍ
وَرِعَايَتِهِ مَعَهُ تَعَالَى فَمَنْ قَالَ وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّهِ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ سِوَاهُ، وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَهُوَ يَعْبُدُ الدُّنْيَا فَهُوَ كَاذِبٌ

((وَالْكَأَلُ)) أى وبالصدق فى القول ((بترك المعارض حذرا عن تفهيم غير الحق
وكسب القلب صورة كاذبة)) الا ان الضرورات تبيح المحظورات ، وقد ورد ان فى
المعارض لمن دوحه عن الكذب ، وقد حكى عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو
فى داره ، فقال لزوجته خطى بأصبعك دائرة وضعى الأصبع فى الدائرة وقولى ليس
هو هنا ((ورعايته)) أى ومراعاة العبد الصدق ((معه)) أى مع الحق ((تعالى فمن قال
وجهت وجهى لله)) أولذى نظر السموات والأرض حنيفا ((وكان فى قلبه سواه وإياك
نعبد)) أى نخصك بالعبادة ((وهو يعبد الدنيا فهو كاذب)) فى دعواه اختصاص عبادة
مولاه ، فان قلبه اذا كان منصرفا عن الله مشغولا بامانى الدنيا وشهواتها فهو كاذب فى
دعواه . وعن مالك بن دينار لولا ان هذه الآية أى (إياك نعبد وإياك نستعين)
امر من الله لما قرأتها لدم صدق فىها . وروى : ان العبد اذا قرأ هذه الآية يقول الله
تعالى له كذبت لو كنت اياى تعبد لم تطع غيرى ولم تلتفت الى سواى ، ولو كنت بى
تستعين لم ترفع حوائجك الى ذليل من ملك . ولم تركن الى مالك وكسبك . وكقوله : انا
عبد الله ان لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ، ولو
طواب يوم القيامة بالصدق فى قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه ؛ لانه ان كان عبدا لنفسه
أو عبدا للدنيا أو عبدا لشهواته لم يكن صادقا فى قوله ، وكل ما تقيد العبد به فهو عبده كما
قال عيسى عليه السلام : يا عبيد الدنيا . وقال نبينا ﷺ « تعس عبد الدينار تعس
عبد الدرهم وعبد الخميصة » رواه البخارى وإنما العبد الحق لله من اعتق أولا نفسه عن
عن غير الله فصار حرا مطلقا . فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فخلت فيه العبودية
لله فيشغله بالله وبمحبه وتقيد ظاهره وباطنه اطاعته وعبادته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم
يجاوز هذا الى مقام آخر اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق أيضا عن ارادته لله من
حيث هو هو ، بل يقنع بما يريد الله له من تقرب أو تباعد كما قيل :

أريد وصاله ويريد هجرى * فأترك ما أريد لما يزيد

وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه وصار حرا عن نفسه

ثُمَّ فِي النِّيَّةِ بِتَمَحِيضِهَا لِلَّهِ تَعَالَى فَالشُّبُوبُ يُفَوِّتُهُ يُقَالُ هَذَا صَادِقُ الْحَلَاوَةِ أَيْ
مَحْضُهَا، ثُمَّ فِي الْعَزْمِ وَهُوَ جَزْمٌ قَوِيٌّ عَلَى الْخَيْرِ كَالْتَصَدَّقِ وَالْعَدْلِ أَنْ نَالَ مَالًا
أَوْ وَلَايَةً ثُمَّ فِي الْوَفَاءِ فَالنَّفْسُ قَدْ تَسْمَحُ بِالْعَزْمِ وَتَتَوَانَى بِالْوَفَاءِ، وَوَرَدَ (رِجَالٌ
صَدَّقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)

وصار مفقودا عن نفسه موجودا لسيده ، ومولاه ان حركة تحرك وان سكنه سكن ، وان
ابتلاه رضى ولم يبق فيه متمسك لطلب والتماس واغراض واعراض ، بل هو بين يدي الله
كالميت بين يدي الغاسل ، وهذا منتهى الصدق في العبودية وفق ما تقتضيه الرواية ، وهذا
عزيز الوجود في متن دائرة الشهود فقد قيل :

اتمنى على الزمان محالا ه ان ترى مقلتاى طلعة حر

(ثم في النية) أى ثم اعلى من الصدق في القول الصدق في النية (بتمحيضها) أى
تخليصها (لله تعالى فالشوب) أى الخلط بغيره في النية (يفوته) أى هذا المقام من
الاخلاص أو الصدق (يقال هذا صادق الحلاوة أى محضا) بمعنى خالصها (ثم في
العزم) أى ثم الصدق في العزم اعلى مما ذكر (وهو جزم قوى على الخير) أى فعله
وجزم على ترك الشر (كالتصدق والعدل ان نال مالا او ولاية) وتوضيحه ان
الانسان قد يعزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقنى الله مالا لتصدق بجميعه أو
بشطره ، وان اعطانى الله ولاية عدلت فيها ولم ادعص الله بظلم وميل عن الحق الى
الخلق ، وهو قد يكون صادقا في عزمه وقد يكون كاذبا في عزمه ، ومن الاول قول عمر
رضى الله عنه : لا ز اقدم فيضرب عنقى في غير حد أحب الى ان اتأمر على قوم فيهم أبو بكر
اللهم الا ان تسول لى نفسى عند القتل شيئا لا اجده الآ لانى لا آمن ان يثقل عليها ذلك
فتتغير عن عزمها ، اشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم . ومن الثانى قول مجاهد : رجلا ن
خرجنا على ملا من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله مالا لنصدقن فرزقهما الله فبخلابه
فتزلت (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) الآية
(ثم في الوفاء فالنفس قد تسمح) أى تسخى (بالعزم) عند البيان أى ثم الصدق في الوفاء
اقوى مما ذكر (وتتوانى) أى تتأخر وتتأعد (بالوفاء) عند الامتحان (وورد) فى
التنزيل (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) وقد وقف رسول الله ﷺ على مصعب
ابن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ ،

ثُمَّ فِي الْعَمَلِ وَهُوَ تَسْوِيَةُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ فَاَلْمَاشِي عَلَى هُدُوهِ وَإِنْ خَلَا الْبَاطِنُ
عَنِ الْوَقَارِ غَيْرُ صَادِقٍ، وَوَرَدَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ سِرِّرَتُهُ خَيْرًا مِنَ الْعَلَانِيَةِ

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَةِ . وَفِي
الْبُخَارِيِّ بِجَمَلٍ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ . وَفِي التِّرْمِذِيِّ وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ
وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ عَمَّهُ أَنَسَ بْنَ النَّضْرِ لَمْ يَشْهَدْ بِدِرٍّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى قَلْبِهِ وَقَالَ : أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْبُ عَنْهُ ، وَاللَّهُ لَشَنِّ
أَرَانِي اللَّهُ مَشْهَدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيرَيْنَ اللَّهَ مَا أَصْنَعُ فَشَهِدَ أَحَدًا مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ
فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَمْرٍو إِلَى أَيْنَ فَقَالَ وَاهٍ لِرَيْحِ الْجَنَّةِ أَنِي لِأَجْدَهَا
دُونَ أَحَدٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ مَآبِينَ رَمِيَتْ وَضَرْبَةٌ وَطَعْنَةٌ فَقَالَتْ
بَنْتُ النَّضْرِ أُخْتُهُ : مَا عَرَفْتُهُ إِلَّا بِبَنَانِهِ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ
عَلَيْهِ فَفَنَهِمُ مِنْ قَضَى نَجْبِهِ) أَيْ نَذَرَهُ (ثُمَّ فِي الْعَمَلِ) أَيْ الصَّدَقُ فِي الْعَمَلِ أَعْلَى (وَهُوَ)
أَيْ الصَّدَقُ فِي الْعَمَلِ (تَسْوِيَةُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ) أَنْ يَكُونَ بَاطِنُهُ مِثْلَ ظَاهِرِهِ وَظَاهِرُهُ
مِثْلَ بَاطِنِهِ وَلِذَا قَالَ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ سِرِّرَتِي خَيْرًا مِنْ عِلَانِيَتِي وَاجْعَلْ
عِلَانِيَتِي صَالِحَةً . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ : إِذَا اسْتَوَتْ سِرِّرَةُ الْعَبْدِ وَعِلَانِيَتُهُ فَذَلِكَ
النِّصْفُ . أَيْ الْعَدْلُ . وَإِنْ كَانَتْ سِرِّرَتُهُ أَفْضَلَ مِنْ عِلَانِيَتِهِ فَذَلِكَ الْفَضْلُ ، وَإِنْ كَانَتْ
عِلَانِيَتُهُ أَفْضَلَ مِنْ سِرِّرَتِهِ فَذَلِكَ الْجَوْرُ وَالْخَطْلُ ، وَانْشَدُوا :

إِذَا السِّرُّ وَالْإِعْلَانُ فِي الْمُؤْمَنِ اسْتَوَى • فَقَدِ عَزَّ فِي الدَّارَيْنِ وَاسْتَوْجِبَ الشَّانُ

فَإِنْ خَالَفَ الْإِعْلَانُ سِرًّا فَهَالَهُ • عَلَى سَعْيِهِ فَضْلُ سَوَى الْكِدِّ وَالْعَنَانِ

بِإِخْلَاصِ الدِّينَارِ فِي السُّوقِ نَافِقٌ • وَمَغْشُوشُهُ الْمُرْدَرَدُ لَا يَقْتَضِي الْمُنَانُ

وَقَالَ مَعَارِيَةُ بْنُ قُرَّةٍ : مَنْ يَدْلِي عَلَى بَكَاءٍ بِاللَّيْلِ بِسَامٍ بِالنَّهَارِ . وَكَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الرَّزَّاعُ يَقُولُ : أَلْهِى عَامَلْتُ النَّاسَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ بِالْأَمَانَةِ وَعَامَلْتُكَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بِالْخِيَانَةِ (فَاَلْمَاشِي عَلَى هُدُوهِ) بَضْعَتَيْنِ وَقَدْ يَدْغُمُ فِي نَسْخَةٍ عَلَى هَدْيٍ بِفَتْحٍ فَسَكُونُ
وَمَعْنَاهُمَا عَلَى سَكُونٍ فِي الظَّاهِرِ (وَإِنْ خَلَا الْبَاطِنُ) أَيْ بَاطِنُ الْمَاشِي (عَنْ الْوَقَارِ) أَيْ
السَّكُونِ وَالثَّبُوتِ (غَيْرُ صَادِقٍ) فِيمَا بَيْنَهُ مِنَ الْإِظْهَارِ (وَوَرَدَ فِيهِ) أَيْ فِي حَقِّ الصَّادِقِ
فِي الْعَمَلِ (أَنْ تَكُونَ سِرِّرَتُهُ خَيْرًا مِنَ الْعَلَانِيَةِ) أَيْ عِلَانِيَتُهُ يَعْنِي عَلَى نَيْتِهِ ، وَأَوْحَى
اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مِنْ صَدَقِي فِي سِرِّرَتِهِ صَدَقْتَهُ عِنْدَ الْمَخْلُوقِينَ فِي عِلَانِيَتِهِ

ثُمَّ فِي مَقَامَاتِ الدِّينِ فِي الْخَوْفِ بِصُفْرَةِ الْوَجْهِ وَقَلَقِ الْبَاطِنِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي
وَالذَّلَاتِ وَأَقَامَةِ الطَّاعَاتِ وَعَلَى هَذَا فِي غَيْرِهِ وَالصَّدِّيقُ الْمُطْلَقُ هُوَ الْمُتَّصِفُ بِالْجَمِيعِ
وَصَدَّهِ الرِّيَاءُ

((ثم)) أى ثم الصدق ((فى مقامات الدين)) من أحوال أهل اليقين اعلى ((ففى الخوف))
أى صدقه فيه يتحقق ((بصفرة الوجه وقلق الباطن)) أى اضطرابه فى الحالات ((وترك
المعاصى والذلات)) أى المناهى والشهوات التى فيها الشبهات ((واقامة الطاعات)) فى
أنواع العبادات ((وعلى هذا)) القياس ((فى غيره)) أى غير الخوف من سائر المقامات
كالرضا فهو بعدم الخوف بفوت شئ من الجاه والمال والنفس ومن الأولاد والاتباع من
الرجال وعدم الشكاية الى المخلوق فى جميع الأحوال ((والصدق المطلق هو المتصف
بالجميع)) أى بجميع أنواع الصدق عند أهل الحق . وقال بشر بن الحارث : من عامل
الله بالصدق استوحش من الخلق . وقال أبو سليمان : اجعل الصدق مطيتك والحق
سيفك والله غاية طلبك ، وقال رجل الحكيم : ما رأيت صادقا ، فقال : لو كنت صادقا
لعرفت الصادقين . ويؤيده قوله تعالى : (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقال الثورى
فى قوله تعالى : (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجورهم مسودة) قال هم الذين
ادعوا محبة الله ولم يكونوا فيها صادقين . وقال محمد بن سعيد المروزى : إذا طلبت الله تعالى
بالصدق افادك الله تعالى مرة يدك حتى تبصر كل شئ من عجائب الدنيا والآخرة .
وقال أبو بكر الوراق : احفظ الصدق فيما بينك وبين الحق والرفق فيما بينك وبين
الخلق . وقيل لذى النون : هل للعبد الى اصلاح أموره سبيل ؟ فقال :
قد بقينا مذبذبين حيارى • نطلب الصدق مالىه سبيل
فدعاوى الهوى تخف علينا • وخلاف الهوى علينا ثقل

وعن الجنيد فى قوله تعالى : (ليسأل الصادقين عن صدقهم) قال يسأل الصادقين عند
انفسهم عن صدقهم عند ربهم ، وهذا امر على خطر عظيم وحذر جسيم ((وضده))
أى الاخلاص ((الرياء)) أى رؤية الخلق ، وفى معناه السمعة وان كان فى اصل المادة
فرق بينهما فان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة من المصاح . وفى الصحيحين من
حديث جندب بن عبد الله « من رأى رأى الله به ومن سمع سمع الله به » وللطبرانى
من حديث ابن عمر بلفظ « من سمع الناس سمع الله به مسامع خلقه وحقره وصغره »

وَهُوَ طَلَبُ الْمَنْزَلَةِ عِنْدَ غَيْرِهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَهُوَ حَرَامٌ فَيَخْتَصُّ بِعَمَلِ الظَّاهِرِ
أَمَّا نَحْوُ قَصْدِ الْحِمْيَةِ فِي الصَّوْمِ وَالتَّبَرُّدِ فِي الْوُضُوءِ وَالتَّفَرُّجِ وَالتَّوَحُّشِ عَنِ
الْأَهْلِ وَالتَّجَارَةِ فِي الْحَجِّ وَالْخَلَّاصِ عَنِ الْمُؤْنَةِ وَسُوءِ الْخُلُقِ فِي الْعَتَقِ فَغَيْرُهُ
وَيَفُوتُ بِهِ الْإِخْلَاصُ وَيَكُونُ بِالْبَدَنِ

وكذا لاحد وابن المبارك وابن منيع من حديث ابن عمرو (وهو) أى الرياء (طاب
المنزلة) أى الوجاهة والمرتبة بالرؤية أو السمعة (عند غيره تعالى بالعبادة) أى لا
بالأمور المباحة وفق العادة (وهو حرام) لقوله تعالى : (فويل للصلين الذين هم
عن صلاتهم ساهون الذين هم يراهم) وقوله (والذين يذكرون السيئات لهم عذاب
شديد) قال مجاهد : هم أهل الرياء . ولاحد والبيهقي فى الشعب من حديث محمود بن لبيد
عن رافع بن خديج : ان اخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا : وما الشرك
الأصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العبيد بأعمالهم
اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء « (فتختص)
الرياء (بعمل الظاهر) أى بما تتعاق به الرؤية أو السماع وذلك لا مكان نظر الخلق
اليه واطلاعههم عليه ، دون عمل الباطن فانه لا رياء لديه . قال عكرمة : ان الله يعطى
العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأن النية لا رياء فيه (اما نحو قصد الحمية) أى
الاحتفاء بترك ما يضره عن الأكل (فى الصوم) مع قصد التقرب (والتبرد) أى
وقصد تبرد الأعضاء (فى الوضوء) وكذا قصد النظافة فيه وفى الغسل مع التقرب
(والتفرج) أى وقصد طلب الفرج والخلاص من الهم والغم بانتزعه (والتوحش)
أى الملالة (عن الأهل) أى القرابة أو أهل القرية صداقة أو عداوة ، وكذا قصد
صحبة المازج فى السفر (والتجارة) أى وقصدها (فى الحج) أى ادائه مع التقرب
(والخلاص) أى قصده (عن المؤنة) أى مؤنة نفقة المملوك (وسوء الخلق)
من المالك أو المملوك من جهة التربية (فى العتق) أى عتق عبد أو جارية (فغيره)
أى فغير الرياء لعدم تعلق نظر الخلق اليه (ويفوت به) أى بقصد المذكورات
(الإخلاص) فى تلك العبادات لازفيه شوب نفع نفسه وحظائسه والإخلاص
تجريد النية عن شوب الإرادة النفسية (ويكون) الرياء (بالبدن) أى من جهة

وَالْهَيْئَةَ وَالزِّيَّ وَالْقَوْلَ وَالْعَمَلَ وَغَيْرَهَا كَظَهَارِ النُّحُولِ وَأَبْقَاءِ أَثَرِ السُّجُودِ وَلُبْسِ الصُّوفِ وَالْوَعْظِ وَتَطْوِيلِ الصَّلَاةِ وَكَثْرَةِ التَّلَامِيذِ وَمَا طُلِبَ بِغَيْرِ الْعِبَادَةِ ككَثْرَةِ الْمَالِ وَحِفْظِ الْأَشْعَارِ فَخَارِجٌ لَا يَحْرُمُ إِذَا لَمْ يُؤَدَّ إِلَى رَذِيلَةٍ كَالْتَكْبِيرِ كَمَا سَبَقَ فِي الْجَاهِ

البدن باظهار الخشوع واكثر الحزن ((والهيئة)) أى السمات الصالح ((والزى)) أى لبس الصلحاء ((والقول)) أى نقل كلام الاولياء ((والعمل)) أى وأعمال الأصفياء ((وغيرها)) كالمال والاتباع والبيوت وأنواع الاستمتاع ((كاظهار النحول)) هذا وما بعده نشر للف المتقدم مرتبا ، والمراد بالنحول ضعف البدن في مشيه وصوته ونظره ليوهم بذلك شدة الاجتهاد في العبادة وكثرة الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة ، وليلد بالنحول على قلة الأكل وبالصغار على سهر الليل ، وكذا بتشعث الشعر ليشعر على استغراقه في الأمر ، ولذا قال عيسى عليه السلام : اذا صام أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفته ويرجل شعره ويكحل عينه ، وكذا روى عن أنى هريرة وكذا قال ابن مسعود : اصبحوا صياما مدهنين ((وأبقاء أثر السجود)) على الجهة ، واطراق الرأس في المشية والهدوء في الحركة ((ولبس الصوف)) وغلظ الثياب وتشميرها الى قريب الساق ، وقصر الأكماء وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا من غير ترقيع . ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ونحوها ، وقد يلبس الأصواف الرقيقة من الاصناف المنبوعة اذا كان يدخل عند الأغنياء أو على الأمراء ، فقيمة ثوبه قيمة الأغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء ، فيلمس القبول عند الفريقين في مقام الرياء ، ولو كلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا عما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح ((والوعظ)) أى التذكير والنصيحة والنطق بأنواع الحكمة وحفظ الأخبار وآثار الأخيار وتحريك الشفتين بمحض الناس وامثالها ((وتطويل الصلاة)) بطول القيام والركوع والسجود واطراق الرأس وترك الالتفات وتسوية القدمين واليدين ، وكذا في الصوم والزكاة والحج وسائر العبادات وبقية المعاملات ((واثرة التلاميذ)) للاملاء وكثرة المريدين للصلحاء وكثرة الزائرين من الأجانب والأقرباء ((وما)) مبتدأ أى والرياء الذى ((طلب)) بغير العبادة ككثرة المال ((والانصار)) من الرجال ((وحفظ الاشعار فخارج)) عن حد الرياء كما سبق في تعريفه فحينئذ ((لا يحرم)) طلب تلك المنزلة ((اذا لم يؤد الى رذيلة)) أى خصلة مذمومة ((كالتكبر)) على الناس ((كما سبق في الجاه)) أى في ذمه وهو قوله

وَكَذَا التَّزِينُ لِاسْتِمَالَةِ قُلُوبِ الْأَخْوَانِ وَالتَّحَامِي عَنْ مَلَائِكَتِهِمْ وَالْمَرْوِيُّ
 مِنْ تَزِينِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِبَادَةً لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالدَّعْوَةِ فَلَوْ اسْقَطَ نَفْسَهُ عَنْ قُلُوبِهِمْ لَمَّا
 حَصَلَ الْمَقْصُودُ، وَآفَاتُهُ التَّلْيِيسُ بِإِرَادَةِ مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ بِالْأَمْرِ الدُّنْيَوِيِّ حَرَامٌ
 فَبِالدِّينِيِّ أَوْلَى، وَالِاسْتِهْزَاءُ عَلَيْهِ تَعَالَى بِإِثَارِ رِضَاءٍ غَيْرِهِ

هناك فحرام ، أى فالجاء حرام ان كان باراً تركب ذنب كالـ كذب وههنا أيضا كذلك
 ﴿وكذا التزين لاستمالة قلوب الاخوان﴾ حال مخالطتهم ﴿والتحامي﴾ أى السلامة
 ﴿عن ملائكتهم﴾ والمعنى ان تحسين الثوب الذى يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس
 مراعاة ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا ، وعلى هذا فقس كل تجمل للناس
 وتزين لهم ﴿والمروى﴾ لابن عدى فى الكامل عن عائشة ﴿من تزينه عليه السلام﴾
 أى حين اراد ان يخرج الى اصحابه الكرام ، فكان ينظر فى جب الماء ويسوى عمامته
 وشعره ، وقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ قال نعم « ان الله يحب من العبد ان يتزين
 لـ اخوانه اذا خرج اليهم » فهذا كان منه عليه السلام ﴿عبادة لانه﴾ حيثئذ ﴿مأمور
 بالدعوة﴾ أى بدعوة الخلق وترغيبهم فى اتباع الحق واستمالة قلوبهم بالرفق ﴿فلو
 اسقط نفسه عن قلوبهم﴾ بسقوطها عن أعينهم بترك تزينه لهم ﴿لما حصل المقصود﴾
 ولم يرغبوا فى اتباع المطلوب من المعبود وهو اجابة الحق من الخلق فكان يجب عليه ان
 يظهر لهم محاسن احواله كيلا تزدر به اعينهم فى اقباله ، فان أعين الخلق تمتد الى
 الظواهر دون السرائر ﴿وآفاته﴾ أى الرياء ﴿التلبيس﴾ أى المكر والتدسيس
 الحاصل من وسوسة ابليس ﴿بارادة ما ليس فيه﴾ متحقق فى الخارج موجود فى الواقع
 لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من أهل الدين وليس كذلك ﴿فهو﴾ أى
 التلبيس ﴿بالأمر الدنيوى حرام﴾ أيضا ، حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه
 متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته لاثم بذلك لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالمكر
 والخديعة بخلاف ما اذا أنفق الرجل ماله على جماعة من الأغنياء لافى معرض العبادة والصدقة
 ولكن ليعتقد الناس انه مخفى فهذه مراعاة وليس بحرام وكذا امثاله ﴿فبالدينى أولى﴾ أى
 فالتلبيس بالأمر الدينى أولى ان يكون حراما لانه محض العبادة ﴿والاستهزاء عليه تعالى﴾
 أى ومن آفاته الاستخفاف بالنسبة اليه سبحانه وهو ﴿بإثارة رضاء غيره﴾ أى اختياره

عَلَى رِضَاهُ وَتَعْظِيمِ نَفْسِهِ فِي الْقُلُوبِ عَلَى تَعْظِيمِهِ تَعَالَى وَالْإِحْتِرَازَ عَنْ مَقْتِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ

﴿على رضاه﴾ أى على إثبات رضاه سبحانه وتعالى . والمعنى انه مهما قصد بعبادة الله رضاه ما سواه فهو مستهزئ بالله ، ولذا قال قتادة اذا رأى العبد قال الله ملائكته انظروا اليه كيف يستهزئ به . ومثاله ان يمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة وقوفه ويكون وقوفه لملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانه ، فان هذا استهزاء بالملك ، إذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته ، بل قصد عبدا من عبيده ، فإى استخفاف يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا ، وهل ذلك الا أنه ظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل اغراضه من الله وأنه أولى بالقرب اليه من الله اذا أثره على ملك الملوك فجعله مقصود عباده ، وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى ﴿وتعظيم نفسه﴾ أى وبإثبات تعظيمها ﴿فى القلوب على تعظيمه تعالى﴾ أى تعظيم علام الغيوب وتوضيحه ان الرياء لو لم يكن فيه الا أنه يركع ويسجد لغير الله لكان فيه كفاية ، فانه إذ لم يقصد التقرب الى الله تعالى فقد قصد غير الله ، ولعمري لو عظم غير الله بالسجود والكفر كفر اجليا ، الا ان الرياء هو الكفر الخفى ، لان المرأتى عظم فى قلبه الناس ، فاقترضت تلك العظمة ان يركع ويسجد فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجهه ، فهم ازال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق فى الشهود كان ذلك قريبا من الشرك الممهود ، الا أنه ان قصد تعظيم نفسه فى قلب من عظم عنده ، باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله ، فمن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا . وذلك غاية الجهل والنقصان ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان وأوهم عنده ان العبادة يملكون من ضره ونفعه ورزقه واجله ومصالح حاله ومنافع آماله أكثر مما يملكه الله تعالى ، فلهذا عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم فاقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم اليه ، ولو وطئه الله سبحانه اليهم فى الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنعه ، فان العبادة لهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فكيف لغيرهم ، وهذا فى الدنيا فكيف فى العقبى يوم لا يجزى والد عن ولده ولا ولود هو جاز عن والده شيئا ، بل تقول الانبياء فيه : نفسى نفسى ، فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله بالدرجات الفاخرة كل ما يرتقبه بطمعه الكاذب فى الدنيا من الناس ، فلا ينبغي ان يشك فى ان المرأتى بطاعة الله فى سخط الله من حيث النقل والعقل ، وهذا معنى قوله ﴿والإحتراز﴾ أى وبإثبات المراتى الاحتراز ﴿عن مقت غيره﴾ سبحانه ﴿عليه﴾ أى على الاحتراز

من مقتته ورد العمل فوراً «انى لا اقبل الا ما كان خالصاً، واللوم بين
الملائكة فوراً يقال عند صعودهم بالعمل ردوه الى سجين فانه لم يردني، وفي
القيامة فوراً في ندائه فيها يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر، والحرمان عن الاجر فوراً
يقال التمس الاجر ممن كنت تعمل له الم يوسف عليك في المجالس الم تكن رئيس الدنيا

(من مقتته) تعالى ، فقد سأل رجل سعيد بن المسيب فقال : احدنا يصطنع المعروف
ويحب ان يحمده ويؤجر ، قال له : اتحب ان يمتنك الله ؟ قال لا ، قال : اذا عملت
الله عملاً فاخلصه (ورد العمل) اى ومن آفاته عدم القبول (فوراً) اى فى الحديث
القدسى (انى لا اقبل الا ما كان خالصاً الى) لم اجده بهذا اللفظ ، ولكن ورد معناه
وهو ما رواه مالك من حديث ابى هريرة «يقول الله من عمل عملاً اشرك فيه غيرى
فهوله كله واما اغنى الاغنياء عن الشرك» ويؤيده قوله تعالى (انما يتقبل الله من المتقين)
(واللوم) اى ومن آفاته الملامة (بين الملائكة فوراً) فى الحديث الانسى
(يقال عند صعودهم بالعمل) المخلوط بالرياء (ردوه الى سجين) لقوله تعالى
(ان كتاب الفجار لنى سجين) وهو موضع فى اسفل سافلين مكان الشياطين ، وقبل
هو كتاب اعمال المشركين (فانه لم يردني) اى بعمله خالصاً له الدين . ولا بن المبارك
فى الزهد ، ومن طريقة ابن ابى الدنيا وابى الشيبخ فى حديث طريل د ان الله تعالى يقول
للملائكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه فى سجين » (وفى القيامة) اى ومن آفاته
الملامة والندامة يوم القيامة (فوراً فى ندائه) اى المرائى (فيها) اى فى القيامة
(يا كافر) حقيقة او حكماً بكفران النعمة (يا فاجر) اى يا فاسق بترك الاخلاص
فى الطاعة (يا غادر) اى يا مائت للخلق او للحق ايضاً على زعمه الباطل (يا خاسر)
اى الذى خسر الدنيا والآخرة ، والحديث رواه ابن ابى الدنيا : من رواية جبلة
اليحصى عن صحابي لم يسم د ان المرائى ينادى يوم القيامة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر
يا غادر يا خاسر ضل عملك وحبط اجرک اذهب فخذ اجرک ممن عملت له فلا اجر لك
عندنا » (والحرمان عن الاجر) اى ومن آفاته حرمان ثواب العمل (فوراً
يقال) اى للمرائى يوم القيامة (التمس الاجر) اى اطلب الثواب (ممن كنت

أَلَمْ يَرْخَصْ بِعُكْ أَلَمْ تُكْرِمْ، وَالْعَذَابُ قَوَّرَدَ أَهْلُ الرِّيَاءِ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ
وَالْأَخْشُ بِاعْتِبَارِنَفْسِهِ أَنْ لَا يُرِيدَ الثَّوَابَ أَصْلًا وَهُوَ فِي غَايَةِ الْمَقْتِ ثُمَّ مَا فِيهِ
إِرَادَتَانِ وَالرِّيَاءُ غَالِبٌ

تعمل له) من الخلق كما تقدم) الم يوسع عليك في المجالس الم تكن رئيس الدنيا
الم يرخص بيعك الم تكرم) اى بالقيام والسلام وانواع من الاكرام، وقد روى عن
على ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص عليكم السعير الم تكونوا
تبدؤن بالاسلام الم تقض لكم الحوائج ، وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجرهم
والمعنى وكان هذه الاشياء قصدك من اظهار الطاعة فقد جزيت بها فى الدنيا فلم يبق
لك اجر فى العقبى كما قال تعالى د (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم
فيها وهم فيها لا يبينسون اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا
فيها وباطل ما كانوا يعملون)) والعذاب) اى ومن آفاته عذاب الآخرة) (فورد
اهل الرياء يعذبون فى النار) لم اره بهذا اللفظ ، وللتزمذى وابن ماجه من حديث
ابى هريرة استعبدوا بالله من جب الحزن قيل وما هو ؟ قال واد فى جهنم اعد للقراء
المرائين) (والأخس) مبتدأ اى الاغاظ والاشد فى الرياء) (باعتبار نفسه) اى
نفس الرياء واصله، ولهذا الرياء اربع درجات) (ان لا يريد الثواب اصلا) اى لا يكون
مراده الثواب قطعا كالذى يصلى بين الناس ولو انفرد كان لا يصلى بل ربما يصلى من
غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده للرياء) (وهو) اى المرائى) (فى غاية المقت)
من الله وغضبه، وكذا من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب
ولو خلى بنفسه لما اداها وهذا غالبا لا يتصور الا من المنافق فالنفاق يبطل العمل من
اصله والرياء يوجب رده ، والمن والاذى يحبطان الصدقة اصلا ، وعند بعض المشايخ
يبطلان اضعافها . واما الندامة فتحبط العمل فى قولهم جميعا ، والعجب يذهب اضعافه،
والتهاون يخفف العمل فيذهب رزاقته) (ثم ما فيه ارادتان) ارادة الاجر والرياء
(والرياء غالب) وقصد الاجر ضعيف بحيث لو كان فى الخلوة لكان لا يفعله ؛ ولا يحمله
ذلك القصد على العمل ، ولو لم يكن قصد الاجر لكان قصد الرياء يحمله على العمل،
كن يريد الصلاة لوجه الله تعالى ارادة ضعيفة لاتنهضه عليها ، فاتفق مجى جماعة عنده
نظير داعية الرياء فى قلبه مع بناء ارادة وجه الله فانتهض عليها ، ولو لم يكن الرياء ما كان

وَهُوَ يَقْرَبُهُ ثُمَّ مَا اسْتَوَىٰ بِهِ فَاَلْمَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ وَلَا عَلَيْهِ لَكِنْ اِطْلَاقُ الْاِخْتِذَا فِي
الْاَدَلَّةِ يَشْمَلُهُ ثُمَّ مَا تَرَجَّحَ فِيهِ قَصْدُ الثَّوَابِ فَالْمُظَنُّونُ فِيهِ النِّقْصَانُ لَا الْبُطْلَانُ أَوْ
الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ بِحَسَبِ الْقَصْدَيْنِ ، وَالْأَصْلُ أَنَّ الْقُرْبَ مِنْهُ تَعَالَى بِالْمِلَلِ

ينمضه مجرد ارادة رجه الله ، ولولم يكن ارادة وجه الله لكان ارادة الرياء تنمضه
(وهو يقربه) اى هذا النوع من الرياء يقرب الاخفش وهو الاول الذى ليس فيه
ارادة الثواب اصلا ، فهذا يقرب ما قبله في المقت ، لكن لما فيه من شائبة قصد الثواب
لا يستقل بحمله على العمل ولا يبنى عنه المقت والاثم (ثم ما استويا) اى ثم الاخفش
باعتبار نفس الرياء ما استوى الارادتان او القصدان (فيه) اى فى ذلك العمل بحيث
لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة ،
او كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل ، فهذا قد افسد مثل ما اصالح
(فالمرجو) اى المأمول من فضل الله وكرمه (ان لا يكون له) اى لصاحب الارادتين
المستويتين نفع وثواب (ولا عليه) ضرر وعقاب ، بل يسلم رأسا برأس او يكون
له من الثواب مثل ما عليه من العقاب ، وبؤيده ما روى عن معاذ قال : لما تلا رسول
الله ﷺ (فن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا) شق على القوم واشتد عليهم
فقال افلا فرجها عنكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قل هي مثل الآية التى فى الروم (وما
آتينم من ربنا ليربو فى اموال الناس فلا يربو عند الله) فقال عليه السلام « من عمل
رياء لا يكتب له ولا عليه » كذا فى الجامع الكبير للسيوطى (لكن اطلاق الاختذاف
الادلة يشمله) اى ظواهر الاخبار من ادلة ذم الرياء يشمل هذا النوع فيحصل له
الاثم ويدل على انه لا يسلم (ثم) اى ثم الاخفش باعتبار نفس قصد الرياء (ما ترجح
فيه قصد الثواب) بان يكون طالب الاجر غالبا ويكون اطلاق الناس مقويا ومرجحا
لنشاطه ، ولولم يكن لما كان يترك العبادة ولو قصد الرياء وحده لما أقدم (فالمظنون)
اى الذى نظنه والعلم عند الله سبحانه (فيه) اى فى هذا النوع (النقصان) اى
نقصان الثواب (لا البطلان) اى لا نحكم على العمل ببطلانه بالكيفية لان العبرة بالغلبة
فى الاحكام الجزئية (او الثواب) اى على قدر ما اخلاص فى نيته (والعقاب) على
قدر الرياء (بحسب القصدين) اى المتقدمين (والاصل ان القرب منه تعالى بالميل

إِلَيْهِ تَعَالَى وَالْبَعْدُ عَنْهُ تَعَالَى بِالذُّهُولِ وَمَا وَرَدَهُ أَنَا أَغْنَى الْاِغْنِيَاءَ عَنِ الشَّرْكِ وَنَحْوِهِ
فَمَحْمُولٌ عَلَى الْأَوَّلِ وَبِاعْتِبَارِ مَا بِهِ رِيَاءٌ بِأَصْلِ الْإِيْمَانِ وَهُوَ أَغْلَظُ أَبْوَابِ الرِّيَاءِ
وَفِيهِ الْخُلُودُ فِي النَّارِ ثُمَّ بِأَصْلِ فَرَائِضٍ سِوَاهُ

إليه تعالى أي بسبب الإقبال عليه والحضور لديه (والبعد عنه تعالى بالذهول) أي الغفلة عنه لقوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) (وما ورد) أي في حديث (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك) وفي نسخة من الشركاء (ونحوه) أي مما يدل على البطلان (فمحمول على الأول) أي مما لا يريد الثواب أصلاً أو على ما تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح فإن لفظة الشراكة مطلقة للتسوية (وباعتبار ما به رياء) أي والاختش من الرياء باعتباره ما يقع به الرياء من العبادات هو الرياء (بأصل الإيمان) وقبل هو بدل من قوله به بأعادة الجار . وما قدرناه أولى بالاعتبار ، وذلك بازٍ يظهر كلمتي الشهادة باللسان من غير تصديق بالجنان ، لكنه يراني أحياناً لظاهر الأمر في بعض الأركان (وهو أغلظ أبواب الرياء) كما يشير إليه قوله تعالى (يراؤن الناس ولا يذكرون الله الأقليل المذبذبين بين ذلك) أي متحيرين هنالك (لألى هؤلاء) المسلمين (ولألى هؤلاء) المشركين (ومن يضلل الله فإن تجده سبيلاً) أي مخاصاً ودليلاً ، فلم يكن مخاصاً بل يكون دائماً حقيراً ذليلاً وفيه الخلود في النار في دار البوار بل لما قال تعالى (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) وذلك لأنهم جمعوا بين كفر الباطل ونفاق الظاهر فحال هؤلاء أشد من حال الكفار المجاهرين ولأن ضررهم للمسلمين أكثر من ضرر المشركين . وكان النفاق في بدء الإسلام يكثر ممن يدخل في ظاهر الإسلام ويعمل ببعض الأحكام لغرض فاسد أو عوض كاسد ، وذلك مما يقل في زماننا حيث لا باعث عليه هنالك ، ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنياً فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلاً إلى قول الملاحدة ، أو يعتقد طي بساط الشرع والأحكام ميلاً إلى أهل الإباحة ، أو يعتقد كفراً أو بدعة وهو بظهر خلافه ، فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدن في النار وليس وراء هذا الرياء رياء (ثم) أي ثم الاختش بعده الرياء (بأصل فرائض سواه) أي غير الإيمان وذلك بأن يكون مال لرجل في يد غيره فيأمره باخراج الزكاة خرقاً من المذمة ، والله يعلم من باطنه أنه لو كان في يده لما أخرجها ، أو يدخل وقت

وَفِيهِ الْمَقْتُ ثُمَّ بِأَصْلِ السُّنَنِ وَالنَّوَافِلِ وَفِيهِ نَصْفُهُ لَا يَثَارُ رِضَاءٌ غَيْرُهُ تَعَالَى
عَلَى رِضَاهُ سُبْحَانَهُ دُونَ أَيَّ ثَارٍ الْأَحْتِرَازِ عَنْ مَقْتٍ غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ مِنْ مَقْتِهِ
تَعَالَى، ثُمَّ بِالْأَوْصَافِ

الصلاة وهو في جمع فيصلي وعادته ترك الصلاة في الخلوة ، وكذا يحضر الجمعة ولولا
خوف المذمة لما كان يحضرها ، وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق
ليفطر ، او يصل رحمه او يبر والده لاعتن رغبة ولكن خوفا من المذمة ، او يغزو
او يحج كذلك ﴿ وفيه المقت ﴾ اي اشد الغضب من جانب الرب الا انه ليس
بكافر عند اهل السنة والجماعة ، وذلك لانه مرآة في الاركان ومعه اصل الايمان فيعتقد
ان الله لا معبود سواه ، ولو كلف ان يعبد غير الله اوسجد لما عداه لم يفعل ، ولكنه
يترك العبادات للكسل الطاري في الاوقات وينشط عند اطلاع الناس وفق العادات ،
فتكون منزلته عند الخالق احب اليه من منزلته عند الخالق ، وخوفه من مذمة الناس
اعظم من خوفه من عقوبة الله ورغبته في محمد تهم اشد من رغبته في مشيئة الله . وهذا
غاية الجهل بالرب وما الجدر صاحب هذا بالمقت الذي هو اشد الغضب ﴿ ثم ﴾ اي
ثم الافحش بعده الرياء ﴿ باصل السنن ﴾ المؤلدة ﴿ والنوافل ﴾ المستحبة التي لو تركها
لا يعصى ، ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ، ولا يثار لذة الكسل على
ما يرجي من ثواب العمل ثم يبعثه الرياء على فعلها ، وذلك كحضور الجماعة في الصلاة
وعيادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت ، وكالتجهد بالليل وصيام يوم عاشوراء
ونحوه ، فقد يفعل المرائي هذه الجملة خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ، ويعلم الله تعالى من
ضميره انه لو خلى بنفسه لما زاد على اداء فرائضه ، فهذا ايضا عظيم في نفسه لكن كما قال
﴿ وفيه ﴾ اي في هذا النوع من الرياء ﴿ نصفه ﴾ اي نصف المقت او بعضه باختلاف تفاوت
أحواله في الرغبة باعماله وذلك ﴿ لا يثار رضاه غيره تعالى على رضاه سبحانه دون ايثار
الاحتراز عن مقت غيره سبحانه عليه ﴾ اي على المرائي ﴿ من مقته تعالى ﴾ فان الذي
قبله أثر حمد الخالق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون
ذم الخالق ، فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الخالق ، وأما هذا فلم يفعل ما فعل ذلك
لانه لم يخف عقاب الله على ترك النافلة لو تراها ولكنه عوقب على الشطر الاول فلذا عقابه
نصف عقابه فتأمل ﴿ ثم بالاورصاف ﴾ اي ثم الاخش بعده الرياء باورصاف العبادات

فَبِالْوَاجِبِ كَتَعْدِيلِ الْأَرْكَانِ ثُمَّ الْمُسْكُلِ كَتَطْوِيلِهَا وَتَحْسِينِ الْهَيْئَةِ ثُمَّ الزَّائِدِ
كَالْبُكُورِ فِي الْمَسْجِدِ وَقَصْدِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَبِاعْتِبَارِ مَالِهِ

لاباصولها من الفرائض المهمات ﴿ فبالواجب كتعديل الاركان ﴾ من الركوع
والسجود والقومة بتسكين الجوارح والأعضاء فيها حتى يطمئن ، فانه يرأى بفعل
ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود والقومة فان رآه
الناس احسن أفعالها وهد القعود بين السجدين وأمثالها ، فقد قال ابن مسعود : من
فعل ذلك فهو استهانة يستهين بهاربه ، يعنى انه ايسر يالى باطلاع الله عليه في الخلوة كما
في الجلوة فاذا اطلع آدمى عليه احسن الصلاة ، ومن جلس بين يدي انسان متربعا او
متكئا فدخل غلامه فاستوى في الجلسة واحسن كان ذلك تقدما للعلام على السيد واستهانة
بالسيد لا محالة ، وهذا حال المرائى بتحسين الصلاة في الملا دون الخلاء وكذا الذي
يعتاد لإخراج الزكاة من الدنانير الرديئة فاذا اطلع عليه غيره أخرجهما من الجيد خوفا
من الملامة ، وكذا الصائم يصوم صومه عن الغيبة كما لا لعبادة الصوم خوفا من المذمة
فهذا أيضا من الرياء المحذور لان فيه تقديم الخالق على الخالق لكنه دون الرياء باصول
التطوعات كذا في الاحياء . والظاهر انه دون الرياء باصول العبادات من الفروض ،
لان أصول التطوعات دون أصول الواجبات ، وكذا يجوز ترك التطوعات رأسا ولا
يجوز ترك الواجبات أصلا . نعم بترك الفرائض تبطل العبادات ، بخلاف ترك الواجبات
فانه يوجب الاتم والنقصان في وصف العبادات ﴿ ثم المسكمل ﴾ أى ثم الافحش بعده
الرياء بفعل ما لا نقصان في تركه لكن فله في حكم التكملة والتتمة لعبادته فهو ما كان
وجوده خيرا من عدمه ﴿ كتطويلها ﴾ أى الصلاة بتطويل الركوع والسجود وهد القيام
ولطالة القراءة ﴿ وتحسين الهيئة ﴾ في رفع اليدين ووضعهما مع اظهار تزيين النية المشعر
بتحسين الطرية وحفظ العين عن الالتفات واطراق الرأس في الحالات ليستدل بذلك
على غاية خشوعه ونهاية خضوعه ، وكل ذلك لو خلى ونفسه لكان لا يقدم عليه بمقتضى
طبعه ومراعاة شرعه ﴿ ثم الزائد ﴾ أى بعده الرياء بزيادة خارجة عن نفس النوافل ايضا
﴿ كالبكور في المسجد ﴾ أى كحضور الجماعة قبل القوم ﴿ وقصد الصف الاول ﴾
وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه من الاحكام . وكل ذلك مما يرأى به الانام ،
ويعلم الملك العلام انه لو خلى بنفسه لكان لا يبالى ابن وقف ومتى حضر ﴿ وباعتبار ماله ﴾

قَصْدُ الْمَعْصِيَةِ كَتَقْلُدِ الْوَقْفِ لِلْمَدَاهِنَةِ ثُمَّ الْمُبَاحِ كَنَطَاحِ الشَّرِيفَةِ ثُمَّ التَّمْيِيزِ عَنِ
الْعَامَةِ وَقَدْ يَخْفَى كَالْفَرَحِ بِاطْلَاعِ الْغَيْرِ

أى والافش باعتبار مايقع الرياء لاجله ماله فيه (قصد المعصية) وقبل انه بدل من
ضمير ماله ، والاولى ما قدرناه لحسن ماله ، وذلك بان يكون مقصوده التمكن من معصيته
(كتقليد الوقف للمداهنة) أى كالذى يرائى بالعبادات ويظهر التقوى والورع بكثرة
النوافل من الطاعات والامتناع عن أكل الشبهات ، وغرضه أن يعرف بتأدية الامانات
فيؤتى تولية القضاء أو الاوقاف أو الوصايا أو مال الايتام فيأخذها ، أو يسلم اليه تفرقة
الزكاة والصدقات ليستأثر بما يقدر عليه منها في الحاجات ، أو يودع الودائع فيأخذها
ويجدها في بعض الحالات، وهؤلاء أبغض المرائين الى الله لانهم جعلوا طاعة ربهم
سلما الى معصيته واتخذوه آلة ومتجرا وبضاعة لهم فيفسقهم (ثم المباح) أى قصده
بالرياء (كنسكاح الشريفة) أو المرأة الجريئة فيكون غرضه بالرياء نيل حظ من حظوظ
الدنيا من مال أو جمال ، فيظهر الحزن بالبكاء ويشغل بالو دظ في الصباح والمساء لتبذل
له الاموال وترغب في نسكاحه النساء فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة
الدنيا ولكسبه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه (ثم التمييز عن العامة)
بالمشى والزى وترك اكل اللحم ونحوه كي يعد من الخاصة كالزهاد والعباد فيما بين العباد من
أهل البلاد ، فيظهر عبادته لالقصد نيل حظ دنيوى من مال أو نسكاح بل خيفة من
ان ينظر اليه بعين النقص ويعتقد انه من جملة العامة ، كالذى يمشى مستعجلا في
طريق فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال انه من أهل اللهو
والسهو لا من أهل الوقار والسكون ، وكذلك الذى يسبق اليه الضحك أو يبدد
منه المزاح فيخاف أن ينظر اليه بعين الاحتقار لابعين الوقار فيتبع ذلك بالاستغفار
وتنفس الصعداء واظهار الحزن والبكاء ويقول : ما أعظم غفلة آدمى عن نفسه ،
والله يعلم منه انه لو كان في خلوة هنالك لما كان ينقل عليه ذلك (وقد يخفى) أى الرياء
فانه كما تقدم اخفى من ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء (كالفرح
باطلاع الغير) على طاعته فرب عبد مخاص في عمله لا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده
عن نفسه ويتمم العمل كذلك ، ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له
وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة ، وهذا السرور يدل على رياء خفى فيه يترشح

والتَّعْرِيزُ لِلْأَظْهَارِ وَتَحْسِينُ الْأَدَاءِ فِي الْخَلَاءِ لئَلَّا يَخَالَفَ فِي الْمَلَاءِ وَلِلتَّزِينِ بِظُهُورِ
الْخُشُوعِ فِي الْأَعْضَاءِ وَتَأْثِيرُهُ أَنَّهُ إِذَا هَجَمَ بَعْدَ التَّمَامِ بِالْفَرَحِ عَلَى الظُّهُورِ أَوْ
الْأَظْهَارِ لَا يُبْطَلُ لَعَدَمِ بَطْلَانِ الثَّوَابِ الْمُتَقَدِّمِ بِالْعَمَلِ الطَّارِئِ، وَفِيهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ
وَحُمْلُ مَا وَرَدَ مَا صُمْتُ وَلَا أَفْطَرْتُ فَيَمْنُ قَالَ صُمْتُ دَائِمًا عَلَى كِرَاهَةِ صَوْمِ الدَّهْرِ

السُّرُورِ مِنْهُ ﴿ وَالتَّعْرِيزُ لِلْأَظْهَارِ ﴾ يَعْنِي ثُمَّ إِذَا اسْتَشْعَرَ لَذَّةَ السُّرُورِ بِالْإِطْلَاعِ
وَلَمْ يَقَابِلْ ذَلِكَ بِكَرَاهِيَتِهِ فَيَصِيرُ ذَلِكَ قُوَّةً وَغِذَاءً لِلْمَرْقِ الْخَفِيِّ مِنَ الرِّيَاءِ فَيَتَقَاضَى
تَقَاضِيَا خَفِيًّا أَنْ يَتَكَلَّفَ سَبَبًا يَطْلُعَ عَلَيْهِ بِالتَّعْرِيزِ وَالْقَاءِ الْكَلَامِ غَرَضًا بِالْأَظْهَارِ .
وَقَدْ حَكَى أَنَّ رَجُلًا أَضَافَ الثَّوْرَى وَاصْحَابَهُ ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ : هَاتُوا الطَّبَقَ الَّذِي جِئْتُ بِهِ
فِي الْحِجَّةِ الْأُولَى ، فَظَنَرَسَفِيَانِ وَقَالَ : مُسْكِنٌ قَدْ أَفْسَدَ عَلَيْهِ بِهِذَا حُجَّتِيهِ ﴿ وَتَحْسِينُ الْأَدَاءِ
فِي الْخَلَاءِ ﴾ وَجَعَلَهُ عَادَةً لَهُ ﴿ لئَلَّا يَخَالَفَ فِي الْمَلَاءِ ﴾ ظَنَّا مِنْهُ أَنَّهُ يَتَخَلَّصُ بِهِذَا عَنِ الرِّيَاءِ
وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ يَتَكَرَّرُ مِنْهُ الرِّيَاءُ فِي الْخَلَاءِ وَالْمَلَاءِ ﴿ وَلِلتَّزِينِ ﴾ كَذَا فِي النَّسَخِ ، وَالظَّاهِرُ
أَنْ يَقُولَ وَالتَّزِينِ فِي الْأَعْيُنِ أَيْ أَعْيُنِ أَهْلِ الْمَلَاءِ ﴿ بِظُهُورِ الْخُشُوعِ فِي الْأَعْضَاءِ ﴾
كَأَظْهَارِ النُّحُولِ وَالصَّفَارِ وَخَفَضِ الصَّوْتِ وَبَيْسِ الشَّقَاتَيْنِ وَآثَارِ الدَّمْعِ وَغَلْبَةِ النُّعَاسِ
الدَّالُّ عَلَى طَوْلِ التَّهَجُّدِ . وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ مَهْمَا أَدْرَكَتِ النَّفْسُ تَفَرُّقَهُ بَيْنَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَى
عِبَادَتِهِ أَنْسَانَ أَوْ بَهِيمَةً فَقِيهِ شُعْبَةً مِنَ الرِّيَاءِ ، وَقَدْ رَوَى « لَا يَكْمُلُ إِيْمَانُ أَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ
الْخُلُقُ عِنْدَهُ كَالْأَبَاعِرِ » ﴿ وَتَأْثِيرُهُ ﴾ أَيْ الرِّيَاءُ فِي الْعَمَلِ بِالْإِحْبَابِ وَالْإِنْبَاتِ ﴿ أَنَّهُ
إِذَا هَجَمَ ﴾ أَيْ غَلَبَ الرِّيَاءُ ﴿ بَعْدَ التَّمَامِ ﴾ أَيْ تَمَامِ الْعَمَلِ الْخَالِصِ ﴿ بِالْفَرَحِ ﴾ مُتَعَلِّقٌ
بِهَجْمِ أَيْ بِفَرَحِهِ ﴿ عَلَى الظُّهُورِ ﴾ مِنْ غَيْرِ قَصْدِهِ ﴿ أَوْ الْأَظْهَارِ ﴾ بِقَوْلِهِ ﴿ لَا يُبْطَلُ ﴾
ثَوَابُ الْعَمَلِ الْمُؤَدَّى بِالْإِخْلَاصِ ﴿ لَعَدَمِ بَطْلَانِ الثَّوَابِ الْمُتَقَدِّمِ بِالْعَمَلِ الطَّارِئِ ﴾
أَيْ الْحَادِثِ بَعْدَهُ ﴿ وَفِيهِ الثَّوَابُ ﴾ عَلَى عَمَلِهِ الَّذِي مَضَى ﴿ وَالْعِقَابُ ﴾ عَلَى مَرَاءَاتِهِ
بِطَاعَةِ اللَّهِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهَا ﴿ وَحُمْلُ مَا وَرَدَ ﴾ أَيْ فِي الْحَدِيثِ مِنْ نَفْيِ الْعَمَلِ تَغْلِيظًا
﴿ مَا صُمْتُ وَلَا أَفْطَرْتُ فَيَمْنُ قَالَ صُمْتُ ﴾ أَيْ فِي حَقِّ مَنْ قَالَ صُمْتُ ﴿ دَائِمًا ﴾
وَالْمَحْفُوظُ صُمْتُ الدَّهْرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ثُمَّ الْمَعْرُوفُ فِي مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ « قَالَ
عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَمْنُ بِصَوْمِ الدَّهْرِ ؟ قَالَ لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ ، فَهَذَا حُمْلُ ﴾ عَلَى
كَرَاهَةِ صَوْمِ الدَّهْرِ ﴿ أَيْ لَا عِلِّيَّ ابْطَالَهُ بِالرِّيَاءِ لَا أَظْهَارَ أَعْمَالِهِ وَلَا نَهْ بِكَوْنِ فِي قَوْلِهِ نَوْعٌ

لُدْخُولِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقِ فِيهِ، وَمَا جَاءَ ذَلِكَ حَظُّكَ مِنْهَا فِيمَنْ قَالَ قَرَأْتُ
الْبَارِحَةَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ عَلَى عَدَمِ خُلُوعِ الْقَلْبِ عَنْهُ حَالَةَ الْقِرَاءَةِ بِدَلَالَةِ الْإِظْهَارِ
وَإِذَا هَجَمَ فِي الْإِثْنَاءِ مُتَجَرِّدًا وَبَعَثَ عَلَى الْعَمَلِ وَخَتَمَ بِهِ كَمَا لَوْ تَذَكَّرَ ضَلَاةً
أَوْ حَدَثَ نَضَارَةً فَاتَمَّ الْعَمَلُ لِحُضُورِ الْغَيْرِ عِنْدَهُ لَوْلَاهُ لَقَطَعُ يَبْطُلُ فِي عَمَلٍ ذِي
أَرْكَانٍ يَتَعَلَّقُ صَلَاحُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ

لَذَبَّ (لُدْخُولِ الْعِيدَيْنِ) أَيِ عِيدِ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى (وَالْتَّشْرِيقِ فِيهِ) أَيِ فِي قَوْلِهِ
صَعَتِ الدَّهْرُ، وَصَوْمُ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْخَمْسَةِ حَرَامٌ بِاتِّفَاقِ الْأُئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ. وَآخِرُ جَابِ
جَرِيرٍ كَمَا فِي الْجَامِعِ الْكَبِيرِ «عَنْ أُمِّ كَلْثَمٍ قَالَتْ قَبْلَ لَمَاضِيَةِ تَصَوُّمِ الدَّهْرِ وَقَدْ نَهَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ صِيَامِ الدَّهْرِ؟ قَالَتْ نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ صِيَامِ الدَّهْرِ
وَلَكِنْ مِنْ أَفْطَرِ يَوْمِ الْفِطْرِ وَيَوْمِ النَّحْرِ فَلَمْ يَصُمْ الدَّهْرُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا قَالَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ زَجْرَالَهُ عَنْ إِظْهَارِهِ (وَمَا جَاءَ) أَيِ وَحْمِلَ مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ (ذَلِكَ)
أَيِ إِظْهَارِكَ (حَظُّكَ) وَلَفْظُ الْأَحْيَاءِ حَظُّهُ (مِنْهَا) أَيِ مِنَ الْقِرَاءَةِ (فِيمَنْ قَالَ
قَرَأْتُ الْبَارِحَةَ) أَيِ اللَّيْلَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ (سُورَةَ الْبَقَرَةِ تِلْكَ) أَيِ حَمَلٍ عَلَى (عَدَمِ خُلُوعِ
الْقَلْبِ عَنْهُ) أَيِ عَنِ الرِّيَاءِ (حَالَةَ الْقِرَاءَةِ) لِأَنَّهُ هَجَمَ بَعْدَ تِمَامِهَا (بِدَلَالَةِ الْإِظْهَارِ)
كَيْفَ مَا كَانَ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ اسْتِدْلَالًا
عَلَى أَنَّ قَلْبَهُ عِنْدَ الْعِبَادَةِ لَمْ يَخْلُ عَنْ شَكِّ الرِّيَاءِ وَقَصْدِهِ لَمَّا أَنْ ظَهَرَ مِنْهُ التَّحَدُّثُ بِهِ، إِذَا
يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ مَا يَطْرُقُ بَعْدَ الْعَمَلِ مَبْطُلًا لثَوَابِ الْعَمَلِ بِالْكَلْبَةِ، نَعَمْ يَبْطُلُ كَمَا لَثَوَابُهُ
فِي الْقَضِيَةِ (وَإِذَا هَجَمَ) أَيِ غَلَبَهُ الرِّيَاءُ (فِي الْإِثْنَاءِ) أَيِ إِثْنَاءِ الْعِبَادَةِ (مُتَجَرِّدًا)
عَنِ الْإِخْلَاصِ فِي قَصْدِ الثَّوَابِ (وَبَعَثَ عَلَى الْعَمَلِ) أَيِ عَلَى اتِّمَامِهِ (وَخَتَمَ) الْعَمَلُ
(بِهِ) أَيِ بِالرِّيَاءِ الْمُتَجَرِّدِ عَنْ قَصْدِ الثَّوَابِ (لَمَّا لَوْ تَذَكَّرَ ضَلَاةً) فِي إِثْنَاءِ الصَّلَاةِ
(أَوْ حَدَثَ نَضَارَةً) أَيِ فُرْجَةٍ وَنَزْهَةٍ فِي إِثْنَائِهَا (فَاتَمَّ الْعَمَلُ لِحُضُورِ الْغَيْرِ عِنْدَهُ
لَوْلَاهُ) وَفِي نَسْخَةِ لَوْلَاهُ أَيِ ذَلِكَ الْغَيْرِ (لَقَطَعُ) ذَلِكَ الْعَمَلُ وَطَلَبَ الضَّلَاةَ
أَوْ تَفَرَّجَ عَلَى النَّضَارَةِ (يَبْطُلُ) جَوَابُ إِذَا هَجَمَ، أَيِ يَبْطُلُ هَذَا الرِّيَاءُ ثَوَابُ الْعَمَلِ
لَكِنْ (فِي عَمَلٍ ذِي أَرْكَانٍ) أَيِ أَجْزَاءٍ (يَتَعَلَّقُ صَلَاحُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ
وَالْحَجِّ) وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْغَرْزَ وَكَذَلِكَ لَكِنْ قَالَ الطَّبْرِيُّ: إِذَا كَانَ الْبَاعِثُ أَوْ لَا إِعْلَامَ

فَوَرَدَ «الْعَمَلُ كَالْوَعَامِ إِذَا طَابَ أَوَّلُهُ طَابَ آخِرُهُ» - مَنْ رَأَى بِعَمَلِهِ سَاعَةً حُبَطَ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ «دُونَ غَيْرِهِ كَالصَّدَقَةِ وَالتَّلَاوَةِ إِذَا كُلُّ جُزْءٍ مُنْفَرِدٍ وَالطَّارِئُ لَا يُبْطِلُ الْمَاضِيَ وَإِذَا لَمْ يَتَجَرَّدْ بَلَّ غَلَبَ كَغَلَبَةِ الْفَرَحِ بِاطِّلَاعِ الْغَيْرِ فَالْغَالِبُ فِيهِ الْفَسَادُ إِنْ انْقَضَى رُكْنٌ

دلالة الله لا يضره ما عرض له بعد ذلك على ما نقله عنه السبوطي في حاشية البخاري هـ ﴿فورد العمل كالوعاء اذا طاب اوله طاب آخره﴾ هكذا في الاحياء ، ورواه ابن ماجه من حديث معاوية بلفظ « اذا طاب اسفله طاب أعلاه » وعلى كل تقدير فظاهره لا يوافق المدعى الا ان يراد مفهوم الحديث كما لا يخفى ﴿من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله﴾ كذا في الاحياء قال مخرجه : لم اجده بهذا اللفظ ، وللشيخين من حديث جندب « من سمع سمع الله به ومن رأى رأى الله به » ﴿دون غيره﴾ اى بخلاف عمل ليس بنى اركان يتعلق صلاح بعضها ببعض ﴿كالصدقة والتلاوة﴾ وانما لم يبطل هذا النوع من العمل كله بالرياء ﴿اذ كل جزء﴾ من كل منهما ﴿منفرد﴾ اى من جزء آخر حيث انه مستقل بنفسه لاتعلق له بغيره . نعن بعض الصالحين قال : كنت ليلة وقت السحر فى غرفة لى اقرأ سورة طه فلما ختمتها غفوت غفوة فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الكلمة واحدة فانى رأيت مكانها محووا ولم ارتحتها شيئا ، فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولم ارها ثوابا ولم ارها اثبت ، فمال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها الا اناسمنا مناديا ينادى من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها ، قال فبكيت فى منامى بكاء شديدا وقلت : لم فعلتم ذلك ؟ قالوا : مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها . وهذا يدل على ان الرياء فى الاوصاف . بطل ثواب العمل رأسا ﴿والطارئ﴾ اى الحادث من الرياء ﴿لا يبطل الماضى﴾ من العمل بل يبطل الباقي ، وفيه مخالفة لما روى من ان الشخص اذا ذكر العمل السرى مرة ينقل الى العلانية ، واذا ذكره ثانيا ينقل الى الرياء ﴿واذا لم يتجرد﴾ الرياء عن الاخلاص وقصد الثواب ﴿بل غلب﴾ الرياء عليه ﴿كغلبة الفرح باطلاع الغير﴾ اى بمشاهدة غيره اليه ﴿فالغالب فيه﴾ اى الظن الغالب فى هذا النوع من العمل ﴿الفساد انقضى﴾ على حالة الرياء . ﴿ركن﴾ من اركان ذلك العمل

وَلَمْ يُعَاوِدْهُ الْبَاعِثُ الْأَصْلِيُّ لِلصَّلَاةِ لِأَنَّا نَسْتَصْحِبُ نِيَّةَ الْبُدْءِ بِشَرِّطٍ أَنْ لَا يَطْرَأَ مَا لَوْ قَارَنَ ابْتِدَاءَ الْمَنْعِ وَإِنْ اِحْتَمَلَ الْجَوَازَ لِبَقَاءِ قَصْدِ الثَّوَابِ الْمَوْجُودِ حَالَ الْعَقْدِ

مع غلبه قصد الرياء (ولم يعاوده) أى العامل الرين أو المصلى (الباعث الاصلى للصلاة) وهو الاخلاص (لانا نستصحب نية البداءة) أى نعطي النية السابقة التى كانت خالصة لقصد المثوبة حكم استصحاب الحال، والمعنى نحكم عليها بالاخلاص الى تمام العمل فى المآل (بشرط ان لا يطرأ) أى لا يحدث بعد النية السابقة فى أثناء العمل من الرياء اللاحقة (ما) أى الرباء (لو قارن ابتداء منع) الباعث الاصلى الذى هو الاخلاص (وان احتمل) أى ولو احتمل (الجواز) أى صحة العمل (لبقاء قصد الثواب الموجود حال العقد) من التحريمة المقرونة بالنية . وتوضيحه ما فى الأحياء . اذا كان واراد الرياء بحيث لا يمتنع من قصد الاستتمام لاجل الثواب . كما لو حضر جماعة فى أثناء صلاته فتمرح بحضورهم فاعتقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم ، وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا ، فهذا رياء قد اثر فى العمل واتهض باعثا على الحركات ، فان غلب عليه حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا يذنبى ان يفسد العبادة مهمما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا فكفتى بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ ما يغلبها ويغمرها ، ويحتمل ان يقال : لا يحبط العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء أصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه والله أعلم بالصواب . وذهب الحارث المحاسبى الى الاحباط فى أمر اهون منه ، قال : اذا لم يرد الا بمجرد السرور باطلاع الناس يعنى سرورا هو لحب المنزلة والجاه . قال : وقد اختلف الناس فى هذا فصارت فرقة الى انه محبط لانه قد نقض العزم الأول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ، ثم قال : ولا اقطع عليه بالحبط ان لم يزد فى العمل ولا آمن عليه ، وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس فالأغلب على قلبى انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ، ثم قال : فان قيل فقد قال الحسن البصرى انما هما صورتان فان كانت الاولى لله لا تضره الثانية وقد روى « أن رجلا قال يا رسول الله أسر عملى لا أحب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال : لك أجران اجر السروا اجر العلانية » رواه البيهقى . والترمذى . وابن حبان . من حديث أبى هريرة . ثم تكلم المحاسبى على الاثر والخبر فقال : اما الحسن فانه أراد بقوله اى لا تضره : أى لا يدع العمل ولا تضره الخطرة

وَأَنْ اتَّصَلَ بِالْعَقْدِ مُتَجَرِّدًا وَأَتَمَّ عَلَيْهِ يُعِيدُ اتِّفَاقًا وَأَنْ رَجَعَ قَبْلَ التَّامِّ
فَكَذَلِكَ لَفَقْدِ الْإِنْعِقَادِ وَضَعْفِ الْقَوْلِ بِوُجُوبِ إِعَادَةِ الْأَفْعَالِ لِفَسَادِهَا دُونَ
التَّحْرِيمِ فَهِيَ عَقْدٌ، وَالرِّيَاءُ خَطَرَةٌ لَا تُخْرِجُهَا عَنِ الْإِنْعِقَادِ لِأَنَّ الْأَفْعَالَ
الْفَاسِدَةَ مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ زَائِدَةٌ فِيهَا قَبْطُلُهَا، وَبِوُجُوبِ الْإِسْتِغْفَارِ

وهو يريد الله ، ولم يقل اذا اعتقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره : وأما الحديث
فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة أوجه : احدها انه يحتمل انه أراد
بظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ ، وثانيها انه أراد انه يسره لاقتداء
الناس به ونحوه من سرور محمود لا سرور بحسب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل
له به اجرا ، ولا ذهاب من الامة الى ان للسرور بالمحمدة اجرا وغايته انه يعفى عنه
فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران ، وثالثها انه قال : اكثر من يروى
هذا الحديث يرويه غير متصل الى أبي هريرة ، بل اكثرهم بوقفه على أبي صالح السمان
وفيه من يرفعه ، فالحكم بالعمومات الواردة أولى (وان اتصل) الرياء (بالعقد)
أى بالتحريمه وابتداء النية (متجردا) من قصد الثواب (واتم) العمل حتى سلم
(عليه) أى على الرياء المتجرد عن قصد الثواب (يعيد) ذلك العمل (اتفقا) أى
وهو آثم اجماعا (وان رجع) المصلى عن الرياء الى الاخلاص وندم على ما قصده (قبل
التمام) أى تمام العمل (فكذلك) يعيد ذلك العمل اتفقا (لفقد الانعقاد) على
الاخلاص (وضعف القول) أى وضعف قول القائل (بوجوب إعادة الافعال)
الصادرة عن الرياء (لفسادها) أى لبطان تلك الافعال (دون التحريم) أى من
غير وجوب أعادتها (فهى) أى التحريم (عقد) له ثبوت واستقرار (والرياء
خطرة لا تخرجها) أى التحريم (عن الانعقاد) والمعنى أن قول المصلى صلى الله
تعالى عقديته على الاخلاص لله لا إقرار باللسان لا يبطل نفاقه بالجنان بل يثبت حكمه فى الدنيا
فكذا هنا ، فقوله فى عقد الخ دليل وجوب الاعادة : وأما دليل القول الاول المضعف
للتانى فقوله (لان الافعال الفاسدة من الركوع والسجود) اذا لم تصح فى (زائدة
فيها) أى فى الصلاة (فتبطلها) أى تلك الافعال الصلاة (و بوجوب الاستغفار)

قَلْبًا وَالْإِتْمَامَ مُخْلِصًا لاعتبار الحُتْمِ كَمَا لَوْ خَتَمَ بِالرِّيَاءِ وَابْتَدَأَ بِالْإِخْلَاصِ
وَكُونَ الْعَمَلِ لَهُ تَعَالَى وَاللَّكْفَرِ، وَزَوَالَ عَارِضِ الرِّيَاءِ بِالتَّوْبَةِ لِأَنَّهُ قَادِحٌ
فِي النَّيَّةِ وَحَالَةِ الْبَدَاءَةِ أَوَّلَى بِالرَّعَايَةِ

أى ولضعف القول بوجوب الاستغفار (قلبا والاتمام) أى وبوجوب اتمام العمل
(مخلصا) أى متجردا عن الرياء (لاعتبار الحُتْمِ) تعليل لوجوب الاستغفار والاتمام
مخلصا أى لاعتبار خاتمة العمل (لما لو ختم بالرياء وابتدأ بالاخلاص) لكان
يفسد عمله (وكون العمل) أى ويكون العمل أو ولاعتبار كون العمل (له تعالى)
لا لغيره (والا) أى فلو لم يكن العمل خالصا له بأن صلى لغيره (لكفر) كما كفر
من يسجد للصنم ونحوه (وزوال عارض الرياء) أى وبزواله أو ولاعتبار زواله
(بالتوبة لانه) دليل لضعف وجوب الاستغفار، والمعنى لان الرياء (قادح في
النية وحالة البداءة) أى الأولى (أولى بالرعاية) في الاخلاص من الحالة الثانية
لان المدار عليها في الأفعال الباقية فقد فات ذلك فيبطل العمل وتجب الاعادة، وتوضيحه
ما في الأحياء من أن الرياء الذي يقارن حال العقد بان يتبدى الصلاة على قصد الرياء فان
تم عليه حتى سلم فلا خلاف في أنه يمضى ولا يعتد بصلاته، وان ندم عليه في أثناء صلاته
واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه : قالت فرقة : لم تنعقد صلاته مع
قصد الرياء فليستأنفه، وقالت فرقة يلزمه اعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد
أفعاله دون تحريم الصلاة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن
كونه تقدا، وقالت فرقة : لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على
الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتدأها بالاخلاص وختمها بالرياء لكان
يفسد عمله، وقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا تكون الا لله فان سجد لغير الله كان
كافرا، ولكن اقترن به عارض الرياء ممزال بالندم والتوبة وصار إلى حالة لا يبالى بحمد
الناس وذمهم فتصح صلاته، قالوا مذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس الفقه جدا
خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح، لان الركوع والسجود
اذا لم يصح صارت أفعالا زائدة في الصلاة فتبطل الصلاة، وكذا قول من يقول لو ختم
بالاخلاص صح نظرا إلى الآخر فهو أيضا ضعيف لان الرياء يقدر في النية . وأولى
الأوقات بمراعاة أحكام النية حال الافتتاح، فالذى يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال

وَأَنْ لَمْ يَتَجَرَّدْ فَقِيماً لَا يَقْبَلُ الْفَسَادَ كَالصَّدَقَةِ يُثَابُ وَيُعَاقَبُ فَوْرَدَ (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) الْآيَةَ، وَفِي غَيْرِهِ كَالصَّلَاةِ لَا يَبْطُلُ النَّفْلُ حَتَّى يَصِحَّ الْإِقْتِدَاءُ وَلَا يَسْقُطُ الْفَرَضُ إِنْ لَمْ يَسْتَقِلَّ قَصْدُ الثَّوَابِ وَإِنْ اسْتَقَلَّ

إِنْ كَانَ بَاعَثَهُ بِمَجْرَدِ الرِّيَاءِ فِي ابْتِدَاءِ الْعَقْدِ دُونَ طَلَبِ الثَّوَابِ وَامْتِثَالِ الْأَمْرِ لَمْ يَنْعَقِدِ الْإِفْتِخَاحُ وَلَمْ يَصِحَّ مَا بَعْدَهُ ، وَذَلِكَ فِيمَنْ إِذَا خَلَا بِنَفْسِهِ لَمْ يَصِلْ فَهَذِهِ الصَّلَاةُ لَا نِيَّةَ فِيهَا إِذْ النِّيَّةُ عِبَارَةٌ عَنْ أَجَابَةِ بَاعِثِ الدِّينِ وَهَذَا لَا يَبَاعِثُ وَلَا أَجَابَةٌ . وَأَمَّا إِذَا كَانَ بِحَيْثُ لَوْلَا النَّاسُ أَيْضًا لَسَكَانُ يَصْلَى إِلَّا أَنَّهُ ظَهَرَ لَهُ الرِّغْبَةُ فِي الْمَحْمَدَةِ أَيْضًا فَاجْتَمَعَ الْبَاعِثَانِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ (وَأَنْ لَمْ يَتَجَرَّدْ) الرِّيَاءُ مِنْ قَصْدِ الثَّوَابِ (فَقِيماً لَا يَقْبَلُ الْفَسَادَ) وَهُوَ الْعَمَلُ الَّذِي لَيْسَ بِذِي أَرْكَانٍ (كَالصَّدَقَةِ) وَالْقِرَاءَةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ (يُثَابُ) عَلَى قَصْدِ الْإِخْلَاصِ حَيْثُ اطَّاعَ بِأَجَابَةِ بَاعِثِ الثَّوَابِ (وَيُعَاقَبُ) عَلَى قَصْدِ الرِّيَاءِ حَيْثُ عَصَى بِأَجَابَةِ بَاعِثِ الرِّيَاءِ وَعُدِلَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ (فَوْرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) أَيْ يَرِىْ جَزَاءَهُ فِي الدُّنْيَا أَوِ الْآخِرَةِ (الْآيَةَ) أَيْ (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) فَلَهُ ثَوَابٌ بِقَدْرِ قَصْدِهِ الصَّحِيحِ وَعَلَيْهِ عِقَابٌ بِقَدْرِ قَصْدِهِ الْفَاسِدِ وَلَا يَحْبُطُ أَحَدُهُمَا الْآخَرُ (وَفِي غَيْرِهِ) أَيْ وَفِي غَيْرِهِ لَا يَقْبَلُ الْفَسَادَ وَهُوَ فِيمَا يَقْبَلُ الْفَسَادَ وَهُوَ عَمَلُ ذَوِ الْأَرْكَانِ (كَالصَّلَاةِ) فَانْهَاقِبِلُ الْفَسَادَ بِتَطَرُّقِ خُلُلٍ إِلَى النِّيَّةِ فَفَرَّقَ بَيْنَ الْفَرَضِ وَالنَّفْلِ حَيْثُ قَالَ (لَا يَبْطُلُ النَّفْلُ حَتَّى يَصِحَّ الْإِقْتِدَاءُ) وَالْمَعْنَى أَنَّ حُكْمَهُ أَيْضًا حُكْمُ الصَّدَقَةِ فَقَدْ عَصَى مِنْ وَجْهِهِ وَاطَّاعَ مِنْ وَجْهِهِ ، إِذَا اجْتَمَعَ فِي قَلْبِهِ الْبَاعِثَانِ ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ صَلَاتُهُ فَاسِدَةٌ وَالْإِقْتِدَاءُ بِهِ بَاطِلٌ ، حَتَّى أَنْ مَنْ صَلَّى التَّرَاوِيحَ وَتَبَيَّنَ مِنْ قَرَأَتِهَا حَالَهُ أَنَّ قَصْدَهُ الرِّيَاءَ بِإِظْهَارِ حَسَنِ الْقِرَاءَةِ وَلَوْلَا اجْتِمَاعُ النَّاسِ خَلْفَهُ وَخِلَا فِي الْبَيْتِ وَحْدَهُ لَمَا صَلَّى لَا يَصِحُّ الْإِقْتِدَاءُ بِهِ فَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى هَذَا بَعِيدٌ جِدًّا بَلْ يَظُنُّ بِالْمُسْلِمِ أَنَّهُ يَقْصِدُ الثَّوَابَ أَيْضًا بِتَطَوُّعِهِ فَتَصَحُّ بِاعْتِبَارِ ذَلِكَ الْقَصْدِ صَلَاتُهُ وَيَصِحُّ الْإِقْتِدَاءُ بِهِ (وَلَا يَسْقُطُ الْفَرَضُ إِنْ لَمْ يَسْتَقِلَّ قَصْدُ الثَّوَابِ) بَانَ اقْتِرَانُ قَصْدِ آخَرٍ هُوَ عَاصٍ بِهِ فَاجْتَمَعَ الْبَاعِثَانِ وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ لَا يَسْتَقِلُّ وَأَمَّا يَحْصُلُ الْإِنْبِعَاثُ بِمَجْمُوعِهِمَا ، فَمِنْ هَذَا لَا يَسْقُطُ الْوَاجِبُ عَنْهُ ، لِأَنَّ الْإِجَابَ لَمْ يَنْتَهِضْ بِأَعْيُنٍ فِي حَقِّهِ بِمَجْرَدِهِ وَاسْتِقْلَالِهِ (وَأَنْ اسْتَقَلَّ) أَيْ قَصْدُ الثَّوَابِ بِمَقْتَضَى ظَاهِرِ كَلَامِ الْمُصَنِّفِ ، وَالْإِظْهَارُ أَنَّ اسْتَقْلَالَ كُلِّ مِنَ الْقَصْدَيْنِ الْبَاعِثَيْنِ حَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ بَاعِثُ الرِّيَاءِ لَأَدَّى الْفَرَضَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَاعِثُ

فَوَجَّهَانَ السُّقُوطُ بِالنِّيَّةِ الْمُسْتَقْلَةِ وَعَدَمُهُ لِأَنَّ الْوَاجِبَ هُوَ الْخَاصُّ. وَإِنْ كَانَ فِي
 الْمُبَادَرَةِ فِيهِ قُوَّةُ الْفَضِيلَةِ لِقَصْدِ الرِّيَاءِ أَمَّا الْمَغْلُوبُ الْغَيْرُ الْمُؤَثِّرُ مَثَلًا كُمْجَرْدِ
 الْفَرَحَةِ فَالْغَالِبُ فِيهِ الْجَوَازُ لِعَدَمِ اعْتِبَارِ غَيْرِ الْمُؤَثِّرِ وَاحْتِمَالِ أَنَّ الْوَاجِبَ هُوَ
 الْخَاصُّ وَالْمُخْلَطُ غَيْرُ مُؤَدٍّ وَمِنْ ثَمَّ تَوَقَّفَ الْحَارِثُ الْمُحَاسِبِيُّ مَثَلًا إِلَى الْفَسَادِ
 وَقِيلَ بِالْفَسَادِ بِأَقَلِّ خَطَرَةٍ مُطْلَقًا

الفرض لانشاء صلاة التطوع لاجل الرياء ﴿ فوجهان ﴾ اى ففيه احتمالان احدهما
 ﴿ السقوط ﴾ اى سقوط الفرض واعتباره للامثال ﴿ بالنية المستقلة ﴾ واقتران
 غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه ، كما لو صلى فى دار مخصصة فانه وان كان عاصيا
 بايقاع الصلاة فى الدار المخصصة فانه مطيع بامثال الصلاة وسقط للفرض عن نفسه
 ﴿ وعدمه ﴾ اى وثانيهما نفى سقوط الفرض ﴿ لان الواجب ﴾ فى تأدية الفرض
 ﴿ هو الخاص ﴾ من الرياء لقوله تعالى: ﴿ وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾
 وقد فات ذلك باتصال الرياء ﴿ وان كان ﴾ باعث الاخلاص مستقلا ثم تعارض
 الاحتمال فى تعارض البواعث انما هو فى اصل الصلاة وان كان اتصال الرياء ﴿ فى
 المبادرة ﴾ مثلا دون اصل الصلاة مثل من بادى بالصلاة فى اول الوقت لحضور الجماعة
 ليقولوا انه مبادى الى الخيرات ومسارع الى الطاعات والمبرات ، ولو خلا لآخر الى
 وسط الوقت او آخره ، ولولا الفرض لكان لا يبتدىء صلاة لاجل الرياء ، فهذا انما
 يقطع بصحة صلانه وسقوط الفرض عن ذمته ﴿ ففيه قوت الفضيلة ﴾ وهى تصحيح
 النية فى المبادرة ﴿ والمعصية لقصد الرياء ﴾ فى المبادرة ﴿ اما المغلوب ﴾ من الرياء
 ﴿ الغير المؤثر ﴾ اى اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر فى العمل كالذى لم يحمله على تطويل
 الصلاة ﴿ مثلا كمجرد الفرح ﴾ باطلاع الغير ﴿ فالغالب ﴾ من جهة الظن ﴿ فيه ﴾
 اى فى ذلك الرياء المغلوب الغير المؤثر ﴿ الجواز ﴾ اى صحة العمل ﴿ لعدم اعتبار
 غير المؤثر ﴾ دفعا للخرج ﴿ واحتمل ان الواجب ﴾ على العبد ﴿ هو الخاص ﴾
 من العمل عن الرياء ﴿ والمخلط ﴾ بالرياء ﴿ غير مؤدى ﴾ حق الاداء ﴿ ومن ثم
 توقف الحارث المحاسبي مائلا الى الفساد ﴾ اى فساد العمل بالرياء غير المغلوب كما
 قدمناه ﴿ وقيل بالفساد باقل خطرة ﴾ فيما كان من اركان العمل ﴿ مطلقا ﴾ اى

حِرْصًا فِي تَصْفِيَةِ الْقَلْبِ وَالْمَسْأَلَةَ غَامِضَةً وَالْعِلْمَ عِنْدَهُ تَعَالَى، وَالْعِلَاجُ قُلْعُ حُبِّ الْجَاهِ
وَالْمَدْحِ وَكَرَاهَةِ الذَّمِّ وَالطَّمَعِ بِمَا سَبَقَ وَاخْفَاءُ الْعَمَلِ مُتَكَلِّفًا وَذِكْرُ فَوَائِدِ

سواء بلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل ام لا . وقيل مطلقا اي رياء كان او غيره
(حرصا) لطالبه الرب (في تصفية القلب) عما عداه سبحانه لاسيما جال العباد
هو مذهب الثوري والجنيد (والمسألة) اي مسألة الرياء (غامضة) اي مشكلة
من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه ، والذين خاضوا فيها وتصرفوا من
ارباب التصوف لم يلاحظوا قوانين الفقه من صحة الصلاة وفسادها ، بل حملهم الحرص
على تصفية القلوب ومرادها ، وطالب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر
والارادات (والعلم عنده تعالى) في جميع الحالات والمقامات . وما يؤيد القول
بابطال الرياء في جميع الطاعات اطلاق قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رثاء الناس) الآية ، ورواية ابي داود من حديث ابي
هريرة : ان رجلا قال يا رسول الله رجل يبتغي الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا
من عرض الدنيا ، فقال عليه السلام : لا اجر له ، وللنساء من حديث ابي امامة باسناد
حسن : ارايت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ماله ؟ فقال لاشيء له ، فاعادها ثلاث
مرات يقول له لاشيء له ثم قال ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى
به وجهه ، نعم قد يقال الحكم للاغلب والله تعالى اعلم (والعلاج) اي دواء داء
الرياء اربعة (قلع حب الجاه والمدح) اللذين هما سببه (وكراهة الذم والطمع)
فيما في ايدي الناس ، اي وقلع كراهتهما والطمع (بما سبق) ذكره من الاشياء .
وبما يشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمعراتي ما روى ابو موسى وان اعرابيا
سأل النبي عليه السلام فقال : يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ، ومعناه انه يأتفان
يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب قال : والرجل يقاتل لذى مكاة ، وهذا هو طلب
لذة الجاه ، والرجل يقاتل للذكر ، وهذا هو طالب الحمد باللسان « فقال عليه السلام :
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا » متفق عليه . وعنه عليه السلام : « من غزا لا يبغي
الاعقالاته مانوى » رواه النسائي وهذا اشارة الى الطمع (و اخفاء العمل متكلفا)
اي مجتهدا مبالغيا فيه بان يعبد نفسه اخفاء العبادات كما يخفى السبب (وذكر فوائد

الْإِخْلَاصِ وَآفَاتِ الرِّيَاءِ فَمَا أَقْبَحَ مِنْ لَا يَكْتَفِي بِنَظَرِهِ تَعَالَى عَلَى سَاعَةِ مِنَ الْعَمَلِ الْمَعْيُوبِ وَهُوَ تَعَالَى مَعَ جَلَالِهِ يَكْتَفِي بِنَظَرِهِ فُورِدَ . (لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) الْآيَةُ، وَمَنْ بَاعَ عَمَلَهُ بِخَسِيسٍ فَإِنْ وَاَعْرَضَ عَنْ يَمِينِهِ بِثَوَابِ الدَّارَيْنِ فُورِدَ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) وَذِكْرُ مَا وُرِدَ فِيهِ، وَيُحَمَّدُ الْفَرَحَةَ بِالظُّهُورِ عَلَى حُسْنِ لُطْفِهِ تَعَالَى

الاخلاص وآفات الرياء على ما تقدم

والحاصل ان قوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور الايقان ، وضعف المعرفة بسبب حب الدنيا ، وحسب الغفلة ونسيان العقبى ، وقلة التفكير فيما عند المولى من الدرجات ، وعدم التأمل في آفات الدنيا وعظم نعيم الاخرى ، وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع السيئات ، فان حلاوة حب الجاه والمازلة ونعيم الدنيا الفانية هي التي تغمر القاب وتميله عن الرب ، وتحول بينه وبين التفكير في العاقبة الباقية ، والاستبصار بنور الكتاب والسنة الثابتة ، وانوار العلوم النافعة واسرار الاعمال الرافدة (فاقبح من لا يكتفى بنظره تعالى على ساعة من العمل المعيوب) عنده (وهو تعالى مع جلاله) اى جلالة قدره وعظمة شأنه (يكتفى بنظره) اى بنظر عبده وتأمله في خالق سمائه وارضه ونزول امره (فورد) في التنزيل (الله الذى خالق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن) لتعلموا ان الله على كل شىء قدير (الآية) اى (وان الله قد احاط بكل شىء علما) (ومن) اى وما اقبح من (باع عمله بخسيس فان واعرَضَ عن بيعه بثواب الدارين) من نفيس باق ليس له ثاب (فورد) في التنزيل (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فليطأهما من عنده فانه لا يوجد واحد منهما عند غيره (وذكر ماورد فيه) اى في الاخلاص من الفضيلة وفي ذم الرياء من الرذيلة ، ويكفى في ذلك قوله سبحانه : (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) والَاخْبَارُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ وَالْآثَارُ شَهِيرَةٌ (ويحمد الفرحة بالظهور) اى بسبب ظهور الطاعة من غير قصد في اظهارها (على حسن لطفه تعالى) اى شكرًا

بِاخْفَاءِ الذُّنُوبِ وَإِظْهَارِ الطَّاعَاتِ، فَوَرَدَ (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) أَوْ دَلَالَتِهِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ كَذَلِكَ فَوَرَدَ «مَاسْتَرُ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَسْتَرَهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ» وَأَوَّانَهُ يَقْتَدِي بِهِ فَيُضَاعَفُ الْأَجْرُ أَوْ أَنَّ الْمُطَّلَعِينَ عَلَى عَمَلِهِ يَثَابُونَ بِمَحَبَّتِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَيَعْرِفُ الْآخِرُ بِتَسْوِيَةِ مَدْحِهِ وَمَدْحِ صَالِحٍ غَيْرِهِ، وَمِنْهُ مَا وَرَدَ «لَكَ أَجْرَانِ أَجْرُ السِّرِّ وَأَجْرُ الْعِلَانِيَةِ» فَيَمُنُّ قَالِ أَخْفِ الْعَمَلَ فَإِذَا ظَهَرَ أَفْرَحْ

(بِاخْفَاءِ الذُّنُوبِ) أَيْ سِتْرِ السَّيِّئَاتِ (وَإِظْهَارِ الطَّاعَاتِ فَوَرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) مِنْ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) أَيْ لَا يَغْيِرُ مَا ذَكَرَ (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ . وَفِي الدَّعَاءِ يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ (أَوْ دَلَالَتِهِ) أَيْ أَوْ يَحْمَدُ الْفَرَحَ بِالظُّهُورِ عَلَى دَلَالَتِهِ (عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ كَذَلِكَ) مِنْ أَظْهَارِ الْحَسَنَاتِ وَسِتْرِ السَّيِّئَاتِ (فِي الْآخِرَةِ) أَيْ آخِرَ الْحَالَاتِ (فَوَرَدَ) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ «مَاسْتَرُ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَسْتَرَهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ» وَفِي مَعْنَاهُ انْتَدُوا *

لَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ فِيمَا مَضَى هـ كَذَلِكَ يَحْسَنُ فِيمَا بَقِيَ

فَيَكُونُ الْأَوَّلُ فَرَحًا بِالْإِقْبُولِ فِي الْحَالِ مِنْ غَيْرِ مِلَاحَظَةٍ لِلِاسْتِقْبَالِ، وَالثَّانِي التَّفَاتُ إِلَى حَالِ الْمَآلِ وَحَسَنِ الْمَنَالِ (أَوَّانَهُ) أَيْ يَحْمَدُ بِالْفَرَحِ أَوْ بِالظُّهُورِ عَلَى أَنَّهُ ظَهَرَ عَمَلُهُ (يَقْتَدِي بِهِ فَيُضَاعَفُ الْأَجْرُ) بِسَبَبِ ظُهُورِهِ (أَوْ) أَيْ أَوْ يَحْمَدُ بِالْفَرَحِ عَلَى (أَنَّ الْمُطَّلَعِينَ عَلَى عَمَلِهِ يَثَابُونَ بِمَحَبَّتِهِ) أَيْ بِمَحَبَّةِ صَاحِبِ الْعَمَلِ (وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ) فِي مَقَامِ رِضَاهِ فَقِي الْخَيْرِ هـ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ (وَيَعْرِفُ الْآخِرُ) وَهُوَ صَدَقَ دَعْوَى فَرَحِهِ بِإِثَابَةِ النَّاسِ أَوْ فَرَحِهِ بِاقتدائهم فِي عَمَلِهِ (بِتَسْوِيَةِ مَدْحِهِ وَمَدْحِ صَالِحٍ غَيْرِهِ) فَانْهَ حِينَئِذٍ دَلَّ عَلَى أَنَّ فَرَحَهُ بِمَحْمُودٍ لَا مَذْمُومٍ مُرَدُّودٍ (وَمِنْهُ) أَيْ وَمِنْ الْفَرَحِ بِالْمَحْمُودِ (مَا وَرَدَ لَكَ أَجْرَانِ أَجْرُ السِّرِّ وَأَجْرُ الْعِلَانِيَةِ فَيَمُنُّ قَالَ) عَلَى طَرِيقِ السُّؤَالِ (أَخْفِ الْعَمَلَ) خَوْفًا مِنَ الرِّيَاءِ (فَإِذَا ظَهَرَ أَفْرَحْ) بِظُهُورِ الثَّنَاءِ، وَلِلْبَهْقِيِّ فِي شَرْحِ الْإِيمَانِ «عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ أَسِرَّ الْعَمَلَ لِأَحِبِّ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ فَيُطْلَعَ عَلَيْهِ فَيَسْرِقُ» فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَكَ أَجْرَانِ أَجْرُ السِّرِّ وَأَجْرُ الْعِلَانِيَةِ، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ

وَالْأَظْهَارَ لِلتَّرْغِيبِ فَوْرَدَ «مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وَبِهِ أَمْرُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ مَنْ يُقْتَدَى بِهِ وَيَبَالِغُ فِي الْإِحْتِرَازِ عَنِ الرِّيَاءِ وَيَعْرِفُ بِأَنَّهُ لَوْ قَدَّرَ اقْتِدَاءُ النَّاسِ بغيرِهِ وَعَرَفَانَهُ بِاسْتِوَاءِ أَجْرِ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لِمَا رَغِبَ

من رواية أبي هريرة، ولفظه «قال قلت: يا رسول الله بينا أنا في بيتي في مصلاي دخل علي رجل فاجبني الحال التي رآني عليها، فقال عليه السلام: رحمك الله يا أبا هريرة لك أجران أجر السرو وأجر العلانية» والحديث في المشكاة (والأظهار) أي ويحمد أظهار العمل (للتغريب) أي لتغريب غيره فيه (فورد) في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي (من سنة حسنة) أي فعل بها كما في رواية د (فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) وسبب وروده أن أنصارا جاءوا بصرة فتابع الناس بالعطية لما رواه البيهقي من حديث ابن عمر «عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء» وله من حديث أبي الدرداء «ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا» وله من حديث عائشة «يفضل أوبضاعف الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفا» (وبه) أي وبالأظهار (أمر الأنبياء عليهم السلام) ويفهم منه أنه يحسن الأظهار (بشرط أن يكون) المظهر (من يقتدى به) من العلماء والصالحاء لنتم فائدة الأظهار الذي دون الأسرار. قال الحسن: قد علم المسلمون أن السر أحرز العاملين، ولكن في الأظهار أيضا قد تكون فائدة فلذا اتنى الله على السر والعلانية فقال تعالى: (ان تبدوا الصدقات فتنها هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) قلت وقد قال أيضا (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم) الآية قال على رضي الله عنه: تصدقت بدرهم في ليل وآخر في نهار وآخر سرا وآخر علانية عملا بالآية وما فيها علانية (ويبالغ) أي وبشرط أن يبالغ (في الاحتراز عن الرياء) ليصل إلى مقام أهل الاختصاص من الاخلاص، فرجما يكون فيه رياء في غاية الخفاء فيدعوه إلى الأظهار بعذر الاقتداء فيهلك هنالك وهو لا يشعر بذلك (ويعرف) احترازه أو يعرف المظهر للتغريب دون الرياء، (بأنه لو قدر) أي فرض (اقتداء الناس بغيره) من العلماء في عمله حال ظهوره (وعرفانه) أي وقدرة معرفة هذا المظهر (باستواء أجر السرو والعلانية) فضلا عن كون عمل السر أفضل (لما رغب) (لما رغب)

فِيهِ، وَالذِّكْرُ بَعْدَهُ وَهُوَ لِمَنْ قَوِيَ بَاطِنُهُ وَتَمَّ اخْلَاصُهُ وَخَطَرُهُ أَصْعَبُ لِحِفَّةِ الْمُؤْتَةِ
وَزِيَادَةِ الْمُبَالَغَةِ وَلَذَّةِ النَّفْسِ وَأَخْفُ لِأَنَّ اللَّاحِقَ لَا يُبْطِلُ السَّابِقَ وَكِتْمَانَ
الْمَعَاصِي لِأَنَّ يُعْتَقَدَ فِيهِ الْعَمَلُ يَا بَلِّ لِلتَّحَامِي عَنِ الْهَتِكِ فَفِيهِ خَوْفُهُ فِي الْآخِرَةِ

المظهر (فيه) أى فى اظهار عمله ، لان غرضه حصل من عمل غيره ، فهما وجد
الثقل فى نفسه اورغب فى اظهار العمل مع وجود اظهاره من الغير فهو كاذب فى دعواه
طالب لمقتضى هواه (والذكر) أى ويحمد ذكر العمل (بعده) أى بعد فراغ
العمل ليقندى به كقول عثمان : مات غنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى يمينى منذ بايعت
بها رسول الله ﷺ ، كذا فى الاحياء . ولابى يعلى الموصلى فى معجمه من رواية
انس عنه فى اثناء حديث « وان عثمان قال يا رسول الله ، فذكره بلفظ منذ بايعتك
قال هو ذاك يا عثمان ، او تحدثا بنعمة ربه (وهو) أى الذكر انما جاز (لمن قوى باطنه)
فى المعرفة بعدم الالتفات الى سوى الله (وتتم اخلاصه) عن الرياء (وخطره)
اى خطر الذلر بعد العمل (اصعب) من خطر الظهور (لحفة المؤنة) اى الكلفة
فى ذكره ببعض الكلمة (وزيادة المبالغة) اى ولزيادتها فى ذكر العمل بان يقول
مانمت البارحة مع انه لا يخلو من نوع من النوم ولو بالنعاس (ولذة النفس) فى
اظهار الدعوى (واخف) اى اهون على المظهر فى التأثر وان يطرق فى الذكر
بعد العمل (لان اللاحق) من ذكر العمل (لا يبطل السابق) من نفس العمل
مع الاخلاص (وكتمان المعاصي) اى ويحمد كتمان الذنوب وكرامة اطلاع الناس
على العيوب (لا) اى لا يحمد (لان يعتقد فيه) اى فى الكاتم (العمل رياء
بل) يحمد لثمانية اشياء (للتحامى عن الهتك) اى لاه حافظة على هتك ستره
وظهور امره من ذنبه خوفا من سقوط وقع المعاصي من النفس وجرتها عليها ، فان
النفس متى ألقت ظهور الذنوب زادانها كها واسترسلت فى شهواتها بارتكابها وما بال
بعدم اجتنابها (ففيه) اى فى الهتك فى الدنيا (خوفه) اى خوف العبد او خوف
الهتك (فى الآخرة) اى فى القيامة بالكرة الآخرة عكس ما تقدم فى قوله
كما احسن الله فيما مضى . لذلك يحسن فيما بقى

أَوْ لَانَ السِّرِّ مَأْمُورُهُ فُورِدَ «مَنْ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ فَلَيْسَتْ بِسِرِّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَيُعْرَفُ بِكَرَاهَةِ ظُهُورِهَا مِنَ الْغَيْرِ أَوْ لَثَلًا يَتَأَلَّمُ بِالذَّمِّ فَهُوَ مُبَاحٌ لَكُونِهِ جَلِيلًا وَالتَّرْكَ كَمَا لَوْ لَانَ النَّاسُ شَهَادَتُهُ فُورِدَ «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ثَلَاثًا أَوْ لَانَ الذَّامُ يَصِيرُ عَاصِيًا وَيُعْرَفُ بِتَسْوِيَةٍ

(اولان الستر) اي كتمان المعاصي (مأموره) اي في باب استجابته (فورد) في حديث «من ستر الله عليه في الدنيا ستر الله عليه في الآخرة» باعتبار مفهومه وكذا (من ارتكب شيئا من هذه القاذورات) اي السيئات (فليستر بستر الله تعالى عليه) رواه الحالم (ويعرف) صحة هذا المقام (بكراهة ظهورها) اي المعاصي (من الغير) ففي الخبر «لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه» (اولثلا يتالم بالذم) اي يذم الناس فان الذم مؤلم للقلب وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان بعاص (فهو) اي التالم (مباح لكونه جليلا) ان الضرب يؤلم الجوارح بالطبع فاذا تألم القلب بالذم ربما يصير مانعا من الخشوع والخضوع في العبادة لفوات عقله بسبب الغضب الناشئ عن تألمه (والترك) اي ترك التالم (كالم) فان كمال الصدق في ان تزول عنه رؤية الخالق فيستوى عنده ذممه ومادحه لعله ان الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون مقهورون تحت قدره وقضائه ، فلما رمدى من حديث البراء وحسنه بلفظ «قام رجل فقال ان حمدي زين وان ذمي شين فقال كذبت ذاك الله» ولاحمد من حديث الاقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات (اولان الناس شهداؤه) اي شهداء الله تعالى كما قيل : السنة الخلق أقلام الحق (فورد) في مسند أحمد والصحاحين والنسائي عن أنس (من اثنيتم) أيها الصحابة أو أيها الأمة (عليه خيرا وجبت له الجنة ، ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له النار انتم شهداء الله في الأرض ثلاثا) اي قاله ثلاث مرات وهو المستفاد من قوله سبحانه (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) اي عدولا (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (اولان الذام يصير عاصيا) اي بسبب ذمه ولو بالمعاصي أو بتجاوزه عن الحد في الذم فيذم بما ليس فيه (ويعرف) تصحيح هذا المقام أو يعرف هذا الكتمان (بتسوية

ذَمُّهُ وَذَمُّ غَيْرِهِ أَوْ لِحُوفٍ أَنْ يُقْصَدَ بِسُوءٍ أَوْ لِلْحَيَاءِ فَهُوَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَعِ وَوَرَدَ
« الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ، أَوْلَانُ لَا يَقْتَدِي بِهِ الْغَيْرُ وَحُبُّهُ
مَحَبَّةُ النَّاسِ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْهُ مَحَبَّتُهُ تَعَالَى فَمَنْ أَحَبَّهُ تَعَالَى جَعَلَهُ مَحْبُوبًا فِي قُلُوبِهِمْ
ثُمَّ الطَّاعَةُ الَّتِي يَلْتَذُّ بِهَا الْعَامَّةُ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ يَتْرُكُ بِمَحْضَرِ الْغَيْرِ أَنْ هَجَمَ الرِّيَاءُ
فِي الشَّرُوعِ »

ذمه وذم غيره) بمعنى لما يتألم بذمه كذلك بذم غيره والفرق بين هذا التألم والذي قبله
ان هذا يوجد في الانسان اذا ظهرت المعصية عن غيره أيضا لما يوجد اذا ظهرت منه ،
والذي قبله انما يوجد في الشخص اذا ظهرت منه المعصية دون غيره (او لحوف ان يقصد
بسوء) من محاسب وغيره وهذا وراء الم الذم ، فان الذم مذموم من حيث يشمر القلب بتقصانه
وان كان بمن يؤمن شره ، وهذا يخاف شر من يطلع على ذنبه فيتغير عليه من جهة قلبه (او
للحياء فهو من كرم الطبع) ولا يلزم منه الرياء (وورد الحياء خير كله) مسلم من
حديث عمران بن الحصين (الحياء شعبة من الايمان) متفق عليه من حديث أبي هريرة
وفي الخبر « الحياء لا يأتي الا بخير » متفق عليه من حديث عمران بن الحصين . ويعرف
السكرتان للحياء بعدم السكرتان فيمن لا يستحي منه كالأجانب بخلاف باقى الأسباب فان
صاحبها يحب السكرتان في الأجانب والأقارب (أولان لا يقتدى به الغير) في معصيته
فيذنبى ان يخفى العاصى معصيته من ولده وعبد أيضا (وحب) أى ويحمد حب
(محبة الناس) كان الظاهر ان يقال محبة الناس ليكون اضافة المصدر الى فاعله والمفعول
محذوف أى اياه ، لكنه قلب الكلام وقال محبة الناس بالاضافة الى المفعول والناس فاعلها
(لان يعلم منه) أى من حب الناس له (محبة تعالى) رياء (فمن أحبه تعالى جعله محبوبا
في قلوبهم) أى قلوب الخلق اجمعهم لقوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا) ولقوله عليه السلام « اذا أحب الله عبدا دعا جبريل فقال
انى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء فيقول : ان الله يحب فلانا فأحبه
فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض » الحديث رواه مسلم عن أبي هريرة
(ثم الطاعة التى يلتذ بها العامة كالصلاة والصوم) والصدقة (يترك بمحضر الغير ان
هجم الرياء) متجردا عن باعث آخر او عن الاخلاص (فى الشروع) أى فى ابتداء

حَتَّىٰ اَنْدَفَعَ الرِّيَاءُ وَيَشْرَعَ مُجَاهِدًا اِنْ هَجَمَ بِاعْثَانٍ وَيَتِمُّ كَذَلِكَ اِنْ هَجَمَ بَعْدَهُ
وَلَا يَتْرُكُ لِأَنَّهُ مُوَافِقُ الشَّيْطَانِ وَلِأَنَّ الْاَشْتِهَارَ بِاخْفَائِهَا لِيُعْلَمَ اخْلَاصُهُ رِيَاءً
وَالْاِحْتِرَازَ عَنِ النَّسْبَةِ إِلَى الرِّيَاءِ رِيَاءً وَتَرْكُ النَّخَعِ التَّلَاوَةَ لِدُخُولِ شَخْصٍ لِمَا عُلِمَ أَنَّهُ
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ بِالْاَشْتَغَالِ بِهِ لِكَوْنِهِ أَبْعَدَ مِنَ الرِّيَاءِ وَأَنْ زَادَ عَلَى الْمُتَعَادِ بِحُدُوثِ
النَّشَاطِ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ مُتَعَبِّدًا فَإِنْ كَانَ غِبْطَةً لَزَوَالِ الْغَفْلَةِ وَالْكَسَلِ

شروعه في العمل (حتى اندفع الرياء) أي الى ان يندفع الرياء ويطرأ باعث الاخلاص
(ويشروع) في العمل (مجاهدا) نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجة
والدواء (ان هجم باعثنان) في وقت الشروع (ويتم) أي مجاهدا (كذلك) أي
كما أتتم في هجوم باعثن (ان هجم) باعث الرياء (بعده) أي بعد الشروع (ولا يترك)
أي رياء الشروع في العمل مع هجوم الرياء لوجهين (لأنه موافق الشيطان) فانه يحب
ترك العمل من أصله ، فانه يدعوك أولا الى ترك العمل ، فاذا لم تجبه واشتغلت بالعمل
فيدعوك الى الرياء ، فاذا لم تجبه ودفعته بقى يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مرء
وتعيبك ضايع فاي فائدة لك في العمل الذي لا اخلاص فيه حتى يدلك على ترك العمل
بخوفك ، فاذا تركته حصلت غرضه ، بل يجب عليك حينئذ أن تعمل العمل وتطلب
الاخلاص من الله تعالى فان الرياء قنطرة الاخلاص (ولان الاشتهار باخفائها) أي
الطاعة (ليعلم اخلاصه رياء والاحتراز عن النسبة الى الرياء رياء) كما قال الفضيل: العمل لغير
الله شرك، وترك العمل لاجل الخاق رياء، والاخلاص ان يخلصك الله منها (وترك النخعي
التلاوة لدخول شخص) لم يكن لمجرد اخفاء الطاعة بل (لما علم انه يحتاج اليه بالاشتغال به)
فبادر الى ترك التلاوة قبل دخوله (لكونه) أي التبادر (أبعد من الرياء) فرأى ان عدم
اشتغاله بالقراءة أبعد من الرياء ، وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليها بعد ذلك
والحاصل ان تركه لم يكن لهجوم الباعثن عند الشروع أو هجوم باعث الرياء بعد الشروع
(وان زاد) أي المصلى مثلا (على المعتاد) في ورده كمية أو كيفية (بحديث النشاط) في
العبادة (عند رؤيته متعبدا) أي عند رؤيته لمتعبدا آخر فان للصحة تأثيرا بليغا ولذا شرع الجمعة
والجماعة (فان كان) ما زاد على المعتاد (غبطة) في العبادة (لزوال الغفلة والكسل

بمُشاهدته فيفعل الزيادة دافعا وسوسة أنه رياء بخلاف ما إذا كان نشاطا لاستمالة قلبه ويعرف بأنه لو رأى بحيث لم يره رغب فيه أاما تلتذ به العامة فالأعلى الخلافة فورد «ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين سنة» وخطرها أعظم لتحريكها الباطن في محبة الجاه والافضاء الى ارتكاب الذنب لنموه

بمُشاهدته) أي المتعبد (فيفعل الزيادة) على العادة وان ظن انه رياء دافعا وسوسة انه رياء (بخلاف ما اذا كان نشاطا لاستمالة قلبه) أي قلب المتعبد الآخر فلا يفعل الزيادة لانه رياء محض لا ثواب فيه بل عقاب عليه (ويعرف) هذا المقام وهو النشاط لاجل الغبطة (بانه) أي بان العابد الذي يزيد على المعتاد غبطة (لورأى) أي المشط المتعبد (بحيث لم يره) المتعبد المنشط (رغب) العابد (فيه) أي في العمل الزائد فانه حينئذ يصدق انه مخلص وباعث الزيادة حصول الغبطة (اماما تلتذ به العامة) من الطاعة (فالأعلى الخلافة) أي الامامة الكبرى (فورد) في الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس (ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين سنة) وفي رواية عامما، وللأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابي سعيد الخدري «اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة امام عادل» (وخطرها) أي آفة الخلافة (اعظم لتحريكها) أي الخلافة (الباطن في محبة الجاه) وهو اعظم بلاء الدنيا فلاحمد، والبزار وابي يعلى والطبراني من حديث ابي هريرة «ما من والى عشرة الا جاء يوم القيمة يده مغلولة الى عنقه لا يفكها الا اذا غفر له، وفي الصحيحين من حديث معقل بن يسار «ما من عبد يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصيحة الالم يرح رائحة الجنة» وعن الحسن ان رجلا ولاه النبي عليه السلام فقال خرلى يا رسول الله قال اجلس رواه الطبراني ورواه ايضا من حديث ابن عمر بلفظ «الزم بيتك» وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن سمرة «لا تسأل الامارة» وللبخاري من حديث ابي هريرة «انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة» ورواه ابن حبان «فبئست المرضعة وبئست الفاطمة» وفيهما من حديث ابي موسى «انا لانولى امرنا من سألنا» (والافضاء) أي واتصال الخلافة وانجرارها (الى ارتكاب الذنب لنموه) أي لزيادة الجاه، فان كل مانما جاهه وغلب على النفس حبه صارت الولاية محبوبة

وَمَنْ ثُمَّ احْتَرَزَ عَنْهَا الْإِتْقِيَاءُ فَيَحْتَرِزُ عَنْهَا الضَّعِيفُ دُونَ الْقَوِي لِعَدَمِ
تَأْثِيرِهَا فِيهِ إِلَّا إِذَا عَلِمَ الْقَوِيُّ الْإِنْقِلَابَ عِنْدَ التَّقْلِيدِ فَالصَّحِيحُ فِيهِ الْإِحْتِرَازُ
إِذِ النَّفْسُ خِدَاعَةٌ يُخَافُ عَلَيْهَا عِنْدَ الْجَزْمِ بِالثَّبَاتِ فَعِنْدَ الْخَوْفِ أُولَى وَالْإِمْتِنَاعُ
أَهْوَنُ مِنَ الْعَزْمِ، ثُمَّ الْقَضَاءُ ثُمَّ الْوَعْظُ وَالْدَّرْسُ وَالْفَتْوَى فِي الْفَضْلِ وَالْخَطَرِ
وَأَشْتَرَاطِ الْقُوَّةِ وَمُدَافَعَةِ السَّلَفِ فِيهَا مَشْهُورَةٌ ،

عنده فيحتاج الى حفظها ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وان
كان حقا (ومن ثم احتراز عنها) اى عن الخلافة (الاتقياء) من ائبر الامة لكن
لا بد لاحد ان يقوم بامرها (فيحترز عنها الضعيف) اى العاجز عن السياسة (دون
القوى) القادر على الرياسة (لعدم تأثيرها) اى تأثير الخلافة أو محبة الجاه (فيه)
اى فى القوى (الا اذا علم القوى) اى خاف (الانقلاب) ، عن حالة القوة الى
حالة الضعف (عند التقليد) اى عند قبول الخلافة لما قدمنا من الخطر والآفة (فالصحيح)
الاحوط (فيه) اى فى هذا الحال من خوف الانقلاب (الاحتراز ، اذ النفس
خداعة يخاف عليها عند الجزم) اى عند عزمها وجزمها (بالثبات فعند الخوف)
من عدم الثبات (اولى) ان يخاف عليها (والامتناع) عن المنصب (أهون
من العزل) كما هو المشاهد فى اهل العدل ويشير اليه ما فى حديث البخارى « نعمت
المرضعة وبشت الفاطمة » (ثم القضاء) وخطره ايضا اذنى من خطر الخلافة ، ولمسلم
من حديث ابي ذر « لا تؤمن على اثنين ولا تلين مال يقيم ، ولاصحاب السنن من
حديث بريدة « القضاء ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة رجل علم الحق ففضى به
فهو فى الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ، ورجل عرف الحق فجارى
الحكم فهو فى النار » ولهم من حديث ابي هريرة « من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين ،
وفى رواية « من ولى القضاء » واسناده صحيح (ثم الوعظ) ، للناس (والدرس)
للطلبة (والفتوى) لارباب الحاجة (فى الفضل) لانها عبادات متعددة (والخطر)
لاناساع الجاه فيها وعظم القدر بها فخطرها عظيم بقدرها (واشتراط القوة) بان
يحول التعليم خالصا لوجه الله الكريم (ومدافعة السلف) مبتدأ (فيها) اى فى
المذكورات (مشهورة) قال بعضهم : كان السلف يتدافعون اربعة اشياء : الامانة

وَتَعْرِفُ الْقُوَّةَ بَعْدَ كَرَاهَةِ ظُهُورِ آخِرِ يَتَقَلَّدُهُ فَإِنْ عُدِمَ الْقَوِيُّ الْكَامِلُ يَتَعَيَّنُ
أَقْوَى النَّاسِ مُجْتَهِدًا فِي الْإِحْتِرَازِ عَنْ آفَاتِهِ

(الباب الرابع عشر في التفويض وقصر الأمل وذكر الموت والانتباه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • الْخَطَرُ خَطَرٌ أَنْ خَطَرَ الْفَسَادِ وَيَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى التَّفْوِيزِ

والوديعة ، والوصية ، والفتوى (وتعرف القوة) في كل منهم (بعدم كراهة ظهور
آخر) أحسن منه علما وعملا (يتقلده) أي بالقيام في أمره (فان عدم القوى) في مقام
التقوى (الكامل) في العلم بالفتوى (يتعين أقوى الناس مجتهدا) أي حال لونه مبالغا
(في الاحتراز عن آفاته) أي آفات ما ذكر من الخلافة وغيرها في جميع حالاته ومقاماته
وبالجملة ما يتعاق بالخلق من الطاعة والنفس فيه لذة فهو منار الآفات ومنع البليات ،
فالاحب للقوى ان يعمل ويدفع الآفة بالعلم ، فان عجز فليُنظر وليجتهد وليستفت قلبه
وليستخر ربه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر ، ليفعل ما يدل عليه نور العلم بالشرع
دون الميل اليه بالطبع اذ ما يجده اخف على قلبه وراهمون اليه يكون في الاكثر اضر عليه ،
لان النفس لا تشير الا بالشر قلما تشير بمحض الخير ، وهذه امور لا يمكن الحكم على
تفاصيلها بنفى واثبات نظرا الى تعاليلها ، بل هي موكولة الى اجتهاد القلب المشحون
بذكر الرب لينظر فيه لدينه وتحقيق يقينه ويدع ما يريه الى ما لا يريه . ومن جرب آفات
مناصب العلم وما يترتب عليها من الحرام والشبه علم انها بالولايات والحكومات اشبه ،
وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم . والله سبحانه أعلم •

(الباب الرابع عشر في التفويض وقصر الأمل وذكر الموت والانتباه)

أي اليقظة من نوم الغفلة بالتوبة والاستقامة (بسم الله الرحمن الرحيم) وافوض أمري
الى ربى الكريم (الخطر) وهو الاشراف على الهلاك ان لم يكن مقرونا بالحذر وفق
التقدير (خطر ان) أي نوعان أحدهما (خطر الفساد) بان لا يستيقن فيه الصلاح
(ويحتاج فيه الى التفويض) أي التسليم الى امر الله وما قدره وقضاه فيما أراد من
الصلاح والفساد ، فان المراد لا مباد ثلاثة ، مراد به لم يقينا انه شر وفساد كالنار والعذاب
والحجاب ، وفي الافعال كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل لك الى ارادة ذلك .
ومراد يعلم قطعاً انه خير وصلاح كالجنة والإيمان والطاعة والسنة فلك ارادتها بالحكم

وَهُوَ ارَادَةُ حَفْظِهِ تَعَالَى لِلتَّفْوِضِ فِيْمَا لَا أَمْنٌ فِيهِ مِنَ الْفَسَادِ قِيلَ هُوَ مَا يَكُونُ
دُونَهُ نَجَاةً وَيُمْكِنُ أَنْ يَجَامِعَهُ ذَنْبٌ فَيَخْتَصُّ بِالنَّوَافِلِ وَالْمُبَاهَاةِ وَقِيلَ مَا يُمْكِنُ
أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ مَا يَكُونُ الْإِسْتِغَالُ بِهِ أَوْلَى، فَيَعْمُ الْفَرَضُ

لا موضع للتفويض فيه اذا لخطر فيه ، ومراد لا يعلم يقينا ان لك فيه صلاحا أم فسادا
فهذا موضع التفويض ، فليس لك ان تريد هاقطعا الا بالاستثناء أو شرط الخير والصلاح ،
فان قيدت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان أردت دون الاستثناء فهو مذموم
ومنهى عنه ، فوضع التفويض إذا كل مراد فيه الخطر وهو أن لا يستيقن صلاحك
فيه (وهو) أى التفويض (ارادة حفظه تعالى للتفويض فيها) أى فى عمل (لا امن
فيه من الفساد) وقال بعض المشايخ : هو ترك اختيار ما فيه مخاطرة الى المختار المدير
العالم بمصالح العباد من الصلاح والفساد ، وعبرة الشيخ السنجرى : هو ترك اختيارك
المخاطرة على المختار ليختار لك ما هو خير لك ، ويؤيده كلام الامام الشاذلى :
لا تخترفان تختار فاختران لا تختار فربك يخاق ما يشاء ويختار ، ومن هنا ما قيل لاني يزيد:
ما تريد . قال أريد ان لا أريد . وقال الشيخ أبو عمر : هو ترك الطمع أى من الحق ، والطمع
ارادة الشيء المخاطر بالحكم . وعن الشاذلى : أقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم
لك . فهذه عبارات القوم . وما ذكره المصنف هو اختيار الامام الغزالى بعينه وهو
ان التفويض ارادة ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن الخطر فيه لاجلك
(قيل هو) أى العمل الذى لا أمن فيه من الفساد (ما يكون دونه نجاة) فالإيمان ليس
لغيره نجاة وكذا الواجبات والمحرمات (ويمكن أن يجامعه ذنب) فالاستقامة التى
هى حمل النفس على طريق السلامة من اخلاق القرآن والسنة من غير الشك والشبهة
لا يجامعها ذنب اذ السنة لا يجامعها بدعة ، لان البدعة الذميمة هى التى تزاحم السنة
الكريمة (فيختص) التفويض (بالنوافل والمباحات) دون الواجبات والمحرمات
والمكروهات (وقيل) المراد بالعمل الذى لا أمن فيه من الفساد (ما) أى عمل (يمكن ان
يعترض عليه) أى يطرأ ويحدث على شروعه (ما يكون الاستغفال به أولى فيعم
الفرض) أى ونحوه . واكثر المشايخ واختيار الامام فى منهاج العابدين : ان الفرض
ليس موضع التفويض وبه قال القشيري حيث قال فى هذه المسألة : ان الذى افترض الله
عن وجل على عبده من الصلاة والصيام والحج ونحوها فقهها صلاح العبد لا محالة

اِذْ مِنْ قَصْدٍ اَدَاءُ صَلَاةٍ ضَاقَ وَقْتُهَا وَعِنْدَهُ غَرِيقٌ اَوْ حَرِيقٌ يُمْكِنُ اِنْقَاذُهُ فَهُوَ اَوَّلَى
وَلَا بُدَّ مِنْهُ لِاطْمَئِنَّانِ الْقَلْبِ فِي الْحَالِ وَحُصُولِ الصَّلَاحِ فِي الْاِسْتِقْبَالِ فَلَا
يَفْعَلُ فِي الْمَفْوُضِ الْفَسَادَ فَوَرَدَ (وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ - إِلَى - فَوَقَاهُ اللَّهُ) الْآيَةَ
وَأَمَّا الْأَصْلَحُ فَرُبَّمَا لَا يَفْعَلُ حَتَّى تَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَصْحَابِهِ

وصحت ارادتها بالحكم البتة انتهى، وقال بعضهم . ان الله عز وجل لا يأمر العبد بشيء الا وفيه صلاح اذا تجرد عن العوارض ، ولا يضيق عليه فعلا فرضا . يث لا يعدل عن ذلك الا وفيه صلاح له ، وانه ربما يسبب عذرا لاجله يكون العدول عن احد الفرائض اولى من الاشتغال بالآخر ، فيكون العبد في ذلك معذورا بل مأجورا لكن لا يترك هذا الفرض بل يفعل الفرض الذي هو اولى اولا (اذ من قصد اداء صلاة ضاق وقتها وعنده غريق او حريق) او اعنى او صغير يريد ان يرتقى في بئر (يمكن انقاذه) اى تخليصه بترك اداء الصلاة او بقطعها وتأخيرها (فهو اولى) من ادائها واتمامها لان ذلك هو فرض الوقت الذى يوجب تركه المقت (ولا بد منه) اى من التفويض لامرئ (لا طمئنان القلب فى الحال) فان الامور اذا كانت خطيرة مبهمة لا يدري صلاحها من فسادها فيكون مضطرب القلب متردد النفس فى مرادها لا يدري يقع فى صلاح او فساد ، فاذا فوضت الامر الى الله وما قدره وقضاه علمت انك لا تقع الا فى خير وصلاح ونفع وفلاح فتكون آمنة من الخطر والآفة والحاجة مطمئن البال فى الحال ، وهذه الطمأنينة والامن والراحة فى القلب غنيمة عظيمة فى المنال ، فكان يقول بعض المشايخ فى مجالسه كثيرا : دع التدبير الى من خلقك تسترح (وحصول الصلاح) اى الخير والنفع (فى الاستقبال) وذلك لان الامور بالعواقب مبهمة ، فكم من شر فى صورة خير ، ولم من نفع فى حاية ضر ، ولم من سم فى طينة شهد ، وانت جاهل بالعواقب واسرار المراتب . واما اذا فوضت الامر اليه وتولت عليه وسلمت نفسك لديه وسألته ان يختار لك ما هو صلاحك (فلا يفعل) رب العباد (فى المفوض) اى فى امر المفوض للامراد (الفساد) بل لم يلق الا الخير والرشاد ولا يقع الا الصلاح والساد (فورد) فى التنزيل حكاية عن مؤمن آل فرعون (وافرض امرى الى الله الى فوقاه الله الآية) اى (ان ابصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب) فالمرجو المتيقن هو الصلاح (واما الاصلح) للعبد (فربما لا يفعل) الله فى المفوض (حتى تام عليه السلام مع اصحابه) الكرام

عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَلَهُ اخْتِيَارُ الْاَفْضَلِ كَقَوْلِ الْمَرِيضِ لِلطَّيِّبِ اجْعَلْ دَوَائِي مَاءَ
السُّكَّرِ لَا مَاءَ الشَّعِيرِ اِذَا كَانَ الصَّلَاحُ فِيهِمَا مَعَ الرِّضَاءِ بِالْمَفْضُولِ اِنْ اخْتِيرَ لَهُ بِخِلَافِ
الْاَصْلَحِ فَهُوَ بِمَجْهُولٍ وَضَدُهُ الطَّمَعُ وَهُوَ مَحْمُودٌ

(عن صلاة الفجر) حين عرس عليه السلام وقت سحر في حال سفر ، والحديث في
الصحيحين بطوله (وله) اي وللمفروض (اختيار الافضل) اي في طلبه من الله
بغير استثناء منه وهو لا يقدح في تفويضه الذي هو كمال تسليمه (كقول المريض)
المفروض (للطيب) الذي بمنزلة الحبيب (اجعل دوائى ماء السكر لا ماء الشعير اذا كان
الصلاح فيهما) بحسب التدبير (مع الرضاء بالمفضول) وهو ماء الشعير (ان
اختير له) اي اختار الطيب المفضول (له) للمريض بحسب التقدير ، وانما قيد
بكونه مع الرضاء لانه لو لم يرض به لكان المفضول مكروها وكان الافضل حينئذ هو
الفاضل (بخلاف الاصلح فهو مجهول) اي لا يعرف احد من العباد جهة الصلاح
وجهة الفساد حتى يختار الاصلح فيما اراد . وتوضيحه ما في الاحياء فان قيل : هل
يجب ان يفعل بالمفروض ما هو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل في حق الله تعالى ،
ولا يجب لعباده عليه شئ ، وقد يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل لحكمة في فعله ،
الاترى انه قدر للنبي عليه السلام واصحابه ان ناموا طول الليل في بعض الاسفار حتى
فاتتهم صلاة الفجر ، والصلاة افضل من النوم ، وربما يقدر للعبد الغنى والنعمة في
الدنيا وان كان الفقر افضل باعتبار العقبي ، ويقدر له الاشتغال بالاولاد والازواج
وان كان التجرد لعبادة الله افضل فانه بعباده خبير بصير ، فالمتصور للعبد النجاة
من الهلاك لان الفضل والشرف مع الفساد والاهلاك . فان قيل فلما ذا كان للعبد ان
يختار الافضل وليس له ان يختار الاصلح ؟ فاعلم ان الفرق بينهما ان العبد يعرف
الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد ليريد به الحكم ، ثم معنى اختياره
الافضل ان يريد من الله ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويختار له ذلك ويقدره
هنالك ، لان العبد تحكما في شئ لقوله تعالى (ليس لك من الامر شئ) فهذه جملة
من دقائق هذا العلم واسراره وحقائقه وانواره ، ولو لان الحاجة مست الى ما تعرضنا
بالايراد عليه ، لانه بلاطم بحار علوم المكاشفة ونحن في ساحل علوم المعاملة (وضده)
أي ضد التفويض (الطمع) من الحق بمعنى الرجاء (وهو) اي الطمع (محمود)

إِنْ قِيدَ بِشَرْطِ الصَّلَاحِ أَوْ بَابَيْنِ الْخَطَرِ فَوَرَدَ . (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي - إِنْ أُنَظَّمُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا) وَالْأَفْذَمُومُ فَهُوَ سُكُونُ الْقَلْبِ إِلَى مَنْفَعَةٍ مَشْكُوكَةٍ وَخَطَرُ عَدَمِ الْكَوْنِ وَيُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى قَصْرِ الْأَمَلِ وَهُوَ أَنْ لَا يُرَادَ أَمْرٌ يُشَكُّ فِي كَوْنِهِ إِلَّا بِالْإِسْتِثْنَاءِ بِذِكْرِ الْمَشِيشَةِ أَوْ الْعِلْمِ قَلْبًا فَوَرَدَ «إِذَا

ان قيد بشرط الصلاح) فيما لا امن فيه عن الفساد (او بابين) اي ان فارق المطموع (الخطر) اي خطر الفساد (فورد) في التنزيل حكاية عن ابراهيم (و الذي اطعم ان يغفر لي خطيئتي) يوم الدين ، وعن السحرة (انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا) ان كنا اول المؤمنين * وكذا قوله تعالى حكاية عن المؤمنين: (ومالنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) فالطمع الوارد في هذه الآيات مثال ما بابين الخطر (والافذموم) اي وان لم يقيد بشرط الصلاح اولم يبين الخطر فالطمع مذموم، وفي الخبره اياكم والطمع فانه فقر حاضر» وقيل . صلاح الدين الورع وفساده الطمع (فهو) اي الطمع المذموم (سكون القلب الى منفعة مشكوكه) وقيل هو ارادة الشيء المخاطر بالحكم وهذه الارادة تقابل التفويض لا غير فاعلم ذلك . واما حصن التفويض فهو ذكر خطر الامور وامكان الهلاك والفساد منها ، وحصن حصنه ذكر عجزك عن الاعتصام عن ضروب الخطر والامتناع من الوقوع فيها لجهلك وغفلتك وضعفك، فالمواطبة على هذين الذكرين تحملك على تفويض الامور كلها الى الله تعالى والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن ارادتها الا بشرط صلاحها ، وهذا غاية التحقيق والله ولي الترفيق (وخطر عدم الكون) بالرفع عطف على قوله في اول الباب خطر الفساد ، اي الخطر خطر ان: خطر الفساد وخطر عدم الكون اي عدم وجود الامر (ويحتاج فيه) اي في خطر عدم الكون (الى قصر الامل) اي وتقريب الاجل وتكثير العمل (وهو) اي قصر الامل (ان لا يراد امر يشك في كونه) اي وجوده (الا بالاستثناء بذكر المشيئة) اي بقيد ان شاء الله كما قال تعالى: (ولا تقولن لشيء واني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) (او العلم) اي او بذكر علم الله فيقول: ان علم الله اني افعل ذلك الفعل فأفعل (قلبا) اي يكفي في الذكر والعلم خطور القلب وحضور الجنان ، ولا يلزم فيها النطق باللسان في عالم البيان (فورد) في قصر الامل خطابا لابن عمر (اذا

أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ وَأَذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ
وَالْأَمَلُ هُوَ الْإِرَادَةُ بِالْحُكْمِ وَفِيهِ التَّفَاوُتُ مِنْ أَمَلِ الْبَقَاءِ أَبَدًا وَالْيَ الْهَرَمِ وَالسَّنَةِ
وَالْفَضْلِ وَالشَّهْرِ

أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء (أي بادراكه) (وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح) وتماهه وخذ من حياتك لموتك ، ومن صحتك لسقمك ، فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا و صدر الحديث « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور » رواه ابن حبان ورواه البخاري من قول ابن عمر ، ولا بن أبي الدنيا من حديث علي مرفوعا قال « ان أشد ما أخاف عليكم خصلتان : اتباع الهوى وطول الأمل ، فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق ، واما طول الأمل فانه يورث الحب للدنيا ، ثم قال الا ان الله يعطى الدنيا من يحب ويغض ، واذا أحب عبدا أعطاه الايمان ، الا ان الدنيا أبناء وللدن أبناء فكونوا أبناء الدين ولا تكونوا أبناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية ، الا ان الآخرة قد اظلمت مقبلة ، الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب ، الا وانكم توشكون ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل » (والأمل) أي وضد التفويض الأمل أيضا (هو الإرادة) أي إرادة أمر يشك في كونه (بالحكم) أي بالتقطع لا بالاستثناء مريد المشيئة (وفيه) أي في الأمل (التفاوت من أمل البقاء أبدا) كما للكفار من الدهرية والى الالف كما قال تعالى (ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « قلب الشيخ شاب على حب اثنين طول الحياة وحب المال » (والى الهرم) أي الكبر وهو حال الأكثر (والسنة) وهو قريب الى السنة فانه عليه السلام كان يدخر لعياله قوت سنة لكفاية حالهم من ماله (والفصل) من الفصول الأربعة (والشهر) فلا بن أبي الدنيا والطبراني وأبي نعيم والبيهقي عن أبي سعيد « اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تعجبون من أسامة اشترى الى شهر ، ان أسامة لطويل الأمل ، والذي نفسى بيده ما طرفت عيناى الا ظننت ان جفتى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ، ولا رفعت طرفى وظننت أنى واضعه حتى اقبض ، ولا لقيت لقمة الا ظننت أنى لا أسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال : يا بنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى ، والذي نفسى بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ، ولا بن

المبارك وابن أبي الدنيا والبخاري من حديث ابن عباس ؓ كان يخرج عليه السلام يريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول الماء منك قريب ، فيقول ما يدريني لعل لا أبلغه » وكان عليه السلام يقول في دعائه « اللهم اني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات ، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل » ابن أبي الدنيا من رواية حوشب ، وقال مطرف بن عبد الله : لو علمت متى أجلى لحشيت على ذهاب عقلي ، ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ماتنأوا بالعيش ولا قامت بينهم الاسواق . وقال بعضهم : لولا الحقى لخربت الدنيا ، وقال الثوري : الزهد في الدنيا قصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ولبس العباء . وقيل للحسن : ألا تغسل قيصك . قال الأمر أعجل من ذلك ، ورأى وهب بن منبه في حجر منقور : ابن آدم انك لو رأيت ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ، ولرغبت في زيادة عملك ، ولقصرت عن حرصك وجهك إنما يلقاك غدا ندمك ، لو قد زلت قدمك ، واسلك أهلك وحشمك ، وفارقك الوالد والقريب ، ورفضك الولد والنسيب ، فلانك الى دنياك عائد ؛ ولأني حسناك زائد ، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة ، وعن داود الطائي : من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ، ومن طال أمه ضعف عمله ، وكل ما هو آت قريب وكل ما يشغلك عن ربك فهو مشؤم ، وإن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور ، انما يندون على ما يخلفون ، ويفرحون بما يقدمون فنادم عليه أهل القبور فأهل الدنيا عليه يقتلون ، وفيه يتنافسون وعليه عند ربهم يختصمون ، وروى أن معروف الكرخي أقام الصلاة فقال لا حمد بن أبي توبة تقدم فقال : إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غير ما فقال معروف : وانت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى أعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل . وكان الحسن يقول في موعظته : المبادرة فأنما هي الانفاس لو حسبت انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها الى الله تعالى عز وجل ، رحم الله عبدا انظر لنفسه وبكى بعد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية (انما نعد لهم عدا) يعني الانفاس آخر العد خروج نفسك عن نفسك ، واجتهد أبو موسى الأشعري قبل موته اجتهدا شديدا ، فقبل له : لو امسكت ورفقت بنفسك بهض الرفق ، فقال الخيل اذا أرسلت فقاربت رأس مجاريها أخرجت جميع ما عندها ، والذي بقي من عمري أقل من ذلك ، فلم يزل على ذلك حتى مات ، وكان يقول لامرأته : شدي رحلك فليس على جهنم معبر ، وقال ابن عمر ؓ خرج عليه السلام والشمس على اطراف السعف ، وقال ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا الى ما مضى منه » ابن أبي الدنيا والترمذي وحسنه . وعن أنس قال عليه السلام : مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله الى آخره فيبقى معلقا بخيط

وَالْيَوْمَ وَالسَّاعَةَ وَيَظْهَرُ بِالْإِدْخَارِ وَالنَّاهِبِ، وَآفَاتُهُ تَرْكُ الطَّاعَةِ وَالْكَسَلُ

في آخره فيوشك ذلك الحيط ان ينقطع » رواه ابن أبي الدنيا . و مر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني انما بادر خروج روحى . وقال بعض المفسرين في قوله تعالى : (والكنكم فتنم أنفسكم) قال بالشهوات واللذات (وتربصتم) قال بالتوبة (وارتيبتم) قال شككمتم (حتى جاء امر الله) قال الموت (وغرکم بالله الغرور) (واليوم) فمن عيسى عليه السلام : لا تهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فستأتى فيه ارزاقكم ، وان لم يكن من آجالكم الا تهتموا لآجال غيركم . وهو يؤخذ من قوله تعالى (وما تدري نفس ما اذا تكسب غدا) (والساعة) النجوى والغوى الشاملة للحظة والغصة . ويؤخذ هذا من قوله تعالى (اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة) ومن قوله (ولن يؤخر الله نفسا) اي ولو نفسا (اذا جاء أجلها) وفي الاحياء : ومنهم من يكون الموت نصب عينه كأنه واقع به فهو ينتظره . وهذا الانسان هو الذى يصلى صلاة مودع . وفيه ورد ما نقل عن معاذ لما سأله عليه السلام عن حقيقة ايمانه فقال « ما خطوات خطوة الاظننت انى لا اتبعها اخرى » رواه ابو نعيم في الحلية . وما نقل عن الاسود وهو الحبشى انه كان يصلى ليلا ويأتفت يمينا وشمالا ، فقال قائل ما هذا ؟ قال انتظر ملك الموت من أى جهة يأتينى ، يعنى وفى أى صفة يحضرنى ، وهل اكون من اصحاب اليمين او اصحاب الشمال ، فخوف الرجال من هذا الحال لا من انتهاء الآجال . وفى منهاج العابدين قال : اكثر علمائنا ان الامل ارادة الحياة للوقت المتراخى بالحكم ، وتصر الامل ترك الحكم فيه بان تقيد بالاستثناء بمشيئة الله وعلمه فى الذكر ، او بشرط الصلاح فى الارادة ، فاذن ان ذكرت حياتك بانى اعيش بعد نفس ثان او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع فانت آمل ، وذلك معصية اذ هو حكم على الغيب ، وان قيدته بالمشيئة والعلم من الله ففقت اعيش ان شاء الله وان علم الله انى اعيش بعد خرجت عن حكم الامل ؛ وكذلك ان اردت حياتك للوقت الثانى قطعاً فانت آمل ، وان قدرت ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت بتقصير الامل حيث تركت الحكم فى ذكر البقاء وارادته ، والمراد بالذكر ذكر القلب . ثم المراد منه التروطين على ذلك وتثبيت القلب على ما هنالك (ويظهر) هذا التفاوت (بالادخار) أى بوضع ذخيرة الارزاق (والتأهب) أى التهيؤ لاسباب المعاش فى الارفاق (وآفاته) أى آفات الامل ومضراجه ستة (ترك الطاعة) رأسا (والكسل) فى العبادة والمال

وَالْتَّوَيْفُ وَالْحَرُصُ وَنِسْيَانُ الْآخِرَةِ وَالْقِسْوَةُ فُورَدَ (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ - وَيُلْهِمُ الْأَمْلُ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ) وَالسَّبَبُ حُبُّ الدُّنْيَا وَالْجَهْلُ بِالْحَقَائِقِ وَعِلَاجُ كُلِّ مَا عَرِفَ فِي مَوْضِعِهِ وَذِكْرُ جُفَاءَةِ الْمَوْتِ فَذِكْرُهُ يُوجِبُ التَّاهِبَ لَهُ وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ فُورَدَ «نَعَمْ مَنْ يَذْكُرُ الْمَوْتَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عَشْرِينَ مَرَّةً

(والتسويق) أي تأخير العمل بأن يقول سوف أعمل (والحرص) على الدنيا (ونسيان الآخرة) وما فيها من لقاء المولى (والقسوة) أي قساوة القلب ومنه قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) وقوله سبحانه (فويل للفاسية قلوبهم من ذكر الله) ومن علامة القساوة عدم الرقة وقلة البكاء على الغفلة (فورد) في التنزيل (الم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل (فطال عليهم الأمد) أي زمان الاجل (فقست قلوبهم) بسبب طول الأمل، وفي آية أخرى (ذرهم ياكلوا ويتمتعوا) (ويلهيهم الأمل) أي يشغلهم الأمل عما خلقوا له من العمل (فسوف يعلمون) غاية جهلهم في طول أمدهم وقصر عملهم ونوم تأخير أجلهم (والسبب) أي سبب الأمل شيان (حب الدنيا) فانه يوجب كراهة مجيء الاجل (والجهل بالحقائق) أي حقائق ما يرد على الإنسان من موت الفجاءة وقتل البغته، ومن مقدمات الموت كالحى والصداع ونحوهما فانه لا يكون الاغفلة، قال تعالى (ولم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا وهم قائلون) أي أوهم قائلون أي مستريحون بالقبولة (وعلاج كل من سببه) (ما عرف في موضعه وذكر فجاءة الموت) أي ومن علاجه تصورها في الجنان وتقريرها باللسان (فذكره) أي الموت مطلقا (يوجب التاهب له) أي يقتضى التهيؤ والاستعداد للموت قبل مجيئه (والتجافى) أي التباعد عن دار الغرور (وهي الدنيا فانها غدارة مكاراة كما قال تعالى (فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور) أي الشيطان المانع عن سلوك سبيل العقبي (فورد) في الحديث (نعم من يذكّر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة) والظاهر أن يقول في كل ساعة: اللهم بارك لى فى الموت وفيما بعد الموت. ويحتمل أن يذكره في اليوم عشرين مرة وفي الليلة عشرين مرة أو في اليوم عشرة وفي الليل عشرة متوالية أو متفرقة، والمقصود.

حِينَ قِيلَ هَلْ يُحْشَرُ مَعَ الشَّهَدَاءِ أَحَدٌ؟

منها الكثيرة (حين قيل هل يحشر مع الشهداء احد) والحديث تقدم . وقال المخرج لم اقف له على اسناد ، قلت روى الطبراني في الاوسط « عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ليس الشهداء الامن قتل في سبيل الله : قال يا عائشة ان شهداء امتي اذن لقائل ، من قال في يوم خمسا وعشرين مرة : اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت ثم مات على فراشه اعطاه الله اجر شهيد » وفي السنن الاربعة عن ابى هريرة « اكثروا ذكرها ذم اللذات الموت » وفي رواية « اكثروا ذكر الموت يسليك عما سواه » وفي رواية « اكثروا ذكرها ذم اللذات فانه لا يكون في كثير الاثم ولا في قليل الاجزاء » وفي رواية « فانه لم يذكره احد في ضيق من العيش الا وسعه عليه ، ولا ذكره في سعة الا ضيقها عليه » وفي رواية « اكثروا ذكر الموت فانه يحص الذنوب ويزهد في الدنيا فان ذكر تموه عند الغنى هدمه ، وان ذكر تموه عند الفقر ارضاهم بعيشكم » وللبيهقي في الشعب من حديث ام حبيبة الجنيبة « لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما اظلم منها سمينا » ولابن ابى الدنيا عن عطاء الخراساني مرسل انه عليه السلام مر بمجلس قد استعلاه الضحك فقال : « شربوا مجلسكم بذكر مذكر اللذات قالوا وما مذكر اللذات ؟ قال الموت » وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال « اكثروا من ذكرها ذم اللذات فوالذي نفسي بيده لو تعلمون ما اظلم اضحكتم قليلا وليكنتم كثيرا » رواه ابن ابى الدنيا من حديث ابن عمر ، وفيه ايما الى قوله تعالى (فايضحكوا قليلا وليكوا كثيرا) وللطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عمار بن ياسر « كفى بالموت واعظا » وفي رواية غرقا ، قال ابن عمر أتيت النبي ﷺ عاشر عشرة : فقال رجل من الانصار : من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله ؟ قال « اكثرهم ذكرا للموت ، واشدهم استعدادا له اولئك هم الا كياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة ، ان أبى الدنيا بسند جيد . وقيل في تفسير قوله تعالى : (ايهم احسن عملا) ايهم أكثر ذكرا للموت واشدهم استعدادا قبل الموت . وقال بعضهم احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير الى دار تمنى فيها الموت ولا تجده . وقال كعب . من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها . وقالت صفية : ان امرأة شكت الى عائشة قساسة قلبها فقالت اكثرى من ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها ، فجهات تشكر عائشة رضي الله عنها ، وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك

وَحَقُّهُ أَنْ يُذَكَّرَ رَغْبَةً إِلَى لِقَائِهِ تَعَالَى وَبَعَثًا لِلْخَوْفِ الْمَوْجِبِ سُرْعَةَ التَّدَارُكِ
دُونَ التَّاسَفِ عَلَى فَوَاتِ الدُّنْيَا فَهُوَ مُبْعَدٌ عَنْ تَعَالَى فَوَرَدَ «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ
أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ»

ولعل كفاك قد خرجت من عند القصار (وحقه) أي وحق ذكر الموت (أن يذكر رغبة) أي ميلا ومحبة (إلى لقائه تعالى) في الجنة (وبعثا) أي تحريضا وحشا (للخوف الموجب سرعة التدارك) أي تلافى ما فات منه من الطاعات (دون التأسف) أي الحسرة (على فوات الدنيا) أي من لذاتها وشهواتها (فهو) أي التأسف المذكور (مبعد عنه تعالى) لقوله عليه السلام «من أسف على دنياه فأنته اقترب من النار مسيرة ألف سنة» أخرجه الرازي في مشيخته عن ابن عمر (فورد) في الحديث (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (رواه الشيخان وغيرهما) وفي رواية زيادة والموت دون لقاء الله. والمراد بلقاء الله المصير إلى دار الآخرة وطالب ما عند الله من المراتب الفاخرة، وليس الغرض به الموت لئلا يكرهه، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله، ومن اختارها وآثرها وركن إليها كره لقاء الله لأنه إنما يصل إليه بالموت. وقرله والموت دون لقاء الله يبين لك أن الموت غير اللقاء ولكنه معترض دون الغرض المطلوب وهو الوصول إلى قرب المحبوب. فيجب أن يصبر عليه ويحتمل مشاقه لديه حتى يصل إلى الفوز باللقاء كذا في النهاية. وفي شرح مسلم للنووي: ليس معنى الحديث أن يحب لقاء الله سبب لحب الله لقاءهم، ولأن كراهتهم سبب لكراهته، بل الغرض بيان وصفهم بأنهم يحبون لقاء الله حين أحب الله لقاءهم. انتهى، وتوضيحه أن المحبة صفة الله، ومحبة العبد ربه تابعة لها ومنعكسة منها ومتفرعة عليها كظهور عكس الماء على الجدار. ويؤيده ما روى أنه عليه السلام قال «إذا أحب الله عبدا عشقه عليه» وفي تقديم يحبهم على يحبونه في القرآن إشارة إليه ودلالة عليه، فمعنى الحديث: من أحب لقاء الله فهو سبب للاخبار بأن الله يحب لقاءه، إذا قلنا الله جلالة محبته وأغافنا بمزيد عنايته. كذا في شرح المشارق فالأول صفة المحبين، والآخر صفة من يخاف عقاب الله على ذنوبه من المؤمنين أو صفة الكافرين، والمفهوم من ظاهر ما ذكر في المصاييح أن الآخر صفة الكفرة فقط حيث قال عليه السلام هذا الحديث، فقالت عائشة: أبا لكره الموت قال عليه السلام «ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت

وَالْمُرَادُ بِالْحُبِّ الْعَارِفُ الْمُشْتَقُّ إِلَيْهِ فَلَمَوْتُ مَوْعِدُهُ وَبِالْكَارِهِ الرَّاعِبُ إِلَى الدُّنْيَا
بِخِلَافِ الْخَائِفِ هُجُومَهُ قَبْلَ تَمَامِ التَّوْبَةِ وَإِصْلَاحِ الزَّادِ فَهُوَ إِنَّمَا يَكْرَهُ فُوتَ اللَّقَاءِ

بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه ، وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء اكره اليه مما امامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه ، وفي القرآن يشير الى المقامين حيث قال تعالى : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) الآيات . وقال عز و علا (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذر قواما انتم تعملون) (والمراد بالحب) اى لقاء الله في الحديث انما هو (العارف) بذات الله وصفاته وبدائع مصنوعاته (المشتاق اليه) لزيادة ماله فيه (فالموت موعده) اذ لا يتصور لقاءه دونه ، كما في حديث مسلم « انكم ان تروه حتى تموتوا » وهذا يحمل جوابه تعالى لموسى عليه السلام (ان ترائى) اى فى الدنيا بالعين الفانية وانما ترائى فى العقبى بالعين الباقية ، وهذا يحمل قوله عليه السلام « تحفة المؤمن الموت » ابن ابى الدنيا والطبرانى والحارم من حديث عبد الله ابن عمر بسند حسن . وعلامة المحب العارف ان لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب بل يستبطنه بحب الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين ، كما روى عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال : حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم ، اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الى من الغنى ، والسقم احب الى من الصحة ، والموت احب الى من العيش ، فسهل على الموت جتى القاك . فاذا التائب معذور في كراهة الموت . وهذا مشكور في حب الموت . واعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله نصار لا يحب لنفسه موتا ولا حياة ، بل يكون احب الاشياء اليه حبه الى مولاه ، فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا وهو غاية المنتهى ، وهو معنى قول المصنف فيما يأتى (وبالكاره) اى والمراد بالكاره لقاء الله (الراغب الى الدنيا) ما لا وجاها ومنا لا مقدمنا (بخلاف الخائف هجومه) اى مجرم الموت ومأتاه بغته (قبل تمام التربة) وتدارك اوقات الغفلة فى الحوبة (واصلاح الزاد) ليوم المعاد (فهو انما يكره فوت اللقاء) اى لانفس اللقاء ، وعلامة صدق هذا ان يكون دائم الاستعداد لاشغل له سوى اعداد الزاد للمعاد . قال

وَالْأَعْلَى تَرَكَ الْإِخْتِيَارَ وَالتَّفْوِضَ، وَيُفَرِّغَ الْقَلْبَ عَنْ غَيْرِ الْمَوْتِ وَيَتَفَكَّرَ دَائِمًا
تَفَكَّرَ الْعَازِمَ عَلَى السَّفَرِ

القمقاع بن حكيم : قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة ، فلو اتاني ما احببت تأخير
شيء منه . وقال الثوري : رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول : انا في هذا المسجد منذ
ثلاثين سنة انتظر الموت ، ان نزل بي او اتاني ما امرته بشيء ولا هيته عن شيء ، ولا لي
على احد شيء . ، ولا لي عند احد شيء . (والاعلى) اي اعلى المراتب بالنسبة الى ما ذكر
من الموت وسائر المناقب (ترك الاختيار) اي في امر الافيا اراد الله منه ان يختاره
(والتفويض) بالرفع اي وتفويض امره وتسليمه الى المدير المختار بقوله تعالى
(وربك يحق ما يشاء ويختار) وفي الاخبار عن سيد الاخبار وسند الابرار «لا يتمنين
احدكم الموت فان فعل ذلك لا محالة فليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني
اذا كانت الوفاة خيرا لي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة
لي من كل شر » وانما كره بعض الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة
وطول العمر في العبادة من ثمال السعادة (ويفرغ القلب) اي وان يفرغ قلبه عن
غير الموت) اي استعداده قبل النفوت (ويتفكر دائما تفكر العازم على السفر) هاتما
من خوف البحر والبر . ووضح طريق فيه ان يذكر موت اخوانه واقربائه الذين
مضوا قبله ، ويتذكر مصرعهم تحت التراب ، ويتفكر صورهم في مناصبهم ومقام حضورهم ،
وكيف تبددت الآن اجزائهم في قبورهم ، وكيف ارموا نساءهم وابتموا بناتهم
وابناءهم ، وضيعوا اموالهم ، ونقضوا احوالهم وخلت منهم مجالسهم واخبارهم ،
ومساجدهم وآثارهم ، مع ما كان بهم من طول املهم للعيش والبقاء ، ونسيانهم للموت
والفناء ، وانخداعهم بمواساة الاسباب ، وزكوتهم الى القوة والشباب ، وميلهم الى
الغفلة عما يراد بهم من الموت النريغ والهلاك السريع ، وانه كيف كان يتردد ، والآن
قد نهدت رجلاه ومفاصله وعقبانه ، وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه ، وكيف
كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه ، وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى
عشرين سنة ونحو ذلك من الاحوال والاهوال ، فعند ذلك ينظر الى نفسه انه مثلهم
في عاقبة امره . قال ابو الدرداء : اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم ، وقال ابن مسعود :
السميد من وعظ بغيره بمو قال عمر بن عبدالعزيز . الاترون انكم تجهزون غدا يا ورائعنا

وَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِتْبَاهُ وَهُوَ خِلَافُ الْغُرُورِ وَهُوَ سُكُونُ النَّفْسِ إِلَى مَا يُوَافِقُ الْهَوَى
وَالشَّبْهَةُ فُورِدَ (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ

إلى الله عز وجل ، تضعونه وقد توسد التراب ، وخلف الاحباب ، وقطع الاسباب ،
وراجه الحساب ، ونظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها فبكى ، ثم قال :
والله لولا الموت لكنت بك مسرورا . (والأصل فيه) أى فى ذكر الموت (الانتباه)
أى استيقاظ القلب من نوم الغفلة (وهو) أى الانتباه (خلاف الغرور) أى
ضده ، ولذا قيل : الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا (وهو) أى الغرور (سكون النفس)
واطمانها بهوى قوة فى الانسان مائلة الى الشر والفساد كما قال تعالى (ان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربي) فمن (الغرور ميلها الى ما يوافق الهوى والشبهة) ويخالف
الهدى والسنة بان تكون ارادتها موافقة الطبع من غير داعية الشرع . واما اذا اجتمع
الهوى والهدى فهو نور على نور ، وسرور على سرور ، ولذا قال تعالى (ومن اصل
من اتبع هواه بغير هدى من الله) (فورد) فى التنزيل (فلا تغرنكم الحياة الدنيا)
فانها غدارة مكاره ، غرارة سحارة . فقول : انها اسحر من هاروت وماروت (ولا يغرنكم
بالله الغرور) أى الشيطان المغرور . وفى الترتيب : تنبيه نبيه على ان من احب الدنيا
يضل الشيطان ومن تركها لم يقدر عليه بالطغيان ، بل قيل من اراد الدنيا لم يقدر على
هدايته جميع الانبياء ، ومن ترك الدنيا لم يقدر على اضلاله جميع الشياطين واهل الاغواء .
وقال عز وعلا (وغرتمكم الاماني حتى جاء امر الله وعرمكم بالله الغرور) وفى الحديث
« حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيرون سهر الحقى واجتهادهم ، ولمثقال ذرة من
صاحب تقوى ويقيم افضل من ملء الارض من المغترين » كذا فى الاحياء ، وهو من
قول ابى الدرداء بنحوه كما رواه ابن ابي الدنيا ؟ وللترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث
شداد بن اوس « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحق من اتبع نفسه
هو اها » ويتمنى على الله ، (وانواعه) أى انواع الغرور (كثيرة) واكثرها كبيرة
لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل ، اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على
خلاف ما هو به ، فالغرور هو الجهل الا ان ظن جهل ليس بغرور ، بل يستدعى الغرور
مغرورا فيه مخرصا ، ومغرورا به وهو الذى يغره ، فمن اعتقد انه على خير امانى
العاجل او فى الآجل عن شهوة فاسدة او شبهة كاسدة فهو مغرور . واكثر الناس يظنون

كَأَيَّارِ الدُّنْيَا لَكُونَهَا نَقْدًا حَاضِرَةً عَلَى الْآخِرَةِ لَكُونَهَا نَسِيبَةً لِأَنَّ النِّسِيبَةَ الْكَثِيرَةَ رَاجِحَةٌ وَإِنْ شَكَّ فِيهِ وَالْمَرِيضُ يَتْرُكُ اللَّذَاتِ لِيَصَحَّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَالتَّاجِرُ يُخَاطِرُ الْأَمْوَالَ لِيَرْجَحَ فِيهِ فَالْآخِرَةُ أَوْلَى لِلتَّيَقُّنِ بِهَا وَعَدَمِ نَسَبَةِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا شِدَّةٌ وَدَوَامًا

بأنفسهم ألحير الآن غرور بعضهم اظهر ، وأشدّها غرور الكفار و غرور العصاة والفجار ﴿ كأيثار الدنيا ﴾ اى اختيارها فانه من اقبح انواع الغرور . ثم ان اختيارهم الدنيا واغترارهم بها ﴿ لكونها نقدا حاضرة على الآخرة لكونها نسيبة ﴾ اى متأخرة غائبة وذلك جهل و غرور ﴿ لان نسيبة الكثيرة راجحة ﴾ على النقد القليل ﴿ وان شك فيه ﴾ اى فى حصول النسيبة الكثيرة وانما يرجع مع وجود الشك فيه ﴿ والمريض يترك اللذات ﴾ التى هى نقد الحالات ﴿ ليصح ﴾ زمانا طويلا ﴿ فى المستقبل ﴾ من الاوقات ﴿ والتاجر يخاطر الاموال ﴾ اى يوقعها فى الخطر من الاهوال كركوبه فى البحر وسفره فى البر وتحمله شدائد الاحوال ﴿ ليربح فيه ﴾ اى فى زمان الاستقبال ﴿ فالآخرة اولى ﴾ بالاختيار من الدنيا ﴿ للتيقن بها ﴾ اى بالآخرة ﴿ وعدم نسبة الدنيا اليها ﴾ اى الى العقبى ﴿ شدة ودواما ﴾ اى كمية وكيفية ونظاما كما قال تعالى ﴿ والآخرة خير وابقى ﴾ بل قيل لو كانت الدنيا ذهبا فانها والآخرة خزفا باقيا لكان العاقل اختار الآخرة ، فكيف والامر بالعكس . ولكن غرته الحياة الدنيا فان اليقين خير من الشك ، ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك ، فلا يترك اليقين بالشك . وهذا ونحوه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال ﴿ اما خير منه خلقتنى من نار و خلقتة من طين ﴾ والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى ﴿ اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعصرون ﴾ وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بتحقيق البرهان ، اما الاول فهو ان يصدق الله فى قوله ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ وقوله ﴿ وما عند الله خير وابقى ﴾ وقوله ﴿ والآخرة خير وابقى ﴾ وقوله ﴿ وما الحياة الدنيا الا مناع الغرور ﴾ واما الثانى فيعلم بما تقدم . والله اعلم . وفى هذا المقام قال على كرم الله وجهه لبعض الملحدين : ان كنت ماقلتة حقا فقد تخلصت وتخلصنا ، وان كان ماقلناه حقا فقد تخالصنا وهلكنا . وماقال على هذا عن شك منه فى الآخرة ، ولكن ظم الملحدين على قدر عقله . فمن شك فى الآخرة يجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر اياما قلائل - وهى منتهى العمر - قريب بالاضافة الى ما يقال من امر الآخرة ، فان كان ما قبل

فيه كذبا فما يفوتني الا التمتع ايام حياتي، وقد كنت في العدم من الازل الى الآن لا اتنعم
فاحسب اني بقيت في العدم، وان كان ما قيل صدقا فابقى في النار ابد الآباد، وهذا
لا يطاق فيه العباد ولذا قال ابو العلاء الممرى :

قال المنجم والطبيب كلاهما لا يحشر الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما لمست بخاسر اوصح قولي فالحسار عليكما

ومن جملة غرور الكفار قول بعضهم في انفسهم وبالسننهم : ان كان الله من معاد
فنحن به احق من غيرنا ، ونحن اوفر حظا منه واسعد حالا كما اخبر الله عنه من حال
الرجلين المتحاورين اذ قال (وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا
منها منقبلا) وجملة امرهما كما قيل في التفسير : ان الكافر منهما بنى قصرا بالف دينار ،
واشترى بستانا بالف دينار ، وخرما بالف دينار ، وزوجة بالف دينار . وفي ذلك
كله بعهذه المؤمنين ويقول اشتريت قصرا وبستانا يخرب ويفنى ، ألا اشتريت قصرا وبستانا
في الجنة لا يفنى ، واشتريت خرما بالف دينار وزوجة بالف دينار ألا اشتريت خرما
لا يموتون وازواجا . من الحور العين لا يفنون ، وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول :
ما هناك شيء . وما قيل من ذلك فهو اكاذيب ، وان كان ليكون لي في الآخرة خير من
هذا ، وكذا وصف الله قول العاص بن وائل اذ يقول (لاوتين مالا وولدا) ورد
عليه بقوله (اطعم الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا) وروى « عن الحباب بن الارت
انه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقضني ، فقلت اني آخذه
في الآخرة ، وقال اذا ضرت الى الآخرة فان لي هناك ولدا ومالا فاقضيك منه ، فانزل
الله تعالى (افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا) رواه الشيخان .
وقال عز وجل (ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن
الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى) الآية ، وذلك انهم ينظرون
تارة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعم الآخرة ، وتارة الى تأخر العذاب
عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة ويقولون لما اخبر الله عن بعضهم (لولا يعذبنا
الله بما نقول) الآية ، واخرى ينظرون الى المؤمنين وهم نقراء شعث غير فيزدرونهم
ويستحقرونهم ويقولون (اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) ويقولون (لو كان خيرا
ما سبقونا اليه) ولم يعرف هذا المغرور « ان الله يحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما
يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه » كما رواه الترمذي وحسنه والحاكم
وصححه من حديث قتادة بن النعمان . وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا

وَالْاعْتِمَادَ عَلَى بُجْدِ الْإِيمَانِ فَوَرَدَ (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسرٍ) السُّورَةُ، وَعَلَى أَنَّهُ تَعَالَى كَرِيمٌ

وقالوا ذنب عجلت عقوبته، وإذا أقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين. فالمغرورون إذا أقبلت عليهم الدنيا ظنوا أنها كرامة عند الله وإذا صرفت عنهم ظنوا أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربني أكرمن، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربني أهانن كلا) بين أن ذلك غرور من كل منهما، فقد قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا، يقول ليس هذا بكر امتي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من أكرمه بطاعتي غنيا كان أو فقيرا، والمهان من أهنته بمصيتي غنيا كان أو فقيرا (والاعتماد) بالجر، أي وكالات اعتماد (على مجرد الإيمان) مع ترك العبادات وارتكاب المحظورات فإنه من أعظم الغرور في الحالات (فورد) في التنزيل (وإني لغفار لمن تاب) عن الشرك والكفران (وآمن) بالقلب واللسان (وعمل صالحا) لسائر الأعضاء والأركان من ارتكاب الحسنات واجتناب السيئات (ثم اهتدى) بالاستقامة في الحالات إلى الممات، فالمغفرة مقيدة بهذه الطاعات. وكقوله تعالى (إن رحمت الله قريب من المحسنين) في العبادات. وقيل للحسن قوم يقولون: نحن نرجو الله ويضيعون العمل فقال: هيئات هيئات، تلك أمانيتهم، من رجا شيئا طلبه، ومن خاف شيئا هربه (والعصر) أي أقسم بصلاة العصر التي هي الصلاة الوسطى، أو بصبر المصطفى، أو بالدهر الذي هو منبع الخير والشر. ومعدن النفع والضر (إن الإنسان) أي جميع أفراد (إن خسر) أي خسارة فيما عندهم من تجارة (السورة) أي (الذين آمنوا) كأصديق (وعملوا الصالحات) كالفاروق (وتواصوا بالحق) لذى النورين (وتواصوا بالصبر) كالمرتضى (وعلى) أي وكالات اعتماد على (أنه تعالى كريم) مع ترك الطاعات وارتكاب المنهيات وطلب الدنيا والشهوات، فيغفر لي في الآخرة بكرمه وفضله ويدخلني في الجنان. ومنشأ هذا قوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) حيث لقنه بأن يقول غرني ربك كرمك. وقد قيل أنه تعالى كما أنه كريم رحيم. متفضل بالنواب شديد العقاب، فقد قال تعالى (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا) وقد قال تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة الأمان كان هودا أو نصاري تلك أمانيتهم)

فَوَرَدَ (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ الْإِمَّاسَعَى) وَفِيهِ الْعَكْسُ بِتَرْكِ التَّعْوِيلِ فِي الدُّنْيَا مَعَ وُرُودِ (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) وَالْعِلَاجُ الْعِلْمُ وَالتَّفَكُّرُ *

(فورد) في التنزيل ما يدل على ذم الغرور بارتكاب المحظور (وان ليس للانسان) نفع في العقبى (الاماسعى) من خير في الدنيا (وان سعيه سوف يرى) قليلا او كثيرا (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (وفيه العكس) اى وفي هذا الاعتماد عكس ما ينبغي في الاعتقاد (بترك التعويل) اى الاعتماد على المولى (في الدنيا) اى في امورها ومهماتنا (مع ورود ومن) وفي نسخة وورد من (يتوكل على الله فهو حسبه) وحاصله ان الغرور لم يعتمد على كرمه سبحانه في امر الدنيا مع ورود وعدا في باب التوكل من غير قيد مباشرة بسبب من اسباب السعى ، ويعتمد في باب الآخرة على كرمه مع ان وعدا مقيد بالسعى والعمل ، وتوضيحه انه يجتهد في امور الدنيا ويعتمد في امور الآخرة على كرم المولى مع انه كريم في الدنيا والآخرة ، فانه لم يعتمد على المولى في الدنيا من غير السعى مع انه سبحانه ما ظفه بكسبه ويترك العمل في الآخرة مع انه عز وجل ظفه به ولم يرض عنه بتركه (والعلاج) أى علاج الغرور (العلم) بالكتاب والسنة وما يقربه من الله وما يبعده عنه ، وتوضيحه ما في الاحياء من ان الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والاهانة اما بالبصيرة واما بالتقليد ، اما البصيرة فبان يعرف وجه كون الانفات الى شهرات الدنيا مبعد عن الله ، ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله يدرك بالالهام في منازل العارفين والاولياء ، وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلوم المعاملة. واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله ، وقد قال تعالى (أحسبون انما ننهمهم به من حال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وقال (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قيل في تفسيره : انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ايزبد غرورهم . وقال تعالى (فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) وقال تعالى (انما نملئ لهم ايزدادوا اثما) وقال (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) الى غير ذلك مما ورد في الكتاب والاخبار (والتفكر) في احوال الماضين من الامة ، والمراد بالتفكر احضار القلب العارف ، فاذا اجتمعت فيه وازد وجت على ترتيب مخصوص انتج ذلك العلم

﴿الباب الخامس عشر في نفى الخواطر والريضة﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْاَهْمُ إِصْلَاحُ الْقَلْبِ لِنَظَرِهِ تَعَالَى إِلَيْهِ فَوَرَدَ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ وَتَعَلُّقِ صَلَاحِ الْجَسَدِ بِصَلَاحِهِ فَوَرَدَ «أَنَّ فِي الْجَسَدِ لِمُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ الْاَوْهَى الْقَلْبُ» وَسَعَادَةُ الْآبِدِ بِسَلَامَتِهِ

ضروريا . وصورته كمن يعلم مثلا ان الاتى بالا يثار اولى ، ثم يعلم ان الآخرة خير وابقى ، فينتج ان اختيار الآخرة اولى . بلغنا الله المقام الاسنى .

﴿الباب الخامس عشر في نفى الخواطر والريضة﴾

اي نفى الخواطر الدنية وتحصيل رياضة النفس الردية لتهدب بالاخلاق البهية العلية والاحوال السنية السنية ، وتندرج فيه عجائب القلب من غرائب خالق الرب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ استمعين به على كل خالق كريم ﴿الاهم﴾ في امر الدين الاتم ﴿اصلاح القلب﴾ وحفظه عما يفسده ثمانية عشر وجها ﴿لنظره تعالى اليه﴾ واقباله عليه ، لما انه يصلح بدنه وثوبه ليحسن نظر الخالق اليه ﴿فورد﴾ في الحديث لما تقدم ﴿ان الله لا ينظر﴾ اي نظر عناية ورعاية ﴿الى صورهم واموالهم ولكن ينظر الى قلوبهم ونياتهم﴾ وفي رواية واعمالهم ، وفي اخرى واحوالهم ، ويشير اليه قوله تعالى ﴿انه علم بذات الصدور﴾ فاذا كان القلب موضع نظر الرب كما يشير اليه حديث ﴿لا يسعني ارضى ولا سمانى ولا كن يسعني قلب عبدى المؤمن﴾ فواجبا بمن يهتم بتنظيف وجهه الذى هو منظر الخالق ولا يهتم بتطهير قلبه الذى هو منظر ربه ﴿وتعلق صلاح الجسد بصلاحه﴾ اي لتوقفه ظاهرا على تحققة باطنا ، وكذا تعلق فساد الجسد بفساده ﴿فورد﴾ في الحديث كما تقدم ﴿ان فى الجسد لمضغة﴾ اي قطعة لحم بجرقة فانها ممضوغة ﴿اذا صلحت﴾ بضم اللام وفتح ﴿صلح الجسد كله﴾ تماما «واذا فسدت فسد الجسد كله» ﴿الا﴾ للتنبيه ﴿وهى﴾ اي تلك المضغة ﴿القلب﴾ اي محل تعلقه وسريره ملكه ، فان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها له تبع ، فاذا صلح المتبوع صلح التبع ، واذا استقام الملك استقامت الرعية ، ولذا قيل : الناس على دين ملوكهم . ﴿وسعادة الابد﴾ اي وسيادة السرمدة ﴿بسلا مته﴾ اي بسلا مة

فورد. (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) . وَ كَوْنَهُ مَعْدِنَ
النَّفَاسِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَسَائِرِ الْفَضَائِلِ وَقَصْدِ الْعَدُوِّ إِلَيْهِ كَمَا وَرَدَ بِهِ الْخَبَرُ

القلب من نحو الكفر والغل والحقد والحسد (فورد) في التزويل (يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم) اى من كل خلق سقيم كالشرك والنفاق
والشقاق والاغراض الدنيوية والاعراض الدنية . وقبل هو ما لا يخطر فيه الاشهرود
الرب (وكونه) اى ولكون القلب (معدن النفاس) بمنبع الفواضل المستوهة
(من العلم والمعرفة) اى علم الكتاب والسنة ومعرفة الرب التى هى اجل انواع النعمة
(وسائر الفضائل) المكتسبة من تحسين الاخلاق وتزيين السمائل *

والحاصل ان القلب خزينة نعم الرب فحق له ان يحفظ ويحرس عن الآفات ، ويكرم
ويجل بضروب المكرامات . ثم اعلم ان شرف الانسان وفضله الذى فضله الله على سائر
خلقه باستعداده من بين عباده لمعرفة ربه التى هى فى الدنيا جماله وغره وفى الآخرة كماله
وعدته وذخره ، وانما استعد للمعرفة بقلبه وجنانه لا بمعضو آخر من اركانه ، فالقلب
هو العالم بالله ، وهو العامل لله ، وهو الساعى المتقرب الى الله ، وهو المقرب اليه والمشهود
عليه والمكاشف بما عند الله ولديه ، وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات كالجراح
يستخدمها القاب فى خدمة الرب استعمال الملك للعبيد ، واستخدام الراعى للرعية ،
والصانع الآلة . والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله ، وهو المحجوب عن
الله اذا صار مستغرقا بغير الله ، وهو المطالب ، وهو المخاطب ، وهو المعاتب ، وهو
المعاقب وهو الذى يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه ، وهو الذى يخيب ويشقى
اذا دنسه ودساه ، وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى ، وانما السارى الذى ينتشر على الجوارح
من العبادات أنواره ، وهو العاصى المتمرد على الله سبحانه ، وانما الطارى على الاعضاء من
الفواحش آثاره . وباطلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه ، اذ كل اناء
يرشح بما فيه وهو الذى اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه ، وإذا عرف نفسه فقد
عرف ربه ، وهو الذى اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه ، واذا جهل نفسه فقد جهل ربه
ومن جهل قلبه فهو لغيره اجهل . فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه التى هى مظاهر الرب
أصل الدين وأساس طرق المجتهدين (وقصد العدو اليه) أى وقصد الشيطان الذى هو
أكبر أعدائه دائما الى اغوائه (كما ورد به) أى بقصد العدو الى القلب (الخبر) وهو

وَكَثْرَةُ شُغْلِهِ فَهُوَ مُعْتَرِكُ الْعَقْلِ وَالْهَوَىٰ وَكَثْرَةُ الْعَوَارِضِ لُورُودِ الْخَوَاطِرِ مَعَ الْعَجْزِ عَنِ الْمَنْعِ، وَسُرْعَةِ الْأَنْقِلَابِ

قوله عليه السلام « ان الشيطان لجاثم » وفي رواية « واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله تعالى خنس اى تأخر وعلاه واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه » ابن ابي الدنيا وأبو يعلى وابن عدى ((وكثرة شغله)) أى وكثرة اشتغال القلب واحواله وترتب ما عليها من أفعال الانسان وأفعاله ((فهو)) أى القلب ((معترك العقل والهوى)) أى موضع عراكهما وقاتلتهما وملاهما . فاذا برز خاطر الهوى داعيا الى الشر قابله خاطر العقل ودافعه داعيا الى الخير فتارة يغلب العقل ويملو علم الهدى ، وأخرى يغلب الجهل وترفع راية النفس والهوى فالجرب سجال . وقد قال الملك المتعال (وتلك الايام نداولها بين الناس) وقد قيل :

فيوم علينا ويوم لنا . ويوم نساء ويوم نسر

وفي الحديث « رجعنا من الجهاد الا صغر الى الجهاد الا كبر » ومنه قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ((وكثرة العوارض)) أى وكثرة الامور الطارئة والاحوال السارية ((لورود الخواطر)) الدنية فى القلوب الفواتر الردية من حب الدنيا والرياسات . وحصول اللذات والشهوات والاهوات ((مع العجز عن المنع)) أى مع عجز السالك عن دفع وقوع ما هنالك ، فان الخواطر كالسهام لاتزال تقع فى القلب كالطير لاتزال تنزل عليه ليلا ونهارا لاتنقطع ولا انت تقدر على منعها فتمتنع ، وليس بمنزلة العين اتى هى بين الجفنين حتى تغمض وتستريح ، او اللسان الذى هو وراء الشفتين حتى تطبق وتصمت .

والحاصل ان الخواطر لا يقدر احد على منعها ولا على التحفظ عنها مع ان النفس مائلة اليها وهى محبوبة لديها ((وسرعة الانقلاب)) أى وسرعة تقلب القلب فى الطاعة والمعصية للرب ، وسى بالقلب لتقلبه فى احواله ، ولذا كان عليه السلام يكثر فى دعائه « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » رواه الترمذى وحسنه من حديث انس والحالم من حديث جابر وقال صحيح على شرط مسلم . ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « اللهم . مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » وفي رواية قالوا ونخاف يا رسول الله قال وما يؤمننى والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقبله كيف يشاء » وللنسائي

فَوَرَدَ أَنَّهُ «مِثْلُ الْمَصْفُورِ يَنْقَلِبُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ» وَفِيهِ الْإِنْشِرَاحُ وَالْإِنْفَسَاحُ عِنْدَ عَدَمِ

النَّقْصَانِ وَالْحِجَابِ

في الكبرى وابن ماجه والحاكم وصححه على شرط الشيخين من حديث النواس بن سميان « ما من قلب الا بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء أقامه وان شاء أزاغه » (فورد) من حديث أبي عبيدة بن الجراح كما رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي في الشعب (انه) أي القلب (مثل المصفور) وهو الطير الصغير المشهور بالقلب الكثير (ينقلب في كل ساعة) أي الى جهة ، فكذا القلب تارة يميل إلى طاعة ويقظة ، وأخرى الى معصية وغفلة . ولاحمد والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري من حديث المقداد بن الاسود « مثل القلب في قلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا » وفي رواية لها « قلب المؤمن اشد ثقلًا من القدر في غليانها » والطبراني والبيهقي من حديث أبي موسى الاشعري باسناد حسن « مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن » (وفيه) عطف بالمعنى على قوله لنظره لانه في قوة قولنا ولما فيه أي في القلب ، ومحلّه من الصدر (الانشراح) أي الانبساط والنشاط الموجب للصلاح والفلاح (والانفساح) أي الاتساع والافتتاح (عند عدم النقصان) أي نقصان القلب بارتكاب المخالفة ، بل يكونان عند كماله في اكتساب الموافقة . فللحاكم في مستدرکه من حديث ابن مسعود انه عليه السلام سئل عن قوله تعالى (أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) ما هذا الشرح فقال : هو التوسعة . ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح ، والمعنى اتسع القلب لتجلي الرب وحفظ السر الذي شاهده في القلب ، ولذا قيل : صدور الاحرار قبور الاسرار . ونعم ما قال بعض الابرار

من اطلعوه على سرفتم به لم يأمنوه على الاسرار ما عاشا

(والحجاب) عن رب الارباب ، وهو اشد العذاب أو الحجاب عن الاكتساب ، فهو بالجر عطف على النقصان ، أي عند عدم حجاب الملائه ونقاب المناهى . ويجوز رفعه على الانفاسح أي وفي القلب حجاب المعاصي والشهوات المترتبة الواردة على وجه القلب المانعة له عن مشاهدة تجليات الرب ، فان ذلك يمنع من صفاء القلب وجلاته فيمنع ظهور الحق بقدر ظلامه في اثباته ، وقد قال أبو سليمان الداراني : اذا اعتادت النفوس ترك

وَالْمُهْلِكَاتِ وَالْإِنْصِرَافِ إِلَى الْعِلْمِ وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْأَمَانَةِ الَّتِي حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ

الآن اتمام جالت في الملكوت ورجعت الى صاحبها بطريق الحكمة ، ويؤيده حديث «لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء» رواه أحمد من حديث أبي هريرة (والمهلكات) التي هي ضد المنجيات (والانصراف) أي عند الانصاف والاعتراف (الى العلم) أي علم الشريعة والطريقة ليعمل به ليصل الى مراتب الحقيقة ، أو المراد بالعلم هو التوحيد المقرون بوصف التفريد من معرفة ذات الحق وصفاته وقدرته في مصنوعاته والتوجه اليه وترك كل ما يشغل ليدعاه يرد عليه . وإنما زاد الانصراف الى العلم التوحيدي لحصول الانشراح والانفساح ، ولم يكتف في ذلك بعدم النقصان والحجاب والمهلكات لان المطيع القاهر لشهواته الماهر في استقامة حاله من طاعته وعبادته وان كان قلبه صافيا عن لهواته وغفلاته فانه لا يحصل له الانشراح والانفساح ، بل ينكشف له ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال ان كان تفكره فيها أو من مصالح المعيشة والاحوال ان كان تفكره فيها . وأما الانشراح والانفساح فلا يحصل الا اذا انصرف القلب الى العلم التوحيدي المتعاق بالذات والصفات بشرط عدم النقصان والحجاب والمهلكات (وهو) أي العلم المترتب عليه العمل (المراد بالأمانة التي حملها الانسان) أي قبلها بقابليته لتحمل التكاليف الشرعية . من تصحيح العقائد الدينية الاصلية . وارتكاب الفرائض الفرعية . واجتناب الامور المنهية . وفي الاحياء : فيه اشارة الى ان للقلب خاصية تميز بها عن السموات والارضين والجبال . وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد : وقلب كل آدمي مستعد لحل الأمانة ومطبق لها في الاصل انتهى . ولا يخفى ان جميع الاجزاء من الارض والسماء له قابلية ذلك بل الواقع كذلك عند العارفين بما هانك كما حقق في قوله سبحانه : (وان من شيء الا يسبح بحمده) وغير ذلك من الآيات والاحاديث الثابتات ان الاشياء كلها لها معرفة بصانعها . وكذا اهل السموات والارض والجبال من النساء والرجال . فالأظهر ان يقال ان الملائكة مظاهر الجمال فلا تتأق منهم المعصية وماية تنزيهه من العقوبة . والشياطين مظاهر الجلال فلا يتصور منهم الطاعة وما يترتب عليها من الرحمة ، فاراد الله سبحانه جمعا يكون لهم مرتبة الكمال بان يكون فيهم نصيب وحظ من الجمال والجلال وتقع فيهم قابلية للطاعة والرحمة والمعصية والعقوبة ، ولذا ورد : لولم تذنبوا لجالا الله

وَزِيَادَةُ الْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ

يقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ، وفي قوله تعالى (بنى عبادى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم) ايماء الى ذلك وفي قوله (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول) المذ لك . ثم من افراد هذا الانسان من يكون على الشان مع أنه خلق فيه داعية العصيان جاهد نفسه واطاع ربه وقام بحق الامانة في ميدان التبيان ، ومنهم من ترك الطاعة وضيع الامانة بالخيانة من غاية الطغيان ، فصار المؤمن الكامل من الانسان اعلى مرتبة من ملائكة الرحمن ، والكافر منهم اخفض منزلة من جنس الشيطان كما يشير اليه قوله تعالى (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) فنعوذ بالله من دار البوار . وبما قررنا فيما حررنا انكشف وجه قوله سبحانه (انا عرضنا الامانة) اى حملها من غير الحياة (على السموات والارض والجبال) اى ذواتها أو ما فيها من سكانها ومتصرفاتها (فابين ان يحملنها واشفقن منها) لعدم استعدادهن لها ولكونهن ما خلقن لاجلها (وحملها الانسان) مع كونه ضعيف البنيان فكل ميسر لما خاق له (انه كان ظلوما) على نفسه بتحملة (جمولا) لعاقبة امره وتحمله . وهذا حكم عايم باعتبار اغلب افراده ممن لم يميز بين صلاح حاله وفساده فى ما آله كما اشار اليه بقوله (ليعذب الله المنافقين) الآية (وزيادة اليقين) اى وفى القلب مزية الايقان فى امر الدين (والايمان) اى وفيه الايمان الذى سبب الامن والامان ، وباعت على الاسلام والاحسان فلمما درجات فيها مناقب ادناها التقليد كما لعوام المؤمنين وأوسطها الخروج عن التقليد بنوع من استدلال التوحيد كما للمتكلمين ، واعلاها ، المشاهدة والمكاشفة كما للعارفين ، ومثاله كمن اخبر صادق بوجود ذبيد فى الدار فصدقه من غير شهوده ، ثم سمع صوته فاستدل به على وجوده ، ثم رآه وشاهده ، فالمشاهدة نتيجة المجاهدة . ثم المشاهدة ايضا على مراتب ، كمن يشاهد السلطان جالساً على سريره من وراء الحائط او حجاب ستره ، ثم من يشاهده من داخل داره . ثم من قريب فى مزاره ، ثم من هو جالس فى مجلسه ، ثم من هو جالس قريباً منه بحيث يلاحظ صفحة وجهه وجميع ما خفى عن غيره ، وقس على هذا تفاوت درجات المشاهدة فى الامور الالهية السبحانية والعلوم التوحيدية الربانية الصمدانية ، كما يشير اليه قوله تعالى : (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى) ثم اكثر العوام ايمانهم تقليد تبع لآبائهم

وَدَرَجَاتُ الْعِلْمِ وَالنُّورِ الْمَسْئُولُ فِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ وَالطَّبَعُ وَالرَّيْنُ عِنْدَ الْإِتِّصَافِ
بِالرِّذَائِلِ وَتَرَأَى كُمُ الظَّلَامِ وَالْإِحْتِجَابِ مِنْهُ تَعَالَى وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ هُوَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ
الْعَارِفُ الْعَالَمُ الْمُخَاطَبُ الْمُطَالَبُ

فانهم اذا بلغوا سن التمييز سمعوا وجود الله وعلمه وارادته وقدرته وبعثة الرسول وصدقه
فيما جاء به ، وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ، وهذا الايمان سبب النجاة في
الآخرة عند جمهور المتكلمين ، واهله من اوائل رتب اصحاب الدين ، وليسوا من المقربين
لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانسراح صدر نور اليقين . وقلوب اليهود والنصارى
ايضا مطمئنة بما سمعوا من آباءهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانه القى اليهم الخطأ ،
والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن لما القى اليهم كلمة الحق (وردجات
العلم) اى وفيه مراتب العلم من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، أو المراد به اعلم
الشريعة التى هى متعلقة بالاعمال الظواهر ، وعلم الطريقة التى هى مطلوبة فى الاخلاق
السرائر ، وعلم الحقيقة التى هى المواهب بعد تحصيل المكاسب من شرائف المناقب
ولطائف المراتب (والنور) اى وفيه النور (المسئول فى الدعاء المأثور) اللهم
اجعل فى قلبى نورا ، رواه مسلم وغيره (والطبع) اى وفيه الختم قال تعالى (ونطبع على
قلوبهم) و (ختم الله على قلوبهم) (والرَيْن) اى وفيه السراة الذى يعملو الفؤاد (عند
الاتصاف بالردائل) والخلو عن الفضائل (وترا كم الظلام) اى وتكاثف الظلمات
الناتية عن الظلم وسائر السيئات (والاحتجاب منه تعالى) بعدم توفيق الحسنات وهر
مأخوذ من قوله تعالى (كلا بل ران) اى غلب وعلا (على قلوبهم ما كانوا يكسبون
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) اى عن رحمته وأرويته ، وفى الحديث « ان المؤمن
اذا اذنب كانت نكته سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها واذا
زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلکم الران الذى ذكر الله فى كتابه (كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون) أخرجه البغوى فى تفسيره باسناده (والتحقيق) عند أهل
التوفيق (انه) اى القلب (هو ذلك الانسان العارف) اى المدرك للجزئيات (العالم)
بالكليات (المخاطب) بالامر والنهى (المطالب) باكتساب المأمورات واجتناب
المنهيات ليترتب عليهما الثواب والعقاب فى دار الجزاء والحساب (فمن ثقلت موازينه
فأولئك هم المفلحون) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم

يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْقَلْبِ لِتَعَلُّقِهِ بِهِ بِلَا وَاسِطَةٍ وَبَسَائِرِ الْحَوَاسِّ بِوَاسِطَتِهِ كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الْمُضْغَةِ الْمَكَيَّفَةِ

خالدون) ﴿يطاق عليه﴾ أى على الانسان ﴿اسم القلب﴾ أى مجازا ﴿لتعلقه﴾ أى الانسان ﴿به﴾ أى بالقلب ﴿بلا واسطة﴾ أى من غير واسطة شيء آخر ﴿وبسائر الحواس﴾ أى ولتعلقه بباقيها ﴿بواسطته﴾ أى القلب ﴿كما يطلق﴾ أى القلب ﴿على المضغة المكيفة﴾ وهى قطعة لحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص فى باطنه تجويف ؛ وفى ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح ومعدنه كذا فى الاحياء تبعا للحكماء ، وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للبيت الهائم ، وأما قول سهل التستري : القلب هو العرش ، والصدر هو الكرسي فراده تشبيه القلب بالعرش والصدر بالكرسي ، وعن كعب الأحبار قال دخلت على عائشة فقلت : الانسان عيناه هاد ، وواذنا دقع أى واعر ، ولسانه ترجان ويده جناحان ورجلاه يريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب جنوده ، فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول . وقال على رضى الله عنه فى تمثيل القلوب : ان الله تعالى فى أرضه آنية وهى القلوب فأحبها إليه أرقها وأصفها وأصلبها ثم فسره فقال : أصلبها فى الدين وأصفها فى اليقين وأرقها على الإخوان يعنى المرافقين ، وهو اشارة الى قوله تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقوله تعالى (مثل نوره كمشكود فيها مصباح) قال أبى بن كعب مثل نور المؤمن وقلبه ، وقوله (أو كظلمات فى بحر لجى) مثل قلب المنافق الفاسق ، وقال زيد بن أسلم فى قوله تعالى : (فى لوح محفوظ) هو قلب المؤمن وفى الحديث «إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له وانظاما من قلبه» الدليل على من حديث أم سلمة باسناد جيد ، ولاحمد والطبرانى فى الصغير من حديث أبى سعيد «القلوب اربعة : قلب احرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب منكوس فذلك قلب الكافر ، وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق ، وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القبيح والصديد ، فأى المادتين غلبت عليه حكم له بها» وفى رواية ذهبت به. وفى الحديث القدسي والكلام الانسى لم يسعنى ارضى وسمائي ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع ، كذا فى الاحياء . وقال مخرجه لم ارله أصلا ، وتعقبه بعض الحفاظ بأنه رواه عبد الله بن

احمد في الزهد عن وهب بن منبه بلفظ « ان الله فتح السموات لحز قيل حتى نظر الى العرش فقال حز قيل : سبحانك ما اعظم شأنك يا رب . فقال الله : ان السموات والارض ضعفن عن ان يسعني ووسعني قلب عبدی المؤمن الوادع اللين ، انتهى ولا يخفى ان هذا من الآثار فلا ينافي ما نفاه المخرج من الاخبار . وفي الخبر « قيل من خير الناس فقال كل مؤمن محوم القلب ، فقيل وما محوم القلب ؟ فقال هو التقى التقى الذي لا غش فيه ولا بغى ولا غدر ولا حسد ، رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو باسناد صحيح وفي الاحياء عن عمر رضى الله عنه : رأى قلبى ربى اذا كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والمملوك في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض اما جملتها فاكبر سعة من السموات والارض ، لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة ، وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكثاف فهو متناه على الجملة ، واما عالم المملوك وهو الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار الخصوص بادراك البصائر فلانهاية له ، نعم الذى يلوح للقلب فيه بمقدار متناه ولكنه في نفسه وبلاضافة الى علم الله تعالى لانهاية له . وجملة عالم الملك والمملوك اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس فى الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم ، وهو سبب استحقاق الجنة عندها هل الحق ، ويكون سعة ملكه فى الجنة بحسب سعة معرفته ، وبمقدار ما يتجلى له من الله تعالى وصفاته وأفعاله من مصنوعاته ؛ وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيتة وجلاؤه وقد افلح من زكاه ، ومراده بتزكيتة حصول نور الايمان فيه اعنى اشراق نور المعرفة ، وفى الاحياء ان القلب لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعاق عجيب وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان ، وهى المدركة للعالم العارفة من الانسان ، وهو المخاطب والمطالب والمعاتب والمعاقب ، ولها علاقة مع القلب الجسمانى ، وقد تحيرت عقول اكثر الخلق فى ادراك وجه علاقته . وان تعلقما به يضاهى تعلق الاعراض بالاجسام والافاض بالموصفوات انتهى . ومن هنا قيل معنى قوله : من عرف نفسه فقد عرف ربه ، تعجيز . وفيه تنبيه على ان ليس لاحد من الانسان ان يعرف حقيقة نفسه مع انه بها بائدال انسه هذا وفى اطلاق القلب على الانسان لم يظهر وجه فى ميدان التبيان ، بل المغايرة بينهما ظاهرة عند الاعيان لقوله تعالى : (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) الآية ، فالصحيح ان القلب آلة لمعرفة الرب كما يشير

وَأَسْمُ النَّفْسِ فَقَسَمَهَا التَّنْزِيلُ إِلَى مُطْمَئِنَّةٍ

إليه قوله تعالى (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) والفرق بين القلب والنفس والعقل أن القلب يفرق بين الحق والباطل ثم يتقلب في قبول أحدهما ويتردد في خاطرهما ، ويترتب عليهما صلاح الجسد وفساده ، والنفس غالباً مائلة إلى الشهوات واللذات كما يشير إليه قوله سبحانه (وفيها ما تشهيه الأنفس) من المأثولات والمشروبات والمشغومات والمسعومات وسائر الملذذات ثم النفس المذمومة هي التي لا تفرق بين المباحات والمحظورات ، ومنه قوله سبحانه (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) - (وأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى) والعقل الجزئي مشترك بين الحيوان والصبان وسائر الإنسان ، والعقل الكلي وهو المميز بين الخير والشر في العاقبة دنيوياً أو آخروياً ، وقيل بين خير الخيرين وشر الشرين ، فهذا عقل المطبوع وهو لا ينفع بدون عقل المشروع ، ولذا ترى الحكماء حجبوا بعقولهم الناقصة وأن ادعوا كما لها عن متابعة الأنبياء زعماء منهم أن الرسل أرسلوا للعامة وأنهم من الخاصة فصاروا أجمل من كل جاهل ، فإن المقلد قبل إيمانه وفاز بتقليده في درجات جنانه ، والحكيم بعقله تنزل في درجات نيرانه ﴿ واسم النفس ﴾ أي ويطلق على الإنسان اسم النفس لقوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) فالنفس جسم كثيف ، والروح جسم لطيف له سريان شريف في سائر الأعضاء ، لطيف لطافة سريان الهواء في البدن ، وقوله (كل نفس ذائقة الموت) و (علمت نفس ما قدمت وأخرت) و (علمت نفس ما أحضرت) وكالزبد في اللبن ، والدهن في الجوز واللوز ، وماء الورد في الورد . والقلب داخل النفس وهو أطف وأضوء من النفس والسر نور رحمان آلة للنفس فإنها تعجز عن العمل بدونه ولا تفيد فائدة ما لم يكن السر عنده والحاصل أن النفس هنا عبارة عن الهيكل الإنساني المركب من الجسد الجسماني والروح الرباني إذ المراد من نفس واحدة آدم عليه السلام ﴿ قسمها ﴾ أي النفس ﴿ التنزيل ﴾ أي القرآن بعد إطلاقه النفس على آدم ونحوه وما يتعاقب به من الأجزاء ﴿ إلى مطمئنة ﴾ حيث قال تعالى (يا ابتها النفس المطمئنة) أي بذكر الله سبحانه وهي النفس المؤمنة ولذا قال (أرجعني إلى ربك راضية مرضية) الآية وهو يحتمل أن يراد بها الهيكل المركب الإنساني فالمراد بقوله (فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) أي مع عبادي الصالحين

كقوله تعالى حكاية عن الانبياء والمرسلين (توفنا مسلمين) (والحقنا بالصالحين) (وأدخلنا الجنة آمنين) ويشير اليه قوله سبحانه (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله لا يذكرون الله تظمئن القلوب) ويحتمل أن يراد بها الروح المجرد عن الجسد فالمراد بقوله (فادخلي في عبادي) أي في اجسادهم وعلى كل تقدير اريد بالنفس الجنس (ولوامة) حيث قال (ولا أقسم بالنفس اللوامة) أي كثيرة الملامة لنفسها لاسيما يوم القيامة ان كانت عملت خيرا قالت هلا زدت ، وان عملت شرا قالت ليتني لم أفعل ، وهو قول القراء ، فهي شاملة للنفس البرة والفاجرة . وقيل تلوم على الخير والشر والرفع والضر ، وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة . وقال الحسن : هي النفس المؤمنة ، فان المؤمن والله ماتراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ؟ ما اردت باكلتي ؟ وان الفاجر يمضي عليه الدهر لا يحاسب نفسه ولا يمايتها . وقال مقاتل هي النفس الكافرة فان الكافر يلوم نفسه في العقبي على ما فرط في أمر الله في الدنيا ، وهو يحتمل الاحتمالين السابقين (وامارة) حيث قال تعالى (ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي) أي الامدة رحمة ربي بي ، والامن رحم ربي به ، ولا يخفى انه لا يصح اطلاق النفس بهذا الوصف على الانسان المعروف . وفي بعض النسخ هنا زيادة - ومهمة - وهي نسخة مهمة اذ لم يعرف في آية منزلة (ثا نطلق) أي النفس (على ما يجمع الرذائل) من سوء الشماثل (فسمها الشارع اعدى الاعداء) لما اخرج به البيهقي عن ابن عباس بسند ضعيف «اعدى عدوك نفسك التي بين جنبك» وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية ، فهم يريدون بالنفس الجامع للصفات المذمومة من الانسان ، فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها (واسم الروح) أي ويطلق عليه اسم الروح ايضا بانفراده ، وفيه البحث الذي تقدم والله اعلم ، فان الارواح ضد الاشباح والانسان عبارة عن المركب منهما واستدلاله بقوله (فورد) في التنزيل (قل الروح من أمر ربي) ليس فيه دلالة على انه يطلق الروح ويراد به الانسان ، فان كل موجود ذي كمية ومقدار فهو من عالم الخلق ، وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فهو من عالم الامر ، كذا قيل . والصواب ان كل ما خلق الله بالتدريج فهو من عالم الخلق ، وكل ما خلقه بمجرد الامر وهو بتعلق الارادة ، اوبلفظ كن على

كَأَيُّطْلُقُهُ الْأَطْبَاءُ عَلَى الْجِسْمِ الْمَكْيِفِ، وَأَسْمُ الْعَقْلِ فَوَرَدَ «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ
وَقَالَ لَهُ أَقْبِلْ» الْحَدِيثَ

اختلاف فيه فهو من عالم الامر كما قال تعالى (إذا قضى امرا فاما يقول له كن فيكون)
وقال عز وجل (ازربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) الى ان قال
(الاله الخالق والامر تبارك الله رب العالمين) (كأَيُّطْلُقُهُ) اى الروح (الاطباء) من
الحكماء (على الجسم المكيف) والصواب التوقف فى سر الروح وامره اذ لم يتكلم فيه رسول
الله ﷺ على ما قاله ابن مسعود كما فى الصحيحين ، وما لم يتكلم فيه فليس لغيره ان يتكلم
فيه ، وقد قال تعالى (وما او تيتم من العلم) اى به وبغيره (الا قليلا) لان علم جميع
الخلق بالاضافة الى علم الحق كقطرة من البحر . والمراد به العلم بانه ما بوجوده الحياة وبفقد
المات ، والا قرب فى تعريفه ما قيل من انه جسم لطيف روحانى ربانى متبعه تجويف قلب
جسمانى ، وينتشر بواسطة العروق الضواري الى اجزاء البدن ، ثم جريانه فى البدن
وفىضان انوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منه على اعضائه يضاهى فيضان
النور من السراج الذى يدار فى زوايا البيت فانه لا ينتهى الى جزء من البيت الا ويستنير به ،
فالحياة مثالها النور الحاصل فى الحيطان ، والروح مثاله السراج ، وسريان الروح
وحركاتها فى الباطن مثاله مثال حركات السراج فى جوانب البيت بتحريك محركه ، واما
قوله تعالى (ففجعت فيه من روحى) فالمراد به اضافة تشريف لان الروح من جملة
مخلوقاته ، وقد ثبت ان الارواح خلقت قبل الاجساد بالاف عام . واول الارواح روح
خاتم الانبياء ، وكذا قوله (وروح منه) اى من عنده او من امره ، وانما اطلق الروح
على جبريل الا من لتجرد روحه لان الملائكة كلهم ارواح متجردة ، ولتخصه به ول
القرآن المسمى بالروح فانه سبب احياء الروح كما قال تعالى (ياقنى الروح من امره
على من يشاء من عباده) وقال (او من كان ميتا فاحييناه) وسمى جبريل ايضا بالروح
المقدس اى المنزه عن النقصان فى تبليغ امر الحق الى رسل الانسان ، والله المستعان
(واسم العقل) اى ويطاق عليه اسم العقل وفيه النظر السابق ، وما ذكره من الاستدلال
بغير المطابق حيث قال (فورد اول ما خلق الله العقل وقال له اقبل الحديث) اى
« فاقبل وقال ادبر فادبر ثم قال الله عز وجل وعزنى وجلالى ما خلقت خلقا ارم على
منك بك آخذ وبك اعطى وبك اتيب وبك اعاقب » الحديث كذا فى الاحياء ، وقال

كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الصِّفَةِ الْمُكَيَّفَةِ

مخرجه رواه الطبراني في الكبير والوسط من حديث أبي امامة وابو نعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين انتهى . وقال ابن تيمية وتبعه الزركشي انه كذب موضوع باتفاق اهل العلم ، وتعقبه الحافظ السيوطي بما رواه عبد الله ابن الامام احمد في زوائد الزهد عن الحسن مرفوعا مرسل بسند جيد بلفظ لما خاق الله العقل الخ . وفي الحديث دليل على ان العقل غير العلم ، فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ، ولانه لا يمكن الخطاب معه ﴿ كما يطلق ﴾ اي العقل ﴿ على الصفة المكيفة ﴾ اي الوصف الذي يتميز الانسان به عن سائر البهائم من جنس الحيوان ، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدير الصناعات الحفية المكرية ، وهو الذي اراده الحارث بن اسد المحاسبي حيث قال في حد العقل : انه غريزة يتبناها درك العلوم النظرية ، وكأنه نور يقذف في القلب ليستعد به لادراك الاشياء وهذا هو الصواب في تعريفه ، ونظيره ان الحياة غريزة بها يتبنا الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية ، ثم العقل كالمرآة التي تفارق غيرها من الاجسام والا تكان في حكاية الصور والالوان لصفة اختصت بها في تلك الحالة وهي الصقالة وبها اتصفت بالآلة ، فعن ابن عباس مرفوعا لكل شيء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل . رواه ابن المحبر . وكذلك العين تفارق الجبهة في هيئات وصفات بها استعدت للرؤية ، فذات هذه الغريزة التي هي العقل الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم بها كنسبة نور الشمس الى البصر ، وعن علي رضي الله عنه :

رأيت العقل عقليين . فمطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع . اذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس . وضوء العين ممنوع

فالاول هو المراد بقوله عليه السلام وما خاق الله خلقا هو اكرم عليه من العقل .

كما اخرجه الترمذي الحكيم في النوادر من رواية الحسن عن عدة من الصحابة والآخر هو المراد بقوله عليه السلام لعل اذا اكتسب الناس من انواع البر ليقرّبوا بها الى ربنا عز وجل فاكسب أنت انواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة . رواه ابو نعيم في الحلية ، وهو المراد ايضا بقوله عليه السلام لا يدرى الدرداء اذا اردت عقلا زددت

من ربك قربا فقال بأبي أنت وأمي فكيف لي بذلك؟ فقال اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلًا واعمل بالصالحات من الأعمال تزد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتل بها من ربك القرب والعز، رواه الترمذي الحكيم وغيره وقال ابن المسيب «ان عمرو أبي بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله من أعلم الناس؟ فقال العاقل : قالو من أعبد الناس؟ فقال العاقل قالوا فمن أفضل الناس؟ قال العاقل قالوا ليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلام: (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) ان العاقل هو المتقى وان كان في الدنيا خسيسا دنيا رواه ابن المحبر، وله من حديث أنس من حديث ابن سلام سأل النبي عليه السلام في حديث طويل في آخره، وصف عظم العرش وان الملائكة قالت : يا ربنا هل خاقت خلقا أعظم من العرش؟ قال نعم العقل، قالوا وما بلغ من قدره؟ قال هيئات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل؟ قالوا لا قال تعالى فاني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حشية ومن الناس من أعطى حشيتين ومنهم من أعطى الثلاث ومنهم الأربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك » ورواه الترمذي الحكيم في نوادره مختصرا، ولهذا انقسم الناس الى بليد لا يفهم بالفهم الا بعد تعب طويل في التعليم والى ذكي يفهم بالرمز والاشارة من غير حاجة الى العبارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور ودقائقها بدون التعليم (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) وذلك مثل الانبياء عليهم السلام وبعض اتباعهم من الأولياء الكرام ويعبر عن الأول بالوحي وعن الثاني بالالهام هذا وقد قال عليه السلام «يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه ، واعلموا أنه مجدكم عند ربكم ، واعلموا أن العاقل من أطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطردنى المنزلة رث الهيئة، وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة نصوحا نطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله من عصاه ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا ياكم واياهم فانهم من الخاسرين » رواه داود بن المحبر أحد الضعفاء في كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحارث بن أبي أسامة عن داود . عن أنس قال أثنى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال عليه السلام كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسلنا عن عقله فقال عليه السلام وان الاحق يصيب بحمة أكثر من فجور الفاجر ، وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات زاني

من ربههم على قدر عقولهم» رواه ابن المحبر بن تمامه والحكيم الترمذى مختصراً. وعن عمر مرفوعاً «ما اتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه الى هدى أو يردده عن ردى وما اتم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله، ابن المحبر، وعنه الحارث بن أبى أمامة وعن أبى سعيد مرفوعاً لكل شئ دعامة أى عماد ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار فى النار: (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى اصحاب السعير، ابن المحبر وعنه الحارث. وقال عليه السلام «ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم له عقله، فعند ذلك تم له ايمانه وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس» ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده به. والحديث عند الترمذى مختصراً دون قوله ولا يتم من حديث عائشة وصححه «وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله بآى شئ يتفاضل الناس فى الدنيا؟ فقال بالعقل قلت ففى الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم؟ فقال هل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله من العقل، فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم، وبقدر ما عملوا يجزون» ابن المحبر والحكيم الترمذى نحوه. وقال عليه السلام «انكم عقلًا اشدتم لله خوفاً واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظراً وان كان اقلكم تطوعاً، ابن المحبر من حديث أبى قتادة. وفى الاحياء: اما العلوم الدينية فهى المأخوذة من الانبياء عليهم السلام بطريق التقليد، وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيهما بعد سماع مبانيهما، وبه كمال صفة القلب فى معرفة الرب، وبه سلامته عن الاعراض والاعراض والادواء والامراض. فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وان كان محتاجاً اليها فى معرفة الرب. فالداعى الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والملافتى بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور. فايك ان تكون من احد الفريقين، وكن جامعا بين الاصلين فالعلوم العقلية كالاغذية، والعلوم الشرعية كالادوية، والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء، وكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة المصطفوية، وهى وظائف العبادات والاعمال التى رتبها الانبياء عليهم السلام لاصلاح القلوب، فمن لا يداوى قلبه المريض بمعالجة العبادات الشرعية والتقى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء. ثم قال: والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية، والدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات، والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله، وهما علمان متنافيان، يعنى ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه تصيرت بصيرته عن الآخر.

ثُمَّ الْخَوَاطِرُ آثَارُ تَحَدُّثٍ فِي الْقَلْبِ تَبَعَتْ عَلَى الْأَفْعَالِ وَالتَّرُوكِ فَإِنْ نَفَعَ فِي الْآخِرَةِ
فَخَيْرٌ وَالْإِعَانَةُ عَلَيْهِ تَوْفِيقٌ وَإِنْ ضَرَّ فَشَرٌّ وَالْإِعَانَةُ خُذْلَانٌ وَالْفَارِقُ الشَّرْعُ، ثُمَّ
الْفَارِقُ عَمَلُ الصُّلَحَاءِ فَالْمُوَافِقُ خَيْرٌ وَالْمُخَالَفُ شَرٌّ وَلَوْ بِرُخْصَةٍ أَوْ شُبْهَةٍ ثُمَّ النَّفْسُ فَمَا
تَفَرَّتْ عَنْهُ نَفَرَةٌ طَبَعَ لَاخِشِيَّةٌ خَيْرٌ

ضرورة على الأكثر، ولذا ترى الإلحاح في علوم الدنيا جهالا في أمور الآخرة، والإلحاح في
في دقائق علوم الآخرة جهالا في أكثر علوم الدنيا، لأن قوة العقل لا تنفي بالأمور
جميعا في الغالب فيكون أحدهما مانعا من الكمال في الثاني، ولذا قال عليه السلام: «ما دثر أهل
الجنة البله» رواه الدارمي من حديث انس . وقال الحسن: «أدركنا أقواما لو رأيتهم
لقاتم مجانين ولورأوكم لقالوا شياطين . وقال تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم
عن الآخرة هم غافلون) فالدنيا والآخرة لا يجتمعان فهما ضربتان إذا أَرْضِيَتْ إحداها
أَسْخَطَتِ الأُخْرَى . ومن هنا قال عليه السلام « من أحب آخرته أضر بدنيته ومن
أحب دنيته أضر بآخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى » (ثم الخواطر آثار تحدث في
القلب) وهي التي تعرض فيه من الأذكار والأفكار (تبعث على الأفعال) أي تارة
(والتروك) أي وعليها تارة، فإن الخواطر هي المحركات للارادات، فبدأ بالأفعال
الخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والعزم يحرك النية، والنية تحرك الأعضاء،
والخواطر المحركة تنقسم إلى قسمين (فان نفع) أي الخاطر وما يخطر فيه أو الفعل
أو التروك (في الآخرة بخير) محض (والإعانة عليه توفيق) أي لطف وهداية
من الله سبحانه (وإن ضرر) ذلك في الآخرة (فسر والإعانة) أي عليه كافي
نسخة (خذلان) أي ترك نصرة منه وإغواء، فالإعانة الثانية وقعت بطريق المشاطلة
(والفارق) بين الخير والشر (الشرع) ولا عبرة بالطبع (ثم الفارق عمل
الصلحاء) أي من العلماء (فالموافق خير والمخالف شر ولو) كان (برخصة أو شبهة)
لأنه لا ينفع في الآخرة إذا التقدير ولو كان ذلك الموافق برخصة والمخالف بشبهة. والرخصة
ما يستباح بعذر مع قيام دليل الحرمة كتناول المضطر مال الغير وترك الخائف على
نفسه الأمر بالمعروف، وحكمه أن الأخذ بالعزيمة أولى (ثم) الفارق (النفوس
فما تفترت عنه نفرة طبع لاخشيئة) أي مخافة من مخالفة غير الله (خير) وقيل نفرة

وَمَا مَاتَ إِلَيْهِ مَيْلٌ طَبَعَ لَارْجَاءَ شَرٍّ ثُمَّ مِنَ الْمَلِكِ الْهَامُّ وَلَيْسَ سِوَى الْخَيْرِ وَمِنَ الشَّيْطَانِ وَسْوَاسٍ وَهُوَ شَرٌّ وَقَدْ يَكُونُ خَيْرًا كَمَا يَدْعُوهُ إِلَى الْمَفْضُولِ بِالشَّغْلِ عَنِ الْفَاضِلِ وَالْجَرُّ إِلَى ذَنْبٍ لَا يَفِي خَيْرُهُ كَالْعُجْبِ فَوَرَدَ « إِنَّ الْقَلْبَ مَفْتُونٌ بِمَلِكٍ أَوْ شَيْطَانٍ يَدْعُوَانِهِ »

الطبع كنفرة الشخص عن البزاق والمخاط ونحوهما، ونفرة الحشية كنفرته عن الحيوانات المؤذية، فاذا خطر له أن يطرى ميلا الى ثلاثة ايام في الصوم ولكن يحمد في نفسه نفرة وكرامة من هذا العمل فهذا الخاطر خير لانه لا يهلك بجوع ثلاثة ايام غالبا (وما مات اليه ميل طبع لارجاء) من الله سبحانه (شر) مثلا خطر الخاطر أن يخرج من البيت ويتفرج على المكان الفلاني ولا يخطر منه نية خير يرجو ثوابه مثل زيارة أخ في الله أو عيادة مريض بل خرج لمجرد الخاطر فهو شر لما ورد من حديث « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (ثم) الخاطر الصادر (من الملك الهام وليس) ذلك الخاطر (سوى الخير) لانه مرشدنا صرح هنالك لم يرسل الا لذلك (ومن الشيطان وسواس وهو شر) محض غالبا (وقد يكون) الوسواس (خيرا) في الصورة وقصده منه شر (كما يدعوه الى المفضول بالشغل) أي بسبب اشتغاله بالمفضول بمتعة (عن الفاضل) كمن يلقى في قلبه خاطر العبادة من الفعل ليشغله عن العلم الذي هو أفضل منها مع الجهل (والجر) عطف على الشغل أي ولما يدعوه الى خير بسبب جره (الى ذنب لا يفي خبره) أي لا يعدل نفعه بشره وضرره (كالعجب) أو غيره من طالب جاه ونحوه (فورد إن القلب مفتون) أي ممتحن (بملك أو شيطان يدعوانه) أي الى خير وشر، والحديث لم أجد له أصلا، فالملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخيروا فادة العلم، والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك، وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر، كما قال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) فنسب فعل الملك الى نفسه تفضلا او نظرا الى الحقيقة من غير الوساطة، فان رؤية الاسباب نوع من الحجاب ومن هذا الباب قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) وقوله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) وورده القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن

وَمِنْهُ ابْتِدَاءُ خَاطِرٍ مُطَاقٍ

ان شاء أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيعه أزاعه، قال تعالى حكاية عن الراسخين في العلم حيث يقولون (ربنا لا نزغ قلوبنا بعداذهديتنا) الآية وقال عليه السلام « في القلب لثمان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وتعالى فليحمد الله، ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا: الشيطان يعدم الفقر، الآية. رواه الترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد. وقال الحسن: انما هما همان يجولان في القلب هم من الله سبحانه وهم من العدو، فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله أمضاه وما كان من عدوه جاهده ونهاه. واتجاذب القلب بين هذين المسلطين ورد « قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن » أى بين صفتى الجمال والجلال، او تمثيل بسرعة تقلب القلب وتردده بالشئ المأخوذ بين الاصبعين المتحركين ولما كان قلب لا يخلو عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل الى غير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى النفسية لاجرم لا يخاف قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة، ولذا قال عليه السلام « ما منكم من أحد الا وله شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا الا أن الله اعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى الا بالخير » رواه مسلم عن ابن مسعود.

ثم القلب الخالى عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذا قال تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) وكل من اتبع هواه فهو عبد الهوى لا عبد الله قال تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) وقال جرير بن عبد الله : شكوت الى العلامة بن زياد ما وجد فى قلبى من الوسواس فقال : انما مثل ذلك مثل البيت الذى يمر به اللصوص فان كان فيه شئ عالجره والامضوا وتركوه ، ومن هنا قيل: المفلس فى امان الله. وقال عثمان ابن أبى العاص « يا رسول الله ان الشيطان حال بينى وبين صلاتى وقراءتى ، فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا، قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني » رواه مسلم. ولابن ماجه والترمذي من حديث أبى بن كعب « ان للوضوء شيطانا يقال له الوطان فاستعيذوا بالله منه » والحاصل أنه لا خلاص من الشيطان الا بالاتجاه الى الرحمن والتبرى من الحول والقوة للانسان، واظهار المعجز فى ميدان البيان بذكر الله فانه هو المستعان ، وذلك لا يقدر عليه الا المتقون كما يشير اليه قوله سبحانه (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) (ومنه) أى من الوارد من عنده تعالى (ابتداء خاطر مطلق).

وَهُوَ أَمَّا خَيْرٌ اِعْتَنَاءٌ وَإِمَاشِرٌ اِبْتِلَاءٌ وَمِنْ النَّفْسِ هَوًى وَلَيْسَ الْهَوَى سِوَى الشَّرِّ
وَقِيلَ كَالْوَسْوَسةِ وَقِيلَ إِلَّا إِذَا كَانَتْ مُطْمَئِنَّةً فَلَيْسَ سِوَى الْخَيْرِ وَهَذَا هُوَ الْخَامِسُ
الْمُسَمَّى بِخَاطِرِ الْقَلْبِ

وانما قال ابتداء لان حدوث الخواطر جميعها في قلب العبد من الله حقيقة،
لكن اذا حدثت عقيب دعوة الملك تنسب اليه وتسمى الهاما ، واذا حدثت عقيب
دعوة الشيطان تنسب اليه وتسمى وسوسة ، واذا حدثت موافقا للطبع يقال له هوى
النفس وتنسب اليه، واذا حدثت من الله في القلب ابتداء بلا واسطة الملك والشيطان
ولاموافقا لطبع الانسان يسمى خاطرا مطلقا غير مقيد بالواسطة والرابطة (وهو
اما خير اعتناء) اى عناية ورعاية لعبده (واما شر ابتلاء) اى امتحانا لعبده (ومن
النفس هوى) اى والوارد منها يسمى هوى وهو ضد هدى (وليس الهوى سوى
الشر) كما ان الهدى ليس سوى الخير (وقيل كالوسوسة) اى من الشيطان يدهو
الى الشر غالبا وقد يدعو الى الخير ليسير ليجره به الى الشر الكثير ، وذلك لما قال
احمد بن ارقم البلخي : نازعتنى نفسى بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى
يقول (ان النفس لامارة بالسوء) وهذه تأمرنى بالخير لا يكون هذا ابدا ، ولكنها
استوحشت فارادت لقاء الناس لتتروح اليهم ، وتتسامع الناس فيستقبلونها بالمعظيم
والتكريم ؛ فقلت لها : لا انزلك العمران ولا انزلك على ذى معرفة فاجابت ، فاسأت
الظن بها فقلت الله اصدق ، فقلت اقاتل العدو حاسرا اى بلا سلاح فتكونين اول
قتيل فاجابت ، فاسأت الظن بها ، فعدت اشياء مما ارادها فاجابت الى كل ذلك ، فقلت
يارب نهينى لها فانى متهمها ومصدق لك ، فكوشفت كأنها تقول : يا احمد تقتلنى كل
كل يوم يمنعك اياى من شهواتى مرات وبمخالفتك لى كرات : وما يشعر بذلك احد ،
فان قاتلت فقتلت مرة واحدة نجوت منك ، وتتسامع فيقال استشهد احمد ويكون لى
شرف وذكر ، ففعدت ولم اخرج الى الغزو فى ذلك العام . فانظر الى خداع النفس وغرورها
ترانى الناس بعد الموت بعمل لم يكن بعد . ولقد صدق القائل :

توق نفسك لا تأمن غوائلها فالنفس شر من السبعين شيطانا

(وقيل الا اذا كانت) النفس (مطمئنة) بذكر الله (فليس) خاطرها
(سوى الخير وهذا هو الخامس) من الخواطر (المسمى بخاطر القلب)

(م - ١٩ ج - ٢ شرح عين العلم)

فورد «إِسْتَفْتِ قَلْبَكَ أَمَّا الْفَرْقُ فَنَحْنُ الْخَيْرُ يُعْرِفُ الْخَاطِرُ بِكَوْنِهِ مُصَمِّمًا وَمُحَدِّثًا عَقِيبَ الطَّاعَةِ إِثَابَةً فَوَرَدَ (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) وَطَارِيًا فِي الْأَصُولِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ فَلَا سَبِيلَ لغيره تعالى إليها وَتَنبِيهاً فَوَرَدَ «اللَّهُمَّ نَبِّهْنَا عَنْ نَوْمَةِ الْغَافِلِينَ وَالْأَلْهَامُ بِكَوْنِهِ مُتَرَدِّدًا وَمُبْتَدِئًا وَطَارِيًا فِي الْفُرُوعِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَحُثًّا عَلَى الطَّاعَةِ فَوَرَدَ (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) وَالْوَسْوَسَةُ

لقوله تعالى (الابذكر الله تطهئن القلوب) يعنى ولا تميل ابدا الى الذنوب والعيوب (فورد استفت قلبك) تمامه وان افنك المفتون، فالخطاب للمتقى فان قلبه لا يخطئ، ومن هنا قيل بحكى قلبى عن ربى (اما الفرق) بين الخواطر فى الخير والشر (فقى الخير يعرف الخاطر) المطابق الذى يرد من الله (بكونه مصمما) اى ثابتا على حالة واحدة دائما (ومحدثا) اى وبكونه واقعا (عقيب الطاعة اثابة) اى جزاءه والاراما (فورد) فى التنزيل (والذين جاهدوا فينا) بالطاعة (لنهديهم سبلنا) الباقية الموصلة الى قربنا ووصلنا. فقى الخبر «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لا يعلم» وهو معنى قوله سبحانه (والذين آمنوا وازادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقوله (واما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) اى الطريقة السهلة الموصلة الى الحالة الاخرى فى الدنيا والعقبى (وطاريا) عطف على مصمما اى عارضا (فى الاصول) اى الاعتقادات (والاعمال) اى العبادات (الباطنة فلا سبيل لغيره تعالى اليها) فهو عليهم بذات الصدور وخفايا الامور (وتنبيها) عطف على اثابة اى للتنبيه عن نوم الغفلة فى مقام الاثابة على فعل الطاعة، ولا يبعد ان يعطف على مصمما بذكر المصدر واردة الفاعل اى منبها على الغفلات عن عمل الخيرات (فورد) فى الدعاء (اللهم نبهنا عن نومة الغافلين) لم ارله اصلا (والالهام) الملقى يعرف (بكونه) اى الخاطر (مترددا) بين الفعل وتركه غير قوى فى حكمه، وقبل مترددا اى يحى مرة ويذهب اخرى (ومبتدئا) اى لا يحدثا بعد عمل عبادة ونحوه (وطاريا) اى عارضا (فى الفروع) العملية والعملية (والاعمال الظاهرة) الاخرى وفيد الاعمال بالظاهرة لان الملك لا سبيل له الى معرفة باطن العبد فى قول اكثرهم (وحثا على الطاعة) فى الامور الدينية (فورد) فى التنزيل (لا يعصون الله ما امرهم) (ويفعلون) اى الملائكة (ما يؤمرن) لانهم جبلوا على الطاعة (والوسوسة) من

بَكُونَهَا مَعَ عَجَلَةٍ وَنَشَاطٍ دُونَ خَشْيَةٍ عَلَى اِتِّمَامِهِ وَآدَائِهِ عَلَى وَجْهِهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى
 آيَاهُ وَيَصِيرَةٌ أَنَّهُ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ وَفِي الشَّرِّ يَعْرِفُ الْخَاطِرُ بِكُونِهِ مُصَمِّمًا وَمُحَدِّثًا عَقِيبَ
 الذَّنْبِ عُقُوبَةً فَوَرَدَ (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) وَالْهَوَى بِكُونِهَا
 مُطَالِبَةً لِلشَّهْوَةِ فَوَرَدَ (مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ)

الخواطر تعرف (بكونها مع عجلة) لا مع تأن لقوله تعالى (وكان الانسان عجولا) وفي الحديث
 «العجلة من الشيطان والاناة من الله» رواه الترمذى وحسنه من حديث سهل بن سعد
 وقال عز وجل (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى اليك وحيه) (ونشاط) اى فرح
 وانبساط وهو خفة تحصل للانسان للاقدام على العمل من غير بصيرة وتصور مشوبة
 (دون خشية) اى من غير مخافة (على اتمامه) اى اتمام العمل انتهاء (وادائه على وجهه)
 اى وجه العمل وحقه ابتداء (وقوله تعالى آياه) اى العمل وصاحبه اذ لا عبرة لما سواه
 (وبصيرة) اى ودون بصيرة (انه) اى ذلك العمل (خير) يرجى عليه الثواب (او
 شر) يخاف عليه العقاب رقيق: المراد بالبصيرة بصر العاقبة بان تبصرو وتحققو وتيقنوا انه
 خير ورشد، ويجب لزومه مع قطع النظر عن قصد الثواب، والله اعلم بالصواب هـ
 والحاصل انك ان وجدت نفسك فى ذلك الفعل الذى خطر بقلبك مع نشاط لا مع
 خشية، ومع عجلة لا مع تأن، ومع امن لا مع خوف، ومع عى عن العاقبة لا مع
 بصيرة فاعلم انه من الشيطان. وان وجدت نفسك مع ضد ذلك بان تكون مع خشية
 لا مع نشاط، ومع تأن لا مع عجلة، ومع خوف لا مع امن، ومع بصيرة لا مع عى
 فاعلم انه من الله تعالى او من الملك. وهذا الفرق فى الخواطر فى الخير كله (وفى الشر
 يعرف الخاطر) المطلق الذى هو من الله سبحانه (بكونه مصمما) اى قويا (ومحدثا)
 واقعا (عقيب الذنب عقوبة) اى للعقوبة على المعصية (فورد) فى التنزيل (بل ران)
 اى غلب وعلا (على قلوبهم ما كانوا يكسبون) من السيئات الواقعة بعضها عقيب
 بعض عقوبة لهم حتى اسردت قلوبهم حيث تراكت ذنوبهم، ومنه قوله تعالى (واما
 من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) اى الطريقة العسرى الموصلة
 الى مثاها فى الدنيا والاخرى (والهوى) اى ويعرف خاطر هوى النفس (بكونها
 مطالبة للشهوة) اى للذة التى فيها الشهوة (فورد) فى التنزيل (ما تشتهى انفسكم) حيث

وَمُصْرَّةٌ عَلَى مُعِينٍ فَالْنَفْسُ لَا تَسْكُنُ دُونَ قَضَاءِ الشَّهْوَةِ وَالْوَسْوَسَةِ بِكُونِهَا مُبْتَدَأَةً
فِي الْأَكْثَرِ وَمُتَرَدِّدَةً فَالشَّيْطَانُ كُلُّبٌ إِذَا طُرِدَ مِنْ جَانِبٍ دَخَلَ مِنْ آخَرَ، وَبَاعِثَةٌ
عَلَى غَيْرِ مُعِينٍ فَعَرَضَهُ نَفْسُ الْإِغْوَاءِ، وَمَسْئُولَةٌ لِمَعْصِيَةٍ فَوَرَدَ (الشَّيْطَانُ سَوَّلَ
لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ)

نسب الاشتهااء الى النفس التي هي منبع الهوى (ومصرة على معين) اي وبكونها مصممة
على شهوة معينة على وجه معين وطريق معين لا عدول عنه بوجه اصلا وقطعا (فالنفس
لا تسكن دون قضاء الشهوة) اي من غير عرضها التي تريده كما قيل :
تريد النفس ان تلقى منهاها ويا بني الله الاما يريد

(والوسوسة) تعرف (بكونها مبتدأة) اي ليست عقب طاعة ولا معصية
(في الاكثر) اي اكثر الاحوال او اكثر الوسواس (ومتردة) فتارة تدعو
الى معصية واخرى الى اخرى فهي غير مصممة على حالة واحدة (فالشيطان
طلب) اذا طرد من جانب دخل من آخر (اي جانب آخر لما يشير اليه قوله تعالى
(فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم
وعن أيمانهم وعن شمائلهم) والمراد طرق المعاصي جميعها ، فعن ابن مسعود : خط
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمين
الخط وشماله وقال هذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا : وأن
هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، (وباعثة) اي
وبكونها محرضة (على غير معين) من انواع المعاصي (فعرضه نفس الاغواء) من
اي جهة كان من الاعمال والاحوال (ومسولة) اي وبكونها مزينة ومسهلة (للمعصية)
من المعاصي غير متعين (فورد) في النزيل (الشيطان سول لهم) اي زين لهم
سوء اعمالهم (واملى لهم) اي اململم يبطء آجالهم ، او القى في قلوبهم ما يندمون عليه في
ما آثم . قال الحسن : بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد المعاصي فقطعوا ظهري
بالاستغفار ، فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله عز وجل منها وهي الاهواء ، وقد
صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون

وَمُنْدَفَعَةً بِذِكْرِهِ تَعَالَى فَوَرَدَ فِيهِ «وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ وَإِذَا غَفَلَ وَسُوسَ

منها؟ ومن عظيم حيل الشيطان انه يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب الاصولية والفروعية، والخصومات الدنيوية. وقال عبد الله بن مسعود: قد قروم يذكرون الله عز وجل، فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفرق بينهم لم يستطع، فأتى رفقه اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم، فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله واشتغلوا بهم يفصلون بينهم، فتفرقوا عن مجلسهم ذلك مراد الشيطان منهم «ومندفعة» اي وبكونها مندفعة «بذكره تعالى» ولو بذكر خفي «فورد» في الحديث «فيه» اي في حق الشيطان «اذا ذكر» العبد «الله خنس» اي تأخر الشيطان «واذا غفل وسوس» قال مجاهد في معنى في قوله تعالى (من شر الوسواس الخناس) قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه، فالتطارد بين ذكر الله وسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار. ولتطاردهما قال تعالى (استحوذ عليهم الشيطان فانسى ذكر الله) وعن انس قال عليه السلام «ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه، ابن ابي الدنيا وابو يعلى وابن عدى. هذا وكما ان الشهوات عمتجة بلحم الآدمي ودمه فساطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ولذا قال عليه السلام «ان الشيطان ليحرق من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا بجاريه بالجوع» وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ويجري الشيطان الشهوة المانعة عن الطاعات، وفيه تنبيه على انه لا يتخاص احد من الشيطان مادام حيا، نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته، كما قال عليه السلام «ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحد لم بعيره في السفر» اي يمزله ويضعفه، رواه احمد من حديث أبي هريرة. وقال ابن مسعود: شيطان المؤمن مهزول، وقال قيس: قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور، فقلت ولم ذلك؟ قال تذيبني بكتاب الله عز وجل. وقال ابو هريرة: التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر، فاذا شيطان الكافر سمين دهن كاس، واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث اغبر عار، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك؟ فقال انا مع رجل اذا أكل سمى الله فاضل جائعا، واذا شرب سمى الله فاضل عطشانا، واذا ادهن سمى الله فاضل اشعث، واذا لبس سمى الله فاضل عريانا، فقال شيطان الكافر لذي مع رجل

وَقِيلَ يَتَعَذَّرُ الْتَّمِيزُ الْأَبْنُورُ التَّقْوَى وَالْمَعْرِفَةَ

لا يفعل شيئاً مما ذكرت ، فانا اشاركه في طمأنة وشرائه ولباسه . وفي النسائي من حديث سبرة باسناد صحيح « ان الشيطان قعد لابن آدم في طريقه ، فعد له في طريق الاسلام فقال اسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه واسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال انهاجر وتذر ارضك وسماك فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له اتجاهد وهو جماد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد ، فقال عليه السلام : فن فعل ذلك ومات كان حقاً على الله ان يدخله الجنة ، واذا عرف هذا فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالبحث عن اصله ونسله ومحلّه ، فقد قال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) وقال عز وعلا (ألم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) (وقيل يتعذر التميز) بين الخواطر بشيء من الاشياء (الابنور التقوى والمعرفة) بصفات المولى كما قال تعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا) أى رجعوا الى نور العلم (فاذا هم مبصرون) أى انكشف لهم الاشكال وانحل لهم العقال وتبين لهم غاوض الاحوال وأمان لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى اذعان الهوى لتلبسه بمتابعة الهدى ويكثر فيه غلظه ويعجل هلاكه وهو لا يشعر به ، وفي مثلهم قال تعالى (وبدلهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات . وفي الاحياء : ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعاً انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة ، وإلى ما يعلم انه داع الى الخير فلا شك في كونه الهاماً ، وإلى ما يتردد فيه ولا يدري انه من لمة الملك او من لمة الشيطان . فان من مكائد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتبيز في ذلك غاوض ، واكثر العباد به يهلكون ، فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى صريح الشر فيصور الشر لهم بصورة الخير . ولذا روى : ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك . وعن النبي صلى الله عليه وسلم « كان راعب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية غنقها وألقى في قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب ، فأتى بها الى الراهب فأتى ان يقبأها ، فلم يز الوأبه حتى قبأها فكانت عنده ليعالجها ، فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربته ، فلم يزل به حتى وقع عليها فحبلت منه ، فوسوس اليه وقال : الآن تفنضح

وَاخْتَلَفَ فِي الْأَخْذِ بِالْخَوَاطِرِ وَالتَّحْقِيقِ

يأتيك أهلها فافتلها فان اتوك فقل مانت ، فقتلها ودفنها ، فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم والقي في قلوبهم انه احبها ثم قتلها ودفنها ، فاتاه أهلها فسألوه فقال مانت ، فالتقى اليهم الشيطان اسما مدفونة عنده ففتشوا عليها فوجدوها مقتولة فاخذوه ، فاتاه الشيطان فقال انا الذى اخذتها وانا الذى القيت في قلوب أهلها فاطعنى اخلاصك منهم ، قال بما ذا قال اسجدلى سجدتين فسجد له سجدتين ، فقال له الشيطان انى برى منك ، فهو الذى قال الله تعالى : كذل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برى منك . الآية والحديث رواه ابن ابى الدنيا في مكائد الشيطان ، وابن مردويه في تفسيره من حديث عبيد بن رفاعه مرسل ، وللحالم نحوه ، ووقفا على بن ابى طالب وقال صحيح الاسناد ، ووصله طين في مسنده من حديث على ، وذكره البغوى في تفسيره عن ابن عباس ، وذكر ان الراهب اسمه برصيصا ، وتعلل بعد قتلها بان جنمها اخذها وراح بها ولم يقدر على دفعه عنها القصة بطولها ، فانظر الآن الى حيل الشيطان واضطرارة الراهب الى هذه الكبائر ، وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة ، وهو امرهين في المخالطة وربما يظن صاحبه انه خير وحسنه وملاطفة في المرافقة وحسن عشرة في المخالفة ، فيحسن ذلك في قلبه ، ويخفى الهوى في نفسه ، فيقدم اليه كالراغب في الخير لديه فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره هنالك ، ويجر البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا للخلاص عن الامر المذكور فعزذ بالله من تضييع اوائل الامور ، واليه الاشارة بقوله عليه السلام « من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه » متفق عليه من حديث النعمان ابن بشير « واختلف في الاخذ » اى في المؤاخذة « بالخواطر » فبعضهم قال بعدم الاخذ مطلقا ، وأستدل بقوله عليه السلام « يقول الله تعالى اذا هم عبيدى بسينة فلا تكتبوها » وبعضهم بالاخذ مطلقا وأستدل بقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) « والتحقيق » التفصيل فان اول ما يرد على القلب الخاطر ، كما لو خطرت له مثلا صورة امرأة واسما وراء ظهره في الطريق بحيث لو التفت اليها ليراهما ويسمى حديث النفس ، والثاني هيجان النفس في الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التى في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ويسمى ميل الطبع ، والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف ، فانه قد يمنعه حياء أو خوف

عَدَمُهُ فِيمَا لَا اخْتِيَارَ لَهُ كَحَدِيثِ النَّفْسِ وَمِيلِ الطَّبَعِ لَا مَتْنَاعَ التَّكْلِيفِ فِيهِ وَوَرَدَ
عَنْ عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسُنَا . وَأَمَّا هُوَ فِي الْعَزْمِ وَالْهَمِّ فَوَرَدَ (وَأِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
أَوْ تَخَفَوْهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ)

من الله تعالى عن الالتفات ، وعدم هذه الصور فربما يكون بتأمل وهو على كل حال
من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخواطر والميل ، والرابع تصميم العزم وجزم
النية ، وقيل الإرادة ميل الباطن نحو المطلوب والقصد قراره في القلب على نهج
المرغوب والعزم بحيث لا يمكن زواله والجزم بحيث يوجب العمل في ما له فاذا عرفت
هذا فالتحقيق عند أهل التدقيق وأرباب التوفيق (عدمه) أى عدم الأخذ بمعنى
المؤاخظة (فيما لا اختيار له كحديث النفس) مما يخطر ببالها ويذهب بسرعة زوالها
(وميل الطبع) أى الجبلى الذى لا اختيار لصاحبه فى الميل اليه ، وأنت عرفت أن
حديث النفس وميل الطبع متغايران . وقيل عطف تفسيري وهو خاطر فعل الذى
ما انحرف الى العزم والهم (لامتناع التكليف فيه) أى فيما لا اختيار فيه فانه تكليف
مالا يطاق وقد قال تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) (وورد) فى الحديث (عفى
عما حدثت به نفوسنا) وهو معنى حديث الصحاح الست عن أبى هريرة «ان الله تجاوز
لامتى عما حدثت به انفسها ما لم يتكلم به او يعمل به» وعن أبى هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «يقول الله اذا هم عبدي بسية فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوا
عليه سية فان تركها من أجلى فاكتبوها حسنة ، واذا هم بحسنة ولم يعملها فاكتبوها
حسنة فان عملها فاكتبوها عشرة» رواه الشيخان (وانما هو) أى الأخذ والمؤاخظة (فى
العزم) أى حكم القلب بان هذا ينبغي أن يفعل (والهم) أى المصمم فهو عطف
تفسيري وهو قصد الفعل بعد الخطور ولكن ما افضى الى مباشرة الفعل لما منع من الشرع
أو العقل أو غيرهما ، فانه قد يكون الفاسق محروما وفسقه مجزوما ، أو الثانى اخص
من الاول فتأمل (فورد) فى التنزيل (وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به
الله) أى ان تظهروا ما فيها من العزم والهم على المعصية او تخفوه يحاسبكم به كما قال:
(فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) ولما نزلت الآية جاء اناس من الصحابة إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لا نطيق ، أن احدا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت

أَنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ الْآيَةَ . أَمَّا يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ . وَوَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى الْأَخْذِ
بِالْكِبَرِ وَالْعُجْبِ وَالرِّيَاءِ إِلَّا أَنْ يَمْتَنِعَ بَعْدَ الْعَزْمِ لَهُ تَعَالَى فَيَمْحُوهُ لِرُجْحَانِ
تَأْثِيرِ الْأَمْتِنَاعِ فِي تَنْوِيرِ الْبَاطِنِ لِأَنَّهُ يُخَالِفُ الطَّبْعَ عَلَى تَأْثِيرِ الْقَصْدِ فِي تَسْوِيدِهِ
لَأَنَّهُ يُوَافِقُهُ

في قلبه ثم يحاسب بذلك ، فقال عليه السلام « لعليكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل
سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا » فانزل الله الفرج بقوله (لا يكلف الله نفسا الا
وسعها) رواه مسلم من حديث أبي هريرة . وابن عباس . فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت
الوسع من اعمال القلوب لا يؤاخذ به ، قال تعالى (ان السمع والبصر الآيَة) أي (والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسئولا) وقال تعالى (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتتمها فانه آثم
قلبه) وقال (لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم)
(انما يحشر الناس على نياتهم) رواه ابن ماجه من حديث جابر دون قوله انما ، وله من
حديث أبي هريرة « انما يبعث الناس على نياتهم » واسنادها حسن . وفي الاحياء ونحن
نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني فأت تلك الليلة مات . صرا
ويبعث على نيته . والدليل القاطع فيه حديث « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل
والمقتول في النار . قالوا يا رسول الله هذا القاتل فبال المقتول ؟ قال لانه اراد قتل
صاحبه » رواه الشيخان (ووقع الاجماع على الاخذ) أي المؤاخذة (بالكبر والعجب
والرياء) وخص الثلاثة بالذكر لكونهم من اعمال الباطن ولمناسبتها بالخواطر (الا ان يمتنع)
عن العمل السوء . (بعد العزم) أي القصد والجزم على الفعل (له) أي يكون امتناعه
لاجله (تعالى) رجاء أو خوفا (فيمحوه) أي فيمحو الله سبحانه الاخذ بها والعقوبة
عليها (لرجحان تأثير الامتناع) عن العمل لاجله تعالى (في تنوير الباطن لانه) أي
الامتناع (يخالف الطبع) وبوافق الشرع فيترجح (على تأثير القصد) أي قصد المعصية
والعزم عليها فيكون . وثرا (في تسويده) أي تسويد الباطن وتغييره (لانه يوافقه)
أي لان قصد المعصية يوافق الطبع ولا يلائم الشرع *

وحاصله الامتناع من حيث انه يخالف الطبع يحتاج الى جد شديد وسعى أبدي
وما كان جده أشد وسعيه أهم كان تأثيره أكمل وأتم فثبت بهذا ان تأثير الامتناع
في تنوير الباطن أشد من تأثير قصد المعصية في تسويد الباطن لانه لا يحتاج الى سعي

وَرَدَّ فِيهِ «إِنْ تَرَ كَهَافًا كُتِبَ عَلَيْهَا حَسَنَةٌ» ثُمَّ الْوَاجِبُ الْإِحْتِرَازُ عَنِ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهُ
عَدُوٌّ كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ وَلِأَنَّ الْعَابِدَ يُغَايِظُهُ فَتَشْتَدُّ مَعَادَاتُهُ إِيَّاهُ

بليغ، ولما كان جده واجتهاده أقل كانت التأثير أنقص فتأمل، وفي الخبر «أفضل
الطاعات أحزمها» أي أشقها وأصعبها ﴿وورد﴾ في الخبر ﴿فيه﴾ أي في الامتناع
﴿ان تركها﴾ أي العبد السيئة ﴿فأكتبوها حسنة﴾ وقد تقدم، ولابن أبي
الدنيا في مكائد الشيطان هكذا مرسلًا قال ثابت: لما بعث النبي صلى الله عليه
وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو، فانطلقوا ثم جاؤهم فقالوا
ماندري، قال إبليس أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء فقال بعث محمد صلى الله عليه
وسلم، قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي عليه السلام فينصرفون خائبين
فيقولون ما صحبتنا قوماً قط مثل هؤلاء ليس لنا نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم
فبينهم حتى أثر ذلك فقال إبليس رويداً بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون
حاجتكم منهم، وعما يدل على أن حديث النفس لا يؤخذ به ما روى عن عثمان بن
مظعون حيث قال «يا رسول الله ان نفسي تحدثني أن اطاق خولة قال مهلا ان من
سنتي النكاح، قال نفسي تحدثني أن أجب نفسي، قال مهلا خصاء أمتي ذروب
الصيام، قال نفسي تحدثني أن أترهب، قال مهلا رهبانة أمتي الجهاد والحج، قال
نفسى تحدثني أن اترك اللحم، قال مهلا فاني أحبه ولو أصبته لاكلته ولو سألت الله
لاطعمني، رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن سعيد بن المسيب مرسلًا
﴿ثم الواجب الاحتراز﴾ أي الاحتراز ﴿عن الشيطان﴾ وما فيه من الوسواس
﴿لأنه عدو كما نطق به القرآن﴾ حيث قال ﴿ان الشيطان لم عدو مبين﴾ وقال
﴿ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ الآية ﴿ولان العابد﴾ العالم ﴿يغايظه﴾
أي يغالبه في غيظه لاجل كونه في سبيل الله ﴿فتشتد معاداته﴾ أي الشيطان ﴿إياه﴾
أي ذلك العابد، ولذا ورد «لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» ثم
من عداوته للانام أمره لهم بالآثام ووعدده الامان من عذاب الله وعدم حسابه
والياس من ثوابه من غير شبهة فضلاً عن حجة، ويخوفهم بالفقر في اعطاء الزكاة ويحثهم
على الانفاق في المحرمات، ويخيل لهم حصر اللذات في الشهوات واللهاوت، ويدعوهم
له أزواج وجوار ذات جمال ومزينة ومعطرة في غاية كمال الى زنا من ليس لها ذلك
في الاحوال، ويأمر الامراء بالظلم في اموال الاغنياء واوقاف الايتام والفقراء مع

وَالطَّرِيقُ الْاِسْتِعَاذَةُ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِهَا «وَلِأَنَّ الْكَلْبَ إِنْ حَارَبَتْهُ تَعَبَتْ وَرُبَّمَا غَلِبَتْ فَالْرُجُوعُ إِلَى رَبِّهِ أَوَّلَى» وَالْمُجَاهَدَةُ بِالرَّدِّ

وفورها لهم ، ويقتل النفس بآدنى خيال مع تمكنهم من الدفع في الحال والاستقبال، وله ابواب فيها اطناب (والطريق) أى طريق الاحتراز خمسة (الاستعاذة) منه به تعالى (لانه) أى العبد والاستعاذة (مأثور بها) في قوله تعالى (واما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) الآية وسائر الآيات والاخبار الواردة. وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم انك ساطت علينا عدوا من غير انفسنا بصيرا بعيوبنا مطالعا على عوراتنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم، اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك ، وقنطه منا كما قنطته من عفوك ، وابعد بيننا وبينه كما ابعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء قدير، وعن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال : كان شيطان يأتى النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلى فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب ، فاتاه جبريل عليه السلام فقال : قل دعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرأ وبرأ فى الارض ومن شر ما يخرجه منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن فتن الليل والنهار، وطوارق الليل والنهار الاطارقا يطرق بخير يا رحمن ، فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه ، رواه ابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان هكذا مرسلا ، ولما لك فى الموطأ نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلا ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من رواية يحيى عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارعة عن عياش الشامي عن ابن مسعود ، ورواه احمد. والبخاري من حديث عبد الرحمن بن حبيب (ولأن الكلب ان حاربه تعبت وربما غلبت فالرجوع الى ربه أولى) فى الخلاص عن البلوى . ومثل الشيطان بالكلب الجائع يقرب منك ، فاذا لم يكن بين يدك لحم أو خبز فانه ينزجر بان تقول له احسأ فمجرد الصوت يدفعه ، وان كان بين يدك شيء من ذلك وهو جائع فانه يهجم عليك ولا يندفع بمجرد الكلام. فالقلب الخالى عن قوت الشيطان يندفع عنه بمجرد الذكر : فأما الشهوة اذا غلبت على القلب رفعت حقيقة الذكر الى حواشى القلب فلم يتمكن الذكر من سويدهاته فيستقر الشيطان فى سويدهاء القلب . ومثل بعضهم الشيطان بالكلب التركى فانه لا يخاص لأحد منه لا بالسيف ولا بالفرار ولا باعطاء اللحم وغيره وانما ينجيه منه همهمة صاحبه من داخل خيمته فيفتر غضب كلبه ونهمته (والمجاهدة) مع الشيطان (بالرد) أى يرد الوسوسة

وَقَلَعَ الْمُهْلَكَاتِ فَهُوَ أَمَّا سُلْطَ لِلْامْتِحَانِ وَأَدَامَةُ ذِكْرِهِ تَعَالَى لِسَانًا وَقَلْبًا لَمَّا سَبَقَ

ودفعها في الحالة الآتية ﴿ وقلع المهلكات ﴾ أي وأزالنها من أصلها ، وهي الحسد والحرص والفضب والشهوة وحب التزين في الثياب والاثاث والدار والشبع من الطعام ولو لم يكن من الحرام ، والطعم في الانام واخذ كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة من الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال ، وخوف الفقر والبخل والتعصب للمذاهب والترصد للمناصب والتفكر في ذات الله وسوء الظن بالمسلمين ، ونحو ذلك من الحالات الكاسدة والمقامات الفاسدة ﴿ فهو ﴾ أي الشيطان ﴿ إنما ساط ﴾ على الانسان ﴿ للامتحان ﴾ في ميدان الطاعة والعصيان فحينئذ يكرم المرء أو يهان ﴿ وادامة ذره تعالى لسانا ﴾ خفية اوجهرها ﴿ وقلبا ﴾ فهو أفضل وأكثر تأثيراً والجمع بينهما اكل ﴿ لما سبق ﴾ من ان العبد اذا ذكر الله خنس الشيطان وتأخر. وفي الخبر « ماسلك عمر بن الخطاب اي طريقا - الاسلك الشيطان في غير فجء » رواه الشيخان من حديث سعد بن ابى وقاص . قال في الاحياء : وهذا لان قلبه هذا كان مطهرا عن رعى الشيطان وقوته وهي الشهوات ، فمهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا ، كن طمع في أن يشرب الدواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الاطعمة ، ويطمع في أن ينفعه الدواء كما نفم الذي يشربه بعد الاحتماء وتخليه المعدة . فالذكر دواء والتقوى احتماء ، فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان عنه كما تندفع العلة بتزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة ، فان قلت الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ، قلنا ان عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين . فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل ان منتهى ذكرك وعبادتك وصلاتك لله ، فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين ، وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهاالكها حتى انك لاتذكر مانسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك فلا تزدهم الشياطين على قلبك الا اذا صليت ، والصلاة محك القلوب فيها مساوئها ومحاسنها . فالصلاة لاتقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لاتطرد عنك الشيطان ، بل ربما يزيد عليك الوسواس في ذلك الزمان كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر في الداء ، فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم ابدفه بدواء الذكر كما يشير اليه قوله تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم

وَالْاِسْتِخْفَافُ بِدَعْوَتِهِ فَالْكَلْبُ اِنْ اَعْرَضَتْ عَنْهُ سَكَتَ وَاِنْ اَشْتَغَلَتْ مَعَهُ اَتَعَبَكَ
وَمَعْرِفَةُ مَكَائِدِهِ فَالْلُّصُّ اِنْ عَلِمَ اَحْسَاسَ صَاحِبِ الدَّارِ فَرَّ وَهِيَ كَالْمَنْعِ عَنِ الْعَمَلِ
وَالْتَّسْوِيفِ وَالْعَجَلَةِ وَالرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ وَرَجَاءِ الْاِظْهَارِ مِنْهُ تَعَالَى وَعَدَمِ الْحَاجَةِ
اِلَى الْعَمَلِ بِنَاءً عَلَى قِسْمَةِ الْاَزَلِ فِي السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ وَالرَّدِّ بِالْحَاجَةِ لِلزُّوْدِ
وَهَجُومِ الْاَجَلِ وَرُجْحَانِ

طائفت من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) فالشرط في الذكر تقدم التقوى
او كمال الحضور في ذكر المولى، ومن هنا ورد من صلى ركعتين لم يحدث فيهما بشيء
من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه » وقد قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تسب الشيطان
في العلانية وانت صديقه في السر أى مطيع له في الباطن . وقال بعضهم : يا عجب لمن
يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه . وعن بعض
الحكماء الشيطان ياتى ابن آدم من قبل المعاصى ، فان امتنع اتاه من قبل النصيحة
حتى يلقيه في البدعة ، فان أبى أمره بالهرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام ، فان
أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرج من العلم ، فان أبى خفف عليه أعمال البر
حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلبه اليهم ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد
لجأه فانه آخر درجته ويعلم أنه لو جاوزها فأتته الجنة) (والاستخفاف بدعوته)
أى الاستحقار وعدم الاعتبار بدعوة الشيطان) (فالكلب ان أعرضت عنه سكت)
عنك) (وان اشتغلت معه) بالدفع) (اتعبك) بالعواء) (ومعرفة مكائده) الآتى بيانها
(فاللص ان علم احساس صاحب الدار فر) أى شرد واضطر الى الفرار ولم يتمكن
من الفرار) (وهى) أى المكائد سبعة) (كالمنع عن العمل) من أصله) (والتسويق) أى
التأخير عن محله) (والعجلة) فى فعله) (والرياء) فى قصده) (والعجب) بعد فراغه
(ورجاء الاظهار منه تعالى) للخلق بعدم الاكتفاء بنظر الحق وهو من الرياء الخفى
(وعدم الحاجة الى العمل بناء على قسمة الازل فى السعادة والشقاوة) وهذا لف
فى العبارة ونشر بالإشارة فى قوله) (والرد) أى رد المكائد المذكورة) (بالحاجة)
الى العمل) (للتزود) أى لزاد المعاد فى يوم التناد ، فقد قال تعالى (وتزودوا فان
خير الزاد التقوى) (وهجوم الاجل) أى مجيئه بغتة قبل حصول العمل) (ورجحان

الْقَلِيلِ النَّامُ عَلَى الْكَثِيرِ النَّاقِصِ وَ كِفَايَةُ رُؤْيَتِهِ تَعَالَى وَالتَّفْوِضُ إِلَيْهِ فِي الْإِظْهَارِ
وَالْإِخْفَاءِ وَفَرْضِيَّةُ أَمْتَالِهِ وَحَقِّيَّةُ وَعْدِهِ الْأَدْنَى ثُمَّ الْإِقْتِصَارُ عَلَى التَّكْذِيبِ وَتَرْكُ
الْجِدَالِ ثُمَّ الْاسْتِمْرَارُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ثُمَّ الزِّيَادَةُ فِي ضِدِّهِ فَفِيهِ أَغْضَابُهُ وَاخْتَلَفَ
فِي أَمْنِ الْأَقْوِيَاءِ

القليل من العمل (النام) أي الكامل بالتأني (على الدشير) من العمل (الناقص) بالعبادة (وكفاية رؤيته تعالى) لقوله سبحانه (الم يعلم بأن الله يرى) وقوله عز وجل (اليس الله بكاف عبده) (وذكر منته والتفويض إليه) أي التسليم بين يديه (في الإظهار والإخفاء) في العبادة، بل ينبغي أن يميل إلى الإخفاء لأنه أبعد من الرياء. وفي الخبر: «افضل امتي الاتقياء الإخفاء» (وفرضية أمثاله) أي أمثاله أمره على عبده، ثم إن كنت شقيا فانا محتاج إلى العمل لئلا ألوم نفسي يوم القيامة فاني لو ادخلت النار وانا مطيع احب إلى من ان ادخلها وانا عاص لحفة العذاب، وان كنت سعيدا فانا محتاج إلى زيادة الثواب (وحقية وعده الأدنى) أي الأقرب بالاثابة على الطاعة والاجابة (ثم) (الافضل) (الاقتصار على التكذيب) أي تكذيب الشيطان فيما يوسوسه (وترك الجدل) فانه يردد قلب العبد ويشوشه ولان المجادلة شاغلة عن العبادة الكاملة (ثم الاستمرار على ما كان عليه) من العبادة والاستقرار من غير تكذيب ولا جدال لان التكذيب أيضا شاغل للجدال وان كان قليلا فان المقصود الأعلى هو الحضور مع المولى (ثم الزيادة) أي زيادة الاجتهاد (في ضده) أي اضداد ما ذكر من المكائدا وفي ضد كيد الشيطان (ففيه اغضابه) أي اغضاب الشيطان وارضاء الرحمن كما حكى عن ابراهيم بن ادهم انه لما اراد ان يدخل البادية اتاه الشيطان فخوفه بان هذه بادية مهاكة هاوية ولا زاد معك ولا سبب ولا راوية، فعزم على نفسه ان يقطع البادية على تجرده ذلك، وان لا يقطعها حتى يصل إلى ألف ركعة تحت كل ميل من اميالها هنالك؛ وقام بما عزم عليه من المهمة وبقي عليه في البادية اثنتي عشرة سنة. ويروى عن الفضيل بن غزوان انه قيل له: ان فلا ناذرك بسوء، فقال: والله لا غيظن من أمره قيل من أمره؟ قال الشيطان، ثم قال: اللهم اغفر له ان لا غيظن بان اطيع الله فيه. ومهما عرف الشيطان من عبده هذه العادة فكف عنه خيفة ان يزيد في حسناته وهو خلاف ماله من الارادة (واختلف) أي اختاب العلماء (في أمن الاقوياء) كالانبياء

مِنْهُ وَالْحَقُّ عَدَمُهُ لِقِصَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَرَدَانِهِ لِيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَفِي مُنَافَاةِ التَّرْصُدِ
التَّوَكُّلِ وَالْحَقُّ عَدَمُهَا فَأَخَذُ السَّلَاحَ وَجَمَعُ الْعَسْكَرَ وَحَفَرَ الْحَنْدُقَ مَا قَدَحْتُ فِي
تَوَكُّلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي كَيْفِيَةِ الْحَذَرِ

والأصفياء من الأولياء (ومنه) أي من الشيطان فقال قوم هم معصومون ومحفوظون
عنه لقوله سبحانه (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) وقوله (إلا عبادك منهم المخلصين)
(والحق) من الأقوال (عدمه) أي عدم أمنهم من الشيطان في جميع الأحوال (لقصة
آدم عليه السلام) في أكل الشجرة فإنه صريح في الملام ونص في الكلام حيث قال
(وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبا به ربه قتاب عليه وهدي) ولقوله تعالى (وأما ينزغوك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) والخطاب لنبيينا عليه السلام وقد روى أنه عليه السلام
نظر إلى علم توبه في الصلاة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال (شغلني عن الصلاة) ولقوله سبحانه
(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى) أي قرأ (القي الشيطان في أمنيته) أي
قراءته (فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) (وورد) في صحيح مسلم وغيره (أنه)
أي الشيطان (ليغان) أي ليحجب (على قلبي) فيمنعني عن ذكر ربي مع أن شيطانه أسلم فلا
يأمر إلا بخير وتمام الحديث (وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة وفيه أنه ليس في هذا
الحديث ما يدل على مدعى المصنف من اغواء الشيطان له فإن المراد بالغين حجاب يقع من
كثرة مشاهد غبار الغير في مقام البين فيمنع عن مشاهدة العين فيستغفر ربه من الذنب
اللاق به، فإن سيئات المقربين الأحرار حسنات المطيعين الأبرار، وما دمت في هذه الدار
لا تستغرب وقوع الأكدار (وفي) أي وكذا اختلف في (منافاة الترصد) أي
التحفظ للحذر من الشيطان (التوكل) بالنصب مفعول منافاة (والحق) من الأقوال
المختلفة (عدمها) أي عدم المنافاة (فأخذ السلاح) من الدرع والمغفر وسائر الأسلحة
(وجمع العسكر) للمقاتلة (وحفر الحندق) في المقابلة (ما قدحت في توكله) أي وما
طعنت في توكله (عليه السلام) وأصحابه الكرام، بل ورد الأمر من الله سبحانه بأخذ السلاح
في قوله تعالى (ولياخذوا حذرهم وأسلحتهم) وقال (واعذروا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل) وفي الحديث (إلا أن القوة الرمي) (وفي) أي وكذا اختلف في (كيفية
الحذر) عن الشيطان فقوم قالوا إذا حذرنا الله تعالى عن العدو فينبغي لنا أن نستغرق في ترصده
ولا يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره وفكره. وقال قوم: لا ينبغي لنا أن نجتمع بين ذكر الله

فَالْأَوَّلَى تَقْرِيرُ عَدَاوَتِهِ عَلَى الْقَلْبِ وَالِاسْتِغْرَاقُ فِي ذِكْرِهِ تَعَالَى بِجَمْعِ الْهَمَّةِ
وَالِاسْتِغْثَالُ بِالْدَّفْعِ عِنْدَ الْإِتْبَادِ بِوُرُودِهِ أَمَّا الْاسْتِغْرَاقُ فِي التَّرْصُدِ فِينَا فِي الذِّكْرِ وَهُوَ
أَسْرَارُهُ وَالْجَمْعُ يَنْقُصُ الْحُضُورَ وَوَرَدَ (قُلِ اللَّهُ سَمِ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) وَعَنِ
النَّفْسِ فَعَلَا جُهَا أَعْسَرُ

سبحانه وبين ذكر عدوه فضلا ان يكون ذكره غالبا، ففى الخبر من احب شيئا اكثر ذكره،
وقال قوم: غلط الفريقان لازكلام القولين لا يخلو عن نوع من النقصان كما سيأتى له
البيان (فالأولى تقرير عداوته) أى احكام عداوة الشيطان واثباته (على القلب)
فاذا تقررت عداوته فى القلب لزم ترك الالتفات اليه (والاستغراق فى ذكره تعالى)
أى وتتمام التوجه الى ذكر الرب (بجمع الهمة) من غير الالتفات الى ذكر
الشيطان ومكره بسبب حضور القلب فى طاعة ربه (والاشتغال بالدفع)
أى بدفع الشيطان (عند الانتباه بوروده) أى بدخول الشيطان فى القلب بالسواس
ونحوه لدخوله فى الانسان مجرى الدم فى لحمه (أما الاستغراق فى الترصد) أى فى
التحفظ عن الشيطان لاحذر (فينا فى الذكر) المطلوب لذاته (وهو) أى الاستغراق
المذكور ونفى الذكر (أسراره) أى ايقاع الشيطان فى السرور وايقاره، لانه مراده
فى مقام اختياره (والجمع) أى وينافى جمع الهمة او مقام الجمع اوجع الجمع، وهو
ان لا تمنع الكثرة عن الوحدة ولا تحجب الوحدة عن الكثرة، والجمع بين ذكر الرحمن
وبين ترصد الشيطان (بنقص الحضور) فى ميدان المشاهدة والعيان على قدر اشتغال
القلب بذكر الشيطان، فان الله سبحانه امر الخلق بذكره ونسيان غيره (وورد)
فى التثليل (قل الله) أى ولا سواه ولا نعبد ولا نشهد الاياه (ثم ذرهم) أى اترك
الخلق من الشيطان وغيره فهم (فى خرضهم) أى اباطيلهم من الاشتغال بغير الحق
(يلعبون) كالبهايم والاطفال والمجانين كما قال فى موضع آخر (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا
ويلعبوا) الامل فسوف يعلمون) أى جزاء عملهم او مضمون قوله سبحانه (وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون) أى ليوحدون اولاء، ثم يطيعون ثانيا، ثم يذكرون على الدوام ثالثا،
ثم يعرفون حق المعرفة رابعا (وعن النفس) عطف على قوله عن الشيطان أى ثم الواجب
الاحتراز عن النفس الامارة بالسوء لانها اشد الاعداء وبلاؤها اصعب البلاء (فعلاجها
اعسر) من علاج الشيطان واشد الاشياء وداؤها اعزل الداء، وداؤها اشكل الدواء

لأنها محبوبة والحُب يُعمى عن رؤية العيب ويصم عن سماع الملامة وعدو
داخلي فلص البيت تعز فيه الحيلة ولا تنفك إلا بالموت ولا تندفع بالذكر وتشكو
النفس يوم القيامة عمن وافقها في الدنيا ومنها نشأ ذنب إبليس بالكبر والحسد

لاربعة امور (لأنها محبوبة) لصاحبها مع انها اعدى عدوه (والحُب يعمى) العين
(عن رؤية العيب) في محبوه (ويصم) الاذن (عن سماع الملامة) في مطلوبه،
ففي الخبر «حبك الشيء يعمى ويصم» رواه احمد وغيره عن ابي الدرداء
والحاصل ان للانسان عى عن عيب محبوه لا يكاد يبصر عيبا في مطلوبه ، لما قال
قائل في شعره :

وعين الرضا عن كل عيب ظيلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

فاذا يستحسن الانسان من نفسه كل قبيح، ولا يكاد يطلع على عيب لها الا ويقول
انه مليح ، وهى فى عداوته مستقرة، وفى غوايته مستمرة، فما اوشك ان توقعه فى هلاك
وفضيحة ، ويتوهم انه خلاص ونصيحة، وهو لا يشعر به الا اذا حفظه الله سبحانه بفضله
وكرمه (وعدو) أى ولانها عدو (داخلى) أى باطنى (فلص البيت) أى بمن
يدخل فيه ويخرج منه (تعز فيه الحيلة) أى يعسر فى دفعه الخلاص من المكيدة ولذا قال
تعالى (لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يآلونكم خبالا) (ولا تنفك) أى النفس عن الانسان
(الا بالموت) بخلاف الشيطان فانه ينفك بالاستعانة والمجاهدة (ولا تندفع) النفس
وشرها (بالذكر) أى بذكر الله ، بخلاف الشيطان فانه يندفع بالذكر لما سبق من حديث
« اذا ذكر الله خنس » (وتشكو النفس يوم القيامة عمن وافقها فى الدنيا) فلما حكم عن
انس مرفوعا وعجبت من مجادلة العبد به يوم القيامة يقول يا رب اليس وعدتني ان لا تظلمني؟
قال بلى ؛ قال فاني لا اقبل على شهادة شاهد الا من نفسى . فيقول اوليس كفى بشهيدا
وبالملائكة الكرام الكاتبين، فيردد هذا مرات فيختم على فيه وتكلم اركانه بما كان يعمل ، فيقول
بعد الكن وسحقا فعنكن كنت اجادل ، وامامانى الاحياء من انه عليه السلام قال : وكف
اذاك عن نفسك ولا تتبع هواها فى معصية الله تعالى اذن تخاصمك يوم القيامة فيامن
بعضك بعضا الا ان يعفو الله ويستر ، فقال مخرجه لم اجده بهذا السياق (ومنها) أى
من النفس (نشأ ذنب ابليس بالكبر والحسد) حيث قال (انا خير منه) وامتنع عن حكم

وَقَائِلَ بِالشَّحِّ وَهَارُوتَ بِالشَّهْوَةِ وَالطَّرِيقُ مَنَعَ الشَّهَوَاتِ فَالْحُرُونَ يَلِينُ بِنَقْصِ
الْعَلْفِ وَحَمْلِ اَعْبَاءِ الْعِبَادَةِ فَالْحَارُ يُنْقَادُ بِزِيَادَةِ الْحَمْلِ ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ تَعَالَى فَوَرَدَ
(اَنَّ النَّفْسَ لَا مَرَّةً بِالسُّوءِ اِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) وَالْأَصْلُ فِيهِ الرِّيَاضَةُ

ربه فكفر بسببه بعد قضاء الله السابق في حقه ففرق في بحر الضلال بعد عبادة ثمانين
الف سنة في بعض الاقوال، ولم يكن هناك دنيا ولا خالق ولا شيطان آخر بل كانت النفس
وحدها فعلت ما عملت من جهدها (وقائيل بالشح) أى بسبب بخله على اخيه في اخته،
فانكر على ابيه فوقع في الكفر بسببه لا بسبب قتل اخيه (وهاروت) وصاحبه ماروت وقعا
فيما وقعا من البلية (بالشهوة) التي ادت الى الزنا ونحوه من المعصية قيل: وآدم وحواء
بالحرص على الدوام والبقاء حتى اغترا بقول ابليس (هل ادلكما على شجرة الخلد وملك
لا يبلى) فسقطا بذلك من جوار المولى الى هذه الدنيا الدنية الحقيرة النكدة الفانية، ولقى
اولاده من الامور المهلكة، ثم هلم جرا الى يوم القيامة لا تجدى الخلق فتنة ولا فضيحة
ولا حنة ولا ضلالا ولا معصية الا واصلها النفس وهواها والا كان الخلق في سلامة وخير
في مبداء الامور ومنتهاها، واذا كان العدو بهذا الضرر لطف الحق على العاقل ان يهتم بامرها في
حقه . فان قيل بين لنا طريق دفع هذه النفس فيقال : (والطريق) أى طريق تذلل
النفس وتكسر هواها، او طريق الاحتراز عن النفس ومشتهاها ثلاثة (منع الشهوات)
ودفع اللهوات ، ورفع اللذات عنها (فالحررون) أى الصعب من الدواب (يلين بنقص
العلف) عن عاداته مع جسده في مربوطه (وحمل اعباء العبادة) أى اثقالها واشغالها
(فالحار) الجوع (ينقاد بزيادة الحمل) على ظهره (والاستعانة به تعالى) والتضرع
اليه ليهون امرها عليه والافلا مخلص لديه (فورد) في التنزيل (ان النفس لا مارة
بالسوء الا ما رحم ربي) أى من رحمه او مدة رحمته (والاصل فيه) أى في طريق الاحتراز
او في طريق تذلل النفس (الرياضة) أى وفق الشريعة المرضية وفق تحفة الملوك لا تحل
الرياضة بتقليل الاكل الى أن يضعف عن اداء العبادة ، ولو واصل اربعين يوما فمات
مات عاصيا، ولو مرض وترك المعالجة توكلنا على الله فمات لم يمت عاصيا ، والتنعيم بانواع
الفاكمة يباح وتركه افضل ، والجمع بين الاطعمة حرام أى ممنوع وهـ كراهة
تنزيهية ارحام في طريق الصوفية ثم الاصل المهم المجاهدة والوفاء بالعزم على المعاندة ،

وَهِيَ تَهْدِيبُ الْأَخْلَاقِ فَوَرَدَ «أَنْى رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَائِيًا وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ فَجَاءَ حُسْنُ الْخُلُقِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى» أَثْقَلَ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ حُسْنُ الْخُلُقِ «وَهُوَ ضَبْطُهُ تَحْتَ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ وَهُوَ مُمْكِنٌ لِصِرُورَةِ الصِّيدِ الْوَحْشِيِّ أَهْلِيًّا وَالْجَمُوحِ مُنْقَادًا وَالْكَلْبِ مُعَلَّمًا

فإذا عزم على ترك شهوة وتيسر أسبابها ابتلاء من الله فينبغي أن يصبر عنها ويستمر عليها ، فإنه إن عود نفسه كسر العزم ألقت بعد ذلك عدم الجزم وفستد لفقد الجزم ، وإذا اتفق منه بعض العزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه وجزاء لديه (وهي) أي الرياضة أو المقصود من الرياضة المستحسنة بالاتفاق (تهذيب الاخلاق فورد) في الحديث (أني رأيت البارحة عجبا) أي امرأ غريبا (رأيت رجلا من أمتي جائيا) أي جالسا على ركبتيه (وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن الخلق) من باب (فادخله على الله تعالى) من غير حساب ولا عقاب . والحديث رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث عبد الرحمن بن سمرة (أثقل ما يوضع في الميزان حسن الخلق) رواه أبو داود ، والترمذي وصححه من حديث أبي الدرداء . ولأبي داود والترمذي من حديث أبي الدرداء « ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق » وللطبراني في الاوسط من حديث عمار بن ياسر « حسن الخلق خاق الله الاعظم ، ولا أحد والحالم والبيهقي من حديث أبي هريرة « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » ولا أحد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ، ولا ابن حبان وغيره ، سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » وللخرايطي في مكارم الاخلاق من حديث عائشة « المؤمن حسن الخلق » وللطبراني في الصغير من حديث عائشة « ما من شيء الاوله توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا عاد في شر منه » وذكر شيخ مشايخنا الجلال السيوطي حديث « أحسن الحسن الخلق الحسن » رواه الحسن عن الحسن عن أبي الحسن عن جد الحسن بسند حسن (وهو) أي حسن الخلق (ضبطه) أي حفظه وربطه (تحت الشرع والعقل) في قضية الطبع (وهو) أي تحسين الاخلاق (ممكنا) بالاتفاق (لصيرورة الصيد الوحشي اهليا) كالظبي والحمام (والجموح منقادا) كالفرس والبعير (والكلب معلما)

وَوَرَدَ حَسَنُوا أَخْلَاقَكُمْ،

وكذا سائر الجوارح من الصيود حتى يصير آلة للصيد في مقام القيد (وورد) في الحديث (حسنوا اخلاقكم) رواه ابن لال في مكارم الاخلاق من حديث معاذ ديامعاذ حسن خلقك للناس ، ولاحد من حديث عائشة ؓ اللهم حسنت خلقى فحسن خلقى » وللطبرانى من حديث جابر « ان اقربكم منى مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا ، هذا ، والخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى روية وفكر ، ثم ان كانت الهيئة بحيث تصدر منها الافعال الجميلة شرعا وعقلا سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا حسنا ، وأن كان الصادر منها الافعال القبيحة بسهولة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا . وكما أن حسن الصورة الظاهرة لا يتم الا بحسن جميع اعضائه فكذا فى الباطن أربعة اركان لابد من الحسن فى جميعها ، وهى قوة العلم ، وقوة الغضب ، وقوة الشهوة ، وقوة العدل بين هذه الثلاثة . ويعبر عن حسن القوة الغضبية بالشجاعة ، وعن حسن قوة الشهوة بالدفعة . والمراد بالعدل هو اعتدال القوتين بين الافراط والتفريط . فان الامر المحمود فى كل شىء هو التوسط . فالجبن والتهور مذمومان اذا ان البخل والاسراف منيان ، والشره والجوع مشغلان . وقد ورد « خير الامور اوساطها » رواه البيهقى فى شعبه . وقال تعالى فى ذم التبذير والتقير (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا أن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا) وقال تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقال (اشداء على الكفار رحما بينهم) وقال (اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) فالاعتدال مطلوب فى جميع الاحوال ، فان العقيدة الحميدة هى المتوسطة بين التشبيه والتعطيل ، وبين القدر والجبر ، وبين النصب والرفض . وهو الصراط المستقيم والدين القويم الذى لا عوج له ولا ميل الى احد الجانبين الزائغ عن الجادة قال تعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ولما كان الوسط الحقيقى بين الطرفين فى غاية الغموض ، بل هو اذق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم فى الدنيا جاز على مثل هذا الصراط المستقيم فى العقبى ، وقل ما ينفعك العهد عن ميل عن الصراط المستقيم ، اغنى الوسط حتى

فَالْأَسْرَعُ عِلَاجًا مَنْ غَفَلَ عَنْ اعْتِقَادِ وَتَمِيزِ مَنْ عَرَفَ الْقَبِيحَ ثُمَّ مِنْ اعْتَقَدَهُ
حَسَنًا وَهُوَ أَصْعَبُ، وَالطَّرِيقُ عِنْدَ فَقْدِ الْكَمَالِ الْفَطْرِيِّ كَمَا لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ وَالْجَذْبَةُ

لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذى مال اليه ، فكذا لا ينفك
عن عذاب ما واجتياز عن النار وان كان مثل البرق قال تعالى (وان منكم الاواردها
كان على ربك حتما مقضيا) ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو
الله فى كل يوم سبع عشرة مرة بقوله : (اهدنا الصراط المستقيم) ومن هنا قال
عليه السلام « استقيموا ولن تحصوا » أى ولن تطيقوا حق الاستقامة وهى الموصوفة
بنعت الاستدامة فينبغى للعبد ان يجتهد ان يصل الى القرب من الاستقامة ان لم يقدر
على حقيقتها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله ، والمقصود بحجز الانسان كما يشير اليه قوله
تعالى (كلا لما يقض ما أمره) هذا ، وقال يحيى بن معاذ : فى سعة الاخلاق كنوز الارزاق
وعن الحسن من ساء خلقه عذب نفسه . وقال الكنانى : التصوف خلق فن زاد عليك
فى الخلق زاد عليك فى التصوف . وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سبب لا ينفع معها كثرة
الحسنات ، وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات ، ثم قال الحسن : حسن الخلق
بسط المحيا وبذل التدى وتحمل الاذى . وقال الواسطى : هوان لا يخاصم ولا يخاصم
من شدة معرفته بالمولى . وقال الحسين بن منصور : هو ان لا يؤثر فيك حياء الخلق بعد
مطالعته للحق (فالأسرع علاجاً) أى الاهون مداواة (من غفل عن اعتقاد وتميز)
من جهة اعتماد كالصبيان والنسوان والبله من الانسان وجماعة الترياق ، ومن هنا ورد
« اكثر اهل الجنة البله » (ثم من عرف القبيح) أى واعتقده سيئا فانه قابل للعلاج فى
تركه (ثم من اعتقده) أى القبيح (حسنا) وذلك كالمبتدعة ونحوهم قال تعالى (أفزدين
له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء) (وهو أصعب)
لان علاجه باخراجه عن اعتقاده وفيه غاية من التعب ، وفى مثله قيل : من التعذيب
تهذيب الذيب (والطريق) مبتدأ أى طريق تهذيب الاخلاق (عند فقد الكمال
الفطرى) أى الجبلى الذى لا يحتاج الى التكلف الطبيعى (كما للأنبياء عليهم السلام)
وكذا لبعض الاصفاء والاولياء من اتباعهم الكرام (والجذبة) أى وعند فقد

الَالِهِيَّةَ كَمَا لِلْسَّحَرَةِ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التَّكَلُّفُ فِي اعْتِيَادِ الْإِضْدَادِ بِالتَّدرِيجِ
وَالْمُجَاهِدَةِ فِيهِ حَتَّى يَعْتَادَ الطَّاعَةَ وَيَلْتَذَّ بِهَا التَّذَاذَ الْمَرِيضَ بِالطَّعَامِ بَعْدَ الْعِلَاجِ
وَالْمُتَعَلِّمَ بِالْعِلْمِ عَلَى الدَّوَامِ لَا أحيانًا

الجذبة (الالهية لما للسحرة) أى سحرة فرعون (وعمر رضى الله عنه) فانه آمن
بفته (التكلف) خبر المبتدأ أى تكلف السالك (في اعتياد الاضداد) أى تعود اضداد
الاخلاق السيئة (بالتدرج) أى بالتأني في المعالجة (والمجاهدة) بالرفع عطف على
التكلف ويجوز جره عطفا على التدرج ، أى المبالغة في المعالجة (فيه) أى في الاعتياد
(حق يعتاد) السالك (الطاعة) بوصف الدوام (ويلتذ بها) أى بالطاعة (التذاذ
المريض بالطعام بعد العلاج) أى بعد علاج المريض (والمتعلم) أى والتذاذه (بالعلم
على الدوام) متعاق بالتكلف إذا قيل ، والاظهر انه متعلق يلتذ (لا احيانا) أى
متساوية ، نعم قد تفيد المجاهدة اذا كان في اكثر الاحوال الواردة ، وقد مثل عدم
افادة بعض الاوقات في الذكر والفكر والطاعات بايقاد النار تحت البرمة فانها لا تفور
ابدا اذا كان الامر مترددا بين الحالات .

هذا وقد توهم عبارة المصنف أن صاحب الجذبة لا يحتاج الى سلوك المجاهدة ، وليس
كذلك ، فان الجهاد لا بد لجميع العباد ، غاية ما في الباب ان ارباب السلوك على نوعين :
منهم سالك مجذوب وهو اغلب احوال المريدين ، ومنهم مجذوب سالك وهو قليل
من بين المرادين ، ويشير الى الطائفتين قوله تعالى : (الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي
اليه من ينيث) واختلفوا في ايها افضل ؟ والجمهور على ان السالك المجذوب اكمل .
هذا والانياء عليهم السلام أيضا في مقام الترقى لا يستغنون عن زيادة المجاهدة
لكمال المشاهدة فقد قال تعالى (وقل رب زدني علما) وفي دعائه عليه السلام « اللهم
كما حسنت خلقى فحسن خلقى » أى زد في تحسين خلقى ، والا فكان عليه السلام خاق
على خلق عظيم ، ثم كان خاتمه القرآن وقد قال له تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض
عن الجاهلين) وفسر العفو بان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن
ظلمك . وكان من دعائه عليه السلام « اللهم اهدني لاهسن الاخلاق لا يهيني لاهسنها
الا انت ، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت » رواه مسلم من حديث

فالمقصود منه رسوخ حبه تعالى في القلب وقلم حب الدنيا عنه وهو بالاستفادة
من شيخ بصير بالعيوب مطلع على الخفايا وهو عزيز الوجود

على (فالمقصود منه) أي من حسن الخلق أو من رياضة الخلق (رسوخ حبه تعالى) أي ثبوته (في القلب وقلم حب الدنيا عنه) أي عن القلب فانهم لا يجتمعان بإشياء إليه قوله تعالى: (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وورد من أحب آخرته أضر بدنياء ومن أحب دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقد مثل على كرم الله وجهه الدنيا والآخرة بالضرتين إذا ارضيت واحدة اسخطت الأخرى، وبكفتي الميزان إذا اثقلت واحدة خفت الأخرى، وبالمشرق والمغرب فهمات وجهت إلى المشرق بعدت عن المغرب وكذا بالعكس، فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض يقدر ميله إلا إذا أحب الشيء لكونه معيناً له على حب الله ودينه، قال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) قال على رضى الله عنه: الإيمان يبدو لمعة في القلب بيضاء وكلما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض، فإذا استكمل العبد الإيمان ابيض القلب كله، وإن النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء، فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد، فإذا استكمل النفاق أسود القلب كله، وفيه تنبيه على أن الخلق الحسن من نتيجة الإيمان والعرفان، والسئى من ثمرة النفاق والكفران.

ثم أعلم أن أصل الأشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها أشياء هو الله تعالى، فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله سبحانه فكانه لم يعرف شيئاً، وعلامة المعرفة المحبة، فمن عرف الله أحبه ومن أحبه لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات، كما قال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم) إلى قوله (أحب إليكم من الله ورسوله) الآية، فمن كان عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله فقلبه مريض، لما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء وسقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة محتاجة إلى الدواء (وهو) أي الطريق الذي يتعرف به الإنسان عيوب نفسه أو التكلف باعتبار الاضداد إنما يحصل بخمسة أشياء (بالاستفادة من شيخ) أي ولو شاب تائب من الذنوب (بصير بالعيوب) أي الظاهرة والباطنة (مطلع على الخفايا) من أحوال المريد كالعجب والرياء (وهو عزيز الوجود) في ميدان الشهود لما يشير إليه قوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) وقوله (وقليل من عبادى الشكور) وورد

أَوْ صَدِيقُ بَنِيهِ عَلَيْهَا كَمَا رَوَى عَنِ السَّلَفِ أَوْ عَدُوٌّ فَعَيْنُ السَّخَطِ تَبْدِيهَا أَوْ مُخَالَطَةُ
النَّاسِ وَتَرَكَ مَا رَأَى مَذْمُومًا

والناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة « واخبر تقيه » وقال الشاعر :

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاى طلعة حر

والمراد بالحر من لا يستعبده هواه ولا تسترقه دنياه، فالأطباء هم العلماء، وقد استولى
المرض عليهم وغلب حب الدنيا لديهم، فلا يفيد السالك التردد إليهم، بل أدرس
هذا العلم وهو معرفة أحوال القلوب الخفية وانكر وجودها بالكسبية، وأقبل الخلق
على أعمال ظاهرها عبادات وباطنها مراياة وعادات. نعم كان يكثُر وجودهم في
الصحابة وأكابر التابعين وبعض المتأخرين كالسري، والجنيد، والشبلي رضي الله عنهم
أجمعين وقد قال الشبلي للحصيري: أن كان يخطر بقلبك من الجملة التي تأتي شيء
غير الله عز وجل فحرام عليك أن تأتيني (أو صديق) أي صاحب صديق (بنه)
صديقه (عليها) أي على عيوبه (كما روى عن السلف) ومنهم عمر رضي الله عنه
حيث قال: رحم الله من أهدى إلى بعيوني، وكان يسأل سلمان عن عيوبه كلما قدم عليه،
وقال: ما الذي بلغك عني مما كرهته؟ فاستغنى، وألح عليه فقال: سمعت أنك جمعت بين
إدامين على مائدة، وأن لك حلتين: حلة بالنهار وحلة بالليل. فقال هل بلغك غير هذا؟
فقال: أما هذان فقد كفيتهما. وكان يسأل حذيفة ويقول: أنت صاحب سر رسول الله
في المنافقين فهل ترى على شيئا من آثار النفاق؟ وقد قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا
أتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال بعضهم كن مع الله، فإن لم تطق فكن مع من
يكون مع الله وهذا أيضا عزيز فيقل في الأصدقاء من يترك المداينة فيخبر بالعيوب أو يترك
الحسد فلا يزيد على قدر الواجب، ولذا كان داود الطائي قد اعتزل عن الناس فقبل له
لم لا تخالط الناس؟ فقال: ما صنع باقوام يخفون عني عيبي، فكان شهوة ذوى الدين
من السلف المجتهدين أن يتنبهوا على عيوبهم تنبيه غيرهم، وقد آل الأمر إلى أمثالنا،
أن ابغض الخلق إلينا من ينصحننا ويعرفنا بعيوب أحوالنا، ويشبه أن يكون هذا
من قساوة القلب التي ثمرتها كثرة العصيان، وأصل ذلك كله ضعف الإيمان (أو عدو)
حاذق عاقل (فعين السخط) بفتحين وبضم فسكون أي عدم الرضاء (تبديها)
أي تظهر العيوب وتكشف الذنوب كما تقدم في قول الشاعر :

فعين الرضا عن كل عيب كائلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

فلعل انتفاع الإنسان بمدح ومشاحن يذكره عيوب نفسه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يشفي
عليه ومدحه ويخفي عنه عيوبه (أو مخالطة الناس) أما ما أو ما موما (وترك ما رأى مذموما

أَوِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَهُوَ الْأَنْفَعُ، وَالْأَصْلُ تَرْكُ التَّمَتُّعِ بِمَا لَا يَبَالُ فِي الْقَبْرِ إِلَّا بِقَدْرِ
الضَّرُورَةِ لئَلَّا يَحْصُلَ الْإِنْسُ بِالدُّنْيَا الْمُؤَدَّى إِلَى حُبِّهَا فَهُوَ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ۝

لئلا يكون مذموماً ، وما يراه محموداً يطالب نفسه به ليصير مسعوداً فان المؤمن مرآة
المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه فلو ترك الناس ظمهم ما كرهه من غيرهم لاستغنوا
عن قذوب لا تقسمهم ، وقيل ليسى عليه السلام من ادبك ؟ فقال : ما دبنى احد ، رأيت جهل
الجاهل تجانبته (او الكتاب والسنة) اى العمل بهما (وهو) اى الاعتصام بهما (الانفع)
بل هو النافع ، ويؤيده قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وحديث من
عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم (والاصل) في تهذيب الاخلاق اوفى رسوخ حبه
سبحانه (ترك التمتع بما لا ينال) اى لا تحصل منفعة (فى القبر) الذى هو البرزخ بين
الدنيا والاخرى ، فيذبح ان لا يتمتع (الا بقدر الضرورة) فى معيشة الدنيا من اللقمة
والخرقة ونحوهما ، ويتعين ترك التمتع بالذات والشهوات من غير الضرورات ، فقد قال
وهب بن منبه : ما يزيد على الخبز ، فهو شهوة ، وقال يزيد الرقاسى : السلام على الماء البارد
مادمت فى الدنيا لعل لا احرمه فى الاخرى وقال السرى : منذ اربعين سنة : تطالبنى
نفسى ان اغمس جزرة فى دبس فما اطعتها (لئلا يحصل الانس بالدنيا المؤدى الى
حُبها) والى نسيان الاخرى ، وذلك انه اذا تمع بشئ منه انس به وألفه ، واذا مات تمنى
الرجوع الى الدنيا بسببه ، ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لاحظ له فى الاخرى
(فهو) اى حب الدنيا (راس كل خطيئة) كما رواه البيهقى عن الحسن البصرى
مرسلاً ، وقال تعالى (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) قيل نزع عنهم محبة شهوات
الدنيا . وقال عليه السلام : « المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ، ومنافق
يغضه ، كافريقته ، وشيطان يضلّه ، ونفس تنازعه » رواه ابو بكر بن لال من حديث
انس ، وقال عليه السلام لقوم قعدوا من الجهاد « مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر ، فقالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟ قال جهاد النفس ، رواه
البيهقى فى الزهد ، والترمذى فى اثناء حديث وصححه وابن ماجه من حديث فضالة بن عبيد
« المجاهد من جاهد نفسه » وقال سقيان الثورى ، ما عالجت شيئاً اشد على من نفسى مرقة
ومرة على . وكان ابو العباس الموصلى يقول يا نفس لا فى الدنيا مع ابنا الماوك تنعمين ، ولا
فى الآخرة مع طالب العباد تجتهدين كأن بك بين الجنة والنار تحبين الا يا نفس ما تستحين ،

وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة ، والرياضة على أربعة اوجه . القوة من الطعام ، والغمض من المنام ، والحاجة من الكلام ، واحتمال الاذى من الانام . فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ، ومن قلة المنام صفوة الارادات ، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ، ومن احتمال الاذى البلوغ الى الدرجات : وليس على العبد اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى ، فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآنام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجيد وقلة المنام ، وضربت بها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى ينقطع من الظلم والانتقام فتأمن بوائقها في سائر الآيام وتضيئها من ظلمة شهواتها فتتجو من غوائل آفاتنا ، فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ، ونورانية حقيقة ، فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسلك الطاعات والمبرات ، كتأقارس الفار في الميدان وظلملك المتنزّه في البستان . وقال ايضا أعدام الانسان ثلاثة : دنياء ، وشيطانه ، ونفسه ، فاحترس من الدنيا بالزهد في نعمتها ، ومن الشيطان بمخالفتها ، ومن النفس بترك شهواتها . وقال جعفر بن حميد اجتمع العلماء والحكماء ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم ، وقال ابو يحيى الوراق : من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجرة الدمامات . وقال وهب بن الورد : من اراد شهوات الدنيا فليتها للذل في العقبى . وقال الجنيد : ارق ليلة فقامت الى وردى فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها ، فاردت ان انام فلم اقدر فقمعت فلم اطق القعود ، فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا أبا القاسم الى الساعة . فقلت ياسيدي من غير موعد . قال لي سألت الله محرك القلوب ان يحرك الى قلبك ، قلت قد فعل فما حاجتك ؟ قال : تنى بصيرداء النفس دواها . فقلت اذا خالفت النفس هواها صار دواها دواها . فاقبل على نفسه فقال اسممعي قد اجبتك بهذا سبع مرات فاييت ان تسمعيه الامن الجنيد . قال فانصرف وما عرفته ، وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا رأى الشيء يشتهي قال لنفسه : اصبري فوالله ما امنعك الامن كرامتك على . وقال ابراهيم الخواص : كنت في جبل لكام فرأيت رمانا فاشتيتته فاخذت منه واحدة فشققها فوجدتها حامضة فضربت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزناير ، فقلت السلام عليك فقال عليك السلام يا ابراهيم ، فقلت كيف عرفتني ؟ قال من عرف الله لا يخفى عليه شيء ، فقلت له ارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك من هذه الزناير ؟ قال : وارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك من شهوة الرمان فان لدغ شهوة الرمان يجد الانسان الله

في الآخرة، ولدغ الزناير يجد الانسان ألمه في الدنيا . فان قيل التمتع بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله ؟ فيقال هذا خيال ضعيف ، او المباح الخارج عن الحاجة من الدنيا « وحب الدنيا رأس كل خطيئة » كما وردو كذا يؤيده حديث « اشبعكم في الدنيا اجوعكم في العقبى » وللطبراني في الكبير واني نعيم في الحلية من حديث ابن عباس « ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الآخرة » وللديلمى من حديث أبي هريرة مرفوعا « نور الحكمة الجوع ، والتباعد من الله عز وجل الشبع » ولاحد والحالم والبيهقي باسناد جيد انه عليه السلام نظر الى رجل سمين البطن فاوما الى بطنه باصبعه وقال : « لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك ، وللبهقي في الشعب من حديث عائشة انه عليه السلام قال لها « اياك والاسراف فان اكلتين في يوم من السرف » ولابي الشيخ عن ابن عمر مرفوعا « ايما امرىء اشتى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له » ثم اءلم أن الدنيا حلالها حساب ، حرامها عقاب ومتشابها عقاب ، وورد « من نوقش في الحساب عذب ، كما في الصحيحين ، فعند الصباح يحمد القوم السرى ، فترك الشهوة يثقل على المرید في البداية ، ثم يتنعم في النهاية . ونظيره الطفل في الطعام عند الرعاية . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة ، والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة » وقال حاتم الاصم : المؤمن مشغول بالفكر والعبر ، والمنافق مشغول بالحرص والامل . والمؤمن آيس من كل احد الا من الله ، والمنافق راج كل احد الا الله . والمؤمن آمن من كل احد الا من الله ، والمنافق خائف من كل احد الا من الله ، والمؤمن يقدم ماله دون دينه ، والمنافق يقدم دينه دون ماله ، والمؤمن يحسن وييكى والمنافق يسىء ويضحك . والمؤمن يحب الوحدة والخلوة ، والمنافق يحب الخلطة والجلوة . والمؤمن يزرع ويخشى الفساد ، والمنافق يقطع ويرجو الحصاد . والمؤمن يأمر وينهى للسياسة ، والمنافق يأمر وينهى للرياسة . وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال البلوى . ومن شكى من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال اذى الخلق . وقال عيسى عليه السلام : جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم . وقال سهل : ما صار الابدال ابدال الا لباربع خصال : اخصاص البطون والسرور والصمت والاعتزال عن الناس . وقد قيل في صفة الابدال : أن اكلهم قافة ، ونومهم غلبة ، وكلامهم ضرورة .

﴿البَابُ السَّادِسُ عَشَرَ فِي التَّوْبَةِ وَالْمُرَابَّطَةِ وَالتَّقْوَى﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * التَّوْبَةُ تَنْزِيهِ الْقَلْبِ عَنِ الذَّنْبِ، وَقِيلَ الرَّجُوعُ
مِنَ الْبُعْدِ إِلَى الْقُرْبِ وَهِيَ وَاجِبَةٌ لُورُودِ قَوْلِهِ تَعَالَى (تُوبُوا إِلَى اللَّهِ) وَدَلَالَةِ الْإِجْمَاعِ

﴿الباب السادس عشر في التوبة والمراطة والتقوى﴾

قد ورد « التوبة ندم » رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن
مسعود . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون) ومعنى التوبة ندم أى معظم اركان التوبة الندامة كما ورد « الحج عرفة »
والافن اركانها ترك المعصية مباشرة ، والعزم على ان لا يعود اليها ابدا ، والتدارك
لما امكنه من حقوق الله وحقوق العباد *

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ المستعان به في امر الدنيا والاخرى ﴿التوبة﴾
في اللغة الرجعة ، وفي الشرع الرجوع من المعصية الى الطاعة ومن الغفلة
الى الحضرة ، وقال بعضهم هي (تنزيه القلب عن الذنب) أى عن اختياره ﴿ وقيل
الرجوع من البعد ﴾ أى من كل ما يبعد العبد عن المولى ﴿ الى القرب ﴾ أى الى قرب
الرب في الدنيا والاخرى فيختص بتحصيل كل فضيلة جليلة تقربه الى الله ، وبالرجوع
عن كل خصلة رذيلة تبعده عن الله في دنياه وآخرته ، فيعم الذنوب الظاهرة والعيوب
الباطنة والاخلاق الذميمة والغفلة عن الاذكار الكريمة ، وقيل في حد التوبة : ذوبان
الحشا لما سبق من الخطاء . وقيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب .
وقيل هو خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء . وقال سهل : التوبة تبديل الحركات
المذمومة بالحركات المحمودة فكأنه اخذ من قوله تعالى (الامن تاب وآمن وعمل عملا
صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) على ما ذهب اليه بعض المفسرين . ومن
معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال ، وتدارك ما سبق من
التقصير في ماضى الاحوال ﴿ وهى ﴾ أى التوبة ﴿ واجبة ﴾ أى فريضة لازمة لكل
من المكلفين ﴿ لورود قوله تعالى توبوا الى الله ﴾ أى (جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون)
وفي نسخة (توبة نصوحا) أى خالصة لله من دون رياء وسمعة واغراض فاسدة ، والامر
في الآيتين للوجوب بناء على اصله ﴿ ودلالة الاجماع ﴾ المنعقد من الامة على ان

وَالْعَقْلُ فَالْوَاجِبُ مَا تَعَلَّقَ بِفَعْلِهِ السَّعَادَةُ وَبِتَرْكِ الشَّقَاوَةِ وَهُوَ مُتَحَقِّقٌ فِيهَا
وَجَدَّوَاهَا حَبَهُ تَعَالَى إِيَّاهُ فُورْدَانِ اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ، النَّائِبُ حَبِيبُ اللَّهِ وَالتَّوْفِيقُ

التوبة من المعصية فريضة (والعقل) أى ودلالة العقل (فالواجب) من طريق العقل مع قطع النظر عن ورود النقل (ماتعلق بفعله السعادة) العظمى (وبتركه الشقاوة) الكبرى، اذ بها الوصول الى سعادة الابد من قرب المولى والنجاة من الهلاك السرمدى الذى هو الحجاب عن اللقاء فى العقبى (وهو) أى التعلق بهما (متحقق فيها) أى ثابت فى التوبة بلا خلاف عند العقلاء (وجدواها) أى فائدة التوبة ومنفعتها ونمرتها ونتيجتها اربعة اشياء (حبه تعالى إياه، فورد) فى التزويل (ان الله يحب التوابين) وفى الحديث (النائب حبيب الله) رواه ابن أبى الدنيا. وابو الشيخ من حديث انس بن مالك «أن الله يحب الشاب النائب» ولعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند من حديث على «ان الله يحب العبد المؤمن المفلح التواب»، ولاحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر «يعجب ربك من الشاب ليست له صبرة» ولابن ماجه من حديث ابن مسعود «النائب من الذنب كمن لا ذنب له» وللشيخين من حديث ابن مسعود وانس «لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى ارض دوية مهلكة فقد راحلته عليه طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهب راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ماشاء الله قال ارجع الى مكانى الذى كنت فيه فانام حتى اموت فوضع رأسه على ساعده لموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته» زاد مسلم فى حديث انس «ثم قال من شدة الفرح : اللهم انت عبدى وانا ربك» أخطأ من شدة الفرح . هذا وأيضا من علامات حب العبد لله ان يتوب عما يشغله عن مولاه ويطيعه فيما يأمره وينهاه كما قال عبد الله بن المبارك هـ

تصلى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري فى الفعال شنيع

لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

وبشير اليه قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله) وبشيد أيضا الملازمة بسين المحبين كما يرمى اليه قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) ولولا محبة السابقة لما وجدت محبتنا اللاحقة (والتوفيق) أى جعله تعالى اسبابا موافقة

عَلَى الطَّاعَةِ فَقِيدَ الذُّنُوبَ يَمْنَعُ عَنْهَا وَلَآنَ الْأَصْرَارَ يُقْسَى الْقَلْبَ وَيَجُرُّ إِلَى
الشَّقَاوَةِ الْكُبْرَى وَلَآنَ الْمُتَلَطِّحَ بِالنَّجَاسَةِ لَا يَقْرَبُ فُورَدَا إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَنَحَّى
الْمَلَكَانَ عَنْ تَنَ مَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ وَحَلَاوَتَهَا فَالْمُصْرِثُ لَا يَجِدُهَا وَقَبُولُهَا قَرِيبُ الدِّينِ
لَا يَقْبَلُ هَدِيَّةَ الْمُدْيُونِ الْمَهَاطِلِ

لِلإِعَانَةِ (عَلَى الطَّاعَةِ) فِي كُلِّ وَقْتٍ وَسَاعَةٍ (فَقِيدَ الذُّنُوبَ) الَّتِي بِمَنْزِلَةِ الْقَبُودِ
وَالْإِغْلَالِ مِنَ الْعُيُوبِ (يَمْنَعُ عَنْهَا) أَيْ عَنِ الطَّاعَةِ وَتَوْفِيقَهَا (وَلَآنَ الْأَصْرَارَ)
أَيْ الْإِقَامَةَ عَلَى الْمَعَاصِي مِنْ غَيْرِ تَخَالٍ التَّوْبَةَ بِالرَّجُوعِ إِلَى الرَّبِّ (يَقْسَى الْقَلْبَ) أَيْ
يَسُوْدُهُ وَيَشْدُدُهُ (وَيَجُرُّ إِلَى الشَّقَاوَةِ الْكُبْرَى) فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ يَرِيدُ الْكَفْرَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى
(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ
الذُّنُوبَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يَصِرْ إِلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (وَلَآنَ الْمُتَلَطِّحَ بِالنَّجَاسَةِ) أَيْ
الْمُتَلَوِّثَ بِنَجَاسَةِ الْمَعْصِيَةِ (لَا يَقْرَبُ) إِلَى بَسَاطَةِ الرَّبِّ بَلْ يَبْعُدُ وَيَحْجُبُ (فُورَدَا إِذَا كَذَبَ
الْعَبْدُ) وَهُوَ مَنْ أَهْوَى سَبَابَ الْبَعْدِ (تَنَحَّى الْمَلَكَانِ) أَيْ يَبْعُدُ اللَّذَانِ مَعَهُ مِنَ الْكِرَامِ
الكَاتِبِينَ مِنْ عِنْدِهِ الْكَمَالَ نِزَاهَتَهُمَا وَجَمَالَ طَهَارَتَهُمَا (عَنْ تَنَ مَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ)
أَيْ مِنْ فِيهِ وَهُوَ الْكَذِبُ وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ ، وَابُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيمَةِ مِنْ حَدِيثِ
ابْنِ عَرُوفٍ لَفْظُهُ « إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ كَذِبَةً تَبَاعَدَ عَنْهُ الْمَلِكُ مِثْلًا مِنْ تَنَ مَا جَاءَهُ » (وَحَلَاوَتَهَا)
أَيْ لَذَّةَ الطَّاعَةِ الَّتِي لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْمَطْيَعِ جَزَاءٌ لَعَمَلُهُ إِلَّا مَا يَجِدُهُ مِنْ حَلَاوَةِ الطَّاعَةِ وَرُوحِ
الْأَنْسِ بِمَنَاجَاةٍ رُبَّهَ لَكَانَ ذَلِكَ كَافِيًا ، فَكَيْفَ بِمَا يَنْصَافُ إِلَيْهِ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ كَمَا
يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى (فَلَا تَعْلَمْ نَفْسٌ مِمَّا خَفِيَ لَهَا مِنْ قُرَةِ أَعْيُنٍ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
أَفَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كُنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ) الْآيَةُ ، وَفِي الْحَبَرِ الْقُدْسِيِّ « أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي
الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » وَتَقْسِيمُ هَذِهِ اللَّذَّةِ
لَا يَكُونُ فِي ابْتِدَاءِ التَّوْبَةِ بَلْ التَّوْبَةُ فِي أَوَّلِهَا مَرَّةً كَانْفِطَامِ الصَّبْرِ ثُمَّ تَصِيرُ حُلُوةً بَعْدَ مَا صَبَرَ
عَلَى مَرَارَةِ الْعَادَةِ مَدَّةً مَدِيدَةً وَمُعَالَجَةِ شَدِيدَةِ وَالنَّفْسِ قَابِلَةً مَا عَوْدَتِهَا تَعُودُ
(فَالْمُصْرِثُ لَا يَجِدُهَا) أَيْ تِلْكَ اللَّذَّةُ إِذَا مَنْ لَمْ يَذُقْ لَمْ يَعْرِفْ أَنْ تَرَكَ اللَّذَّةَ الْفَائِيَةَ هِيَ اللَّذَّةُ
الْبَاقِيَةُ (وَقَبُولُهَا) أَيْ قَبُولُ الطَّاعَةِ قَالَ تَعَالَى (إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (قَرِيبُ
الدِّينِ لَا يَقْبَلُ هَدِيَّةَ الْمُدْيُونِ الْمَهَاطِلِ) الْمُحْتَمَمُ مِنْ إِدَاءِ الدِّينِ فِيهِ الْفَضْلُ تَضْيِيعُ الْأَصُولِ

وَلَاِنَّ الْغَضَبَ يُنَافِي الْقَبُولَ وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْكُلِّ فِي كُلِّ حَالٍ لِعُمُومِ
الْأَدَلَّةِ وَعَلَى الْفَوْرِ لَوْجُوبِ الْإِنْتِهَاءِ عَنِ الْمَعَاصِي كَذَلِكَ وَحُرْمَةِ التَّسْوِيفِ

(ولان الغضب) المترتب على معصية بالعقاب الصادر عن تجلي صفة الجلال (ينافي
القبول) اي قبول طاعته المترتب عليه بالاثواب الوارد عن تجلي نعت الجلال (وهي)
اي التوبة (واجبة على الكل) من الانبياء والاولياء فلا تظن ان التوبة اختصت بآدم
عليه السلام حيث قال تعالى : (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبيه ربه قتاب عليه وهدى)
بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس البشر لا يمكن فرض خلافه مالم تتبدل السنة
الالهية التي لا مطمع في تبديلها . فالرجوع في حق كل انسان يكون ضروريا نبييا كان
او غيبيا وليا او غويا . قال أبو تمام :

فلا تحسبن هنداً لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند

ويشير اليه حديث : كلكم خطاؤون وخير الخطائين التوابون ، كما رواه احمد في غيره
عن انس (في كل حال) اي على الدوام (لعموم الأدلة) كقوله تعالى : (وتوبوا
الى الله جميعا) وذلك لان كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه
الانبياء والاختيار كما ورد في القرآن والاختبار من خطاياهم وتوبتهم وبكائهم ، فان خلا
احد في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب في القلب ،
فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة
عن ذكر الله ، فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وافعاله ،
وكل ذلك نقص وله اسباب ، وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن الطريق
الى ضده ، وانما يتفاوتون في مقادير النقصان لافي اصله (وعلى الفور) واجبة
من غير تراخ ومهلة (لوجوب الانتفاء) اي الامتناع (عن المعاصي كذلك)
اي على الفور من غير التراخي (وحرمة التسويف) اي وحرمة تأخير التوبة
(فورد) في التنزيل (وليست التوبة الآتية) اي (للذين يعملون السيئات حتى اذا
حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن) (اكثر صياح اهل النار من
التسويف) لهذا في الاحياء ، وقال مخرجه : لم اجد له اصلا ، وقال لقمان
لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة ، وكل ايمان لم يثبت في اليقين أصله
ولم ينتشر في الاعمال فرعه لم يثبت على عواصف الاحوال عند ظهور ناصية ملك

فَوَرَدَ (وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ) الْآيَةَ أَكْثَرَ صِيَاغِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ التَّسْوِيفِ وَهِيَ مَقْبُولَةٌ
فَوَرَدَ (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ) الْآيَةَ

الموت وسائر الاهیال ، وخیف علیه سوء الخاتمة ، الاماسقی بماء الطاعات علی
توالی الايام والساعات . وأما قول العاصی للمطیع : أنى مؤمن ثابك مؤمن ، فهو كقول
شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنى شجرة وأنت شجرة . وما احسن جواب الصنوبر اذ
قالت ستعرفین اغترارك بشمول الاسم اذا عصف ریح الخریف ، فعند ذلك تنقطع
اصولك وتتأثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة فی اسم الشجر مع الغفلة عن
أسباب نبات الاشجار *

سوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك أم حمار

وهذا أمر يظهر عند الخاتمة نسأل الله العافية؛ ولقد صدق أبو سليمان الداراني في قوله:
لولم يبك العاقل فيما بقى من عمره الاعلى فوت ماضى منه فى غير طاعة الله وأمره لكان
خائفا أن يحزنه ذلك الى الممات ، فكيف من يستقبل ما بقى من عمره بمثل ماضى من
جمله فيما سبق من الحياة، وقال بعض العارفين: أن ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلم انه
قد بقى من عمره ساعة وانك لا تستأخر عنها طريقة عين ، فيبدو للعبد من الاسف
والحسرة ما لو كانت له الدنيا يحذا فيرها يخرج منها على أن يضم الى تلك الساعة ساعة
اخرى ليستعد فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سيلا . وهو اول ما يظهر من معانى
قوله تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) واليه الاشارة بقوله سبحانه (وانفقوا مما رزقناكم
من قبل ان يأتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى الى أجل قريب فاصدقوا) كن
من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها) أى ولا نفسا. هذا وما مثال المسوف
الامثال من احتاج الى قلع شجرة فرأها قوية لا تنقطع الا بمشقة شديدة جليلة ، فقال
اؤخرها سنة ثم اعود اليها ، وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها ، وهو
كلما طال عمره ازداد ضعفه ، فلا حماة فى الدنيا أعظم من حماة اذ يعجز مع قوته عن
مقاومة ضعيف ، فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو فى نفسه وقوى الضعيف (وهى)
أى التوبة اذا استجمعت شرائطها (مقبولة) لا محالة (فورد) فى التنزيل (وهو
الذى يقبل التوبة الآية) أى (عن عباده) فوعده حق وقوله صدق لا يجوز خلفه ولا

(قَابِلُ التَّوْبِ) «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِالتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» وَأَيْضًا

يتصور تبديله (قَابِلُ التَّوْبِ) فهو من صفاته كقوله (غافر الذنب) (ان الله يبسط يده بالتوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) وفي الاحياء « ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسى الليل الى النهار ولمسى النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » قال مخرجه رواه مسلم من حديث أبي موسى بلفظ يبسط يده بالليل ليتوب مسى النهار » الحديث . وفي رواية الطبراني « لمسى الليل ان يتوب بالنهار » وبسط اليد كناية عن طلب التوبة ومبالغة في قبولها اذا الطالب ابلغ من القابل ، فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل ، ولابن ماجه من حديث ابي هريرة « لو اخطأتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم يتهم لئاب الله عليكم ، اى قبل توبتكم اورجع عليكم بالرحمة والمغفرة ، ولابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسلًا « ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تأبًا منه فاراحتى يدخل الجنة » ولا بن نعيم في الحلية من حديث ابي هريرة « ان العبد ليذنب الذنب فاذا ذكره احزنه فاذا نظر الله اليه انه احزنه غفر له » الحديث ولاحمد وابن يعلى والحاكم وصححه من حديث ابي سعيد « ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ازال اغوى عبادك مادامت ارواحهم في اجسادهم فقال وعزتي وجلالى لا ازال اغفر لهم ما استغفروني » وقال سعيد بن المسيب نزل قوله تعالى : (انه كان للرايين غفورا) في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب ، وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين ، ويروى ان نبيا من انبياء بنى اسرائيل اذنب ذنبا فاوحى الله اليه وعزتي وجلالى لئن عدت لاعذبنك ، فقال يا رب أنت أنت وانا انا ، وعزتك لئن لم تعصمى لا عودن ، فعصمه الله . وقال بعضهم : ان العبد ايدنب الذنب فلا يزال نادما تائبًا حتى يدخل الجنة فيقول ابليس باليتنى لم اوقعه في الذنب ، يعنى لاهلكه بالعجب . ويروى انه كان في بنى اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظروا في المراة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك ، ثم قال : الهى اطعناك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلنى ؟ فسمع قائلا يقول ولا يرى الشخص : احببتنا ، فاحبينك ، وتركنا فتركنك ، وعصيتنا فامهلتنا فان رجعت الينا قبلناك ، وقد قال تعالى : (وان عدتم عدنا) وورد « ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة » (وايضا) اى وفي العقل ايضا دلالة على ان التوبة مقبولة لا محالة

تَزُولُ ظِلْمَةُ الذَّنْبِ عِنْدَ سَطْوِ نُورِ التَّوْبَةِ وَالْأَلْأَلِ الدَّنَسِ بِالصَّابُونِ وَالصَّدَاءِ بِالصِّقْلِ
وَأَمَّا يَشْكُ التَّائِبُ لَشَكِّهِ فِي تَحْقِيقِ الشَّرْطِ وَالْأَرْكَانِ فَهِيَ دَقِيقَةُ شَكِّ شَارِبِ الْمُسْهَلِ

فانها ﴿ تزول ظلمة الذنب ﴾ ونحارها ﴿ عند سطوع نور التوبة ﴾ وآثارها ﴿ زوال الدنس ﴾ اى كزوال الوسخ والدرن من الثوب والبدن ﴿ بالصابون ﴾ ونحوه من الاشنان ﴿ والصداء ﴾ اى وكزوال صداء الحديد من المرءة ونحوها ﴿ بالصيقل ﴾ وتوضيحه ان نار الندم تحرق غبرة الذنب، ونور الحسنة، يحرق وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام السيئات مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار، وكما لا طاقة للدورة الوسخ مع بياض الصابون. فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله لان يكون في جواره ، فكما ان استعمال الثوب في الاعمال الحسنة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة، فاستعمال القاب في الشهوات يوسخ القلب ، وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويظهره بكل قلب زكى طاهر فهو مقبول ، كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول. والقبول له حسب القضاء السابق الازلى مبذول .

والحاصل ان من توهم ان التوبة تصح ولا تقبل فهو كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يقامع ، وان الثوب يغسل والوسخ لا يزول نعم اذا غاص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وظله فلا يقوى الصابون على قلعه من اصله ، ومثاله ان تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب ، فثل هذا القلب لا يتوب ولا يرجع الى الرب وربما يقول باللسان قد ثبت من العصيان فيكون ذلك كقول القصار قد غسلت الثوب . هذا وقد ورد ان للقلوب صداء كصداء الحديد وجلاؤها الاستغفار ، رواه الحكيم الترمذى وابن عدى عن انس . ثم لما كان المصنف استشعر سؤاله ان يقال لا ينبغي ان يجوز الشك في القبول لانه يخالف اخبار الله والرسول اجاب بقوله ﴿ وانما يشك التائب ﴾ في قبول توبته وحصول اوبته ﴿ لشك في تحقق الشروط ﴾ المعتبرة في باب التوبة ﴿ والاركان ﴾ اللازمة في حصول الاوبة كما سيأتى بيانها في محلها اللائق بها ، ومجملها الندم والقلع والعزم والتدارك بالجزم ﴿ فبى ﴾ اى الشروط والاركان ﴿ دقيقة ﴾ ادراكها فلا يجوز بكونها حقيقة ﴿ شك ﴾ اى مثل شك ﴿ شارب المسهل ﴾ في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الوقت والحال،

بِخِلَافِ الْقَصَارِ اِذْ شُرُوطُهُ جَلِيَّةٌ وَالذَّنْبُ مَا يَخَالِفُ اَمْرَهُ تَعَالَى مِنْ فِعْلٍ اَوْ تَرْكِ
وَيَنْقَسِمُ اِلَى حَقِّهِ تَعَالَى وَحَقِّ الْعَبْدِ وَهُوَ اَغْلَظُ فَوْرَدَ اَنَّهُ لَا يُتْرَكُ وَاَيْضًا اِلَى كَبِيرَةٍ
وَصَغِيرَةٍ وَوَرَدَ فِي الْبَعْضِ اَنَّهُ مِنَ الْكَبَائِرِ

وكيفية خااط الدواء وطبخته وجودة عقاقره وادويته ، والافلاشك في تأثيره وخاصيته
(بخلاف القصار اذ شروطه) من الماء والصابون والدلك (جاية) وليست في
نظر صاحبه خفية . ثم اعلم أن التوبة ترك الذنوب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته
واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فعرفة الذنوب اذا واجبة ،
ولذا قال المصنف (والذنوب ما يخالف امره تعالى من فعل) للطاعات (اوترك)
للسيئات (وينقسم الى حقه تعالى) وهو اقرب الى العفو كترك الصلاة والصوم
ونحوهما (وحق العبد) أى الى حقه لترك الزكاة وقتل النفس واما الهما (وهو)
أى حق العبد (اغلظ) أى اشد . وعن العفو ابعد (فورد) في الحديث (انه)
أى حق العبد (لا يترك أى لا يعفى الا أن العبد يرضى ولذا قيل : بحق الكافر اشد
من حق المسلم واقرى ، وحق الحيوان اشد من الكافر لا يخفى . ولا حمد الحاكم
وصححه من حديث عائشة ، الدواوين ثلاثة : ديوان يغفر ، وديوان لا يغفر ، وديوان
لا يترك فالديوان الذى يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى ، واما الديوان
الذى لا يغفر فالشرك ، واما الديوان الذى لا يترك فظالم العباد أى لا بد أن يطالب
بها حتى يتخاص عنها (وأيضاً) ينقسم (الى) معصية (كبيرة وصغيرة) كما جاء
في القرآن (أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) (وورد في البعض)
(أنه) أى ذلك البعض (من الكبائر) ففي البخارى من حديث عبد الله بن عمرو
مرفوعاً « الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس »
وفي الصحيحين من حديث أبى هريرة « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله وماهى
قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، واكل الربا ، واكل مال
اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، ولهما من حديث
أبى بكرة « الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور . وقول
الزور » ولهما من حديث ابن مسعود « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنوب

وَاخْتَلَفَ فِي حَصْرِهَا عَلَى مَا نَهَى مَخْصُوصًا فَالْتَحْصِصُ لِلتَّعْظِيمِ وَمَا أُوْعِدَ عَلَيْهِ
بِالنَّارِ لِعَظَمِ الْعُقُوبَةِ

اعظم ؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى ؟ قال أن تقتل ولدك مخافة أن
يطعم معك ؛ قلت ثم أى ؟ قال أن تزنى بحليلة جارك ، وللطبراني من حديث سلمة بن
قيس « إنما هي أربع لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ،
ولا تزنوا ، ولا تسرفوا » وفي الاوسط للطبراني من حديث ابن عباس « الخمرام الفواحش
والأكبر الكبائر » وللبزار من حديث ابن عباس باسناد حسن « أن رجلا قال ما الكبائر
قال الاشرار بالله ، والاياس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، وللاحاكم من
حديث عبيد بن عمير عن ابيه « الكبائر تسع ، فذكر منها استحلال البيت الحرام .
وللطبراني من حديث واثلة « أن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل على : ما لم اقل »
وله ايضا من حديثه « أن من أكبر الكبائر ان ينتفى الرجل من ولده ، ولمسلم
من حديث جابر « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » ولمسلم من حديث
عبد الله بن عمرو « من الكبائر شتم الرجل والديه » ولابي داود من حديث سعيد
ابن زيد « أن من اربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق » وفي الصحيحين
من حديث ابن عباس « أنه عليه السلام مر على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان
في كبير وانه لكبير ، اما احدهما فكان يمشي بالنسيئة ، واما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله »
الحديث ، ولاحد في هذه القصة من حديث أبي بكرة « اما احدهما فكان يأكل لحوم
الناس ، الحديث . ولابي داود ، والترمذي من حديث انس « عرضت على ذنوب أمتي
فلم اردنبا اعظم من سورة من القرآن او آية او قبيح رجل ثم نسيها ، وللدبلي من الكبائر
السبتان بالسبة » وقد اختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع الى سبع
الى تسع الى إحدى عشرة فما فوق ذلك . قال ابن مسعود هي أربع . وقال ابن عمر هي
سبع وقال ابن عمرو هي تسع . وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول
هي الى سبعين اقرب منها الى سبع « واختلف » على اقوال « في حصرها » أى الكبائر
« على ما نهى » أى على ذنب ورد عنه نهى نهي « مخصوصا فالتخصيص » بالذكر
في القرآن « لتعظيم » أى لتعظيم المعصية . وقد قال ابن عباس : كل ما نهى الله عنه
فهو كبيرة ، ويشير اليه قوله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما نهون عنه) اذا كانت الاضافة
بإني « وما » أى وعلى ذنب « اوعد » أى ورد الوعيد « عليه بالنار لعظم العقوبة »

وَمَا وَجِبَ عَلَيْهِ حَدٌّ فَالتَّعَجِيلُ لِلتَّغْلِيظِ وَمَا اسْتُصْفِرَ كَمَا أَنَّ الصَّغِيرَةَ مَا اسْتُعْظِمَ
فَوَرَدَ «لَا صَغِيرَةَ مَعَ الْأَصْرَارِ وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ الْأَسْتِغْفَارِ» وَقِيلَ الْأَصَحُّ أَنَّهَا مَبْهَمَةٌ
كَلِيلَةُ الْقَدْرِ وَسَاعَةُ الْجُمُعَةِ لِأَنَّهَا مَا لَا يَكْفُرُهُ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فَوَرَدَ «الصَّلَوَاتُ
الْخَمْسُ يُكَفِّرْنَ مَا يَنْهَنُ» إِنْ اجْتَنِبَتِ الْكِبَائِرُ،

فَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ كُلُّ مَا تَوَعَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالنَّارِ فَهُوَ مِنَ الْكِبَائِرِ (وَمَا) أَى
وَعَلَى ذَنْبٍ (وَجِبَ عَلَيْهِ حَدٌّ) مِنْ رَجْمٍ وَجُلْدٍ وَقَتْلٍ وَقَطْعٍ (فَالْتَعْجِيلُ) لِعَقُوبَةِ
الْمُذْنِبِ (لِلتَّغْلِيظِ) فِي حَقِّهِ ذَنْبٍ، فَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كُلُّ مَا وَجِبَ الْحَدُّ فِي
الدُّنْيَا فَهُوَ كَبِيرَةٌ (وَمَا) أَى وَعَلَى ذَنْبٍ (اسْتُصْفِرَ) أَى اسْتَحَقَّرَ وَعَدَّ صَغِيرًا
وَحَقِيرًا (بِمَا أَنَّ الصَّغِيرَةَ مَا اسْتُعْظِمَ) أَى عَدَّ عَظِيمًا وَكَبِيرًا (فَوَرَدَ لَا صَغِيرَةَ مَعَ
الْأَصْرَارِ وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ الْأَسْتِغْفَارِ) رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِهِ مَرْفُوعًا وَعَنْ
أَنْسٍ مَوْقُوفًا. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ وَغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ «أَنْكُمْ
لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ لَنَا نَعْدُهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكِبَائِرِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ بَرَزٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَمَّا سُئِلَ
عَنِ الْكِبَائِرِ فَقَالَ: اقْرَأْ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ النَّسَاءِ إِلَى رَأْسِ ثَلَاثِينَ آيَةٍ مِنْهَا عِنْدَ قَوْلِهِ
(أَنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا نَهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) فَكُلُّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ
السُّورَةِ إِلَى هُنَا كَبِيرَةٌ. وَقَالَ قَاتِلُونُ: لَا صَغِيرَةَ، بَلْ كُلُّ مَخَالِفَةٍ لِلَّهِ فِيهِ لَكَبِيرَةٌ.
وَضَعَفَ هَذَا الْقَوْلَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا نَهَوْنَ عَنْهُ) وَقَوْلُهُ (الَّذِينَ
يَحْتَبُونَ كِبَائِرَ الْأَثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ) أَى الصَّغَائِرَ. وَفِي الْحَدِيثِ «إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
فَاغْفِرْ جَمَاعًا فَإِنَّ عَبْدَكَ لَا مَالَ» (وَقِيلَ الْأَصَحُّ أَنَّهَا) أَى الْكَبِيرَةَ (مَبْهَمَةٌ) أَذْربَا
قَصْدُ الشَّرْعِ بِإِبْهَامِهَا كَوْنُ الْعِبَادَةِ عَلَى رَجُلٍ مِنْهَا (كَلِيلَةُ الْقَدْرِ وَسَاعَةُ الْجُمُعَةِ)
وَكَذَا الصَّلَاةِ الْوَسْطَى لِعَظَمِ جَدِّ النَّاسِ فِي طَلِبِهَا وَعَدَمِ الْاِكْتِفَاءِ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا
(لِأَنَّهَا) أَى وَالِدَالِيلِ عَلَى كَوْنِ الْكَبِيرَةِ مَبْهَمَةً أَنْ الْمُرَادُ بِهَا (مَا) أَى ذَنْبٌ (لَا يَكْفُرُهُ
الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ) أَى وَنَحْوُهَا مِنَ الْمَكْفُرَاتِ لِلْسَيِّئَاتِ (فَوَرَدَ) فِي الْحَدِيثِ
(الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ يَكْفِرْنَ مَا يَنْهَنُ) أَى مِنَ الصَّغَائِرِ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الذُّنُوبِ
جِئْتُكُمْ إِنْ اجْتَنِبَتِ الْكِبَائِرُ رَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّ اجْتِنَابَ الْكِبَائِرِ شَرْطُ لَكُونِ الصَّلَوَاتِ

أَوْ إِلَّا الْكَبَائِرُ وَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِالْآخِرَةِ فَلَا بُهَامُ أُولَى تَحْذِيرًا عَنِ الْكُلِّ وَلَا تَكْلِيفَ
فُوجِبَاتُ الْحُدُودِ مَعْلُومَةٌ وَرَدَّ الشَّهَادَةُ

ونحوها تكفر الصغائر، بل أن كان عنده الصغائر والكبائر فتكفر الصغائر والافتخاف الكبائر، وأن كان محفوظاً من الكبائر والصغائر فتكون سبباً لرفع الدرجات العالية والزلزلات الغالية ﴿أو إلا الكبائر﴾ شك من الراوى أو اختلاف الروايات فالأخير رواية مسلم. وللحاكم، من حديث أبي هريرة وصححه الصلاة إلى الصلاة كفارة، ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث: أشرك بالله، وترك السنة، ونكث الصفة، قيل وماترك السنة؟ قال الخروج من الجماعة، ونكث الصفة أن يبایع رجلاً ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله، ﴿وهو﴾ أى حكم الكبيرة أو التكفير وهو الأظهر ﴿يتعلق بالآخرة فلا بهام أولى﴾ ﴿تحذيراً عن الكل﴾ أى كل المعاصى لئلا يقع أحد في مخالفة المولى لاحتمال أن يكون كل ذنب أقدم عليه بارتكابه كبيرة فيتخاص من الكبائر والصغائر جميعها، ومطلوب الرب من العبد أن لا يقع في مطلق الذنب ليحصل له كمال القرب، وتوضيحه أن كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق إليه الإبهام ﴿ولا تكليف فيها﴾ أى لا تكليف بما لا يطاق في معرفة الكبائر للاجتناب عنها لأن دار التكليف هى دار الدنيا، والكبيرة على الخصوص لأحكامها في الدنيا من حيث أنها كبيرة بل لها تعلق في حكم العقبي ﴿فوجبات الحدود معلومة﴾ بأسامها كالسرقة والزنا والقتل وغيرها. وفي الأحياء وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ﴿أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ ولكن اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصغيرة إذا اجتنبها مع القدرة والإرادة، لكن يتمكن من امرأة ومن موافقتها فكيف نفسه عن الوقوع بها ويقتصر على نظر ولمس منها، فإن مجاهدة نفسه في الكف عن الوقوع أشد تأثيراً في توير قلبه من إقدامه على النظر من إظلامه، فهذا معنى تكفيره. فإن كان عيناً ولم يكن امتناعه إلا بالضرورة للعجز، أو كان قادراً ولكن امتنع خوفاً أمر آخر فهذا لا يصلح للتكفير أصلاً، فكل من لا يشتهى الخمر لطبعه ولو أتيح له لما شربها فاجتنابها لا يكفر عنه الصغائر التى هى من مقدماته كسماع الملامى والاوزار. نعم من يشتهى الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه عن الخمر ويطاقها في السماع، فجاهدة النفس بالكف ربما يمحو عن قلبه الظلمة التى ارتفعت إليه من معصية السماع ﴿ورد الشهادة﴾ فى الحكمة

لَا يَخْتَصُّ بِهَا فَاَلَا كُلُّ فِي الطَّرِيقِ يُوجِبُهُ مَعَ كَوْنِهِ مُبَاحًا وَقِيلَ الْأَصَحُّ أَنَّهَا اسْمٌ أَضَافِيٌّ
وَالْمُطْلَقُ هُوَ الْكُفْرُ وَالْجَمْعُ فِيهِمَا وَرَدَ (أَنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ
كِبَائِرَ الْإِثْمِ)

(لَا يَخْتَصُّ بِهَا) أَيُ بِالْكَبِيرَةِ بِلَ وَلَا بِالصَّغِيرَةِ (فَاَلَا كُلُّ فِي الطَّرِيقِ) مِنْ
السُّوقِ وَنَحْوِهِ (يُوجِبُهُ) أَيُ رَدُّ الشَّهَادَةِ (مَعَ كَوْنِهِ مُبَاحًا) وَفِي
الْأَحْيَاءِ لَا خِلَافَ فَإِنْ مَنْ يَسْمَعُ الْمَلَأَى وَيَلْبَسُ الدِّبَاجَ وَيَخْتَلِمُ الذَّهَبَ وَيَشْرَبُ مِنْ
أَوَانِيِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لَا تَقْبَلُ شَهَادَتَهُ، وَلَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مِنَ الْكِبَائِرِ، فَكُلُّ
الذُّنُوبِ تَقْدَحُ فِي الْعَدَالَةِ إِلَّا مَا لَا يَخْلُو الْإِنْسَانُ عَنْهَا غَالِبًا لِضَرُورَةِ مَجَارِي الْعَادَاتِ كَالْغِيْبَةِ
وَالتَّجَسُّسِ وَسُوءِ الظَّنِّ وَالْكَذِبِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَسَمَاعِ الْغِيْبَةِ وَتَرْكُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَكُلِّ الشُّبُهَاتِ وَسَبِّ الْوَلَدِ وَالْعِلَامِ وَضَرْبِهَا بِحَكْمِ الْغَضَبِ
زَائِدٌ عَلَى حَكْمِ الْمَصْلَحَةِ وَآكَرَامِ السُّلَاطِينِ الظُّلْمَةِ وَمَصَادَقَةِ الْفُجْرَةِ وَالتَّكَاسُلِ
عَنِ تَعْلِيمِ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ جَمِيعٌ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ الدِّينِ، فَهَذِهِ ذُنُوبٌ لَا يَنْفَكُ
أَشْهَادٌ عَنْ قَلِيلِهَا أَوْ كَثِيرِهَا إِلَّا بِأَنْ يَعْتَزِلَ النَّاسُ وَيَتَجَرَّدَ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ وَيَجَاهِدَ
نَفْسَهُ مَدَّةً بِحَيْثُ يَبْقَى عَلَى سَمْتِهِ مَعَ الْمُخَالَطَةِ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَوْ لَمْ يَقْبَلِ الْإِقْرُولُ مِثْلَهُ لَعَزَّ
وَجُودُهُ وَبَطَلَتْ الْأَحْكَامُ وَالشَّهَادَاتُ، وَلَيْسَ لِبَسِ الْحَرِيرِ وَنَحْوِهِ مِنْ قَبِيلِ
هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ (وَقِيلَ الْأَصَحُّ أَنَّهَا) أَيُ الْكَبِيرَةِ (اسْمٌ أَضَافِيٌّ) كَمَا أَنَّ الزُّنَا كَبِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ
إِلَى الْمَعَاقِفَةِ مَعَ التَّجَرُّيدِ عَنِ الثِّيَابِ فِي الْجَانِبَيْنِ، وَالْمَعَاقِفَةُ كَبِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّمَسِ،
وَاللَّمَسُ كَبِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّظَرِ بِالشَّهْوَةِ، وَالنَّظَرُ كَبِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْهَمِّ وَالْعَزِيمَةِ،
وَقَطَعَ يَدُ الْمُسْلِمِ كَبِيرَةٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى ضَرْبِهِ وَصَغِيرَةٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى قَتْلِهِ (وَالْمُطْلَقُ)
أَيُ الْفَرْدِ الَّذِي إِذَا أُطْلِقَ الْكَبِيرَةُ يَنْصَرَفُ إِلَيْهِ (هُوَ الْكُفْرُ) أَذْلاً كَبِيرَةٌ فَرْقُهُ . وَقَدْ قَالَ
تَعَالَى (أَنْ الشَّرْكَ لَظْلَمٌ عَظِيمٌ) وَلِهَذَا لَا يَغْفَرُ بِالْإِجْمَاعِ أَوْ الذَّنْبِ الْمُطْلَقِ . وَالْكَفْرُ وَبَاقِي
الذُّنُوبِ مُقِيدٌ بِالْإِضَافَةِ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْقَوْلُ يَفِيدُ أَنَّهُ لَا كَبِيرَةَ إِلَّا الْكُفْرَ وَهُوَ مُفْرَدٌ، وَقَدْ
جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ قَالَ فِي دَفْعِ هَذِهِ الْأَشْكَالِ (وَالْجَمْعُ) مُبْتَدَأٌ أَيُ وَقُوعُ لَفْظِ
الْكَبِيرَةِ جَمْعًا (فِيهِمَا وَرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (أَنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ) وَقَدْ قُرِئَ كَبِيرُ
مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِهِ الْكُفْرُ أَوْ أَرِيدَ بِهِ الْجَنْسُ (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ)

لتنوعه أو تعدد المخاطب فالمغفرة تتعلق بالمشيئة لا غير، فورد (ويعفو ما دون ذلك لمن يشاء) ثم هو يعظم بالأصرار لأنه سبب تراكم الظلام فورد ولا صغيرة مع الأصرار، والمباهاة والاستحقار فهما سبب التألف وورده المنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره»

لتنوعه (خبر المبتدأ أى لوقوع افراد الكفر انواعا كعبادة الصنم والشمس والقمر وكفر اليهود والنصارى والمجوس وامثالها) (أو تعدد المخاطب) فوقه مقابلة الجمع بالجمع اولان كفر زيد غير كفر غمرو (فالمغفرة) للصغيرة والكبيرة وهى العفو من غير التوبة (تعلق بالمشيئة لا غير) أى لا غير هاهنا من الاشياء المكفرة (فورد) فى التنزيل (ويعفو ما دون ذلك) أى غير الشرك والكفر بجميع انواعه (لمن يشاء) أى لمن تعلقت مشيئة الله تعالى بمغفرته . وكان مطرف بن عبد الله يقول : اللهم ارض عنا فان لم ترض عنا فاعف عنا فان المولى قد يعفو عن عبده وهو غير راض عن فعله . والحاصل أن الرضاء يتعلق بالطاعة . والعفو والمغفرة بالمعصية (ثم هو) أى الذنب ولو صغيرة (يعظم) فى الكيفية حتى يصير كبيرة بسبب أربعة اشياء (بالأصرار) وهو الاستمرار على الذنب والاستقرار (لانه) أى الأصرار (سبب تراكم الظلام) أى ظلمات الآثام فى قلوب الانام (فورد لا صغيرة مع الأصرار) وتماهه ولا كبيرة مع الاستغفار ، وقد تقدم فكيرة واحدة تنصرم ولا تتبعها بمثلها لو تصور وجودها لكان العفو عنها راجى من صغيرة يواظب العبد عليها الآن الكبيرة قل ما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر ، فقلنا يزنى الزانى بغتة من غير مرادة ومطالبة ومطالبة ، وقلنا يقتل القاتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة سالفة ، فكل كبيرة يتبعها صغائر سابقة ولاحقة (والمباهاة) أى وبالمباهاة والمفاخرة (والاستحقار) بعدم المبالاة (فهما) لغان ونشرهما مرتبا (سبب التألف) أى تألف الذنب . والالفة شديدة الاثر فى القلب ، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات ، والمحفور تسويده بالسيئات ، فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة عند الرب وعظم اثرها فى تسويد القلب (وورد المنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره) أى عن نفسه ، وتماهه «والمؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن

وَنَسِيَانَ حَلَلَهُ وَكَرَّمَهُ تَعَالَى فَهُوَ سَبَبُ الْأَمْنِ مِنَ الْمَكْرِ وَوَرَدَ (أَنَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا
أَنْمًا) وَالْإِظْهَارُ فَهُوَ يُؤَدِّي إِلَى ذُنُوبٍ أُخْرَى كَهَيْتِكَ السَّيِّئَةِ وَتَرْغِيبِ الْغَيْرِ وَوَرَدَ
«كُلُّ النَّاسِ مُعَافُونَ إِلَّا الْمُجَاهِرَ بِالذَّنْبِ»

يقع عليه، رواه البخاري من رواية الحارث بن سويد عن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً،
ولا يخفى أن هذا الحديث يصلح أن يكون شاهداً لدم المبالاة لا بوجود المبالاة
فكان حقه أن يؤخر عن قوله ﴿وَنَسِيَانَ حَلَلَهُ﴾ وهو بالجر عطف على التالف أي وسبب
نسيان حله ﴿وكرمه تعالى﴾ وستره وعدم كشف حاله ﴿فهو﴾ أي ما ذكر من النسيان
﴿سبب الأمن من المكر﴾ الإلهي من استدراج العبد بالنعمة واخذه بالفتنة للنعمة
﴿وورد﴾ في التنزيل ﴿أَنَا نَمْلِي لَهُمْ﴾ أي نملهم أيأما ﴿ليزدادوا أنما﴾ أي أنما
وقال بعضهم: الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عمله مثل هذا فأنما يعظم الذنب
في القلب لعله بمظمة الرب، فإذا نظر إلى جلال من عصي رأى الصغيرة كبيرة. وقد
أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء لا تنظر إلى قلعة الهدية وانظر إلى عظم مهديها، ولا تنظر
إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين
الأبرار: لا صغيرة، بل كل مخالفة في كبيرة. وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم
من الجاهل، ويتجاوز عن العاصي في أمور لا يتجاوز في أمثاله عن العارف لأن المخالفة
تكثر بقدر معرفة المخالف كما يشير إليه قوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فَقَدْ أَعْلَفْتُ لَهُ الْعَذَابَ لِمَنْ يُضَافِعْ) وكان ذلك على الله يسيراً ومن يقنت منكره ورسوله
وتعمل صالحاً نوتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقاً كريماً فوزرهن مضاعف
كأجرهن ومن هنا قال تعالى خطاباً لعلماء أهل الكتاب: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا أَمْرَ رَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) وقال: (الَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَكْبَرُ
يُؤْمِنُونَ وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ) إلى أن قال: (أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) الآية
﴿والإظهار﴾ أي وبإظهار المعاصي للفجار ﴿فهو﴾ أي الإظهار ﴿يؤدى إلى ذنوب
أخر كهيئتكَ السيئة﴾ بنفسه لنفسه والله سبحانه هو الساتر ﴿وترغيب الغير﴾ إلى مثل
فعله فيكون عليه ذنب التسبب في عمله، ففى حديث مسلم من حديث جرير بن عبد
الله «من سن سنة سيئة فعله وزرها ووزر من عمل بها الحديث» ﴿وورد كل الناس
معافون﴾ بضم الميم وفتح الفاء يقربون إلى العفو ﴿إلا المجاهر بالذنب﴾ فإنه

وَحَقَّقَهَا أَنْ يَتَنَدَّمَ فُورِدَ «النَّدَمُ تَوْبَةً»

بعيد عن العفو ، وتماه « بيت اخدم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح ويكشف ستر الله فيحدث بذنبه » والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة بلفظه كل امتى وقال بعضهم : لا تذب فان كان ولا بد فلا ترغب فيه غيرك فتذب ذنين ، ولذا قال تعالى : (المنافقون والمنافقات بهضمهم من بعض يأمرؤن بالمنكر وينهون عن المعروف) وقال بعض السلف : ما انتك المرء من اخيه حرمة اعظم من أن يساعده على معصية ثم يهونها عليه ، فسبحان من يظهر الجليل ويستر القبيح . وقال تعالى (ونكتب ما قدموا وآثارهم) والآثار ما يكتب بعد انقضاء العمل والعامل فاذا كان المذنب المظهر عالما يقتدى به وهو يلبس الحرير ويركب سرج الذهب ويأخذ المال الحرام ويدخل على الظالة من بين الامام طمعا في المناصب العظام كثرت له الآثام . وطوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه ولم تتجاوزته الى غيره . فعن ابن عباس « ويل للعالم من الاتباع تزل بركة فيرجع عنها ويحتملها الناس فيذهبون بها في الآفاق » وقال بعضهم : مثل زلة العالم . مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق أهلها وفي الاسرائيليات : أن عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادرثته التوبة فعمل في الاصلاح دهرا ، فوحي الله الى نبيهم أن قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن قدامك من عبادى فادخلتهم النار ؟ (وحققها) أى حق التوبة على صاحب المعصية (ان يتندم) أى يظهر الدامة في القلب (فورد) فى الحديث لما تقدم (الندم) وهو توجع القلب بمخالفة الرب (توبة) أى معظم اركانها هي الندامة على فعل المعصية من حيث أنها معصية وتكون خالصة لله من الرياء والسمعة ويتبعها قلع المعصية فى الحال والعزم على تركها فى الاستقبال . وفى الاسرائيليات أن الله سبحانه قال لبعض انبيائه وقد سأله النبي قبول توبة عبد بعد ان اجتمع سنين فى العبادة ولم ير اثر قبول توبته فى مقام السعادة ، فقال وعزنى وجلالى لو شفع فيه أهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه فى قلبه . فلا بد فى التوبة من مرارة المعصية بدلا عن حلاوتها فيأخذ بترك اللذة ، ويشير اليه قوله عليه السلام « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا ، بالحديث وينبغى أن يحد مثل هذه المرارة فى جميع الذنوب وأن لم يرتكبها قبل فتكون مرارة المعصية وحلاوة الطاعة بالطبع الموافق للشرع . فتكون المعصية عند كالم والطاعة كالمسل هذا ، وفى حديث « الندم

وَقِيلَ هُوَ غَيْرُ مَقْدُورٍ وَيَتَدَارَكُ وَهُوَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ مُحْتَاطًا

توبة ايماء الى انه مقدور مرغوب فيه وكذا في قوله تعالى: (وتوبوا) والا فيكون الامر بما لا يطاق وهو ما وقع في الشرع بالاتفاق على خلاف في جوازه وعدمه (وقيل هو) اي الندم (غير مقدور) للبشر ولا يدخل تحت التكاليف فلا يكون توبة بل هو الباعث فاستعير لها وفي الاحياء فان قلت تألم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب راعلم أن سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه، وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى أن العلم يخلق العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال، بل العلم والندم والفعل والارادة والقدر والقدار والشكل من خالق الله وفعله (والله خلقكم وما تعملون) هذا هو الحق عند ذوى البصائر وما سوى هذا ضلال (ويتدارك) أى وحق التوبة أن يتدارك ويتلافى ما فات من الطاعة وما سبق له من المعصية (وهو) أى التدارك (في حقه تعالى القضاء) بدل الاداء (والكفارة) بدل المعصية وقصد دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت مع استدراك الفوت (محطاطا) أى حال كونه يحطاط في امره من اوله الى آخره بردفكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن او الاحتمال، فيفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهر اشهر او يوما يوما ونفساً نفساً، وينظر الى الطاعات ما الذى قصر عليه فيها، وإلى المعاصى ما الذى قارفه منها، فان كان قد ترك صلاة او صلاها مع ثوب نجس، او صلاها بنية غير صحيحة، او ترك فيها شيئا من الواجبات كتعديل الاركان ونحوها فيقضئها من آخرها، فان شك في عدد ما فات منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذى يستيقن أنه اداه ويقضى الباقي، وله أن يأخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على حسب التحرى والاجتهاد، وكذا امر الصوم والزكاة والحج وسائر فرائض الاسلام وشرائع الاحكام. فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات. وأما بحثه عن السيئات فيتفكر من أول بلوغه الى آخر امره عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويد، ورجله وفرجه وسائر جوارحه، ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته، وينشر عند نفسه ديوان سيئاته حتى يطلع على جميعها قليلا وكثيرا وصغيرا وكبيرا، ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله من حيث لا يتعاق بمظالم العباد كنظر الى غير محرم وقعود في المسجد مع الجنازة ومس المصحف من غير طهارة واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع آلة فالنوبة عنها بالندم والتحصير عليها *

وَفِي حَقِّ الْعَبْدِ رَدُّ الْمَالِ مُحْتَاطًا إِلَى الْمَالِكِ أَوْ الْوَارِثِ مُبَالِغًا فِي التَّبْلِيغِ بِالطَّوْفِ
فِي الْبِلَادِ أَنْ أَمَكَّنَ لَهُ وَالْأَفَلْتَصَدَّقُ أَوْ الصَّرْفُ إِلَى مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ أَوِ التَّسْلِيمِ
إِلَى الْقَاضِي الْأَمِينِ وَالْدِّيَّةُ وَالْقِصَاصُ فِي النَّفْسِ

ثم اعلم أن حب الدنيا رأس كل خطيئة، واثار اتباع الدنيا في القلب
السُّرور بها والالفة لها والحنين إليها، فلا جرم أن كل اذى يصيب المسلم ثم يذو
بسيه قلبه عن الدنيا يكون ذلك كفارة لداء القلب يتجا في بالغموم عن دار الهموم،
فورد « من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم » وفي لفظ آخر الا الهم بطاب
المعيشة رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية من حديث أنى هريرة . ولاحد
من حديث عائشة « اذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له اعمال تكفرها ابتلاه الله
بالحزن فيكون كفارة لذنوبه » ويقال الهم الذى يدخل على القلب والعبد لا يعرفه
هو ظلمة الذنوب والهم بها . وروى « أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه
السلام فى السجن فقال له يوسف : كيف تركت الشيخ المشيب ؟ فقال قد حزن عليك
حزن مابه ثكلى ، قال فانه عند الله ؟ قال اجر مائة شهيد » والطبراني والحالم عن أنى
الدرداء مرفوعا « ان الله يحب كل قلب حزين » (وفي حق العبد) أى والتدارك
فى حق العباد ثلاثة اشياء (رد المال محتاطا) أى وفى قدره (الى المالك) ان كان
حيا (او الوارث) ان كان ميتا (مبالغا) أى غاية الاجتهاد (فى التبليغ) أى
انصال حق العباد (بالطوف) أى السيرو والتردد (فى البلاد) رجاء ان يلقى المالك
هنالك فيرد اليه حقه او يستحل منه (ان امكن له) السفر (والا فالتصدق) على
الفقراء والمساكين (او الصرف الى مصالح المسلمين) من بناء مسجد وعمارة وجسر
ومدرسة (او التسليم الى القاضى الامين) ليصرفه فى امور الدين (والدية)
عطف على رد المال ، أى وفى حق العبد اداء الدية الى مستحقها اذا وقع القتل او القطع
خطأ (والقصاص) اذا وقع عمدا (فى النفس) وكذا فى الاطراف ، فيجب
عليه ان يعترف عند ولى الدم ويحكمه فى روحه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ،
ولا تسقط عهده الا بهذا ، ولا يجوز له الاختفاء ، وليس هذا كما لو زنى او سرق
او شرب او قطع طريقا او باشر ما يجب فيه الحد لله ، فانه لا يلزمه فى التوبة ان

وَالْاِسْتِعْفَاءُ نَفْسًا كَانَ أَوْ مَالًا وَعِنْدَ الْعِجْزِ فَتَكْثِيرُ الْحَسَنَاتِ بِحَسَبِ الْمَظَالِمِ وَفِي
نَحْوِ الْغِيْبَةِ وَالسَّبِّ وَالْاِيْذَاءِ فَلَا اسْتِعْفَاءَ وَالذُّرُّ الْمَفْصَلُ إِلَّا أَنْ يَزِدَّ دَادَ النَّأْذَى
بِالْأَظْهَارِ فَالْمُبْهَمُ نَحَامِيًّا عَنْ ذَنْبٍ آخَرَ وَالْجَبْرُ بِالْحَسَنَاتِ كَمَا لَوْ كَانَ مِيتًا أَوْ غَائِبًا
وَالْمُبَالَغَةُ فِي الْاِسْتِعْفَاءِ

يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالى استعفاء حق الله ، بل عليه ان يستر
بستر الله ويقم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة ، فان رفع امره الى الوالى حتى اقام
عليه الحد وقع فى موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله (والاستعفاء)
اى طلب العفو ، والاستحلال عند المعجز عن رد المال والدية والقصاص (نفسا كان)
حق العبد (او مالا وعند المعجز) اى عدم القدرة على الاستعفاء (فتكثير الحسنات)
متعين (بحسب المظالم) اى مراتبها فى مقام السيئات ، وذلك بان يحسب مقدارها
من حيث الكثرة ومن حيث المدة ، ويحاسب نفسه على الحبات والذرات من اول
يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب يوم القيامة ، ويناقش نفسه قبل ان يناشئ .
وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى الفجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين ظلمهم ولا على
طلب ورائتهم ، ولكن على كل منهم ان يفكر منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق
الا ان يكثر من الحسنات حتى يقبض منه يوم القيامة فتؤخذ حسناته فتوضع فى موازين
ارباب المظالم ، ولكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تنف بها حسناته حمل
من سيئات ارباب المظالم على سيئاته فيهلك بسيئات غيره (وفى) اى والتدارك
فى (نحو الغيبة) وكذا التهمة (والسب) اى الشتم واللعن (والايذاء) باللسان او
بالاركان ، ومنه الزنا بحليلة المسلم او جارتها او بقرابته (فلا استعفاء) متعدين لعدم وجوب
المال وجواز القصاص فى امثالها (والذكر المفصل) بفتح الصاد او كسرهما بان يذكر الغيبة
وانحوها مهيئة معينة (الا ان يزداد التأذى) اى لصاحب الحق (بالاظهار فالمبهم) اى
فلا استعفاء للمبهم متعين (نحا ميا عن ذنب آخر) فان مثل هذا الاعتذار اشد من الذنب
عند اهل الاعتبار ولانه يصير سببا لعدم عفو الذنب الاول (والجبر) اى جبر نقصان
الاستعفاء للمبهم (بالحسنات) ولو كان حيا موجودا حاضرا (كما لو كان) صاحب
الحق (ميتا او غائبا) لم يمكن الاجتماع به (والمبالغة) اى حيثئذ (فى الاستعفاء)

بِالتَّلَافُفِ وَالتَّوَدُّدِ وَالْإِحْسَانِ فَإِنْ عَفَا وَالْأَفِيحَاسِبُ فِي مُقَابَلَتِهِ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ
وَيَتَّبِعُ الْحَسَنَةَ بِحَسَبِ السَّيِّئَةِ فَسَمَاعُ الْمَلَأَمِيِّ بِسَمَاعِ الْقُرْآنِ وَالْقَعُودُ فِي الْمَعْصِيَةِ
بِالْإِعْتِكَافِ وَشُرْبُ الْخَمْرِ بِالتَّصَدُّقِ بِشُرَابِ حَلَالٍ لِدَيْدِ الْقَتْلِ بِالْإِعْتِقَاقِ وَالْغِيْبَةُ بِالثَّنَاءِ
وَالْغَضَبُ بِالصَّدَقَةِ وَنَحْوِهَا

بالتلطف) في طريق المحو (والتودد) اى اظهار المحبة بالقيام والاكرام
(والاحسان) بالهدية والضيافة والانعام لا بالالراء والابرار فانه غير مفيد عند الله
(فان عفا) اى صاحب الحق ، وفي نسخة فان عفى اى عن المذنب بالاستعفاء فيها
(والافيحاسب) في القيامة بحسناته (في مقابله) اى مقابلة سيئاته كما قدمنا (فالكل
مأثور) وعن السلف مذكور .

والحاصل ان الانسان عبد الاحسان وكل من تفر قلبه بسيئة مال بحسنة فادأطاب
قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال عن فعله ، فان ابى الا اصرار فليكن
تلطفه واعتذاره اليه من جملة حسناته التى يمكن ان يجبر بها في القيامة جنايته وليكن
قدر سعيه في فرجه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في ابدائه حتى اذا قاوم أحدهما
الآخر اوزاد عليه اخذ ذلك عوضا منه يوم القيامة بحكم الله عليه كن اتلف في الدنيا ما لا يجاء
بمثله رامتنع من هوله عن القبول وعن الابرار فان الحاكم يحكم عليه بالقبض والابرار عنه
شاء ام ابى ، فكذلك يحكم الله في صعيد القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين (ويتبع)
وهو مرفوع وقيل منصوب ، اى وحق التوبة ان يتبع (الحسنة بحسب السيئة) اى بقدرها
كمية وكيفية (فسماع الملاهي) من انواع الاوتار المناهي يتبع (بسماع القرآن)
ومجالس الذكر الالهي (والقعود في المعصية) كقعود في المسجد جنبا (بالاعتكاف)
فيه مع الاشتغال بالعبادة ، وكذا مس الصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة
تقبيله ، وبان يكتب مصحفا ويجهله وقفا (وشرب الخمر بالتصدق بشراب حلال
لذيذ) اى حلو بارد (والقتل بالاعتاق) اى وقتل النفس عمدا او خطأ باعتاق
رقبة لان ذلك نوع احياء ، اذ العبد مفقود بنفسه موجود بسيده ، فالاعتاق ايجاد
لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايحاد (والغيبة) ونحوها من الايذاء
(بالثناء) على صاحب الحق او على اهل الدين والخير في الحضور والغيبة (والغضب
بالصدقة ونحوها) عطف على سماع الملاهي اى وكذا نحو المذكورات فعد جميع

فَوَرَدَ (أَنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) اتَّبَعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةُ تَمْحُوها وَيَسْتَغْفِرُ فَوَرَدَ
«مَا أَصْرَمَ مَنْ اسْتَغْفَرَ وَأَنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً» وَالسَّتْرَ أَحَبُّ وَلَوْ أَقْرَأَ قَامَةَ الْحَدِّ
فَلَا قَدْحَ فَوَرَدَ فِي مَا عَزَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ الْأُمَّةِ لَوْ سَعَتَهُمْ»
وَيُؤَكِّدُ الْعَزْمَ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ

الماضى غير ممكن فى العبادات ، والعاقل يكفيه بعض الاشارات ، والمقصود سلوك
طريق المضادة فان المرض يعالج بضده ، فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمصية فلا
يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها ، والمتضادات هى المتناسبات ، فكذا ينبغي
أن يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لىكى تضادها ، فان البياض يزال بالسواد
لابلحارارة والبرودة ، وهذا التدريج والتحقيق من التلطيف فى طريق المحو ، فالرجاء
فيه اصدق ، والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان
ذلك ايضا مؤثرا فى المحو ، هذا وسلوك طريق المضادة فى التكفير والمحو مشهود له
فى الشرع حيث كفر القتل باعتاق الرقبة (فورد) فى التنزيل (ان الحسنات)
اي جميع الطاعات (يذهبن السيئات) اي تمحوها (اتبع السيئة) اي وورد ؟
انق الله حيث كنت واتبع السيئة من باب الافعال اي اعقب السيئة (الحسنة تمحوها) رواه
الترمذى من حديث أبى ذر وصححه . ولليھقى فى الشعب من حديث معاذ « اذا عملت
سيئة فاتبها حسنة تكفرها ، السر بالسرو العلانية بالعلانية » (ويستغفر) اي وحق
التوبة ان يستغفر (فورد ما أصرم من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة) رواه
ابو داود والترمذى عن أبى بكر (والستر احب) اي من الاظهار فى حق الله (ولو اقر
لاقامة الحد) اي فى حقوق الله الخالصة (فلا قدح) اي لا ذم ولا منع لما تقدم
(فورد فى ما عزر رضى الله عنه) حيث اعترف بالزنى ورجم (لقد تاب توبة لو قسمت
بين الامم) وفى رواية بين الخلائق (لو سعتهم) اي لكفتهم وهو عبارة عن كثرة
ثوابها . والحديث رواه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب ، وكذا حديث الغامدية
واعترافها بالزنا ورجمها . وقوله عليه السلام : « لقد تاب توبة لو تابها صاحب ملأ
لغفرله » (ويؤكد العزم) اي وحق التوبة ان يشدد المزم ويقوى الجزم (على
ان لا يعود) بمثل الذنب الذى تاب منه ابدا ، قال بعضهم : من صدق فى ترك شهوة

وَيُخْلِصُ النَّيَّةَ فَمَنْ تَرَكَ لَذَهَابَ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ عَدَمَ اسْبَابٍ لَا يَكُونُ تَائِبًا ثُمَّ أَنْ
يَغْسِلَ الثِّيَابَ وَيَغْتَسِلَ وَيُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي مَوْضِعٍ خَالٍ وَيَضَعُ الْوَجْهَ عَلَى
الْأَرْضِ وَالتُّرَابِ وَلِلتَّذْكَرِ بَدْمَعَ حَارٍّ وَقَلْبَ حَزِينٍ وَصَوْتَ عَلَى وَيَذْكُرُ الذُّنُوبَ
وَاحِدًا وَاحِدًا وَيُلُومُ النَّفْسَ وَيُوبِخُهَا وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ وَيُحَمِّدُ اللَّهَ وَيُصَلِّيُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها . وقال آخر : من تاب من ذنب فاستقام
عليه سبع سنين لم يعد اليه ابداً (ويخلص النية) أى وحققها ان يصحح
النية ويخلص الطوية في ترك المعصية الجلية والخفية (فمن ترك) المعصية
(لذهاب مال) كما في القمار ونحوه (اوجاه) من سقط اعتباره عند الخلق
(او عدم اسباب) معينة له على المعصية (لا يكون تائبا) وقيل من العصمة
ألا تقدر (ثم) أى بعد ذلك حق التوبة على التائب (ان يغسل الثياب) التى عصى الله
فيها (ويغتسل) فان طهارة الظاهر عنوان طهارة الباطن ، وفي رواية ويتوضأ
واختيار الغسل اشعار بالتوبة عن الكل (ويصلى اربع ركعات) تزيها على
جهات اربع تشهد له يوم القيمة كما قال تعالى : (يومئذ نخبرها بان ربك
أوحى لها) (فى موضع خال) عن اشتغال وعن توهم الرياء والسمعة فى بال (ويضع
الوجه) أى وأن يضع جبينه (على الارض) تراضعا لله (والتراب) لزيادة
الخشوع عند رب الارباب (وللتذكر) أى اصله ومرجعه فى هذا الباب كما يشير اليه
قوله تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى) (بدمع حار) أى
مع بكاء فى الندامة فان دمع الندامة والخوف حار ودمع الفرح والسرور بارد ، ولذا
ورد قرءة عين وقرى عينا (وقلب حزين) على ما سبق له من المعصية (وصوت
على) أى رفيع فى البكاء ، والا فالدعاء والاذكار اولى ان تكون بالاخفاء (ويذكر
الذنوب) أى وان يتذكر ذنوبه (واحدا واحدا) جنسا وفردا (ويلوم النفس)
أى وأن يعيبها ويذمها (ويوبخها) أى يثربها ويقرعها (ويرفع يديه) الى
كتفيه او اذنيه حتى يرى يياض ابطينه مبالغة فى التضرع الى الله والالتجاء اليه
(ويحمد الله) على آلاء الله ونعمائه الظاهرة والباطنة عليه ويقول : الحمد لله على
كل حال ونعوذ بالله من حال اهل النار (ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم)

وَيَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلنَّاسِ، وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ . إِذَا أَتَبَعَ الذَّنْبُ بِعِزْمِ
التَّوْبَةِ وَخَوْفِ الْعِقَابِ وَرَجَاءِ الْعَفْوِ وَأَدَاءِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ وَالِاسْتِغْفَارِ سَبْعِينَ
مَرَّةً وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ مِائَةً مَرَّةً وَالتَّصَدُّقِ سِرًّا وَعِلَانِيَةً وَصَوْمِ يَوْمٍ فَالْعَفْوُ أَرْجَى

لانه شفيع المذنبين (ويدعو لنفسه) لقبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة (ولو والديه)
فيقول رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (وللأسلمين) فيقول (رب اغفر لي ولو الذي
وللهؤمنين يوم يقوم الحساب) ويكثر الاستغفار لاسما ما ورد عن سيد الأبرار نحو
قوله (رب ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي) وكذا يكثر من سيد الاستغفار
(وجاء في الأثر اذا اتبع الذنب بعزم التوبة) أي بالتوبة على وجه العزم والجزم
(وخوف العقاب) عند مناقشة الحساب (ورجاء العفو) من رب الأرباب (وأداء
ركعتين في المسجد) فانه افضل الاما كن واشرفها ، ويشهد له بما عرفه (والاستغفار
سبعين مرة) لما ورد في بعض طرق الاحاديث ولوزاد حتى صار مائة مرة فهو
افضل واكمل (والتسبيح والتحميد مائة مرة) أي كل واحد منهما او يقول
سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ، وينبغي ان يكون التكبير والتهايل كذلك
لتجتمع الباقيات الصالحات ، بل ويضم اليها لاحول ولا قوة الا بالله كذلك (والتصدق
سرا وعلانية) وكذا نهارا وليلا ليدخل في قوله تعالى (الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم) وليكون تصدقه مكفرا لجميع
انواع معاصيه من السيئات السرية والعلانية والليلية والنهارية (وصوم يوم) فانه
من جملة الحسنات المكفرات للسيئات (فالعفو) عن الذنب حينئذ (ارجى)
أي اكثر رجاء . وفي الاحياء ان في الآثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع
بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا ، اربعة من اعمال القلب وهي التوبة او العزم على
التوبة ، وحب الاقتلاع عن الذنوب ، وخوف العقاب عليها ، ورجاء المغفرة لها ، واربعة
من اعمال الجوارح وهي ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ، ثم يستغفر الله بهما
سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ، ثم يتصدق بصدقة ثم
يصوم يوما ، وفي بعض الاخبار يصلي ركعات . قال مخرجه : اثران من مكفرات
الذنب ان يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين ، رواه أصحاب السنن

وَالطَّرِيقُ ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِيهَا وَقُبْحُ الذَّنْبِ وَشِدَّةُ الْعُقُوبَةِ وَضَعْفُ النَّفْسِ عَنِ الْإِحْتِمَالِ

من حديث أبي بكر الصديق « ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطمور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له » هذا لفظ أبي داود وهو في الكبرى للنسائي مرفوعا وموقوفا . وحديث التكفير بصلاة اربع ركعات ذكره ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال : « كان رجل يهوى امرأة - الحديث - وفيه » فلما رآها جلس منها مجلس الرجل من امرأته وحرك ذكره فاذا هو مثل الهدبة فقام نادما فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له عليه السلام صلى اربع ركعات فانزل الله عز وجل (اقم الصلاة طرفي النهار) الآية « واسناده جيد » وفي هذا الحديث دلالة على ان توبة العنين ، صحيحة وفي الصحيحين « ان رجلا قال يا رسول الله اني عاجلت امرأة فاصبت منها كل شيء الا الميسيس فامض علي بحكم الله فقال عليه السلام او اصيلت معنا صلاة الغداة فقال بلى ، فقال عليه السلام ان الحسنات يذهبن السيئات » وهذا يدل على ان ما دون الزنى من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله عليه السلام « الصلوات الخمس كفارة لما بينهن الا الكبائر » كذا في الاحياء . وقال مخرجه حديث الرجل متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله او اصيلت معنا صلاة الغداة ورواه مسلم من حديث انس ، وفيه « هل حضرت معنا الصلاة قال نعم » ومن حديث أبي امامة وفيه « ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم » الحديث (والطريق) الموصل الى التوبة عشرة اشياء (ذكر ماورد فيها) أى من الكتاب والسنة في فضل التوبة لقوله تعالى (ان الله يحب التوابين) وكقوله عليه السلام « ليتمنين اقوام لو اكثروا من السيئات الذين يدل الله عز وجل سيئاتهم حسنات » رواه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة ، وهو مقتبس من قوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فلذلك يبدل الله سيئاتهم حسنات) (وقبح الذنب) فعن ابن مسعود : ينسى المرء بعض العلم بالمعصية ، وتلا آية (ففسوا حظا بما ذكروا به) ولانه مخالفة الرب وقد تجر الى الكفر كقصه ابليس اوله ذنب وآخره كفر ، وكذا قضية قاييل وبلعام بن باعوراء اوله شهوة وآخره شقوة (وشدة العقوبة) أى وذكر شدتها الناشئة عن غضب الله وسخطه الذي لا طاقة لاحد به (وضعف النفس عن الاحتمال) أى تحمل احوال يوم القيمة فقد قال تعالى (فما اصبرهم على النار) فان من لا يحتمل حر شمس ولطامة شرطى كيف يحتمل غدا حر نار

وَشَرَفَ الْآخِرَةَ وَخَسَّاسَةَ الدُّنْيَا وَقُرْبَ الْمَوْتِ وَلَذَّةَ الْمَعْرِفَةِ وَالْمُنَاجَاةَ ، وَخَوْفَ
الْأَمَلَاءِ بَعْدَ الْأَخْذِ الْحَالِيِّ وَالْإِسْتِدْرَاجِ بِالْإِحْسَانِ بَعْدَ الْإِرْتِكَابِ وَقَلْعَ أَسْبَابِهِ
وَهِيَ الْغُرُورُ وَحُبُّ الدُّنْيَا وَطُولُ الْأَمَلِ بِمَا فِي مَوْضِعِهَا ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ تَرَادُفَ
الْمَعَاصِي سَبَبُ تَرَاكُمِ ظَلَامِ الْقَلْبِ وَبِهِ يَحْصُلُ

جهنم ، وضرب مقامع الزبانية ، واسع حيات اعناقها كاعناق البخت ، وعقارب
كالبعال خلقت من النار في دار الغضب والبوار ، نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من
سخط الواحد القهار ﴿ وشرف الآخرة ﴾ أى وذكر شرفها فانها خير وابقى
﴿ وخساسة الدنيا ﴾ من سرعة فنائها وقلة بقاتها وكثرة عناثها وخسة شركائها
﴿ وقرب الموت ﴾ كما قال سيدنا ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه •
كل امرئ مصبح في اهله والموت ادنى من شرك نعله

﴿ ولذة المعرفة ﴾ فانها لا تتجمع المعصية فقد اجمع السلف على ان كل من نصي الله
فهو جاهل ﴿ والمناجاة ﴾ لانها تختص باهل العبادات والمناذاة ﴿ وخوف الاملاء ﴾
بالرفع عطف على ذكر ، أى وخوف الامهال ﴿ بعدم الاخذ الحالى ﴾ بتشديد الياء
نسبة الى الحال ضد الماضى والاستقبال ، فقال تعالى (اما نملى لهم ليزدادوا اثما)
﴿ والاستدراج ﴾ أى وخوف الاستدراج ﴿ بالاحسان ﴾ أى باحسان الرب ﴿ بعد
الارتكاب ﴾ أى ارتكاب الذنب وذلك بمزيد العطية وقت صدور الخطية ﴿ وقلم
اسبابه ﴾ عطف على ذكر ماورد ، أى وقطع اسباب الذنب ﴿ وهى ﴾ أى اسبابه ثلاثة
﴿ الغرور ﴾ قال تعالى (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور • فلا تفرنكم الحياة الدنيا)
وهو سكون النفس الى دليل فيه شك وشبهة كمن يذنب وتسكن نفسه الى ان الله تعالى
غفور ، فهذا امن وغرور ، بخلاف من يطيعه ويرجو ثوابه من اللقاء والحضور أو الجنة
والحور والفصور ﴿ وحب الدنيا ﴾ فانه رأس كل خطيئة كما ورد ﴿ وطول الامل ﴾
فانه مانع من العمل ومسوفه الى آخر الاجل ، فقلع اسبابه ﴿ بما فى موضعها ﴾ من
علاج هذه الاشياء بتمامها ﴿ والتحقيق ﴾ في وجوب التوبة عن كل معصية بلامهلة او في
قام الاسباب عليك ﴿ ان ترادف المعاصي ﴾ أى ترادفها وتتابعها باصرارها من غير
تخلل توبة في اثنائها ﴿ سبب تراكم ظلام القلب ﴾ أى تكاثف ظلماته ﴿ وبه يحصل

الرَّيْنُ وَالطَّبْعُ وَهُوَ دَاءٌ عَضَالٌ وَاخْتَلَفَ فِي صَحَّتْهَا عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ وَالْحَقُّ إِفَادَةُ
نُقْصَانِ الْعُقُوبَةِ لِأَنَّهَا بِحَسَبِ الذَّنْبِ دُونَ النِّجَاةِ لِأَنَّهَا بِتَرْكِ الْكُلِّ فَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا التَّرْكُ

الرَّيْنُ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (وَالطَّبْعُ) أَيْ الْخِطْمُ
فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ (إِنْ لَوْ تَشَاءُ لَأَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَنُفِمْ
لَا يَسْمَعُونَ) وَقَالَ مَجَاهِدٌ : الْقَابُ مِثْلُ الْكَفِّ الْمَفْتُوحَةِ طَبَا أَذْنِبَ ذُنُوبًا انْقَبَضَتْ أَصْبَعُ
حَتَّى تَنْقَبِضَ الْأَصَابِعُ كُلُّهَا فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ الْفِعْلُ فَذَلِكَ هُوَ الْقِفْلُ يَعْنِي فِيمَا قَالَ تَعَالَى
(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ) الْقُرْآنُ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) وَقَالَ بَعْضُ السَّالِفِ : لَيْسَتْ اللَّعْنَةُ
سِوَادًا فِي الْوَجْهِ إِنَّمَا اللَّعْنَةُ أَنْ لَا يُخْرَجَ مِنْ ذَنْبٍ الْأَوْقَدُ وَقَعَ فِي مِثْلِهِ أَوْ اشْرَمَنَهُ . وَقَالَ
أَبُو سَلِيمَانَ الدَّارَانِيُّ : لَا يَفُوتُ أَحَدًا صَلَاةُ جَمَاعَةِ الْأَذْنِبِ يَذْنِبُهُ وَفِي الْخَيْرِ « مَا أَنْكَرْتُمْ
مِنْ زَمَانِكُمْ فِيمَا تَرَكْتُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ » رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الزُّهْدِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ
(وَهُوَ) أَيْ تَرَادَفُهَا (دَاءٌ عَضَالٌ) أَيْ صَعَبٌ فِي غَايَةِ أَشْكَالٍ عَجَزَ عَنْهُ أَطْبَاءُ الْقُلُوبِ
الْآنَ يُرِيدُ دَوَاءَهُ عِلَامُ الْغُيُوبِ (وَاخْتَلَفَ فِي صَحَّتْهَا) أَيْ التَّوْبَةُ (عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ)
فِي الْأَحْيَاءِ : وَمِنْ مَهْمَاتِ التَّائِبِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا أَنْ يَتَعَلَّمَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ
وَمَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْكِنَهُ الْإِسْتِقَامَةُ ، ثُمَّ إِنَّ لَمْ يُوَثِّرِ الْعِزْلَةَ لَمْ تَنْتُمْ لَهُ الْإِسْتِقَامَةُ
الْمُطْلَقَةُ الْآنَ يَتُوبُ عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ ، كَالَّذِي يَتُوبُ عَنِ الشَّرْبِ وَالزُّنَى وَاللَّوَاطَةِ
وَالغُصْبِ مِثْلًا دُونَ غَيْرِهِ ؛ وَلَيْسَتْ هَذِهِ تَوْبَةً مُطْلَقَةً . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ : أَنَّ هَذِهِ
التَّوْبَةَ لَا تَصَحُّ ، وَقَالَ قَائِلُونَ تَصَحُّ وَلَكِنْ لَفْظُ الصَّحَّةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ يَجْمَلُ (وَالْحَقُّ)
أَيْ الَّذِي لَا يَحْيِصُ عَنْهُ أَنْ فِي التَّوْبَةِ عَنْ بَعْضِ الْمَعَاصِي (إِفَادَةُ نُقْصَانِ الْعُقُوبَةِ لِأَنَّهَا)
أَيْ الْعُقُوبَةُ (بِحَسَبِ الذَّنْبِ) كَثْرَةُ وَقَلَّةُ (دُونَ النِّجَاةِ) أَيْ دُونَ إِفَادَةِ النِّجَاةِ
مِنَ النَّارِ (لِأَنَّهَا) أَيْ النِّجَاةُ إِنَّمَا تَحْصُلُ (بِتَرْكِ الْكُلِّ) أَيْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي وَتَوْضِيحُهُ
أَنْ يُقَالَ لِمَنْ قَالَ لَا تَصَحُّ أَنْ عَنَيْتُ بِهِ أَنْ تَرَكَ بَعْضَ الذُّنُوبِ لَا يَفِيدُ أَصْلًا بَلْ وَجُودُهُ
كَعَدَمِهِ فَمَا عَظُمَ خَطَاؤُكَ ، فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ كَثْرَةَ الذُّنُوبِ سَبَبٌ لِكَثْرَةِ الْعِقَابِ وَقِلَّتُهَا سَبَبٌ
لِقِلَّتِهِ . وَيُقَالُ لِمَنْ قَالَ تَصَحُّ أَنْ أَرَدْتُ بِهِ أَنَّ التَّوْبَةَ عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ تَوْجِبُ قَبُولَهَا
يُوصَلُ إِلَى النِّجَاةِ أَوْ الْفَوْزِ فَهَذَا أَيْضًا خَطَأٌ بَلْ النِّجَاةُ وَالْفَوْزُ بِتَرْكِ الْجَمِيعِ هَذَا حَكْمُ
الظَّاهِرِ فَلَسْنَا نَتَكَلَّمُ فِي خَفَايَا أَسْرَارِ عَفْوِ اللَّهِ فَهُوَ أَعْلَمُ بِالسَّرَائِرِ (فَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا التَّرْكُ)
أَيْ لَيْسَ مُرَادُ الْقَائِلِ الْأَوَّلِ بِعَدَمِ الصَّحَّةِ عَنِ الْبَعْضِ الْإِتْرَاكِ بَعْضِ الذَّنْبِ وَهُوَ شَرْبُ الْخَمْرِ

لَكُونَهُ ذَنْبًا لَا بَعِيْنَهُ وَهُوَ مُشْتَرِكٌ فِيهِ فَكَيْفَ تَتَصَوَّرُ عَنْ الْبَعْضِ قُلْتَ بِحُجُوزِ التَّرْكِ
لَكُونَهُ أَخْشَ وَالْعِقَابُ عَلَيْهِ أَصْعَبُ أَوْ التَّدَارُكُ أَشَقُّ أَوْ مِيلُ النَّفْسِ إِلَيْهِ أَقْلُّ

مثلاً (لكونه) أى ذلك البعض الذى تاب منه وهو الشرب (ذنباً لا بعينه) أى لا لكونه شرب الخمر بذاته (وهو) أى كونه ذنباً أو علة تركه (مشارك فيه) أى يشترك فى هذا المعنى جميع الذنوب شامل بين جميع المعاصى ، لأن من ترك الخمر لكونها معصية وتوقعه فى عقوبة وجب عليه أن يترك سائر المعاصى لكونها معصية وتوقعه فى العقوبة (فكيف تصور) التوبة (عن البعض) دون البعض ، فإذا ثبت أنها لا تصح عن البعض بهذا المعنى فوجب أن يتوب عن الجميع دون البعض (قلت) التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو إما أن تكون من الكبائر دون الصغائر أو بالعكس أو عن كبيرة دون كبيرة أما الأول فانه ممكن ويقال (بحجوز الترك) لبعض الذنوب (لكونه) أى ذلك البعض (أفحش) أى اغلظ وأعظم وأجلب لخطأ الله وغضبه (والعقاب عليه أصعب) أى أشد وأقوى وأبقى ، والصغيرة أقرب إلى طرق العفو إليه فلا يستحل ترك الكبيرة بهذه العلة ومثاله كمثل عبد يترك ضرب ولد السيد لعظم العقوبة ويضرب دابته لظن أن السيد ربما يسامحه فى ذلك ، وكالمريض يحذر الطيب عن أكل الحلو تحذيراً شديداً فيتوب المريض عن العسل دون السكر. وأما الثالث وهو أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضاً ممكن لا اعتقاده أن بعض الكبائر أشد عند الله من بعض كن ترك شرب الخمر مثلاً لكونه مفتاح الشر ، ولأنه إذا زال عقله ارتكب سائر المعاصى فيجتنبها دون الزنا (أو التدارك) أو يكون تدارك ذلك البعض (أشق) أى اتعب كالذى يترك القتل أو النهب ومظالم العباد لعله أن التدارك فيه أصعب ، ولأن ديوان العباد لا يترك يوم المعاد ، ويرتكب ما بينه وبين الله كترك الصلاة فانه يتسارع العفو إليه وأما الثانى وهو أن يتوب عن الصغائر وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة وهذا أيضاً ممكن كالذى يترك الغيبة أو النظر إلى غير المحرم وما يجرى مجراه وهو مصر على شرب الخمر لأن ميل النفس إليها أكثر (أو ميل النفس إليه) أى إلى ما ترك من الصغائر (أقل) فيكون تركه أهون وأسهل. ووجه امكان ذلك انه ما من مؤمن الا وهو خائف على المعاصى نادم على فعله ندماً ضعيفاً أو قوياً ، ولكن ميل نفسه فى تلك المعصية اقوى من الم قلبه فى الخوف منها لاسباب توجب الخوف من الجهل والغفلة ، راسباب توجب

هَذَا وَلَمْ يَشْتَرِطِ الْكُلَّ فِيهَا وَفِي صَحَّتْهَا عَنْ الْعَاجِزِ كَالْعَنِينِ عَمَّا زَنَى قَبْلَ
 الْعَنَةِ وَالْأَقْرَبُ الْعَدَمُ لَا مَتَاعَ التَّوَكُّلِ فِي غَيْرِ الْمَقْدُورِ لَكِنْ لَوْ تَنَدَّمَ وَتَأَلَّمَ الْقَلْبُ
 بِحَيْثُ لَوْ فُرِضَتْ الشَّهْوَةُ لَقَهَرَهَا فَالرَّجَاءُ الْقَبُولُ عَلَى حَسَبِ إِطْلَاعِهِ تَعَالَى
 عَلَى الضَّمَامِ

قوة الشهوة ، فيكون الخوف موجودا لكن لا يحمل على ترك الذنب ، فان سلم من شهوة
 هي اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف منه ، فهو أى ذلك الخوف الضعيف ملك
 الشهوة التي هي اضعف منه ودفعها ، وان لم يسلم من شهوة هي اقوى منه كشرب الخمر
 لم يقدر على الدفع ، فثاله كمثل رجل له عدو ان احدهما ضعيف والآخر قوى ، فاذا
 واجه الضعيف غالب عليه واذا واجه القوى صرعه القوى ، ولان التوبة على حسب
 المعصية ، وتوبة ذنب لا تتوقف على توبة ذنب آخر ، وهذا لان توبة ذنب احسان
 في العبودية. وتوبة ذنب آخر احسان آخر ، وصحة احسان لا تتوقف على صحة احسان آخر
 (هذا) هو التحقيق ، وأخذ هذا على طريق التوفيق (ولم يشترط الكل) أى لم يشترط
 التوبة عن جميع المعاصي (فيما ورد) من الكتاب والسنة في التوبة كقوله تعالى (ان الله
 يحب التوابين) حيث لم يقل عن جميع الذنوب ، و كقوله عاياه السلام « التائب من
 الذنب لمن لا ذنب له » ولم يقل عن جميع الذنوب وقوله : « الندم توبة » ولم يقل عن
 جميع المعاصي ، وايضا يقاس على الطاعات من نحو الصوم والصلاة والزكاة حيث
 لا تتوقف صحة طاعة على وجود اخرى اجماعا (وفي صحتها) أى وكذا اختلف في صحة
 التوبة (عن العاجز) الذى لم يقدر على المعصية (كالعينين) بوزن ساكنين وهو من
 لم يقدر على الجماع (عمّا زنى) أى كتوبته عمّا قارف (قبل العنة) أى حدوثها (والاقرب
 أى القول الاقرب الى الصحة او الصواب) (العدم) أى عدم صحتها (لا متاع التترك
 في غير المقدور) لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على التترك فيما يقدر على فعله ،
 وأما ما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه (لكن) قد يقال (لوتندم)
 العنين (وتألم القلب) بالزنى (بحيث لو فرضت الشهوة) أى قدرت شهوة الزنى
 (لقهرها) أى لغلها وتركها (فالرجاء) أى المأمول من كرمه سبحانه (القبول)
 أى قبول توبته (على حسب اطلاعه تعالى على الضمائر) أى على ما يخفى على غيره من

كَأَلَوْ تَابَ قَبْلَ طَرِيَانِ الْعُنَّةِ وَمَاتَ قَبْلَ هِجَانِ الشَّهْوَةِ وَتَيَسَّرَ سَبَابُ قَضَائِهَا وَفِي
 «أَنَّ الْأَفْضَلَ مَنْ يُجَاهِدُ شَهْوَتَهُ أَوْ مَنْ انْقَطَعَتْ شَهْوَتُهُ» وَالْحَقُّ أَنَّ الثَّانِيَّ أَسْلَمَ مُطْلَقًا
 وَأَفْضَلُ أَنْ كَانَ انْقِطَاعُهَا لِقُوَّةِ الْيَقِينِ وَسَبَقَ الْمُجَاهِدَةُ فَالْمُظْفَرُ أَوَّلِي مِنَ الْمُجَاهِدِ وَأَنْ
 كَانَ لَضَعْفِهَا فِي نَفْسِهَا فَالْأَوَّلُ أَفْضَلُ لِأَنَّ التَّرْكَ بِالْمُجَاهِدَةِ مِنْ قُوَّةِ الْيَقِينِ وَاسْتِيلَاءِ الدِّينِ

السراير (كألو تاب) العنين عن الزنى (قبل طريان العنة) أي حدونها (ومات قبل هيجان
 الشهوة) أي شهوة الزنى أو الجماع (وتيسر أسباب قضائها) أي قضاء الشهوة ومباشرتها
 لكان من اثنتين اتفاقاً فمد طريان العنة لو تدم بما تقدم لكان من الثنتين أيضاً حيث لا فرق
 بينهما (وفي) أي واختاف أيضاً (أن الأفضل من يجاهد شهوته) ويمنع معصيته
 (أو من انقطعت شهوته) وسكنت نفسه عن الميل إلى المعصية ، فقال أحمد بن أبي الحواري
 وأصحاب أبي سليمان الداراني: أن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل المجاهدة ويؤيده
 ما أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن مجاهد أنه قال كتب إلى عمر يا أمير المؤمنين رجل
 لا يشتبه المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتبه المعصية ولا يعمل بها؟ فكتب
 عمر أن الذين يشتبهون المعصية ولا يعملون بها أولئك الذين امتحن الله قلوبهم
 للتقوى لهم مغفرة وأجر كبير ويقويه أن جنس البشر أفضل من جنس الملك لما
 تقدم والله أعلم وقال علماء البصرة ذلك الأجر أفضل لأنه لو فتر في قربته كان أقرب
 إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عرصة القصور عن المجاهدة (والحق أن الثاني أسلم
 مطلقاً) سواء كان انقطاع شهوته من المجاهدة أو ضعف البنية (وأفضل) أي
 الثاني مقيداً بقيد وهو أنه (أن كان انقطاعها) أي الشهوة (لقوة اليقين) في مقام
 المشاهدة (وسبق المجاهدة) مع النفس في دفع الشهوة على سبيل المعصية (فالْمُظْفَرُ)
 أي المنصور على العدو (أولى من المجاهد) المشغول في صف القتال ولا يدري كيف
 يسلم في الاستقبال (وان كان) انقطاعها (لضعفها) أي لفتور الشهوة (في نفسها)
 أي في أصل خلقتها (فالأول) وهو الذي يجاهد شهوته (أفضل) (لأن الترك بالمجاهدة
 من قوة اليقين واستيلاء الدين) وأقد زل في هذا البحث فريق فظنوا أن الجهاد هو
 المقصود الأقصى ، ولم يعلموا أن ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق وعلاقتها
 الشاغلة عن المولى، وظن الآخرون أن قمع الشهوات وإماطتها بالكلية مقصود بالذات

وَفِي نَفْعِ الْاِسْتِغْفَارِ مَعَ الْاَصْرَارِ وَالْحَقُّ النَّفْعُ لِمَا سَبَقَ وَكَوْنُهُ حَسَنَةً تَصْلَحُ لِلتَّكْفِيرِ
وَعَدَمُ ضَيَاعِ الْاَجْرِ فَوَرَدَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَأَنَّ تَكَّ حَسَنَةً يَضَاعِفُهَا
وَمَا وَرَدَ أَنَّ الْمُسْتَغْفِرَ بِلِسَانِهِ الْمُصَرَّ عَلَى ذَنْبِهِ كَالْمُسْتَهْزِئِ بِرَبِّهِ مَحْمُولٌ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْعَادَةِ
مِنَ الْغَفْلَةِ دُونَ الْاِبْتِهَالِ وَالصَّدَقِ فِي السُّؤَالِ

حتى جرب بعضهم ذلك ففجز عنه، فقال : هذا محال وكذب بالشرع وسلك سبيل
الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات ، وكل ذلك جهالة وضلالات (وفي) أى وكذا
اختلف في (نفع الاستغفار) باللسان (مع الاصرار) على الذنوب السكبار أو الصغار
(والحق النفع) لثلاثة أوجه (لما سبق) من الاخبار في فضل الاستغفار من غير قيد
بعدم الاصرار (وكونه) أى ولكون الاستغفار باللسان (حسنة تصالح للتكفير) أى
لتكفير العصيان (وعدم ضياع الأجر) أى ولعدم ضياع أجر عامل عبده سبحانه
(فورد) في التنزيل (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) (ولا يضيع أجر من أحسن عملا)
(وان تك حسنة يضاعفها) تماما (ويؤت من لدنه أجرا عظيما) وقال : (فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره) (وما ورد) مبتدأ أى وما جاء في حديث (ان المستغفر بلسانه
المصر على ذنبه) أى بجنانه (كالمستهزئ بربه) وفي الاحياء بلفظ « المستغفر من الذنب
وهو مصر كالمستهزئ بآيات الله » قال مخرجه : هو حديث ابن عباس عند ابن الدنيا
ومن طريق البيهقي في الشعب ولفظه « المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ
بربه » (محمول عليه) خبر المبتدأ أى حمله العلماء على الاستغفار (بحكم العادة من
الغفلة) عن الارادة (دون الابتهاال) أى التضرع في الحال (والصدق في السؤال) أى
سؤال المغفرة في الاستقبال ، فهذا حسنة تصالح ان تدفع بها السيئة . وكذا ما نقل عن
بعضهم انه كان يقول : استغفر الله من قولي استغفر الله ، وقيل الاستغفار باللسان توبة
الكذابين ، وهو محمول على الاستغفار بمجرد القول من غير أن يكون للقلب فيه شركة العمل .
وقالت رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير ، فلا تظن انها تذم حركة
اللسان من حيث انه ذكر الله بل تذم غفلة القلب ، فهو يحتاج الى استغفار من غفلة جنانه
لامن حركة لسانه ، فان من سكنت عن الاستغفار باللسان أيضا يحتاج الى استغفار من
لالى استغفار واحد : فهكذا ينبغي ان يفهم حمدا يحمده وذنم ما يذمه ، والاجتهات معنى

قول القائل الصادق : حسنات الابرار سيئات المقربين ، فان هذه امور ثبتت بالاضافة فلا ينبغي ان تؤخذ من غير اضافة ، بل ينبغي ان لا يستحق ذرات الطاعات والسيئات . ولذا قال الامام جعفر الصادق : ان الله تعالى خبأ ثلاثاً في ثلاث : رضاه في طاعته ، فلا تحقروا منها شيئاً فاعل رضاه فيه ، وسخطه في معاصيه ، فلا تحقروا منها شيئاً فاعل غضبه فيه ، وخبأ وليه في عباده فلا تحقروا من عباد الله احداً فاعلمه ولي الله . وزادوا وخبأ اجابته في دعائه واسمائيه ، فلا تتركوا شيئاً منهما فربما كانت الاجابة فيه . وقال سهل : لا بد للعبد في كل حال من مولاة . فاحسن احواله ان يرجع اليه في كل شئ مما قدره وقضاه ، فان عصاه قال يارب استر علي ، فاذا فرغ من المعصية قال يارب تب علي فاذا تاب قال يارب ارزقني العصمة ، واذا عمل الطاعة قال يارب تقبل مني . وسئل أيضاً عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال : اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة ، فالاستجابة اعمال الجوارح ، والانابة اعمال القلوب ، والتوبة اقباله على مولاة بان يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه ومن الجمل بالنعمة وترك الشكر ، فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ، ثم التنقل الى الافراد ، ثم الثبات ، ثم البيان ، ثم القرب ، ثم المعرفة ، ثم المناجاة ، ثم المصافاة ، ثم الموالاتة ، ثم محادثة السرو وهو الخلعة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غداً والذكر قوامه والرضاء زاده والتوكل صاحبه ، ثم ينظر الله اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش ، وسئل عن معنى قوله عليه السلام « التائب حبيب الله » فقال : انما يكون حبيب الله اذا كان فيه جميع ما ذكره الله في قوله تعالى (التائبون العابدون) الآية . وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه . وفي الاحياء : فايك ان تستحق ذرات الطاعات فلا تأتيتها وذرات المعاصي فلا تتقيها كالمرأة الحرقاء تكسل عن الغزل تعلم بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد ، فتقول وأي غنى يحصل في خيط واحد ؟ وما وقع ذلك في الثياب ؟ ولا تدري المعتزمة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطاً خيطاً ، وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة ، فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيم عند الله اصلاً ، بل اقول : الاستغفار باللسان ايضاً حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الحالة بغيبة او فضول كلام ، بل هو خير من السكوت عنه ، فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه ، وانما يكون نقصاناً بالاضافة الى عمل القلب ، ولذا قال بعضهم لشيخه أبي عثمان المغربي : ان لسانى في بعض الاحوال يجرى بالذكر والقرآن وقلبي غافل ، فقال اشكر الله اذا استعمل جارحة من جوارحك في خير وعورده الذكر ، ولم يستعمله في الشر ولم يعورده الفضول .

وَفِي نِسْيَانِ الذَّنْبِ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَهُوَ الْأَوَّلَى لِلْمُبْتَدِءِ تَحَامِيًا عَنْ تَحْرِيكِ الْمِيلِ
وَمَارُوِيٍّ مِنْ كَثْرَةِ نُوحِ الْمُتَنَهِّينَ وَبُكَائِهِمْ فَلَا يُقَاسُ الْمَلَائِكَةُ بِالْحَدَّادِينَ وَأَفْضَلُ
التَّائِبِينَ الْمُسْتَقِيمُ إِلَى الْمَوْتِ مُبَالِغًا فِي اجْتِنَابِ غَيْرِ الزَّلَّاتِ فَهُوَ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ

انتهى . فإياك أن تلمح في الطاعات مجرد الآفات فتعثر رغبتك في العبادات ، فهذه
مكيدة روجها الشيطان بلعبه على المغرورين ، وخيل إليهم أنهم أرباب البصائر واهل
النقطن في الحبايا والسرائر ، نأى خير فذكر اللسان مع غفلة الجنان والله المستعان (وفي)
أى وكذا اختلف في (نسيان الذنب) وذكره (بعد التوبة) أيها أولى ، وإنما قيد
بما بعد التوبة فإن النسيان قبلها مذموم اجماعا قال تعالى : (ونسى ما قدمت يداه) فقال
قوم حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك ، وقال آخرون حقيقة التوبة أن تنسى
ذنبك (وهو) أى نسيان الذنب (الأولى للمبتدئ تحاميا عن تحريك الميل) أى
احتراسا عن تحريك ميل قلبه الى المعصية الناشئة عن الشهوة عند ذكرها ولأن المذنب
إذا نسيه لم يذكر احتراقه ، ولا تقوى ارادته وانبعثاته لسلوك الطريق لأن ذلك يستخرج
منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله ، فهو بالاضافة الى الغافل ثمال ، ولكنه
بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق (وماروى)
مبتدأ أى وما نقل (من كثرة نوح المنتهين) من الانبياء والمرسلين والاولياء
والصالحين (وبكائهم) حال لثرة دعائهم والخير (فلا يقاس) فى سلوك طريق
الدين (الملائكة بالحدادين) فان صدور البكاء واطهار الذنوب بالاستغفار والدعاء
انما كان لتعظيم امتهم حتى لا يغفلوا عن حال الجفاء وقت الوفاء . هذا وقد اخرج ابن
المبارك وابن أبى حاتم عن المقبرى ان عيسى بن مريم كان يقول : يا ابن آدم اذا عملت
حسنة فانه عنها فانها عند من لا يضيعها ، واذا عملت سيئة فاجعلها نصب عينيك (وافضل
التائبين المستقيم) على اكتساب الطاعات واجتناب السيئات (الى الموت) أى
انقضاء الحيا من غير نقصان القوت (مبالغا فى اجتناب غير الزلات) التى لا ينفك
البشر عنها فى الحالات بحسب العادات من المعاصى المنهيات ، وانما المبالغة مطلوبة
فى جانب المحظورات لما ورد : اذا امرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم
عن شئ فاجتنبوه « (فهو) أى المستقيم (سابق بالخيرات) ومسارع الى المبرات

وَالنَّفْسُ مُطْمَئِنَّةٌ وَيزدادُ الْفَضْلُ بِطُولِ الْعُمُرِ وَالْمُجَاهِدَةِ فَوَرَدَ «أَفْضَلُ السَّادَاتِ طُولُ الْعُمُرِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ» وَالسَّلَامَةُ بِقُرْبِ الْمَوْتِ ثُمَّ الْمَعَاوِدُ فِي بَعْضِ الذَّنْبِ الْمَجْدِدِ لِلتَّوْبَةِ مُبَالِغًا وَهُوَ الْمَفْتَنُ التَّوَابُ وَالنَّفْسُ لَوَامَةٌ

مستبدل لسيئاته بالحسنات . وفي الكلام إيماء الى قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) ﴿ والنفس ﴾ أى نفس هذا النائب الموصوف بهذه الصفات ﴿ طمئنة ﴾ راضية مرضية في رياض التوبة ، واهل هذه الرتبة يتفاوت حالهم في القوة ، فمنهم من سكنت شهوته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك ضراعتها ، ومنهم من لا ينفك عن منازعة النفس ومنعها والآن تغلب بالمجاهدة وردعها . ومنهم من يقل مدة النزاع ومنهم من يكثر . ومنهم من يطول عمره ويطول اجتهاده في أمره ، وتكثر حسناته وتستمر استقامته . ومنهم من يقصره عمره فيظفر بالسلامة عن مرارة امره وعن فتوره في الطاعات وقصوره ، وهذا معنى قوله ﴿ ويزداد الفضل ﴾ أى فضل النائب ﴿ بطول العمر ﴾ أى ان طال عمره في مكابدة الطاعة ﴿ والمجاهدة ﴾ مع النفس في العبادة ﴿ فورد افضل السعادات طول العمر في طاعة الله ﴾ أى في العبادات ، والحديث لم يعرفه . وقد ورد طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ، رواه الطبراني وأبو نعيم عن عبد الله بن بسر ﴿ والسلامة ﴾ عطف على الفضل ، أى وتحصل زيادة السلامة عن الوقوع في المعصية والملامة ﴿ بقرب الموت ﴾ وقصر العمر وتتمام الامر ونقصان الاجر وقد طلب بعض الاطباء طول العمر رجاء كثرة العبادة ، وبعضهم الموت خلاصا من الفتنة ، والتسليم اسلم ، ففي الدعاء المأثور اللهم احينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفى اذا كانت الوفاة خيرا لى واجعل الموت راحة لى من كل شر واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ﴿ ثم المعاوِد ﴾ عطف على المستقيم أى ثم الافضل المعاوِد ﴿ فى بعض الذنوب المجدد للتوبة ﴾ رجوعا الى الرب ﴿ مبالغا ﴾ في تجديد التوبة (وهو) أى آثير الابتلاء بالمعصية والتوبة ﴿ المفتن التواب ﴾ أى كثير التوبة والرجعة وعند البيهقي عن علي مرفوعا خياركم كل مفتن تواب ، ﴿ والنفس ﴾ أى نفس هذا النائب المعاوِد فى بعض الذنوب ﴿ لوامة ﴾ تلوم صاحبها بعد المعصية وترجع الى الطاعة التى فيها سلامة وهو المقتصد وهذه أيضا رتبة عالية وان كانت عن الطبقة الاولى ناقصة نازلة فهي أغلب احوال التائبين لان الشر

ثُمَّ النَّابِ عَنِ الْبَعْضِ الْمُسَوِّفِ فِي الْآخِرِ الْمُتَدَمِّمِ بَعْدَ الْارْتِكَابِ الْقَاصِدُ لِلتَّوْبَةِ
فَهُوَ الْمُخَاطُ وَالنَّفْسُ مُسَوَّلَةٌ وَهُوَ عَلَى الْخَطَرِ فِي الْخَاتِمَةِ فَإِنْ مَاتَ تَابًا فَازَ وَالْآ
فَقَى مَشِيئَةَ اللَّهِ تَعَالَى بِخِلَافِ الْأَوَّلِينَ فَهُمَا فَائِزَانِ، وَأَمَّا الْمُرْتَكِبُ الْمُصِرُّ النَّاسِي
لِلتَّوْبَةِ وَعَزَمَهَا فَهُوَ الْغَافِلُ

معجون في طينة البشر، وإنما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتى يشغل ميزانه فترجع
كفة الحسنات. وأما أن تخلو عنه بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية العبد من حيث
العادات، فهو لاء مع هذا الابتلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال سبحانه (الذين
يحتسبون كبار الأثم والفواحش إلا اللهم) أي الصغائر (إن ربك واسع المغفرة)
وفي الخبر:

ان تغفر اللهم فاعفر جما وأي عبد لك لا الما

وقد قال عز وعلا في مقام المدح والثناء (والذين إذا فعلوا فاحشة وظلموا انفسهم
ذكروا الله) الآية، فإني عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم وتحسروهم (ثم التائب)
عطف على المعاوذ والمستقيم أي الأفضل بعدهما التائب (عن البعض) أي بعض
الذنوب (المسوف) أي المؤخر بالتوبة (في الآخر) أي في البعض الآخر من
الذنوب (المتدم) أي مظهر الندامة (بعد الارتكاب) أي اكتساب المعصية
(القاصد) أي التاوي (للتوبة فهو المخاط) الداخل فيمن قال الله في حقه
(وآخرون اعترفوا بذنوبهم خاطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب
عليهم) وهو ظالم لنفسه (والنفس) أي نفس هذا الغافل (مسولة) أي
مزينة للمعصية ومسهلة لتأخير التوبة رفق قال تعالى (أولئك هم الغافلون لا جرم
انهم في الآخرة هم الخاسرون) فالحسارة مترتبة على الغفلة (وهو على الخطر
في الخاتمة فإن مات تائبًا فاز) بالجنة وظفر بالمثوبة (والا) أي وإن لم يتوب ومات (ففي
مشيئة الله تعالى) أن شاء عفا عنه باطه وكرمه وإن شاء عذبه بقدر ذنبه (بخلاف
الأولين) أي صاحب النفس المطمئنة وصاحب النفس اللوامة (فهما فائزان) بالجنة
والسلامة في العاقبة (وأما المرتكب) للمعصية (المصر) عليها من غير التوبة (الناسي
للتوبة) أي التارك لها نفسها (وعزمها) أي والعزم عليها (فهو) الذي اسمه (الغافل)

وَالنَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ يُخَشَى عَلَيْهِ سُوءُ الْخَاتِمَةِ وَيَجُوزُ شُمُولُ الْعَفْوِ إِيَّاهُ كَنَبِيلِ
الْكَنْزِ بِلَا طَلَبٍ لَكِنَّ التَّوَقُّعَ حَاقَّةٌ فَرَدَدَ (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)

عن حكم ربه الجاهل عما خلق لاجله فقد ورد من حديث ابن عمر عند الديلمي
« ان الله ملكا ينادى في كل يوم وليلة ابناء الاربعين زرع قد دنا حصاده، الحديث وفيه
« ليت الخلاق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا عدوا لما ذاخلقوا افتجاسوا بينهم فيتذاكروا،
الحديث (والنفس) أى نفسه (امارة) أى كثيرة الامر (بالسوء) أى بالمعصية
(يخشى عليه سوء الخاتمة) من الموت على الفسق والكفر هناك نعوذ بالله من ذلك
(ويجوز شمول العفو) من الله (ايه) أى الغافل ولكنه نادر لا يقع فى الاغلب
بلا سبب (كنيل الكنز) أى كوصوله للكنز (بلا طلب) ولكن يحصل له العلم اللدنى
بمجرد الجذب الالهى (لكن التوقع) للعفو مع الاصرار على المعصية وعدم اتيان
الطاعة (حاقة) أى غرور وجهالة (فورد) فى التزليل (وان ليس للانسان
الا ما سعى) وفق ما قدره الله له وقضى، فلا بد من فعل الطاعة وترك المعصية
او الرجوع عنها بالتوبة، والا فعاقبة خطيرة، فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره
فى المشيئة، فان تداركه الله بالرحمة وابتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين،
وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى عليه ان يحق عليه فى الخاتمة ما سبق عليه
من القول الاول فى قضاء الازل، لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن
شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له فى الازل ان يكون من الجاهلين، فيضعف
الرجاء فى حقه من ذلك الحين، واذا تيسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على
انه سبق له فى الازل ان يكون من جملة العالمين، فكذا ارتباط سعادات الآخرة ودرجاتها
بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب، كارتباط المرض والصحة بتناول
الاغذية والدوية، وارتباط حصول الفقه النفس الذى تستحق به المناصب العلمية فى الدنيا
بترك الكسل فى طلب المراتب العليا والمواظبة على طلب العلم، فكما لا يصالح لمنصب
الرياسة والتقدم بالعلم فى مقام السياسة النفس صارت فقيمة بطول النفقة، فلا يصالح
ملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الاقلب سليم صار طاهرا بطول
التزكية والتطهير، هكذا سبق فى الازل بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب قال
تعالى (ونفس وما سواها فاهلها فخرها وتقواها قد افلح من زكاهما وقد خاب

وَلَا يَتْرُكُهَا خَرَفَ الْعُودِ لَجَوازِ الْمَوْتِ قَبْلَهُ وَغُفْرَانِ السَّالِفَةِ فَوَرَدَ «خِيَارُكُمْ
 الْمُفْتَتِنُ التَّوَّابُ» أَي كَثِيرُ الْإِبْتِلَاءِ بِالذَّنْبِ وَكَثِيرُ التَّوْبَةِ مِنْهُ وَسَبَبُ الْإِسْتِقَامَةِ
 الرِّيَاضَةُ وَالْمُرَابَطَةُ فَوَرَدَ . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا

من دساها) فالخافة من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس خاتمة ما قبله ، اذ يمكن أن يكون
 الموت متصلا به فليراقب الانفاس والواقع في المحذور ودامت الحسرة الى ان يخرج
 من دار الغرور فلناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا العاملون
 والعالمون كلهم محرومون الا المخلصون . والمخلصون كلهم على خطر عظيم ﴿ ولا
 يتركها ﴾ أي التوبة ﴿ لخوف العود ﴾ أي لخافة الرجعة الى المعصية ﴿ لجواز الموت
 قبله ﴾ أي قبل عوده الى ذنبه ﴿ وغفر ان السالفة ﴾ أي السابقة ان عاد الى ذنبه ولم يتب
 الى ربه . وهذا الترتيب من خدوع الشيطان . فانه من اين له هذا العلم ، فعسى أن يموت
 تائباعن الذنب ويصير حبيبا للرب مع أن الخوف من العود لا ضرر فيه بل فيه منفعة ، فعلى
 العبد العزم والصدق في الجزم ، وعلى الله الاتمام من باب الفضل والاكرم ، فان اتم
 فهو المطلوب الاعلى ، وان لم يتم فقد غفرت ذنوبه السالفة كلها فهذا هو الرجح العظيم
 والفائدة الكبرى ، فالعبد من التوبة ابدأ بين احدي الحسينين ﴿ فورد ﴾ عن علي مرفوعا
 ﴿ خياركم المفتتن ﴾ بصيغة المجهول . وفي رواية المفتتن بالادغام ﴿ التواب ﴾ رواه
 البيهقي في شعبه ﴿ أي كثير الابتلاء بالذنب وكثير التوبة منه ﴾ أي طاعة الرب وفي خبر
 آخر المؤمن كالسنبلة تقوم احيانا وتميل احيانا ، رواه أبو يعلى وابن حبان من حديث
 انس . والبيهقي والطبراني من حديث ابن عباس باسناد حسنة ولا بد للمؤمن من ذنب يأتيه
 القية بعد القية ﴾ أي الحين بعد الحين . فالفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات
 السعادات بما يتفق لهم من العثرات ومقارفة السيئات الختطفات ، فللمؤمن مذي والحالم وصححه
 من حديث انس وكل بني آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون ، وللطبراني والبيهقي
 من حديث جابر المؤمن زواه رافع فسيدهم من مات على رقعته أي واه بالمعصية والملامة
 رافع بالتوبة والندامة ﴿ وسبب الاستقامة الرياضة ﴾ وهي تهذيب الاخلاق
 ﴿ والمرابطة ﴾ وهي الإقامة بالمجاهدة والاستدامة ﴿ فورد ﴾ في التنزيل ﴿ يا أيها الذين
 آمنوا اصبروا ﴾ على الطاعات وعن السيئات ، وفي المصيبات ﴿ وصابروا ﴾ أي وغالبوا

وَرَابَطُوا) أَيِ أَنْفُسِكُمْ بِالْمُشَارَطَةِ وَهُوَ وَصِيَّةُ النَّفْسِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ نَحْوُ أَنْ لَا بَضَاعَةَ لَكَ سِوَى الْعُمَرِ وَالْأَنْفَاسِ مَعْدُودَةٍ وَالْمَاضِي لَا يَعُودُ وَالْوَقْتُ ضَيْقٌ وَالتَّمَنَّى غَيْرُ نَافِعٍ وَتَوْظِيفُ الْعَمَلِ وَشَرْطُ الشُّرُوطِ عَلَيْهِ ثُمَّ بِالْمُرَاقَبَةِ فِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ فَالْأَعْلَى أَنْ يَصِيرَ مَغْلُوبًا بِالْإِسْتِغْرَاقِ بِهِ تَعَالَى وَعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَاسِوَاهُ

الاعداء الظاهرة والباطنة بشدة الصبر ووحدة الامر ﴿ و رابطوا أى انفسكم بالمشارطة ﴾ أى مع النفس بالمداومه على الطاعة والمواظبة على العبادة فى كل يوم وساعة خوفا عليها من ضياع البضاعة . والتحقيق ان المراقبة ربط النفس على الارتحال والفناء ؛ والقلب على اغتمام العبادات والتأهب ليوم الجزاء ، وهو معنى قوله ﴿ وهو ﴾ أى ربطها بالمشارطة ثلاثة اشياء : منها ﴿ وصية النفس ﴾ أى وصيته بها ﴿ فى أول النهار ﴾ بل فى كل نفس من الاعمار ﴿ نحو ان لا بضاعة لك ﴾ أى ليس لك رأس مال ﴿ سوى العمر ﴾ وهو ايام غير معدودة ﴿ والانفاس ﴾ أى والحال أن انقاسه ﴿ معدودة ﴾ لا تزيد ولا تنقص ﴿ والماضى لا يعود ﴾ فى الوجود ﴿ والوقت ضيق ﴾ فى ميدان الشهود ﴿ والتمنى ﴾ بان يرجع الى الدنيا يوما واحدا ليعمل عملا صالحا ، او تمنى المراتب العلية بدون المكاسب الدنية والعمالية ﴿ غير نافع ﴾ بعد الورود ﴿ و ﴾ منها ﴿ توظيف العمل ﴾ بان يجعل فى كل وقت عملا ينفعه فى العقبى او يعينه على الطاعة فى الدنيا ﴿ و ﴾ منها ﴿ شرط الشروط عليه ﴾ أى على نفسه حذف لفظ النفس فأتى الجار على ضميره فصار عليه ، ولا يعد أن يكون الضمير راجعا الى العمل ، والمعنى يقول لها : ان كذبت فعليك صوم ثلاثة ايام ، وان اغتبت فعليك صدقة درهمين ونحوهما ﴿ ثم ﴾ المراقبة ﴿ بالمراقبة ﴾ وهى مشاهدة كونه سبحانه رقيقا بحاله عالما بفعاله ﴿ فى الحركات والسكنات ﴾ فلا يتحرك ولا يسكن الا بما يرضاه الحق فى تلك الساعات من العبادات والطاعات ﴿ فالأعلى ﴾ أى اعلى انواع المراقبة ﴿ ان يصير ﴾ العبد ﴿ مغلوبا بالاستغراق به ﴾ من ذكره وفكره ﴿ تعالى وعدم الالتفات الى ماسواه ﴾ أى سوى الله وما عداه ، وهذا مراقبة المقربين من الصديقين ، وهو مراقبة التعظيم والاجلال . بان يصير القلب فى جميع الاحوال مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومطالعة تجليات ذلك الجمال على وجه السكال ، ومنكسرا تحت الهيبة والعظمة فى المشاهدة ، فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير حتى يحتاج

ثُمَّ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ حُكْمِ الشَّرْعِ فَيَنْظُرُ قَبْلَ الْعَمَلِ فِي أَوَّلِ خَاطِرٍ فَيَتِمُّ مَا هُوَ لَهُ
تَعَالَى وَيَتْرُكُ مَا سِوَاهُ وَيَنْظُرُ عِنْدَهُ فِي الطَّاعَةِ يَخْلُصُ النِّيَّةَ وَيُرَاعِي الْأَدَبَ وَفِي
الْمَعْصِيَةِ يَسْتَحْيِ وَيَتُوبُ وَيَكْفُرُ وَفِي الْمُبَاحِ يُرَاعِي النِّيَّاتِ وَالْأَدَابَ ثُمَّ بِالْمُحَاسَبَةِ
فِي آخِرِ النَّهَارِ وَهُوَ النَّظَرُ بَعْدَ الْعَمَلِ فَوَرَدَ «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا» لِلْعَاقِلِ
أَرْبَعُ سَاعَاتٍ سَاعَةٌ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ فِيهَا ثُمَّ بِالْمُعَاقِبَةِ فَبِالْجُوعِ أَنْ أَكَلَ حَرَامًا وَالسَّهَرِ

إلى المجاهدة، وهذا الذي صار همه واحدا وكفاه الله سائر همومه أبدا، ومن نال هذه
الدرجة مع الحق فقد غفل عن مراقبة الخلق، فلا يبصر من يحضر لديه وهو فاتح عينيه،
ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا صمم في أذنيه (ثم) (الأعلى من أنواع المراقبة) (أن يكون
تحت حكم الشرع) خارجا عن تحكم الهوى والطبع، وهذه مراقبة الورعين من
أصحاب التمين (فينظر) ويتأمل ويتفكر (قبل العمل في أول خاطر) يخطر (فيتم
ما هو له تعالى) وفيه رضاه (ويترك ما سواه) وينظر (أيضا) (عنده) أي عند الشروع
في العمل طاعة أو غيرها (ففي الطاعة يخاص النية) يصفى الطوية بأن يجعل الله تعالى
من غير الرياء والسمعة، ويحضر القلب لمشاهدة الرب كما ورد (والاحسان أن تعبد الله
كأنك تراه) (ويراعي الأدب) في حضرة الرب ويحفظ نفسه عن النشاط في بساط
الانبساط (وفي المعصية يستحي) من الرب (ويتوب) من الذنب (ويكفر)
بما يناسبه أن صدرت عنه (وفي المباح يراعى النيات) فإن المباحات بتحسين النيات تصير
عبادات (والآداب) بأن لا يتجاوز عن الضرورات (ثم) مراطة النفس (بالمحاسبة في
آخر النهار) أو في آخر كل نفس وساعة (وهو النظر بعد العمل) من الحسنات والسيئات
(فورد حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) وهو أثر عن عمر كالتقدم وقد قال تعالى (يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله وانظروا نفس ما قدمت لعدوا اتقوا الله) (للعاقل أربع ساعات ساعة
يحاسب نفسه فيها) أي وساعة يناجي فيها ربه، وساعة يقضى فيها إلى بعض أخوانه
الذين يصرونه بميوبه، وساعة يخلو فيها بينه وبين شهوداته وقد تقدم (ثم) مراطة
النفس (بالمعاقبة) لها (فبالجوع) يعاقبها (أن أكل حراما والسهر) أي ويعاقبها

أَنْ نَظَرَ حَرَامًا وَنَحَوَهُ فَلَوْ سَاهَلَ سَهْلٌ عَلَيْهِ الرَّجُوعُ ثُمَّ بِالْمُجَاهِدَةِ بَادَأَ الْوَرْدَ عِنْدَ اسْتِثْقَالِ النَّفْسِ بِلِ الزِّيَادَةِ أَحْيَاءَ لَيْلَةٍ عِنْدَ التَّوَانِي عَنْ حِفْظِ جَمَاعَةٍ أَوْ آدَاءِ نَافَلَةٍ . ثُمَّ بِالْمُعَاتَبَةِ بِمَثَلِ يَانْفُسُ إِلَّا تَسْتَحِينَ مِنْهُ تَعَالَى الْكَ طَاقَةُ بَعْذَابِهِ الْإَلِيمِ وَالْكُلِّ مَآثُورٍ وَالْأَصْلِ الْإِسْتِعَانَةِ بِهِ تَعَالَى مُتَضَرِّعًا بَيْنَ يَدَيْهِ تَعَالَى مُتَبَرِّئًا عَنِ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ ، قِيلَ مَنْ جَاهَدَ سَبْعَ مَرَّاتٍ لَا يُبْتَلَى ثَامِنَةٌ وَقِيلَ مَنْ اسْتَقَامَ سَبْعَ سِنِينَ لَا يَعُودُ

بالسر (انظر حراما ونحوه) بان رقد عن التهجد (فلو ساهل) التائب في هذه الممافة (سهل عليه الرجوع) اى المراجعة الى المعصية وما يتبعها من الغفلة ، فقد عاقب عمر رضى الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بان تصدق بارض كانت له قيمتها مائتا الف درهم ، وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة في جماعة احيا تلك الليلة و آخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع لو كان فاعتق رقبتين (ثم) المراقبة (بالمجاهدة) وهى مخالفة النفس (باداء الورد) من انواع الطاعات والعبادات (عند استئقال النفس) عن بعض المأمورات (بل بالزيادة) على المواظفات (كاحياء ليلة) في عبادة (عند التواني) اى التساهل والتكاسل (عن حفظ جماعة) كان يحفظها (او آداء نافلة) كان يفعلها (ثم) المراقبة (بالمعاتبة بمثل يانفس) بالضم او بالكسر اى يانفسى (الاستحِينَ مِنْهُ تَعَالَى) في ترك طاعته او فعل معصيته (الك طَاقَةُ بَعْذَابِهِ الْإَلِيمِ) المؤلم من نار الجحيم ومن ماء الحميم (والكل) اى جميع ما ذكر من انواع المراتبات (مآثور) عن السلف والخلف القائمين بمجاهدة النفس ، والرياضات في مقام الطاعات (والاصل) المتعبر في تحصيل الاستقامة (الاستعانة به تعالى) والاستعانة بكرمه سبحانه (متضرعا بين يديه تعالى) اى حال عبادته وطاعته (متبرئا عن الحول والقوة) من جهته ورؤية العمل من طاقته كما يشير اليه قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) فاياك نعبد نفرقة واياك نستعين جمع وفي الجملة الأولى رد على الجبرية وفي الثانية على القدرية (قيل) اى في باب الاستقامة (من جاهد) في ترك المعصية (سبع مرات لا يبتلى) بالذنب (ثامنة) اى مرة ثامنة ، وبه تحصل الاستدامة (وقيل من استقام) على التوبة (سبع سنين لا يعود) الى المعصية في جميع عمره

ثُمَّ التَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ وَهِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ فَوْرَدَ (تَوَبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ)
وَالْإِنَابَةُ مِنَ الْغَفْلَةِ وَهِيَ لِلْمُقَرَّبِينَ فَوْرَدَ (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) وَالْأَوْبَةُ مِنْ رُؤْيَا
التَّقْصِيرِ وَهِيَ لِلْمُرْسَلِينَ فَوْرَدَ (نَعَمْ الْعَبْدُ أَنَّهُ أَوَّابٌ) ثُمَّ التَّقْوَى أَعْمُ مِنْهَا فَالْمُتَّقِ
عَنْ ذَنْبٍ لَمْ يَرْتَكِبْهُ قَبْلَ مُتَّقٍ لَا تَأْتِبُ *

وهو قول فرقد السنجي (ثم التوبة) في عرف المحققين (من الذنب وهي للؤمنين) خاصة حيث قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أو عامة (فورد) في التنزيل (توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) أعلمكم تفلحون (والإناية من الغفلة) إلى الحضور (وعلى للمقربين فورد) في التنزيل (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) ومنه قوله تعالى (الله ينجي إليه من يشاء ويهدي إليه من يذنب) وقوله آخر راعيا وأب (والأوبة من رؤية التقصير) في الطاعة (وهي للمرسلين فورد) في التنزيل (ووهبنا لداود سليمان) (نعم العبد أنه أواب) وكذا في حق أيوب (أنا وجدناه صابرا نعم العبد أنه أواب) وقد يستعمل في حق المؤمنين المقربين كقوله تعالى (إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا) (ثم التقوى أعم منها) أي من التوبة وهي أخص من التقوى فكل تأتب متق وليس كل متق تأتبا (فالممتنع عن ذنب لم يرتكبه قبل) أي قبل وقته (متق لا تأتب) والممتنع بعد ارتكابه تأتب ومتق، أما كونه تأتبا فظاهرا، وأما كونه متقيا فلأنه لم يرتكب الذنب مع امتناعه فمن هنا يصح أن يقال للنبى أنه متق ولا يجوز أن يقال أنه تأتب، والله سبحانه أعلم. وأما ما في الأحياء من أنه يجب على كل عالم باقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد أن يعلم أهله دينهم، ويميز ما يضرهم عما ينفعهم، وما يشغلهم عما يسعدهم ولا يذبحى أن يصبر إلى أن يسأل عنه، بل ينبغى أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه، فإن العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الإبداء ويطلعون واحدا بعد واحد فيرشدونهم، فإن مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما أن الذى ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف مرضه ما لم يعرفه غيره. وهذا فرض عين على العلماء كافة ففيه أن هذا غير معروف في الكتاب والسنة أنه فرض عين

بل ولا فرض كفاية وإنما الواجب على العلماء أن لا يكتموا العلم ويبينوه لادله
وعلى الجهال أن يسألوهم كما قال تعالى (فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) وقال
(واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب) لتبينته للناس ولانكتمونه واما معنى قوله
عليه السلام والعلماء ورثة الانبياء فهو انهم لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا
العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وهم مختلفون في مراتب الوراثة كتماوت مناصب
العلوم من التفسير والحديث والفقه والقراءة . هذا والعلماء الذين هم بمنزلة الاطباء
في زماننا صاروا مرضى بالداء الذي ليس له دواء وهو حب الدنيا فبهذا السبب عم
الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء ، ومع هذا غلب عليهم الرجاء وهى الدهياء المعضلة
والعلماء العالمون من الاولياء والاصفياء اختاروا ان يكونوا من الاتقياء الاخفياء
فسأل الله الهداية من الابتداء الى الانتهاء .

ثم اعلم ان من ابتلى بحب الدنيا فداؤه عضال ليس له دواء ، وقد قال رجل لمحمد بن
واسع اوصنى ، فقال انا اوصيك بان تكون ملكا فى الدنيا والآخرة ، فقال : كيف
لى بذلك ؟ فقال الزم الزهد فى الدنيا ، وكتب معاوية الى عائشة بالسلام ان اكتبى لى
كتابا توصينى فيه ولا تذكرى فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك ، اما
بعد فانى سمعت رسول الله عليه السلام يقول ، من التمس رضى الناس بسخط الله وظه
الله الى الناس ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، والسلام
عليك . والحديث رواه الترمذى والحاكم ، وكتبت اليه مرة اخرى : أما بعد فاتق
الله فانك ان اتقيت الله كفاك الناس ، وان اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله
شيئا والسلام . وهو مقتبس من قوله تعالى (ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله) ومن قوله سبحانه (انهم لم يغنوا
عنك من الله شيئا) وقال لقمن لابنه . يا بنى زاحم العلماء بركتيك ولا تجادلهم فيمقتوك ،
وخذ من الدنيا بلاغك ، وانفق فضولك لآخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض
فتكون عيالا ، وعلى اعناق الرجال كلا ، وصم صوما تكسر شهوتك ، ولا تصم صوما يضر
بصلاتك فان الصلاة افضل من الصوم . وقال ايضا يا بنى لاتضحك من غير عجب . ولا
تمش فى غير ارب ، ولا تسأل عما لا يعينك ؛ ولا تضع مالك . وتصلح مال غيرك فان
مالك ما قدمت ، ومال غيرك ما خلفت . يا بنى من يرحم يرحم ، ومن يصمت يشلم ومن
يفعل الخير يغنم ، ومن يفعل الشر يآثم ومن لم يملك لسانه يندم وقال رجل لاني حازم اوصنى ،
فقال : كل ما لوجاءك الموت عليه فرأيت غنيمة فالزمه ، وكل ما لوجاءك الممرت عليه فرأيت مصيبة

(الباب السابع عشر في الصبر والرضاء والشكر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الصَّبْرُ ثَبَاتُ بَاعِثِ الدِّينِ فِي مُقَابَلَةِ بَاعِثِ الْهَوَى

فاجتنبه. وقال رجل لحامد اللقاف . ارضني، فقال: اجعل لديك غلافا كغلاف المصحف
ثلاث تدنسه الآفات. قال : وما غلاف الدين؟ قال : ترك طلب الدنيا الى ما لا بد منه ، وترك
كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه ، وكتب الحسن الى عمر
ابن عبد العزيز . أما بعد نخف ما خوفك الله ، واحذر ما حذرك الله وخذ بما في يديك لما
بين يديك ، فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام. وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن
عبد العزيز : اما بعد فان الدنيا دار تقوية، ولها يجمع من لا تغفل له، وبها يغتر من لا دلم
عنده ، فكان فيها يا امير المؤمنين المداوى جرحه يصبر على شدة الداء لما يخاف
من عاقبة الداء . وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن اوطاة : اما بعد فان الدنيا عدوة
اولياء الله تعالى وعدوة اعداء الله ، اما اولياء الله فغفمهم ، واما اعداؤه فغرتهم. ويحمل
الكلام في هذا المقام من المرام أن من اعطى قلبه حسن الاصغاء ، واستشعر الخوف
واقفى ، وانتظر المثوبة الاسنى ، وصدق بالحسنى ، فسييسره الله تعالى للطريقة اليسرى ،
وامان بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى ، ثم لا يغنى عنه ما اشتغل
به من ملاذ الدنيا مهما هلك فتردى ، وما على الانبياء الا شرح طريق الهدى ، وانما
الله الآخرة والاولى .

(الباب السابع عشر في الصبر والرضاء والشكر)

(بسم الله الرحمن الرحيم) الذى نستعين بذاته وصفاته على توفيق الصبر على ثلاثة
وابتلائه ، والرضاء بحكمه وقضائه ، والشكر على نعمائه وآلائه . وقد اجتمع الثلاثة
في حديث عطاء عن ابن عباس « لما دخل عليه السلام على الانصار فقالوا : ومنون انتم ؟
فسكتوا ، فقال عمر نعم يا رسول الله ، قال وما علامه ايمانكم ؟ فقالوا نشكر على الرضاء ونصبر
على البلاء ، ونرضى بالقضاء . فقال عليه السلام : « ومنون ورب الكعبة » رواه الطبراني
في الاوسط (الصبر) وهو حبس النفس عن الامر (ثبات باعث الدين) من قصد
الامتثال، ثم خوف النار، ثم طمع الجنة، ثم رجاء اللقاء، وهذا كله طريق اهل الهدى وهو
اسم لجميع ما يقرب العبد الى المولى (في مقابلة باعث الهوى) من الاغراض الفاسدة
والاعراض الكاسدة فالهوى هو ميل النفس الى الشيء من غير داعية الشرع بل بمجرد

فَأَمَّا بِالْجَسَمِ عَنِ الشَّاقِّ كَالْعِبَادَةِ أَوْ عَنِ الْمَصَائِبِ وَأَمَّا بِالنَّفْسِ عَنِ الشَّهْوَةِ فَعَنِ
الشَّهَوَتَيْنِ عَفَّةً وَعَنِ احْتِمَالِ الْمَكْرُوهِ صَبْرٌ مُطْلَقًا

هوى النفس والطبع، رقيق الصبر على ثلاثة أنواع صبر العوام وهو صبر النفس على ما تكره، وصبر الخواص وهو تجرّع المرات من غير تعب، وصبر اخص الخواص وهو التلذذ بالبلاء كالتلذذ بالآلاء فإنه علامة أهل الولاء من الانبياء والاولياء، وقيل الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الادب في الثبات على الولاء وتلقى مراقضته بالرحب والسعة على احكام الكتاب والسنة وينقسم اقساماً صبر لله وهو الثبات على اداء اوامره وانتهاء زواجره، وصبر مع الله وهو السكون تحت جريان قضائه من سرائه وضرائه، وصبر على الله وهو الركون الى وعده في كل شئ من أمره حلوه ومره وصبر عن الله وهو مذموم وصاحبه ملوم مذموم كما قيل هـ

الصبر يحمد في المواطن كلها الا عليك فإنه مذموم

أى الاعتك وقد يحمد اذا وصل الى مقام الرضاء في جميع ابواب القضاء كما قيل
اريد وصاله ويريد هجرى فاترك ما اريد لما يريد

وقال الجنيد: المسير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب الحق شديد والسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد وحكى عن بعض العارفين أنه سئل الشبلى عن الصبر أيه أشد فقال الصبر في الله فقال لا قال الصبر لله قال لا قال الصبر مع الله قال لا قال فأى شئ، قال الصبر عن الله قال فصرخ الشبلى صرخة، كادت روحه تناف وقد قيل في معنى قوله تعالى (اصبروا وصابروا ورابطوا) اصبروا فى الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله غناء والصبر بالله لقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء * والنشد

الصبر عنك مذموم عواقبه والصبر فى سائر الاشياء محمود

(فاما) أن يكون الصبر (بالجسم عن) الامر (الشاق) على البدن (كالعبادة او عن المصائب) البدنية (وأما) أن يكون الصبر (بالنفس) طلباً للثواب أو هرباً من العقاب (عن الشهوة) أى شهوة البطن وشهوة الفرج وغيرهما (فعن الشهوتين) المذكورتين يقال له (عفة وعن احتمال المكروه) بموت الاقارب ونحوه يقال له (صبر مطلقاً) أى وهو الفرد الكامل فى هذا الباب كما اطلق

وَضَدُّ الصَّبْرِ الْجَزَعُ وَالْهَلَعُ وَفِي الْغَنَى ضَبْطُ النَّفْسِ وَضَدُّهُ الْبَطْرُ وَفِي الْحَرْبِ
شَجَاعَةٌ وَضَدُّهُ الْجُبْنُ وَفِي كَظْمِ الْغَيْظِ حِلْمٌ وَضَدُّهُ التَّهَوُّرُ وَفِي نَوَائِبِ الزَّمَانِ سَعَةٌ
الْصَّدْرِ وَضَدُّهُ ضَيْقُهُ وَالتَّضَجُّرُ وَالتَّبَرُّمُ وَفِي اخْفَاءِ الْأَمْرِ كِتْمَانٌ وَضَدُّهُ الْإِظْهَارُ
وَفِي فَضُولِ الْعَيْشِ زُهْدٌ وَضَدُّهُ الْحِرْصُ وَفِي الْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا

في منزل الكتاب (وبشر الصابرين) الآية فاقصر حينئذ على اسم الصبر بلا اختلاف اسم
خاص (و ضد) أى تقيض (الصبر الجزع) وهو حركة الجزع (والهلع) بفتح
تحتين الحش الجزع كرفع الصوت بالبكاء وضرب الحدود وشق الجيوب ونحوها
ومنه قوله تعالى (أن الإنسان خلق هلولاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير
منوعاً) وظاهر الآية أن الهلع ضد الجزع والمنع كلاهما (وفي الغنى) أى ويقال
فى احتمال الغنى وتحمله من البلوى (ضبط النفس) تحت الشرع والعقل
والهدى وحفظها عن متابعة الطبع والهوى (و ضد البطر) بفتح تحتين وهو الطغيان
بالنعمه ومنه قوله تعالى (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) (وفي الحرب) أى
والصبر فى مواطن الحرب يقال له (شجاعة) وهى قوة القلب وثباته فى المقاتلة (و ضد
الجبن) وهو ضعف القلب وخوفه من رؤية العدو فى المعركة حين المقاتلة (وفي كظم
الغيط) أى تجمل الغضب (حلم) ودفو (و ضد التهور) صوابه ما فى الأحياء
من جعل ضده سفها وأما التهور فهو التجاوز عما يقتضيه العقل فى الشجاعة وهو مذموم
فى الشريعة قال تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فإن الخلق الحسن هو المتوسط
بين طرفى الإفراط والتفريط (والتدبر) وهو المترتب على التهور هو قبول الدمار
وهو الإهلاك كالتدمير ومنه قوله تعالى عز وجل تدمر كل شىء بامر ربها (وفي نوائب
الزمان) أى حوادث الدهر وآفات الدوران (سعة الصدر) وهو كناية عن كمال
التجمل فى الأمر ويقال له شرح الصدر ومنه قوله تعالى (الم نشرح لك صدرك)
(و ضد ضيقه) أى ضيق الصدر ومنه قوله تعالى (ولا تك فى ضيق مما يمكرون) قرئ
بالتخفيف والتشديد (والتضجر والتبرم) الثلاث الفاعل مترادفة أو متقاربة (وفي اخفاء
الأمر كتمان و ضد الإظهار) والإفشاء (وفي فضول العيش زهد) وهو عدم الرغبة
وقلة المحبة (و ضد الحرص) على الزيادة (وفي اليسير من الدنيا) أى فى القليل من فضول

قَنَاعَةٌ وَضِدُّ الشَّرِّهِ وَوَرَدَ (اِنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ اَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) الْاِيْمَانُ هُوَ
الصَّبْرُ وَهُوَ لِدُخُولِ اَكْثَرِ اخْلَاقِهِ فِيهِ الصَّبْرُ نِصْفُ الْاِيْمَانِ وَهُوَ لَا طَّلَاقَ عَلَى الْمَعَارِفِ

الدنيا (قناعة وضده الشره) بفتحين وهو الحرص على طلب الكثير (وورد) في التنزيل
(اِنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ اَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وقال
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اوائك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة واوائك هم المهتدون، وكان عمر رضى الله عنه يقول نعم العبدان
ونعم العلوة للصابرين يعنى بالعبدان الصلوة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة
ما يحمل فوق العبدان على البعير، وقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى
الاشعري عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبر ان أحدهما أنضل من الآخر الصبر
في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرأ
هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد أنه اواب بكى وقال واعجباه اعطى واثنى أى
هو المعطى للصبر وهو المثنى عليه كما يشير اليه قوله تعالى (واصبر وما صبرك الا بالله)
(الايمان) أى معظم خصال أهل الايمان (هو الصبر) لم اعرفه وفي رواية الدبلى
عن أنس مرفوعا الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وزاد البيهقى عن على
موقوفا ولا جسد لمن لا رأس له والايمان لمن لا صبر له (وهو) أى كون الايمان هو
الصبر (لدخول اكثر اخلاقه) أى اخلاق الايمان من فعل الطاعة وترك المعصية وعدم
الجزع في المصيبة (فيه) أى في الصبر وللاكثر حكم الكل أمر مقرر، وقد جمع الله سبحانه
اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال والصابرين في البأساء أى المصيبة والضراء أى الفاقة
وحين البأس أى المحاربة (الصبر نصف الايمان) رواه أبو نعيم والخطيب من حديث
ابن مسعود . وللدبلى والبيهقى في الشعب عن انس « الايمان نصفان نصف صبر ونصف
شكر، وفي النهاية اراد بالصبر الورع لان العبادة قسمان : نسك وورع ، فالنسك
ما امرت به الشريعة ، والورع ما نهت عنه . انتهى ، والحديث مقتبس من قوله تعالى
(أن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أى لكل مؤمن . وفي تقديم الصبر على الشكر
ايماء بان الاحتياج اليه اكثر واتم ، وأنه افضل كما تقدم والله أعلم (وهو) أى وكون
الصبر نصف الايمان (لا طلاق) أى الايمان (على المعارف) اليقنيات من الاعتقادات

وَالْأَعْمَالُ وَلَا تَتِمُّ الْأَعْمَالُ إِلَّا بِثَبَاتِ بَاعِثِ الدِّينِ فَهُوَ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَلَا طَلَّاقَهُ
عَلَى الْأَحْوَالِ الْمُثْمَرَةِ لِلْأَعْمَالِ وَإِنَّ مَا أَصَابَ أَمَّا نَافِعٌ وَأَمَّا ضَارٌّ وَفِيهِمَا الشُّكْرُ
وَالصَّبْرُ فَمَا نِصْفَانِ وَلَا بُدَّ مِنْهُ لَا بُتَاءَ الْعِبَادَةِ عَلَيْهِ فَالدُّخُولُ فِيهَا لِقَمْعِ النَّفْسِ
وَالْإِتْمَامُ أَشَدُّ وَلَئِنْ الدُّنْيَا دَارُ مَحْنَةٍ وَالْجَزْعُ شَاغِلٌ وَلَئِنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ أَشَدُّ إِبْتِلَاءً
فَوَرَدَ «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَوْلِيَاءُ»

(والاعمال) الصالحات من العبادات (ولا تتم الاعمال) للمجتهدين (الاثبات
باعث الدين) من الهدى في مقابلة باعث الهوى (فهو) أى الصبر (نصف الايمان)
بهذا الاعتبار ، والترتيب بين النصف الاول والثانى وفق اقتضاء الشرع والطبع
(و) ايضا (لاطلاقة) أى الايمان (على الاحوال) من استيلاء تلك المعارف وهى
الرضا والهبة والانس والشوق (المثمرة للاعمال) لاعلى المعارف والعوارف من
مقامات الرجال . وفي الاحياء : أن جميع مقامات الدين ومنازل السالكين إنما ينتظم من
ثلاثة أمور : معارف وأحوال وأعمال ؛ فالمعارف هى الاصول فهى تورث الاحوال ،
والاحوال تثمر الاعمال ، فالمعارف كالاشجار ، والاحوال كالاغصان ، والاعمال كالثمار
(وأن ما) أى لاجل أن ما (أصاب) السالك من النعم الدنيوية (أما نافع) فى الدنيا
والآخرة كالطاعات والمباحات (وإما ضار) فيها كالمصائب والسيئات (وفيهما) أى
النافع والضار (الشكر) للعبد بالاضافة الى ما ينفعه (والصبر) بالنسبة الى ما يضره
وهما لا يحصلان الا بتلك الاحوال (فهما نصفان) لتلك الاحوال باعتبار ما ذكر
من الاقوال (ولا بد) للعبد (منه) أى من الصبر (لا بتناء العباداة) من الصلاة والصوم
وسائر أسباب السعادة (عليه) أى على الصبر (فالدخول فيها) أى فى العباداة (لقمع
النفس) لتكليفها ونفعها (والإتمام) أى إتمام العباداة بعد الدخول فيها (أشد)
من دخولها فى باب الارادة والقمع والإتمام إنما يتأتى بالصبر فى المقام (ولان الدنيا
دار محنة) فمن كان فى الدنيا فلا بد له من الابتلاء بشدائدها ومصائبها والصبر على
جميع مراتبها لتحصل العباداة ومناقبها (والجزع شاغل) عن العباداة التى هى غاية
المحنة (ولان طلب الآخرة أشد ابتلاء فورد: أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء)

ثُمَّ الْأَمْلُ فَلَا امْلٌ وَهُوَ عَنِ الْحَرَامِ وَاجِبٌ وَعَنِ الْمَكْرُوهِ نَفْلٌ ثُمَّ هُوَ فِي النَّعْمِ
الدُّنْيَوِيَّةِ بَتَرَكَ الْمَيْلَ وَرِعَايَةَ حَقِّهِ تَعَالَى وَهُوَ الشُّكْرُ

ثم الامثل (فالعلماء) كالصالحين واهل الترمذى وقال: حسن صحيح وصححه
ابن حبان والحاكم ، لكنه بدون لفظ الاولياء . وقد قسم عليه السلام مرة مالا فقال
بعض الاعراب من المسلمين : هذه قسمة ما اريد بها وجه الله ، فاخبر به عليه السلام
فاحمرت وجنتاه ثم قال عليه السلام « رحم الله اخي موسى قداوذى باكثر من هذا فصبر »
متفق عليه من حديث ابن مسعود وقال عليه السلام « صل من قطعك وأعط من حرملك
واعف عن ظلمك » وقد تقدم . وقال عيسى عليه السلام : لقد قيل لكم من قبل - يعنى فى التوراة -
ان السن بالسن والعين بالعين والانف بالانف ، وانا اقول لكم : لا تقاؤا والشر بالشر ،
بل من ضرب خدك الايسر فاحول له خدك الايمن ومن اخذ رداك فاعطه ازارك
ومن سخر لك لتسير معه . ميلافس معه ميلين . انتهى . ولا يخفى ان عيسى عليه السلام كان
مظهرا للجمال ، كما ان موسى عليه السلام كان مظهرا للجلال ، ونبينا ﷺ
كان مظهرا للكمال المتضمن للجلال والجمال ، واحكامه فى غاية الاعتدال ، والله سبحانه
أعلم بحقائق الاحوال (وهو) أى الصبر (عن الحرام واجب) أى فرض لازم
(وعن المكروه) أى كراهة تنزيه (نفل) بل مستحب ، أما عن المكروه كراهة تحريم
فواجب ، وعن فضول المباح زيادة فضيلة وحزم . وفى الاحياء ان الصبر ينقسم أيضا
باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم ، فالصبر عن المحظورات فرض ، وعن المكاره
نفل ، والصبر على الاذى المحظور محظور كمن يقطع يده او يبدل لده وهو يصبر عليه ساكنا
وكن يقصد حرمة بشهوة محظورة فيهبج غيرته فيصبر على اظهار الغيرة ويسكت على
ما يجرى على امله فهذا الصبر محرم ، والصبر على المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة
مكروهة فى الشرع فليكن الشرع محك الصبر الذى هو نصف الايمان ، ولا ينبغي ان يخل
اليك ان جميعه محمرد بل المراد به انواع مخصوصة (ثم هو) أى الصبر (فى النعم
الدنيوية) انما يحصل (بتترك الميل) الهوا ويعرف بتترك ارتكاب المحرم والمكروه
فى تحصيلها (ورعاية حقه تعالى) فيها تصرفها الى طاعته وعبادته (وهو الشكر)
اى من وجه فلا يتحد الصبر والشكر كما قيل .

ثم اعلم ان جميع ما يلحق العبد فى هذه الحياة لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق
هواه والاخر مالا يوافقه بل يكرهه ، وهو محتاج الى الصبر فى كل واحد

وَفِي الطَّاعَةِ بَصَوْنُ النِّيَّةِ وَالْأَدَاءِ وَالثَّوَابِ عَنِ الرِّيَاءِ وَالتَّكَاثُلِ وَالْإِفْشَاءِ وَنَحْوَهَا
وَفِي الْمَعْصِيَةِ بِالرِّيَاضَةِ وَفِي مُصِيبَةِ مُمَكِّنِ الْمَجَازَةِ بِالتَّحَمُّلِ بِتَرْكِ الْمُكَافَأَةِ قَوْلًا وَفِعْلًا

منهما والنوع الاول اصعبهما فانه يوافق هوى نفسه من الصحة والسلامة والمال
والجاه وكثرة المشيرة واتساع المعيشة وكثرة الاتباع والانصار وجميع
ملاذ الدنيا ، وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور ، فانه ان لم يضبط نفسه
عن الاسترسال فيها والركون اليها والانهماك في اللذات المباحة منها اخرجته ذلك
الى البطر والطغيان ، ويجرانه الى أنواع من العصيان لما قال تعالى (كلا ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى) وقال بعض العارفين : البلاء يصبر عليه المؤمن والمأفية
لا يصبر عليها الاصدقاء . ولما فتحت أموال الدنيا على الصحابة قالوا : ابتلينا بفتنة
الضراء فصبرنا ؛ وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ، وقال عليه السلام « الولد مبخلة مجبنة
محزنة » رواه أبو يعلى المروسي من حديث أبي سعيد ، ولأصحاب السنن من حديث
بريدة باسناد حسن أنه عليه السلام لما نظر الى ابنه الحسن او الحسين يتعثر في قميصه
نزل عن المنبر فاحتضنه ثم قال . صدق الله (انما اموالكم واولادكم فتنه) أنى لما
رأيت ابني يتعثر لم املك نفسي أن اخذته ، ففي ذلك عبرة لاولى الابصار (و) الصبر
(في الطاعة) أى العبادة (بصون النية) أى بحفظها عن السمعة والرياء في حال
الابتداء (والاداء) أى وبصون اداء العمل عن غير الاخلاص أو عن الغفلة
ودواعي الفترة في الاثناء (والثواب) أى وبصونه عن الافشاء حال الانتهاء
فالثلاثة مذكورة بطريق اللف ، ومقابلاتها مسطورة على وجه النشر حيث قال
(عن الرياء) رفى معناه السمعة ولو في الخلاص (والتكاسل) أى وعن التثاقل في الاعضاء
(والافشاء) بالاملاء في الملا . (ونحوها) من العجب والغرور والندامة عن الطاعة ،
ورؤية الحول والقوة ، والامن من مكر الله ، واسه دراجه وعدم خوف الخاتمة ولعل المراد
بقوله تعالى (نعم أجر العامرين الذين صبروا) أى على تصحيح النية وعلى اتمام العمل
واخلاصه عن الآفات (و) الصبر (في المعصية) المبتي بها (بالريضة) أى بريضة
النفس عن مخالفة هواها (و) الصبر (في مصيبة) من شأنها أنها (بمكن المجازاة) أى يمكن
فيها المكافاة (بالتحمل) أى الحلم والعفو (بترك المكافاة) أى المجازاة ولو بالمائلة
في المماقة (قولاً) كمن سبه (وفعلًا) كمن ضربه ، ومنه قوله تعالى (وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولننصبرن لهو خير للصابرين) (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا

وَفِي غَيْرِهَا بَتَرَكَ الْجَزَعَ وَالشَّكَايَةَ وَاسْتَمَرَّ ارِ الْعَادَةَ فِي الطَّعَامِ وَاللَّبَاسِ أَمَا التَّأَلُّمُ
وَجَرَبَانُ الدَّمْعِ فَلَا يُنَافِيهِ لِعَدَمِ الدُّخُولِ تَحْتَ الْاِخْتِيَارِ وَالْكَأَلِ تَرَكُ مَا يَشْغُلُ عَنْهُ
تَعَالَى وَجَاءَ الصَّبْرُ عَلَى الْفَرَائِضِ ثَلَاثُمِائَةِ دَرَجَةٍ وَعَنْ

واصلح فاجره على الله) وقد قال بعض الصحابة : ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم
يصبر على الاذى . وقال تعالى حكاية عن الانبياء (وانصبرن على ما آذيتمونا) وقال تعالى
(ودع اذاهم وتوكل على الله) وقال (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا)
وقال (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) وقال (ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشرکوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور)
(وفي غيرها) أى وفي مصيبة غير ممكن المجازاة (بترك الجزع) والجزع (والشكاية)
الى الخالق (واستمرار العادة) أى وباستمرارها على حالها (فى الطعام واللباس) وكذا
الكلام مع الناس وقد قيل : ان الصبر هو ان لا يعرف من صاحب المصيبة اذ يشبه غيره .
وقال داود عليه السلام . ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك ؟ قال : جزاؤه
ان البسه لباس الايمان فلا انزع عنه أبدا ، وقال نبينا عليه السلام من اجل الله ومعرفة
حقه أن لا تشكو وجعلك ولا تذكر مصيبتك . ذكره فى الاحياء وقال مخرجه لم أجده مرفوعا
وأما رواه ابن ابي الدنيا من رواية سفيان عن بعض الفقهاء ، قال من الصبر أن لا يتحدث
بمصيبتك ولا بوجعك انتهى . وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والواجع والصدقة ،
وفى الاثر أن ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات ، فاذن مجازى الصبر ثلاثة الطاعة
والمصيبة والباية من جهة الخالق او الخالق (أما التألم) أى الحزن للقلب (وجربان الدمع)
من العين (فلا ينافيه) أى الصبر (لعدم الدخول تحت الاختيار) بل هما مستحبان لما
ورد عن سيد الابرار أنه بكى عند موت ولده وقال : القلب يحزن والعين تدمع وأنا على
فراقك يا ابراهيم لمحزونون » رواه الشيخان من حديث أنس (والكأل) أى كمال الصبر
(ترك ما يشغل عنه) أى عن الله (تعالى) من أمور الدنيا فمن غفل عن الله ولو فى
لحظة فليس له فى تلك اللحظة قرين الا الشيطان قال تعالى (ومن يش عن ذكر الرحمن)
الآية ، وعن الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصاب وقد سئل عن التصوف فقيل ما هو ؟
قال : هى نفسك أن لم تشغلها شغلتك (وجاء) فى الاثر عن ابن عباس (الصبر على
الفرائض) أى اداؤها (ثلاثمائة درجة) أى بالنسبة الى الصبر على اداء النوافل (وعن

الْمَحَارِمِ سِتْمَانَةَ وَفِي الْمُصِيبَةِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى تِسْعِمِائَةَ وَالطَّرِيقُ تَضْعِيفُ بَاعِثِ
الْهَوَى بِالرِّيَاضَةِ

المحارم ستمائة) لانه اصعب على النفس ، فاز في فعل الطاعة نوعا من اللذة زيادة على
لذة ترك المعصية (وفي المصيبة عند الصدمة الاولى) أى فوريتها وشدتها وحدتها
(تسعمائة) لانه اقوى واشق على النفس ، فلا ين أب الدنيا في كتاب محاسبة النفس
عن عمر بن عبد العزيز : أفضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس ، والحديث الذى
في المتن رواه ابن أبى الدنيا فى الصبر وأبو الشيخ فى الثواب عن علي مرفوعا بلفظ
« الصبر ثلاثة . فصبر على المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية فمن صبر
على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجتين
كما بين السماء والارض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين
الدرجتين كما بين تخوم الارضين الى منتهى الارضين ، ومن صبر عن المعصية كتب
الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الارضين الى منتهى العرش »
فالحديث يدل على أن الصبر عن المعصية افضل الانواع ويؤيده ما سبق من اثر عمر
رضى الله عنه حيث قال الصبر فى المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله وأما
« الصبر عند الصدمة الاولى » لحديث رواه البزار وأبو يعلى عن أبى هريرة مرفوعا
وفى رواية البزار عن ابن عباس الصبر عند اول صدمة وفى رواية البخارى فى تاريخه عن
أنس : الصابر الصابر عند الصدمة الاولى (والطريق) فى تحصيل الصبر بعد التوفيق منها
ثلاثة (تضعيف باعث الهوى) أى تقليله (بالرياضة) الكثيرة بان يقول داعى الهدى
ويقهر داعى الهوى فلا يبقى لها قوة المنازعة فى الامتناع عن الطاعة بحسب الاستطاعة . وعند
هذا يقال : من صبر ظفر : والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون ولا جرم هم الصديقون
والمقربون (الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فهو لا لزوم والطريق المستقيم واستموا
على الصراط القويم . وأما من يغلب عليه دواعى الهوى ويضعف عنده بواعث
الهدى فهو لاء هم الغافلون وهم الاكثرون ، وهم الذين استرقفتهم شهوتهم وغلبت
عليهم شهوتهم ، وهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقة نفوسهم وماربحت
تجارهم ، وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالامانى وهى غاية الحق كما
قال عليه السلام « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحق من اتبع نفسه
هو اها و تمنى على الله تعالى » وفى رواية « والعاجز ، بدل الاحق كما رواه أحمد والترمذى

وَذُرْ قَلَّةَ قَدْرِ الشَّدَّةِ وَوَقْتُهَا وَاضْرَارَ الْجَزَعِ وَتَقْوِيَةَ بَاعِثِ الدِّينِ بِذِكْرِ فَضَائِلِ
الْمُجَاهِدَةِ ثُمَّ أَنْ كَانَ يَتَعَبُّ قَوِيٍّ فَتَصَبَّرُوا

وابن ماجه والحاكم عن شداد بن اوس . ومعنى دان نفسه حاسبها قاله الترمذى وغيره
من العلماء . واما من يغلب عليه باعث الهدى تارة وداعى الهوى اخرى فهذا من
المجاهدين الذين قيل فيهم (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) واما النار كون للمجاهدة
فيشبهون بالانعام حيث قال تعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف
يعلمون) وقال بعض الشعراء :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها وأقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

وقد قال تعالى (اوائك كالانعام بل هم اضل) اذ البهيمة لم تخاق لها المعرفة والقدرة
التي بها يجاهد مقتضى الشهوة ، وهذا قد خلق له وعطله فهو الناقص حقا والمدبر يقينا
وصدقا ولذا قال أبو العتاهية هـ

ولم ارفى عيوب الناس عيبا كنعص القادرين على التمام

وهو مقتبس من قوله عليه السلام « أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل امكنه طلب
العلم في الدنيا فلم يطلبه ، ورجل علم علما فانتفع به دونه ، رواه ابن عساكر . واما من علم
وعمل وعلم فيدعى في الملكوت عظيما كما قال عيسى عليه السلام (و) منها (ذكر قلة قدر
الشدة) في مخالفة النفس حال المجاهدة لأن شوائب الدنيا وأحوالها سهل بالنسبة الى
شوائب الآخرة وأحوالها (و وقتها) أى وذكر قلة وقت الشدة كما يشير اليه قوله تعالى
(كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها) ولذا قيل : الدنيا ساعة فاجعلها طاعة ،
(واضرار الجزع) أى وذكر اضرار الجزع والفرع من غير حصول الدفع والنفع
(و) منها (تقوية باعث الدين بذكر فضائل المجاهدة) الواردة في الكتاب والسنة
في حق المجاهدين والمجاهدين من قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)
وقوله (وفضل الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة
وكان الله غفورا رحیما) وقوله عليه السلام « المجاهد من جاهد هواه ، رواه النسائي
« ورجعنا من الجهاد الا صغر الى الجهاد الا كبير » وقد تقدم (ثم ان كان) الصبر والتحمل
او ذلك الثبات والتحمل حاصل (بتعب قوى) أى شديد وجهد جهيد (فتصبر) أى
فيقال له تصبر لان صاحبه . تكلف في الصبر كما يقال زاهد زاهد وصوفي ومتصوف (وأن

كَانَ يَسِيرٌ فَصَبْرٌ وَأَنْ كَانَ دُونَ جَهْدٍ فَرَضَى وَوَرَدَ «أَعْبُدَ اللَّهَ عَلَى الرِّضَاءِ
فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ وَأَنْ كَانَ يَتَلَذَّذُ فَشَكَرَ وَهُوَ
بِالْغِيَةِ عَنْ حُظُوظِ النَّفْسِ وَالشَّهَوَاتِ مَعَ تَعَالَى كَمَا وَرَدَ «أَنْ أَيْتَ عِنْدَ رَبِّي
يُطْعَمَنِي هُوَ وَيَسْقِينِي وَعَدَمِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأَلَمِ وَاللَّذَّةِ

كان) ما ذكر واقعا (يسير) أي بتعب سهل وغير عسير (فصبر) أي فيخص باسم الصبر
فاذا دام التقوى وقرى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر بالوجه الاسنى قال تعالى
(فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسيسر له اليسرى) (وان كان) الصبر (دون
جهد) أي من غير تعب (فرضى) أي فهو رضى بما يفعل المولى (وورد اعبد
الله على الرضاء) فان الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم (فان لم تستطع) على
عبادته في مقام الرضاء من غير جهد (البلاء ففي الصبر على ما تكره) بمقتضى
البشرية (خير كثير) في الامور الدنيوية والاخرية ، فاعبده على الصبر فان ما
لا يدرك كله لا يترك كله ، والحديث رواه الترمذى من حديث ابن عباس . وقال
ابو سليمان : والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما تكره (وان كان)
الصبر على البلاء يتلذذ كتلذذ النعماء (فشكر) أي فهو شكر ينشأ عن كمال المحبة
والصدق وغاية الرضاء عن الحق ، فقد قال بعض العارفين : أهل الصبر على ثلاث
مقامات . الاولى ترك الشكوى وهذه درجة التائبين ، والثانية الرضاء بالمقدور وهذه
درجة الزاهدين ، والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين (وهو)
أي التلذذ بالبلاء انما يكون بسنة أشياء (بالغية عن حظوظ النفس) ولذات الهوى
(والشهود) أي وبالحضور (معه تعالى) ليلا ونهارا (كما ورد) عنه عليه السلام
انه قال (اني آيت عند ربى) أي حاضر الديه كالواقف بين يديه (يطعمنى هو)
أي لاغيره (ويسقيني) أي يغتني عن الطعام والشراب ويقويني بدلها بما يلائمه
الاحباب فلم اجد الم الجوع والعطش لفناء حظوظ نفسى وشهود قلبى مع ربى ،
فهذا المعنى يصلح ان يكون استئناف علة لمنع الاصحاب عن الوصال بدون ارتكاب
الاسباب . واما ما قيل من ان المعنى يطعمنى ويسقيني من طعام الجنة وشرابها فلا
يصلح ان يكون علة لمنعهم كما لا يخفى على أولى الالباب (وعدم التمييز) أي وبعدم
الفرق (بين الالم واللذة) الطبعيين . ولقد قال بعض المحبين

كَفَى حَدِيثَ حَارِثَةَ مَا أَبَالَى عَلَى أَىِّ الْحَالَيْنِ وَقَعْتُ عَلَى غَنَى أَوْ فَقْرٍ وَالْأَعْلَى التَّمْيِيزُ
وَإِخْتِيَارُ الْأَلَمِ فِي مُوَافَقَتِهِ تَعَالَى وَالْإِلْتِذَاذُ بِهِ «فَوَرَدَ «إِخْتَارُ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا نَبِيًّا
وَجَاءَ بِأَحَبِّدَا الْمَكْرُوهَانَ الْمَوْتَ وَالْفَقْرُ»

فليس لى فى سواك حظ . فكيف ما شئت فاخترنى

لكن لما كان فى هذا شائبة من الدعوة ابتلى بنوع من البلوى ﴿ كفى حديث حارثة
ما أبالى على أى الحالين ﴾ أى المقامين ﴿ وقعت ﴾ أى سقطت وثبت ﴿ على غنى أو
فقر ﴾ وكذا صحة أو مرض ، وسذا وصل أو هجران . وقيل . الفقر بلاء ومحنة ،
والغنى هم ومشقة . وكل ذلك قاذح فى كمال الرضاء والمحبة ، بل ينبغى أن يفوض
التدبير لما لكها . ويسلم الأمر الى صاحبه وسيده ويقول ما قال عمر رضى الله
عنه : لا أبالى أصبحت غنيا أو فقيرا فانى لا أدرى أيهما خير لى ، وفيه إشارة الى قوله
(ن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خيرا بصيرا) وفى الحديث
القدسى « ان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر . ومنهم من لا يصلحه الا الغنى ،
الحديث وقد قال عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا
وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) فالتسليم اسلم والله اعلم ﴾ (والاعلى) أى أعلى مراتب
الصبر من التلذذ بالبلاء الذى هو الشكر بالنسبة الى عدم التمييز كحال اهل السكر (التمييز)
بين النفع والضرر والحلو والمر (واختيار الألم فى موافقته تعالى) حيث جعله مختارا
﴿ (اللتذاذ به) ﴾ أى بالامر فهو الاول (فررد) عنه عليه السلام انه لما خير بين الدنيا وتركها
بأن يكون ما كانا نبيا أو عبدا نبيا فقال : ﴿ اختار ان أكون عبدا نبيا ﴾ وفى رواية
زيادة (أجوع يوما قاصير وأشبع يوما فاشكر) ليفوز بالمقامين ويجمع بين الامرين
لانه كان فى غاية من السكالم فاخذ ما يقتضيه الجمال ويستدعيه الجلال
﴿ (وجاء) فى الخبر ﴾ (يا) قوم ﴿ حبذا المكروهان ﴾ أى نعم المكروهان
فى طبع الانسان وهما سببا مزيد الاحسان ﴿ الموت ﴾ على الايمان ﴿ والفقر ﴾
لمقرون برضى الرحمان رواه ابن أبى الدنيا وغيره . واخرج احمد وسعيد بن منصور فى
سننه بسند صحيح عن محمود بن لبيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « اثنان يكرهما
ابن آدم يكره الموت والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب »

ثُمَّ الرِّضَاءُ بِتَرْكِ الْإِعْتِرَاضِ وَقِيلَ تَرْكُ السَّخَطِ وَلَا يَدْمُنُهُ الْفَرَاغُ لِلْعِبَادَةِ وَالتَّحَامِي
 مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَالتَّعَبِ فِيهَا وَغَضَبِهِ تَعَالَى فَوَرَدَ «مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي وَلَمْ
 يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي فَلَيْطَلُبْ رَبًّا سِوَايَ»

(ثم الرضاء بترك الاعتراض) بالقلب في جميع انواع القضاء فلا يقول لحادث
 حدث : لو لم يحدث لكان أولى ، أو لو حدث في غير هذا الموضع كان أحسن
 وأعلى ، اذ ليس في الامكان ابداع مما كان كما في الاحياء . وأعترض عليه من لم يفهم
 معناه من العلماء (وقيل ترك السخط) أى الكراهة وهو ضد الرضاء ، والرضاء
 غاية الغايات ونهاية العنايات ، في الحديث « ان الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني
 فيقولون رضاك » و يؤيد قوله تعالى (ورضوان من الله أكبر) أى من النعيم
 الذى يتم فيه ، فهذا فضل رضى الله ، وهو ثمرة رضى العبد ، كما يشير قوله تعالى
 (رضى الله عنهم) أولا (ورضوا عنه) أخرا (ولا بد) للعبد (منه) أى من
 الرضاء عن الله تعالى لاربعة أشياء (للفراغ) أى فراغ الخاطر (للعباداة) وقد
 ورد « نعمتان مغفون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » (والتحامى) أى
 والتحاظ (من هموم الدنيا) بالقلب (والتعب) ومن غموم النصب بالبدن
 والقلب (فيها) أى في الدنيا ، وقد ورد من جعل الهموم هما واحدا هم الاخرة كفاء
 الله هم الدنيا والاخرى (وغضبه) أى التحامى من غضبه (تعالى فورد) في الحديث
 القدسي والكلام الانسى (من لم يرض بقضائى) فى احكام ارضى وسمائى (ولم يصبر على
 بلائى) أى ابتلائى فى سرائى وضرائى وفى رواية زيادة ولم يشكر على نعمائى (فليطلب ربا
 سواى) أى غيرى ، واعدائى من اعدائى ووروى أنه عليه السلام سأل طائفة من أصحابه
 الكرام فقال ما انتم؟ فقالوا مؤمنون ، فقال ما علامة ايمانكم؟ قالوا نصبر على البلاء ونشكر
 عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء ، فقال مؤمنون ورب الكعبة ، وفى لفظ آخر أنه قال : حكام
 علماء كادوا من فقههم أن يكونوا انبياء ، وفى مناجاة موسى عليه السلام قال : يا رب أى
 خلقتك أحب اليك؟ قال من اذا اخذت عنه محبوبه سالمى ، قال فأى خلقتك أنت ساخط
 عليه؟ قال من يستخيرنى فى الامر فاذا قضيت له سخط قضائى ، وفى الخبر : قدرت المقادير
 ودبرت التدابير من رضى فله الرضاء منى حتى ياتئانى ومن سخط فله السخط منى حتى يلقائى ،

وَيَحْصُلُ رِضْوَانُهُ فَرَدَدَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)

في الخبر المشهور « يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه ، وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه ، وويل ثم وويل لمن قال لم وكيف » وفي الاخبار السالفة « أن نبيا من الانبياء شكى الى الله تعالى الجوع والفقر والعمل عشرين سنة فما اصاب الا ما اراد ، ثم اوحى الله اليه لم تشكوا هكذا كان بدوك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض ، وهكذا سبق لك مني ، وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد أن ابدل ما قدرت عليك فيكون ماتحب فوق ما أحب ، او يكون ماتريد فوق ما اريد ، وعزتي وجلالي لئن يابح هذا في صدرك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النوة » ويروى « ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام : يا داود تريد واريد انما يكون ما اريد ، فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد ، وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد ، والله در من قال من أهل المزيد :

تريد النفس أن تلقى منهاها وبأني الله الا ما يريد

(ويحصل رضوانه) أى وليحصل رضا الله عنه (فرود) في التزليل (رضى الله عنهم ورضوا عنه) فعلامة رضى العبد عن الله رضا الله عنه او بالعكس وهو الاولى لذكر رضى الله في المرتبة الاولى وليسبق رضا في الازل الاعلى . وقد سئل الفضيل عن الصبر فقال : هو الرضا بقضاء الله . قيل وكيف ذلك ؟ قال الراضى لا يتمنى فوق منزلته . وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم ينل ؛ وحسن الرضا فيما قد نال ، وحسن الصبر فيما قد فات . وروى عن بعضهم قال « مررت على سالم مولى أبى حذيفة في القتلى وبه ريق فقلت له : اسقيك ماء ؟ فقال : جرت قليلا الى الاعداء واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته ، وفي الخبر « طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به » وفي خبر آخر « من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى الله منه بالقليل من العمل » وللترمذى « من سعادة ابن آدم رضا بما قسم الله ، وفي خبر آخر « أرض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس » وفي اخبار موسى عليه السلام : أن بنى اسرائيل قالوا له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا ، فقال موسى : الهى قد سمعت ما قالوا ، فقال يا موسى قل لهم : يرضون عنى حتى ارضى عنهم ، ويشهد لهذا ما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب أن ينظر ماله

وَالسَّبَبُ أَدهَاشُ غَلَبَةِ الْحُبِّ عَنِ الْإِحْسَاسِ بِالْأَلَمِ كَمَا بِالْعَاشِقِ وَالْحَرِيسِ

عند الله فليُنظر ما لله عز وجل عنده فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه ، وفي أخبار داود عليه السلام : ما لا وليا لي والهم بالدنيا إن أهم بالدنيا يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم ، يا داود إن علامة محبتي من أوليائي أن يكونوا روحانيين لا يقيمون ، وروى أن موسى عليه السلام قال : يارب دلي على أمر فيه رضاك حتى أعمله ، فأوحى الله إليه أن رضائي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره ، قال يارب دلي عليه ، فقال أن رضائي في رضاك بقضائي . وعن عمر بن عبد العزيز : ما بقولي سرور إلا في مواقع القدر . وقيل له ما تشتهي ؟ قال ما يقضى الله تعالى (والسبب) لرضاء العبد بما يفعل الرب شيئا أحدهما (ادهاش غلبة الحب) أي اغماؤها واغفالها (عن الاحساس بالألم) في المحن وأحوالها (كما بالعاشق) بالدنيا (والحريص) في جمع مالها وأحوالها ، وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه ف قيل له في ذلك ، فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع . وقال الجنيد : سألت سريسا السقطي هل يجد المحب ألم البلاء ؟ قال لا قلت وأن ضرب بالسيف قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة . وقال بعضهم : أحببت كل شيء يحبه حتى لو أحب النار أحببت دخولها . وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب ألف صوت في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل إلى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت ؟ فقال لاني عاشق . فقات ولم سكت ، قال لان معشوقتي كان يحذاني ينظر إلى ، قلت ولو نظرت إلى المعشوق الأكبر ، فزعت زعقة وخر ميتا . وقال يحيى بن معاذ الرازي : إذا نظر أهل الجنة إلى الله سبحانه ذهب عيونهم في قلوبهم من لذة النظر إلى الله ثمانمائة سنة لا ترجع إليهم ، فما ظنك بقلوب وقعت بين جلاله وجماله إذا لاحظوا جلاله هابوا وإذا لاحظوا جماله تاهوا . وقال بشر : قصدت عبادان في باديتي فاذا أنا برجل اعشى مجذوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه فرفعت رأسه فوضعت في حجرى فلما أفاق قال من هذا الفضولي الذي دخل بيني وبين ربي ، لو قطعني أربا أربا ما ازدادت له الاحبا قال بشر فما رأيت بعد ذلك نعمة بين عبد وبين رب فأنكرتها . وروى أن يونس عليه السلام قال لجبريل عليه السلام : دلي على عبد أهل الأرض ، فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب سمعه وبصره وهو يقول : اللهم متعني بهما ما شئت وسلبني ما شئت

وَالْعِلْمُ بِجَزَالَةِ الثَّوَابِ

وأبقيت لي فيك الأمل يا بر يا واصل : ويروى أن عيسى عليه السلام مر برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجبين بفالج وقد تنأثر لحمه من الجذام وهو يقول : الحمد لله الذي عافاني مما أبليت به كثيرا من خلقه ، فقال له عيسى عليه السلام يا هذا أي شيء من البلاء أراه مصروفا عنك ؟ فقال يا روح الله أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته ، فقال صدقت ، هات يدك فناوله يده فاذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة ، قد أذهب الله عنه ما كان به وصحب عيسى وتعبد معه . وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من آلة خرجت بها ثم قال : الحمد لله الذي أخذ مني واحدة وأبقى أخرى ، لئن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت أبليت لقد عافيت ، ثم لم يدع ورده تلك الليلة . وقال أبو سليمان الداراني : قد نلت من كل مقام حالا إلا الرضاء غمالي منه إلا مشام الريح ، وعلى ذلك لو أدخل الخلائق ظلمهم الجنة وأدخلني النار كنت راضيا . ولما قدم سعد بن أبي وقاص مكة وكان قد صَفَّ بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعوه لهذا ولهاذا ، وكان مجاب الدعوة ، قال عبد الله بن السائب : فآتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني وقال أنت قاريء أهل مكة ؟ قلت نعم ، فذكر قصة قال في آخرها فقلت له : يا عم أنت تدعو للناس فلودعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك ؟ فتبسم وقال : يا بني قضاء الله عندي أحسن من بصرى : وقال بعض السلف : ولو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب إلي من أن أقول شيء قضاء الله ليته لم يقضه (والعلم) أي وثائقيهما المعرفة بشيئين (بجزالة الثواب) أي عظمتها وكثرته يوم الحساب فقد قال تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقد ينال الجزاء في الدنيا أيضا قبل العقبي لما روى (عن الرميضاء أم سليم) أنها قالت : توفي ابن لي وكان زوجي أبو طلحة غائبا ، فقممت فسجيت في ناحية من البيت ، فقدم أبو طلحة فقممت فهيأت له افطاره فجعل يأكل ، فقال كيف الصبي ؟ فقلت في أحسن حال بحمد الله ومنه فإنه لم يكن منذ اشتكى خيرا منه الليلة ، ثم تصنعت له بأحسن ما كنت أتصنع من قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته ، ثم قلت : ألا تعجب من جيراننا ؟ فقال وما لهم ؟ فقلت أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا ، فقال بش ما صنعوا ، فقلت هكذا أهلك كان عارية من الله تعالى وإن الله قبضه إليه لحمد الله وأثني عليه واسترجع

كَمَا لِلْمَرِيضِ وَالتَّاجِرِ الْمُتَحَمِّلِينَ شِدَّةَ الْحِجَامَةِ وَالسَّفَرِ وَبَانَ لَهُ تَعَالَى فِي كُلِّ صُنْعٍ
حِكْمَةٌ يَتَعَجَّبُ الذَّاهِلُ عَنِ السِّرِّ كَمَا فِي قِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَلَا يَرِدُ
التَّنَاقُضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بُغْضِ الْمُعْصِيَةِ لِأَنَّ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ وَالْمُعْصِيَةُ مُقْضِيَةٌ وَلِأَنَّ
الرِّضَاءَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُقْضَى لَا يَنَافِي الْبُغْضُ لِلْمُعْصِيَةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا مُعْصِيَةٌ

ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال عليه السلام: اللهم بارك لهم في ليلتهم
قال الراوى فاقدرايت لهم بعد ذلك فى المسجد سبعة كلهم قد قرؤوا القرآن، رواه
الطبرانى فى الكبير من طريق أبى نعيم فى الحلية ، والقصة فى الصحيحين من حديث
أنس مع اختلاف ، والنسائى فى الكبرى باسناد صحيح من حديث جابر «دخلت
الجنة فاذا انا بالريمضاء امرأة أبى طلحة» فقد روى ان امرأة فتح الموصلى عثرت فقطع
ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدى من الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالته عن قلبى
حرارة وجعه وعذابه . وقد ورد فى الترمذى وغيره حديث •

«هل أنت الا اصبع دميت • وفى سبيل الله مالقيت»

وقال شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهى المخرج منها والله در المتنبى اذ يقول •

أن كان سرى ما قال حاسدا فالحرج اذا أرضا لم

(كما للمريض والتاجر) المسافر (المتحملين شدة الحجامة) رجاء للصحة (والسفر)
أى ومحتته طمعا للزيادة (وبان له تعالى فى كل صنع حكمة) كما قال تعالى (صنع الله
الذى اتقن كل شئ) وقال (صبغة الله وما احسن من الله صبغة) بل حكما كثيرة
(يتعجب الذاهل) الغافل (عن السر) أى سر تلك الحكمة فى تلك الصنعة وما
يترتب عايبها من الحكم (كما فى قصة موسى والخضر عليهما السلام) وواقعه بينهما
من الملام والكلام فى تحقيق المقام وتدقيق المرام (ولا يرد التناقض بينه) أى بين
الرضاء بالقضاء ، فقد ورد فى الدعاء • اللهم أسألك الرضاء بالقضاء ، (وبين بغض
المعصية) الواقعة بحكم القضاء (لان الرضاء) انما هو (بالقضاء) الذى هو فعل
الرب وخلق (والمعصية مقضية) على العبد صادرة عن فعله وكسبه ، ولو كان بتقدير
الرب وحكمه ، ولان قضاء الشر ليس بشر ، انما الشر هو المقضى فلا يكون الرضاء
بالشر ، وبهذا يتحقق معنى الخبر والخير لانه يدريك والشر ليس اليك (ولان الرضاء)
بالقضاء (من حيث أنه مقضى لا ينافى) أيضا (البغض للمعصية من حيث أنها معصية)

وَهُوَ لَا يُوجِبُ تَرْكَ الْأَسْبَابِ وَتَحْقِيقَهُ يَأْتِي فِي التَّوَكُّلِ وَلَا الدُّعَاءَ بِشَرَطِ الصَّلَاحِ
 قَلْبًا فَوَرَدَ «اللَّهُمَّ زِدْنَا فِي الْبَيْنِ اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خَيْرًا مِنْهُ فِي غَيْرِهِ

فالحشية اذا كانت مختلفة تصير الامور المختلفة كلها مؤتلفة ، كالولد العاقى يحب من حشية
 الولدية ويغض من جهة العقوبة (وهو) أى الرضا بالقضاء (لا يوجب ترك
 الاسباب) أى اسباب البقاء وغيره من الابواب (وتحقيقه) أى تحقيق ترك الاسباب
 (يأتى فى التوكل) الموضوع لهذا الباب (ولا الدعاء) أى ولا يوجب الرضا
 ترك الدعاء بقوله تعالى (ويدعوننا رغبا ورهبا) وثبت انواع من الدعاء عن سيد الانبياء
 مع أنه فى أعلى مقامات الرضا (بشرط الصلاح قلبا) ولولم بشرطه لسانا (فورد
 اللهم زدنا ، فى البين اللهم ارزقنا خيرا منه ، فى غيره) والحديث رواه الترمذى
 فى الشائل عن ابن عباس أنه عليه السلام قال : من أطعمه الله طعاما فليقل : اللهم
 بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ، ومن سقاه الله ابنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا
 منه قال وقال عليه السلام : ليس شيء يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن ،
 هذا ، وقد قال ميمون بن مهران : من لم يرض بالقضاء فليس لحقه دواء ، وقال الفضيل :
 اذالم تصلح على تقدير الله فلم تصلح على تقدير نفسك . وقال عبد العزيز بن أبى رواد : وليس
 الشأن فى أكل خبز الشعير والحل ، ولا فى لبس الصوف والشعر ، لكن الشأن
 فى الرضا بالقضاء والقدر . وقال عبد الله بن مسعود : لئن الحس جرة أحرقت ما أحرقت
 وابقت ما أبتت أحب إلى من ان أقول لشيء كان ليته لم يكن ، أو لشيء لم يكن
 ليته كان . ونظر رجل إلى قرحة فى رجل محمد بن واسع فقال : أنى لا رحلك من هذه
 القرحة ، فقال انى لا شكرها منذ خرجت اذ لم تخرج فى عيني . وقال الثورى يوما عند
 رابعة العدوية : اللهم ارض عنا ، قالت : أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت
 عنه غير راض : فقال استغفر الله . فقال جعفر بن سلمان : متى يكون العبد راضيا عن
 الله ؟ قالت إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة ، وعن الفضيل إذا استوى
 عنده المنع والمطاء فقد رضى عن الله تعالى ، عن احمد بن أبى الحواري قال أبو
 سليمان الداراني أن الله من كرمه قدرضى من عبيده بما رضى به العبد من مواليهم قلت كيف
 ذلك ؟ قال اليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه . وولاه قلت نعم ، قال أن عجة الله
 من عبيده أن يرضوا عنه ، وقال بعض السلف : من حسن الرضا بالقضاء ان لا

ثُمَّ الشُّكْرُ يَجْمَعُهُ عَرَفَانِ النَّعْمَةِ مِنَ الْمُنْعَمِ وَالْفَرَحُ بِهِ وَاسْتِعْمَالُهَا فِي طَاعَتِهِ

يقول هذا يوم حار أو يوم بارد في معرض الشكاية . وقول القائل : الفقر بلاء ومحنة ، والعيال هم وآعب ، والاحتراف لكد ومشقة وكل ذلك قادح في كمال الرضا بالقضاء ، فمن عمر رضى الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي . وعن ابن مسعود أنه قال الفقر والغنى مطيتان لا أبالي أيهما اركب ان كان الفقر فقيه الصبر ، وان كان الغنى فقيه البذل وانما يقل فقيه الشكر اعاء الى ان الفقر أفضل من الغنى وإشارة الى أن الغنى من غير البذل مذموم عند أهل الفضل والعدل هذه وقد اختلف العلماء في الافضل من أهل المقامات الثلاثة : رجل يحب الموت شوقا الى الله تعالى ، ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا وأرضى بما يختاره الله لي . ورفعت هذه المسألة إلى بعض العارفين فقال : صاحب الرضا أفضل لانه أقلامهم فضولا . واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط ، فقال سفيان الثوري : كنت اكره موت الفجاءة قبل اليوم ، واليوم وددت أني مت ، فقال له يوسف لم ؟ قال : لما اتخوف من الفتنة ، فقال يوسف لكنني لا اكره طول البقاء ، فقال سفيان لم ؟ قال : لعلني اصادف يوما توب فيه واعمل صالحا . فقال لو هيب أى شيء تقول ؟ قال انا لا اختار شيئا ، أحب ذلك الى الله أحبه الى فقبل الثوري بين عينيه فقال : روحانية ورب الكعبة . ويؤيده الدعاء المأثور اللهم احبني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر . (ثم الشكر يجمعه) ثلاثة اشياء (عرفان النعمة من المنعم) وهذا علم يصدر عن اعتقاد ان كل ما في العالم موجود فهو من الله مشهود كما قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وفي دعائه عليه السلام « اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر » (والفرح به) أى بالمنعم الحاصل بانعامه لا بنفس النعمة من حيث ذاتها الادنى ، بل من حيث انها وسيلة الى القرب من المولى والنظر الى وجهه الاعلى ، فهذا هو الرتبة العليا ، وعلامته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للآخرة ، ويحزن بكل نعمة تليه عن طريق الهدى وهذا حال (واستعمالها) أى صرف النعمة (في طاعته) أى طاعته دون معصيته للمنعم ، وهذا عمل . وقال الشبلى الشكر رؤية المنعم لأروية النعمة . وقال الجنيد : الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة . وقال الخواص : شكر العامة على المطعم والملبس ، وشكر الخاصة على واردات القلوب ، وهي رتبة

وَلَا يَدُّ مِنْهُ لَاسْتِدَامَةَ النِّعْمَةِ فَوَرَدَ (فَكَفَّرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لُبَاسَ الْجُوعِ
وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) وَإِنَّ النِّعْمَ أَوْ أَبْدَ فَقِيدُوا هَابَ الشُّكْرِ وَاسْتَزَادَتْهَا فَوَرَدَ
(لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ - وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى)

لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج وسائر الشهوات ومدركات
الحواس من الالوان والاصوات ، وخلا عن لذة القلب وما يرد عليه من الواردات ،
فان القلب السليم لا يلتذ في حالة من الصحة القويم الا بذل الله ومعرفته من حيث اللذات
والصفات ، وأما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين
ويتخاطره على السكنجيين ، وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء
المرة حتى قيل :

ومن يك ذا فم مر مريض يحمد مرا به الماء الزلالا

(ولا بد) للعبد (منه) أي من الشكر (لاستدامة النعمة) أي لطلب دوام النعمة
وبقائها (فورد) في التنزيل (وكفرت) صوابه فكفرت كما في نسخة و صدر الآية
(وضرب الله مثلا قرية) أي مكة (كانت آمنة مطمئنة يأتها رزقها رغدا) أي واسعا (من
كل مكان فكفرت) أي أهملها (بأنعم الله) أي بتكذيب رسوله (فأذاقها الله لباس الجوع)
أي القحط سبع سنين (والخوف) أي الرعب من المسلمين (بما كانوا يصنعون
وان) أي وورد في الحديث (أن النعم أو أبد) أي وحشيات متنفرات كصيد شوارد
(فقيدوها بالشكر) وقد قيل الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد المنحة المفقودة، كما
يشير اليه قوله (واستزادتها) أي ولطلب زيادة النعمة (فورد) في التنزيل (لن
شكرتم لأزيدنكم) تمامه (ولئن كفرتم أن عذابي لشديد) (والذين اهتدوا)
بالإيمان وترك الكفر واداء الشكر (زادهم هدى) أي هداية على هدايتهم ،
وعناية على رعايتهم *

ثم أعلم أن لكل عضو من القلب واللسان وسائر الجوارح والاركان شكر ايليق به من عمل
الطاعة وترك المعصية ، واعظمها شكر الجنان ، واظهرها شكر اللسان . وقد قال عليه السلام
لرجل : كيف أصبحت؟ فقال بخير فاعاد عليه السلام السؤال حتى قال في الثالثة بخير
أحمد الله واشكره ، فقال عليه السلام هو الذي اردت منك ، رواه الطبراني في الدعاء من
رواية الفضل بن عمرو مرفوعا ، وهذا معضل . وفي المعجم الكبير من حديث عبد الله بن

وَأَيْضًا إِذَا أَرْسَلَ مَلِكٌ فَرَسًا وَثُوبًا وَزَادًا إِلَى عَبْدٍ لِيَجِيءَ إِلَيْهِ وَيُنَالَ حَظَّ الْقُرْبَةِ
مَعَ اسْتِغْنَاءِ الْمَلِكِ عَنْهُ فَاسْتَعْمَلَ فِي الْبُعْدِ عَنْهُ أَوْ أَهْمَلَ أَوْ مَكَّنَ عَبْدًا عَلَى بَسَاطِ
الْقُرْبَةِ فَاشْتَغَلَ الْعَبْدُ عَنْ خِدْمَتِهِ مُلْتَفِتًا إِلَى خَسِيسٍ فِي حَرْقَتِهِ يَسْأَلُهُ

عمر ووليس فيه تكرار السؤال وقال أحمد الله إليك وكان السلف يتساءلون وينتقم استخراجه
الشكر لله ليكون الشاكر لله مطيعا والمستنطق له به مطيعا ، فكل عبد يسأل عن
حاله فهو بين ان يشكرو بين ان يشكو ، وبين ان يسكت ، فالشكر طاعة صحيحة ، والشكوى
معصية قبيحة . وكيف لا تنقبج الشكوى من المولى وهو ملك الملوك ؛ ويده كل شيء
الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالا حري بالعبد ان لم يصبر على البلوى ويفضيه
الضعف الى الشكرى ان تكون شكواه الى المولى ، فهو المبلى وهو القادر على ازالة
البلاء ؛ وذل العبد لمولاه عز ، والشكوى الى غيره ذل ، واطهار الذل للعبد مع كونه
عبدا مثله ذل قبيح . قال الله تعالى (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون) فقد روى ان
وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم ، فقال عمر الكبير الكبير ، فقال
يا امير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو اكبر منك ، فقال تكلم ، فقال
لسنا وفدا لرغبة ولا وفدا لرغبة ، اما الرغبة فقد اوصلها اليها فضلك ، واما الرغبة فقد آمنتنا
منها عدلك . وانما نحن وفدا لشكر جنتك نشكرك باللسان ونصرف (وايضا) بما يدل
على تحقيق وجوب الشكر على العبد من جهة العقل مع قطع النظر عن النقل
مثال ، وهو ان يقال (اذا ارسل ملك) عظيم (فرسا وثوبا وزادا الى عبد) بعيد
عن قرب (ليجي اليه) رايا لا بسا منعهما عليه (وينال حظ القربة) اي ويلقى حظ
قرب الملك لديه (مع استغناء الملك عنه) وقال احتياج العبد منه (فاستعمل) الفرس
والزاد (في البعد عنه) اي عن حكمه وفي سفر المخالفة من قرب (او أهمل) امره
ونسو قدره ، وجلس في محله ، ولم يستعمل لافي قرب ولا في بعده (او مكن) اي او اذا
اقدر (عبدا على بساط القربة) وامكنه من الانبساط في بساط عدم الدربة (فاشتغل
العبد عن خدمته) اي خدمة الملك وعن المأق الى حضرته (ملتفتا الى خسيس في
حرقته) من دباغ وكناس . وسيس دابة (يساله) اي يطلب العبد من ذلك الخسيس

كسرة رَغِيفٍ يَسْتَحِقُّ الْمَقْتَ وَسَلْبَ النُّعْمَةِ

(كسرة رَغِيف) باظهار فاقته وحرفته في حضرة الملك وصحبته فلا شك ان كلا منهما (يَسْتَحِقُّ الْمَقْتَ) اى كمال الغضب (و) يقتضى (سلب النعمة) وجلب النعمة وادامة العقوبة والطرده عن الخدمة والبعد عن الحضرة. وتوضيحه ما في الاحياء ان الانبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة الخلق الى كمال توحيد الحق ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة ، وقطع تلك العقبات الشاقة ويمكنك ان تفهم بمثال وهو ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعد عنه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد فيقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان ، أحدهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له غنى في خدمته ، والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه ، بل حضوره لا يزيد في ملكه ، وان غيبته لا تنقص من ملكه ، فيكون قصده من الانعام عليه بالمر كوب ونحوه ان يحظى العبد بالقرب منه في مقابلة خدمته ، وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به بانتفاعه . فتزل العباد من الله في الميزة الثانية لافى الميزة الاولى ، فان الاولى محال على الله والثانية غير محال .

ثم أعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته مالم يقوم بخدمته التي ارادها الملك منه ، وأما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ، ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا أو كافرا ، فيكون شكره بان يستعمل ما انقذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه ، وكفره بان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد في بعده منه ، فمما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر مولاه ، اذا استعمل نعمته في سبيل محبته اى فيما احبه لعبده لالنفسه ، وأن ركب واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اى استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لالنفسه ، وان جلس ولم يركب لافى طلب القرب ولا فى طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذا اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه ، فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل أبدانهم بها فيبعدون عن حضرته بسببها ، وإنما سعادتهم في القرب منه ، فاعد لهم من النعم ما يقدررون

وَالْفَارِقُ يَبْنِي مَحْبُوبَهُ تَعَالَى وَمَبْغُوضَهُ لِلْفِعْلِ وَالتَّارِكُ الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ
وَالْاِسْتَبْصَارُ وَالضَّابِطُ أَنَّ الْمَوْصِلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَحُبِّهِ مَحْبُوبٌ لِلَّهِ وَالشَّاعِلُ عَنْهُ
مَبْغُوضٌ لِلَّهِ ثُمَّ النُّعْمَةُ أَمَّا دُنْيَوِيَّةٌ كَالْخَلْقَةِ السَّوِيَّةِ وَالْمَلَاذِ الشَّهِيَّةِ وَصَرَفِ الْمَفَاسِدِ
وَالْمَضَارِّ وَأَمَّا دِينِيَّةٌ كَالْتَوْفِيقِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِصْمَةِ وَالْحِفْظِ

على استعماله في نيل درجة القرب ، وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى فقال (لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) الآية فاذا أنعم الله بالات يترقى بها العبد عن أسفل سافلين خلقها
الله لاجل العبد حتى يقال بها سماعات القرب ، والله سبحانه غني عنه قرب أو بعد
هذه ، والعبد فيه بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه ، وبين
أن يستعملها في المعصية فقد كفر لافتحائه لما يكرهه مولاه ولا يرضاه له ، فان الله
لا يرضى لعباده الكفر والمعصية ، وان عطلها فلم يستعملها لا في طاعة ولا في
معصية فهو أيضا ككفران للنعمة بالتضييع اذ كل ما خلق الله تعالى في الدنيا انما
خلقه آلة لا لبديتوصل بها الى سعادة الاخرى ونيل القرب من المولى ، فكل مطيع
فهو بقدر طاعته شاكر لنعمة الله في الاسباب التي استعملتها ، وكل كسلان ترك
الاستعمال ، أو عاص استعمل ذلك في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله ،
فالمعصية والطاعة تشماهما المشيئة ولكن لا تشملها المحبة والكرامة بل رب مراد محبوب ورب
مراد مكروه ووراء بيان هذه الدقة سر القدر الذي يمنع من افشائه صونا للحقيقة (والفارق
بين محبوبه تعالى ومبغوضه) عز وجل (للفعل) محبوبا ومبغوضا (والتارك)
كذلك العلم بالكتاب والسنة فانهما كفتاه ميزان العدالة (والاستبصار) أى برؤية
كاف في نسخة ، أى والاعتبار بفكر من العقل ونظر وتامل في النقل (والضابط)
لما يحبه الله وما يبغضه (أن الموصل) للعبد (الى معرفته) أى الله تعالى (ومحبه محبوب
الله) فينبغى استعمال النية فيه (والشاغل عنه) أى والمانع عما ذكر من المعرفة
والمحبة (مبغوض لله) فيجب عدم استعمال النية فيه (ثم النعمة امدنيوية كالحلقة السوية
والملاذ الشهية) من المطالبات النفسية (وصرف المفسد والمضار) البدنية
بالات جسية مثل البد والرجل حيث يدفع الضرر أو بهرب من الشر (راما دينية
كالتوفيق على الطاعة والمعصية) في حق الانبياء (والحفظ) في حق الأولياء

عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَهِيَ أَعْظَمُ لَا يَصَالُهَا إِلَى السَّعَادَةِ الْآبِدِيَّةِ وَالْإِنْجَاءِ عَنِ الشَّقَاوَةِ
السَّرْمَدِيَّةِ وَاشْتَرَكَ الْكُفَّارُ فِي الدُّنْيَوِيَّةِ وَاعْتَنَمَ الْأَبْرَارُ زَوَالَهَا وَطَلَبُوا الْإِحْصَاءَ
تَوْقِعَ الْمَحَالِ فَوَرَدَ (وَأَنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا) وَالطَّرِيقُ الْمَعْرِفَةُ وَالتَّفَكُّرُ
فِي صَنَائِعِهِ تَعَالَى وَالنَّظَرُ إِلَى الْأَدْنَى فَوَرَدَ «مَنْ نَظَرَ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَنْ دُونَهُ وَنَظَرَ فِي
الدِّينِ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ كَتَبَهُ اللَّهُ صَابِرًا وَشَاكِرًا»

(عَنِ الْمَعْصِيَةِ) مع القدرة أو عدمها فإن من العصمة أن لا يقدر (وهي) أي
النعمة الدينية (أعظم) قدرا من النعمة الدنيوية (لا يصالها) أي لتبليغ النعمة
الدينية (إلى السعادة الآبدية) التي لا غاية لها (والإنجاء) أي الخلاص (عن
الشقاوة السرمدية) التي لا نهاية لها (واشتراك الكفار) مع الأبرار (في
الدنيوية والدنيا مبخوضة لسرعة فنائها وكثرة عنائها وخسة شرفائها) واعتنم الأبرار
زوالها (أي فقد النعمة الدنيوية خوفا من نقصان النعمة الآخروية كما قال بعض المجتهدين:
ورود الفاقات أعياد المريدين و (طلب الإحصاء) لنعم الله وعدّها (ترقع المحال) وتمنية
لعدم طاقة البشر في ذلك الحال (فورد) في التنزيل (وأن تعدوا) أي تريدوا أن تحصوا
(نعمة الله لا تحصوها) أي لا تطبقوا إحصاء ما وعدّها فضلا عن القيام بحققها من شكرها.
وقد قيل: الأنفاس في اليوم والليلة أربعة وعشرون ألفا، وفي كل نفس نعمتان في حصولها
باعتبار طلوعها ونزولها (والطريق) المفضي إلى الشكر ثلاثة (المعرفة) أنعمه
سبحانه فانه ما من عبد الا ولو أمعن النظر في احواله لرأى من الله نعمة او نعماء كثيرة
تخصه لا يشاركه فيها عامة الناس، بل يشاركه عدد يسير منهم، وربما لا يشاركه فيها
أحد (والتفكر في صنائعه تعالى) من الانفسية والآفاقية، واحساناته سبحانه عليه
من بين البرية (والنظر إلى الأدنى) في المرتبة المعيشية والامور الدنيوية (فورد
من نظر في الدنيا إلى من دونه) في المرتبة من الجاه والمال (ونظر في الدين إلى من فوقه)
من العلم والعمل والحال (كتبه الله صابرا) بالنظر الثاني (وشاكر) بالنظر الاول
فتأمل. والحديث رواه الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو، وهو في الصحيحين بافظ
وانظروا إلى من هو اسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله
عليكم، أي لا تحتقروها. وللمسكري عن أنس مرفوعا «من نظر إلى ما في أيدي الناس

طال حزنه ولم يشف غيظه » وحكى عن بعضهم أنه كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر ومواضع الحدود ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم، ثم يتأمل في صحته وسلامته عما ابتلوا به فيحمد الله على ما أعطاه من نعمه، فاذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد الله تعالى على نفسه نعمًا كثيرة، لا سيما من خص بالسنة والايان والعلم والقرآن، ثم بالفراغ والصحة والامان، ولذا قيل :

من شاء عيشا رحيبا يستطيع به في دينه ثم في دنياه اقبالا
فلينظرن الى من فوقه ورعا ولينظرن الى من دونه مالا

وقال عليه السلام « أن القرآن هو الغنى الذى لا غنى بعده ولا فقر معه » روى أبو يعلى والطبرانى من حديث أنس . وقال عليه السلام « من آتاه الله حفظ كتابه فظن أن احدا اوتى أفضل مما اوتى فقد صغرا عظم النعم » روى البخارى فى تاريخه . منه « فقد استهزأ بآيات الله » وعن الصديق ومن اوتى القرآن فظن أن احدا اوتى أفضل منه فقد حقر عظيمًا وعظم حقيرا ، وقال عليه السلام « من لم يتغن بالقرآن فليس منا » أى لم يستغن ، وقد سبق . والكل مقتبس من قوله سبحانه (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى مامتعناه ازواجهم) وقال بعض السلف : يقول الله أن عبدا اغنيته عن ثلاثة لقد آتممت عليه نعمتى ، عن سلطان يأتيه - فيه احتمالان - وطبيب يداويه ، وعما فى يداخيه ، وعبر الشاعر عن هذا بقوله :

إذا ما القوت يأتيك كذا الصحة والامن • وأصبحت اخا حزن • فلا فارقت الحزن
بل أفصح العبارات وأماح الاشارات كلام أفصح من نطق بالاضاد ، حيث عبر عن هذا المراد على وجه الارشاد للعباد بقوله « من أصبح آمنا فى سربه ، معافى فى بدنه ، عنده قوت يومه ، فكانما حيزت له الدنيا » أى جمعت . والحديث قد تقدم . قال فى الاحياء : ومهما تأملت الناس ظلم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث ، مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله فى هذه الثلاث ولا يحمدون نعمة الله عليهم فى الايمان الذى به وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم ، بل البصير يغنى أن لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايان ، بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من أهوال وأتباع وأنصار ، وقيل له خذ هذا عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم يأخذه وذلك لرجائه أن نعمة العلم تفضى به الى قرب سبجانه فى الآخرة ، بل لو قيل له : لك ما ترجوه فى الآخرة بكماله فخذ هذه اللذات فى الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم فى الدنيا وفرحك

فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ يُمْكِنُ الشُّكْرُ وَالْعَبْدُ يَعْجُرُ عَنْهُ الْإِبْتَوَافُ بِهِ وَهُوَ نِعْمَةٌ تَسْتَدْعِي شُكْرًا
إِلَى أَنْ يَتَسَلَّلَ قُلْتُ التَّحْقِيقُ لِمَنْ بَلَغَ مَقَامَ الْفَنَاءِ أَنَّ الشَّاكِرَ هُوَ الْمَشْكُورُ فَوَرَدَ « لَا
أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ »

به قبل العقبى لكان لا يأخذه ، لعله بازلة العلم دائمة لا تنقطع ، وثابتة لا تسرق ولا
تغصب ولا ينافس فيها ولا تنقلع ، وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها
ناقصة مكدره مشوشة لا يبقى مرجوها بمخوفها ولذاتها بالمها ، ولا فرحها بغمها
هكذا يرى إلى الآن ، وهكذا يكون إلى آخر ما بقى من الزمان ، إذ ما خلقت لذات
الدنيا ألا لتخدع بها العقول الناقصة ، حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليهم
وامتنعت عنهم واستعصت منهم كالمرأة الجميلة ظاهرها مزين للشباب العشيق ، الغبي حتى
إذا تعلق بها قلبه احتجبت عنه ، فلا يزال معها في عناء دائم وتعب قائم ، وكل ذلك
لاغتراره بلذة النظر إليها في لحظة ، ولو غفل ونقض البصر واستهان بتلك اللذة سلم
في جميع عمره ، فهكذا وقع أرباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ، ولا ينبغي أن يقول
أن المعرض عن الدنيا متالم بالصبر عنها فإن المقبل عليها أيضا متالم بالصبر عليها
وحفظها وتحصيلها وجمعها ومنعها ودفع المقصود عنها . وتالم المعرض عنها يفضى إلى
اللذة في الأخرى وتالم المقبل عليها يفضى إلى العسر في المعاقبة . فليقرأ المعرض عن الدنيا
على نفسه قوله تعالى (إن تكونوا تالمون فأنهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون) هـ
(فإن قلت كيف يمكن الشكر) لله (والعبد يعجز عنه) أى عن شكر
الله (إلا بتوفيقه) لشكره (وهو) أى والحال أن توفيقه لشكره (نعمته تستدعى
شكرا) آخر (أو أن يتسلسل) فيصير الشكر محالا (قلت التحقيق لمن بلغ مقام الفناء
عن نفسه والبقاء بربه) (أن الشاكر) الذى (هو) الشكور (المشكور) وأن المثنى
هو المثنى عليه (فورد) فى الحديث المشهور (لا احصى ثناء عليك) أى لا يطيق
الحمد والشكر على نعمك (أنت كما أثنت على نفسك) وحاصله أن الاعتراف بالعجز عن
الشكر عين الشكر ، وأنشد العجز عن درك الإدراك ادراك :

كما حقق فى توحيد الذات حيث قال تعالى : (ولا يحيطون به علما) (ليس مثله
شئ) وقال على : ما خطر ببالك فالله غير ذلك . وقالت الملائكة (سبحانك لا علم
لنا إلا ما علمتنا) ويوم يجمع الله الرسل فيقول ما إذا اجتمعوا قالوا لا علم لنا) وقيل

في معنى قول بعض السلف : من عرف نفسه فقد عرف ربه . أى من عرف نفسه بالجزء عرف ربه بالقدره ، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء . وتوضيح السؤال والجواب ولو احتيج الى بعض الاطباب لانه من فصل الخطاب الذى هو لب لباب هذا الباب من الكتاب عند ارباب الالاباب : هو أن جميع ما تعطاه باختيارنا من أنواع الشكر على نعم الدنيا والاخرى هي نعمة اخرى من الله تعالى وبالشكر اخرى ، اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعتنا وسائر أمورنا التي هي اسباب سكوتنا وحركتنا ونفس حركتنا من خالق الله تعالى ونعمه ، فكيف نشكر نعمته بنعمته ، ولو اعطانا الملك مركوبا فاخذنا مركوبا آخر له وركبناه ، او اعطانا مركوبا آخر لم يكن الثانى شكرا للاول منا ، بل كان الثانى يحتاج الى شكر آخر كما يحتاج الاول ، ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى ، فيؤدى الى أن يكون الشكر محالاً في حق الله تعالى من هذين الوجهين ، ولسنا نشك في الامرين ، وقد ورد به الشرع فكيف السبيل الى الجمع ؟ فاعلم أن هذا الخاطر خطر لداود وكذا موسى عليهما السلام فقال : يارب كيف اشكرك وانا لا استطيع أن اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك ، وفي لفظ آخر وشكرى لك نعمة اخرى منك توجب الشكر على ذلك ، فارحى الله تعالى اليه : اذا عرفت هذا فقد شكرتني . وفي خبر آخر اذا عرفت أن النعم منى رضيت بذلك منك شكرا والتحقق في مقام التوفيق على وجه التدقيق ان ههنا نظرين : نظرا بعين التوحيد المحض ، وهذا النظر يعرفك قطعا أنه الشاكر وانه المشكور ، وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره ، وأن كل شيء هالك الا وجهه ، ومن هنا قول لبيد

الكل شيء ما خلا الله باطل

وقول بعض ارباب الشهود : سوى الله والله ما في الوجوده وقول بعض الابرار ليس في الدار غيره ديار

وذلك أن الغير هو الذى يتصور أن يكون له بنفسه قوام ، ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان يوجد ، اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه ، وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود ، بل قائم بغيره فهو موجود بغيره ، فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البته ، وانما الموجود هو القائم بنفسه ، والقائم بنفسه هو الذى اذا قدر عدم غيره بقى موجودا . فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذا نظرت في هذا المقام علمت ان الكل منه مصدره ، واليه مرجعه ، فهو الشاكر وهو المشكّر ، وهو المحب

وهو المحبوب ، ومن هنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ
 (انا وجدناه صابرا نعمة العبد انه أواب) فقال وانجياه اعطى وأثنى . اشار الى انه اذا اثنى
 على عطائه فعلى نفسه اثنى ، فهو المثنى وهو المثنى عليه . ومن هنا نظر الشيخ أبو سعيد
 الميهني حيث قرأ بين يديه (يحبهم ويحبونه) فقال لعمرى يحبهم ودعه يحبهم
 فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه ، اشار به الى ان المحب هو المحبوب ، وهذه رتبة
 عالية ومنزلة غالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقلك ، فيقال ان المصنف اذا
 احب تصنيفه فقد احب نفسه ، والصانع اذا احب صنيعته فقد احب نفسه ، وكل
 ما في الوجود سوى الله فهو تصنيفه وصنيعته ، فان احبه فما احب الانفسه
 واذا لم يحب الانفسه فبحق احب ما احب . وهذا كله نظر بعين التوحيد وتحقيق
 التفريد . وتعتبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى فنى عن نفسه عن غير الله
 فلم يرفى الكون الا الله ، رايى المعنى كما فهمه الوجودية من العينية لنص المعية
 كما بينته فى رسالة المرتبة الشهودية فى المنزلة الوجودية ، فهذا احد النظريين . واما النظر
 الثانى فنظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه فظن لنفسه وجودا مستقلا ، ولو
 عرف اعلم انه من حيث هو لا ثبات له ولا وجود له وانما وجوده من حيث أوجد
 لا من حيث وجد ، وفرق بين الموجود وبين الموجد . وليس فى الوجود الا موجود
 واحد وموجد . فالوجود حق والموجد من حيث هو هو باطل ، والموجود قائم
 وقيوم ، والموجد هالك وفان ، فاذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال
 والاکرام ودرجات الموحدين متفاوتة فى مقامات المجتهدين وقد جاء جميع الانبياء والمرسلين
 داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ، ومعناه ان لا ترى الا الله الواحد
 القهار . فالواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون ، والباقيون وهم الاكثرون عن هذا المعنى
 غافلون كما قال تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) اذ عبدة الاوثان قالوا
 ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى (كانوا داخلين فى اوائل التوحيد دخولا ضعيفا .
 والمتوسطون وهم الكثيرون فقيهم من تنفتح بصيرته فى بعض الاحوال فتلوح لهم
 حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت ، وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا
 ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز كما قيل :

كل الى شأو العلا حركاته ولكن عزيز فى الرجال ثباته

ولما أمر عليه السلام بطلب القرب بقوله سبحانه (واسجد واقترب) قال فى سجوده
 « اعوذ بفضلك من عقابك ، واعوذ برضاك من سخطك ، واعوذ بك منك لا احدى ثناء

وَاخْتَلَفَ فِي وُجُوبِهِ فِي الْمَصَائِبِ وَالْحَقُّ الْوُجُوبُ عَلَى أَنْ لَا يُصِيبَ أَكْبَرَ مِنْهَا
وَأَنْ لَا تَكُونَ فِي الدِّينِ

عليك أنت كما أثبت على نفسك « فقله عليه السلام : اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط ، وكانه لم ير الا الله وأفعاله فاستعاذ بفعله من فعله ، ثم اقترب ففنى عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهى الصفات ، فقال : اعوذ برضاك من سخطك ، ثم رأى ذلك نقصا في التوحيد فاقتررب ورقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال : اعوذ بك منك فهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل ولا صفة ، ولكنه رأى نفسه فارا منه اليه ، ومستعيذا به ومثليا عليه ، ففنى عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصا في مقام أنسه فاقتررب فقال لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ، فقله : لا احصى خبر عن فناء نفسه وخروجها عن مشاهدتها . فقله أنت كما أثبت على نفسك بيان أنه هو المثنى وهو المثنى عليه ، وأن الكل منه بداو اليه يعود ، ولقد كان عليه السلام لا يرقى من مرتبة الى الاخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله تعالى من الاولى ، كما قال « أنه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة » فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها فوق بعض في مقام الوحدة ومشاهدة الذئرة : هذا وما من مقبول الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب من تسليط العلم والخرف عليه ، وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بسلاسل تسليط الغفلة والغرور عليه ، فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والجرمون يقادون الى النار قهرا ، ولا قاهر الا الله الواحد القهار ، ولا قادر الا الملك الجبار . وهذا معنى قوله خلقت هؤلاء للجنة ولأبالي وخلقت هؤلاء للنار ولأبالي » (واختلف في وجوبه) أى الشكر (في المصائب والحق الوجوب) بناء على ستة اشياء (على أن لا يصيب اكبر منها) أى من تلك المصيبة التى أصابته اذ مقدورات الله لا تنتهى فلو ضعفها الله وزادها ماذا كان يردّها عما ارادها . وكان يقول شيخنا العالم النقى على المتقى : اذا اخذ صمامتك فتصدق بالحلارة بسلامة رأسك . فالمصيبة المالية أهون من المصيبة البدنية (وأن لا تكون) المصيبة (فى الدين) فقد قال رجل لسهل : دخل اللص بيتى وأخذ متاعى ، فقال له : اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك وأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع وقد وردنى دعائه عليه السلام « لا تجعل مصيبتنا فى ديننا » وقال عمر

وَأَنْ تَعْجَلَ عُقُوبَتَهَا وَلَا تَدْخُرَ لِلْآخِرَةِ وَأَنَّهَا كَانَتْ آتِيَةً فَفَرَّغَ مِنْهَا وَأَنْ ثَوَابَهَا خَيْرٌ مِنْهَا

رضى الله عنه : ما ابتليت بلاء الا كان لله على فيه أربع نعم : اذ لم تكن في ديني ، ولم تكن أعظم منها واذ لم أحرم الرضاء واذ رجوت الثواب عليها (وان تعجل عقوبتها) بصيغة المجهول أى عقوبة المعصية فى الدنيا (ولا تدخر للآخرة) فللعذاب الآخرة أشد وأبقى ، اذ مصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب اخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلى . اذ أسباب التسلى مقطوعة بالكلية فى الآخرة عن المعذنين . وأيضا مامن عقوبة الا وكان يتصور أن تؤخر الى الآخرة ، ومن تعجلت عقوبته فى الدنيا فلا يعاقب ثانية فى العقبى لقوله عليه السلام « اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلاء فى الدنيا فاقه اكرم أن يعذبه ثانيا فى العقبى » كذا فى الاحياء . وقال مخرجه رواه الترمذى وابن ماجه من حديث على « من أصاب فى الدنيا ذنبا عوقب به فاقه أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده » ولاحد والطبرانى بإسناد صحيح من رواية الحسن البصرى « عن عبد الله بن مغفل أن رجلا من الصحابة رأى امرأة كان يعرفها فى الجاهلية فكلما سمى تركها ، لجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشى فصدمه حائط فآثر فى وجهه ، فأتى النبي عليه السلام فاخبره ، فقال عليه السلام : اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبته فى الدنيا » وقال على كرم الله وجهه : الا أخبركم بارجى آية فى كتاب الله تعالى قالوا بلى فقرأ عليهم (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير) والله در القائل

لعمرك ما كالشكر داع زيادة ولا عوضا كالصبر عند المصائب

(وانها) أى ولان المصيبة الماحبة (كانت) فى التقدير (آتية) لا بد من وصولها اليه وقد وصلت (ففرغ منها) وتخلص عنها فهى نعمة بذاتها كما يشير اليه قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها) (وأن ثوابها) أى المصيبة (خير منها) أى من عدمها فاما من شئ يقع للعبد الا ويتصور أن يكون له فيه ذخيرة دينية ، فعليه أن يحسن الظن بالله فيما يعطيه ويتبلى فان حكمته تعالى واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد ، وغدا يشكره العباد على البلاء اذ اوائاب البلاء ويتمنوا أنه كان يقرض ابدانهم فى الضراء فقد روى أن رجلا قال له عليه السلام اوصنى ، فقال « لاتنهم الله فى شئ قضاء عليك » رواه أحمد والطبرانى من حديث عبادة . وقال عليه السلام « عجبا لامر المؤمن أن أمره كله

وَأَنَّهُ تَنَقَّصَ مِنَ الْقَابِ حُبَّ الدُّنْيَا فَهِيَ فِي التَّحْقِيقِ نَعْمٌ أَذْ لَا تَخْلُو عَنْ تَكْفِيرٍ
لِلْخَطِيئَةِ أَوْ رِيَاضَةٍ لِلنَّفْسِ أَوْ رَفْعٍ لِلدَّرَجَةِ وَقِرَاءَةِ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ فِي أَيَّامِ الْعُسْرَةِ
لَطَلَبِ الْقَنَاعَةِ أَوِ الْعِدَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ دُونَ وَسْعَةِ الدُّنْيَا وَانَّمَا قُرِئَتْ لِمَا وَرَدَ فِيهَا مِنَ الْأَخْبَارِ

له خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان اصابته سرا مشكرا فكان خيرا له وان اصابته ضرا صبرا
فكان خيرا له ، رواه مسلم (وانما) أى ولان المصيبة (تنقص من القاب حب الدنيا)
فلم يسكن اليها ولم يأنس بها فقد ورد في الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، رواه مسلم
من حديث أبي هريرة (فهمى) أى المصائب (فى التحقيق نعم) يجب لأهل التوفيق
الشكر عليها (اذ لا تخلو) المصيبة (عن تكفير للخطيئة) ان كان من المبتدئين
(اورياضة للنفس) لما فيها من المحنة والبليّة ان كان من المتوسطين (ارفع للدرجة)
ان كان من المتقدمين . والاخبار الواردة فى الصبر على المصائب كثيرة شهيرة كقوله
عليه السلام : من يرد الله به خيرا يصبر منه ، رواه البخارى من حديث أبي هريرة
: ولان أبى الدنيا من حديث أبى سعيد الخدرى : أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالى
وسقم جسدى ، فقال : لا خير فى عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده ، أن الله تعالى اذا
أحب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره ، ولان داود : أن الرجل لتكون له الدرجة عند
الله لا يباغها بعمل حتى يتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك (وقراءة سورة الواقعة)
مبتدأ (فى أيام العسرة) ظرفه والخبر (لطلب القناعة) أى قناعة القلب ، وهو أن
لا يشغله شاغل عن حضرة الرب : وهو جواب سؤال مقدر تقديره انكم اوصيتم بالشكر
على المصيبة وأثبتتم انها فى التحقيق من النعمة ، فقراءة السلف سورة الواقعة كل ليلة
فى أيام العسرة لاي معنى كانت ؟ فاجاب بما تقدم . وقد اخرج ابن عسار فى فضائل
القرآن . وأبو يعلى وابن مردويه فى تفسيره والبيهقى فى شعب الايمان عن ابن
مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : من قرأ سورة الواقعة
كل ليلة لم تصبه الفاقة ، واخرج ابن مردويه عن انس عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم أنه قال : سورة الواقعة سورة الغنى فاقروها وعلوها اولادكم ،
(اوالعدة) أى الاستعداد (على العباداة دون وسعة الدنيا) لان السلف لم يكونوا
محبين لو سعتها (وانما قرئت) السورة (لما ورد فيها) أى فى فضلها (من الاخبار

وَالْآثَارَ وَالْأَفْلَامُ بِالْإِلَهِ بِحَمْدِهِ تَعَالَى بِالشَّدَةِ فَهُمْ كَانُوا يَغْتَنِمُونَهَا وَأَمَّا نِدَاءُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلْيَبَيِّنِ الشُّكْرَ عَلَى نِعْمَةِ الصَّبْرِ وَجَزِيلِ جَزَائِهِ لِقَرِينَةِ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أَوْ لِبُلُوغِ الْمَرَضِ إِلَى الْعَقْلِ وَاللِّسَانِ الْمَفُوتِ لِلْمَعْرِفَةِ وَالذِّكْرِ أَوْ الْعَجْرِ عَنْ أَقَامَةِ الصَّلَاةِ أَوْ لَانْقِطَاعِ الْوَحْيِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَمَّا وَرَدُ الْأَمْرِ بِسُؤَالِ الْعَافِيَةِ وَالنَّهْيِ عَنْ سُؤَالِ الْبَلِيَّةِ

وَالْآثَارَ) لما سبق (والا) أى وأن لم يحمل على ما تقدم (فلا بمبالاة بحمده تعالى) للسلف (بالشدة) أى بالبلاء والمحنة (فهم) أى السلف (كانوا يغتنمونها) أى الشدة والبلاء أكثر مما كانوا يغتنمون الراحة والذماء (وأما نداء أيوب عليه السلام) (رب انى مسنى) الضر (فليبين الشكر) وأظهره (على نعمة الصبر) لقوله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) (وجزيل جزائه) أى وعلى عظيم جزاء الصبر وعطائه (لقريته) وأنت أرحم الراحمين) وذلك لأن الله تعالى ساطع بعض بلائه على خاصة عباده وخلاصة أصفياه فهو فضل من الله ومن جملة عطائه، فشكر عليه وتبجح لديه وأشار إليه بقوله مسنى الضر الذى تخصر به انبياءك وأوليائك بلا استحقاق منى بل بكرم منك فانك أرحم الراحمين (أولبلوغ المرض الى العقل) أى القلب (واللسان المفوت) ذلك المرض (للمعرفة) بالجنان (والذكر) باللسان (أوالعجز عن اقامه الصلاة) بتمام أركانها (أولا نقطاع الوحي أربعين يوما) ومقام الفترة فى غاية من العسرة حتى كاد نبينا عليه السلام أن يرمى نفسه عن الصخرة، ولذا قيل: الحجاب أشد العذاب (وأما ورد الأمر بسؤال العافية) فى الأحاديث الثابتة الوافية لما رواه الترمذى من قوله عليه السلام «ما سئل الله شيئا أحب إليه من أن يسئل العافية» وابن ماجه عن انس «رفوعا» سل ربك العافية والمعافاة فى الدنيا والآخرة فإذا أعطيت العافية فى الدنيا وأعطيتها فى الآخرة فقد أفلحت، ولاحد والترمذى عن أبى بكر «سلوا الله العفو والعافية فان أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية»، والنهى عن سؤال البلية) فقد مر عليه السلام يقوم مبتلين فقال «أما هؤلاء كانوا يسألون الله العافية» رواه الترمذى، وقال علي رضي الله عنه: اللهم أنى استلك الصبر، فقال عليه السلام

لَآنَ الْاَوَّلَى سُوَالُ تَمَامِ النُّعْمَةِ فِي الدُّنْيَا وَثَوَابِ الشُّكْرِ فِي الْآخِرَةِ لِقُدْرَتِهِ تَعَالَى
عَلَى أَنْ يُعْطِيَ الْاَجَرَ الْجَزِيلَ عَلَى الشُّكْرِ مَا يُعْطَى عَلَى الصَّبْرِ، وَأَمَّا مِثْلُ :
فَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكَ حَظٌّ * فَكَيْفَ مَاشَيْتَ فَاخْتَبَرْنِي
وَقَوْلِ الْآخِرِ: أَرِيدُ وِصَالَهُ وَيُرِيدُ هَجْرِي * فَأَتْرُكُ مَا أَرِيدُ لِمَا يُرِيدُ
فَكَلَامُ الْعُشَّاقِ فِي حَالِ الْغَلْبَةِ وَهُوَ يُطْوَى وَلَا يُرَوَّى

و لقد سألت الله البلاء فسله العافية ، رواه الترمذى ولابن ماجه والنسائى باسناد جيد
عن أبى بكر الصديق أنه عليه السلام قال : سلوا الله العافية فما أعطى عبد أفضل
من العافية الا اليقين ، وأشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجمل والشك ، فعافية
القلب اعلى من عافية القالب (لان الاولى سؤال تمام النعمة فى الدنيا) فان تمامها
بعافية البدن فيها (وثواب الشكر) أى وسؤال ثوابه على نعمة رفع البلاء (فى الآخرة
لقدرته تعالى على أن يعطى الاجر الجزيل على الشكر) على نعمة رفع البلاء (ما يعطى
على الصبر) على محنة البلاء ، ومن هنا قال عليه السلام « ولكن عافيتك اوسع » كما رواه
ابن أبى الدنيا وغيره فى اثناء دعائه يوم خرج الى الطائف . وقال : طرف بن عبد الله :
لان أعافى فاشكر احب الى من أن ابتلى فاصبر . (وأما) ما يرد على قوله والنهى
عن سؤال البلية (مثل) قول سمنون المحب :

فليس لى فى سِوَاكَ حَظٌّ فكيف مَاشَيْتَ فَاخْتَبَرْنِي
وَقَوْلِ الْآخِرِ اريد وصاله ويريد هجرى فانك ما تريد لما يريد
(فكلام العشاق فى حال الغلبة) من الاشواق (وهو) أى مثل هذا الكلام
حين يجرى (يطوى ولا يروى) لان صاحب الحال لا يقتدى .
ومن الطائفة ما حكى أن فاخنة كانت يرادها زوجها فتمنعه ، فقال ما الذى يمنعك
عنى ولو اردت أن اقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلت لاجلك ، فسمعه سليمان
فاستدعاه وعاتبه على ما جرى ، فقال يابى الله : كلام العشاق يسمع ولا يحكى *
ثم اعلم أنه حكى أن سمنون بلى بعد هذا البيت بعلة الحصر ، فكان بعد ذلك يدور
على أبواب الكتاب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب ، ومن هذا القليل ما قال

وَفِي أَنَّ الشَّاكِرَ أَفْضَلُ أَمِ الصَّابِرِ ؟

بعضهم : اودان أكون جسرا على النار يعبر على الخلق كلهم فينجون وأكون أنا في النار ، لأن حجة الانسان ليكون هو في النار دون سائر الخلق غير ممكن ، ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن بنفسه حبا لمثل ذلك ، فمن شرب كأس المحبة سكره ومن سكر توسع فيما ذكر فلو زايه سكره علم ان ماغلب عليه كان حالة لاحقيقة لها فما أيسر الدعوى وما أيسر المعنى ، وأما قول الشاعر : أريد وصاله البيت فهو أيضا محال اذ معناه اني أريد ما لا أريد لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر ، فكيف أراد الهجر الذي لم يردده كذا قرره الامام حجة الاسلام ، ولا يبعد أن يقال في البيت الثاني انه أراد ان لا يكون له ارادة بدون ارادة الله ، وان تكون ارادته تابعة لارادته سبحانه سواء يكون وصلا او هجرا قريبا او بعدا كما يشير اليه قوله تعالى (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) وقول السلف : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وفي هذا المقام قال أبو يزيد البسطامي لما قيل له ماتريد : أريد ان لا أريد غايته انه قال صاحب منازل السائرين : هذه ايضا ارادة ، ونوقش بان هذه ارادة مطلوبه وبانها داخلة في قوله لا أريد . والحاصل انه من باب كمال الرضاء بالقضاء ، وأما البيت الآخر فلانه يدعى ان يصل السالك الى مقام ليس له فيه حظ ولذة سوى ذكر المحبوب وفكره وقربه ، ولعل وجه الابتلاء انه كان فيه بقية حظ او شظية لذة ولو كان في ضمن الدعوى لهذه الحالة التي اظهرها بتلك المقالة ((وفي)) أي واختلف أيضا في ((ان الشاكر)) الغنى ((افضل أم الصابر)) الفقير ، وأما الفقير الصابر فهو افضل من الغنى الشاكر اتفاقا فقد قال قائلون : الصبر افضل من الشكر ، وقال آخرون : الشكر افضل من الصبر ، وقال جماعة : هما سيان لقوله عليه السلام : الصبر نصف الايمان وهو استدلال ضعيف اذ يحتمل ان يكون احدهما افضل من الآخر كما يقال ان الايمان علم وعمل وهما لا يستويا ن اذ العلم خير من العمل . وقالت طائفة : يختلف باختلاف الاحوال وقيل القناعة خير منهما واختاره الجلال السيوطي والصوفية اجمعوا على ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر بل قال بعضهم : ان الفقير الشاكر افضل من الغنى الشاكر ، ولما سئل الجنيد عن الصبر والشكر ايهما افضل قال ليس بمدح الغنى بالوجود ولا بمدح الفقير بالعدم ، وإنما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغنى ان يصحبه فيما عليه اشياء تألم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير ان يصحبه فيما عليه اشياء تألم صفته وانقباضها وانزعاجها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشروط

وَالْحَقُّ أَنَّهُ إِنْ أُريدَ مَا كَانَ يَتَلَذَّذُ فَلَا تَعُدُّ وَهُوَ عَلَى الْبَلَاءِ خَيْرٌ مِنْهُ عَلَى الرَّخَاءِ
وَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا وَرَدَ مِنْ أَفْضَلِ مَا أُوتِيَهُمُ الْيَقِينُ وَعَزِيمَةُ الصَّبْرِ «يُوتَى يَوْمَ
الْقِيَامَةِ بِأَشْكَرِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَجْزِيهِ اللَّهُ جَزَاءَ الشَّاكِرِينَ وَيُوتَى بِأَصْبَرَ أَهْلِ
الْأَرْضِ فَيُقَالُ لَهُ أَتَرْضَى أَنْ نَجْزِيكَ كَمَا جَزَيْنَا هَذَا الشَّاكِرَ فَيَقُولُ نَعَمْ يَا رَبِّ
فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَعَلَّ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ فَشَكَرُوا بِتِلْكَ فَصَبَرَتْ لِأَضْعَفِ لَكَ الْأَجْرِ

ما الذى كان آلم صفته وازعجها اتم حالا بمن متع صفته ونعمها . ويقال كان
ابو العباسى بن عطاء قد خالفه فى ذلك فقال . الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر ،
فدعا عليه الجنيد فاصابه ما اصابه من البلاء من قبل اولاده وتلف امواله وزوال
عقله اربع عشرة سنة ، ويقول دعوة الجنيد اصابتنى ورجع الى تفضيل الفقير
الصابر على الغنى الشاكر . هذا والشاكر الذى يشكر على الموجود ، والشكور الذى
يشكر على المعبود ، ومن هنا قوله سبحانه (وقليل من عبادى الشكور - انه كان عبدا
شكورا) وقوله عليه السلام «انلا اكون عبدا شكورا » واما الشكور من اسمائه
عز وجل فهو الذى يعطى الاجر الجزيل على الامر القليل (والحق) فى المسألة (انه)
أى الشأن (ان اريد) بالصبر (ما كان) من الصبر (يتلذذ فلا تعدد) كما سبق بيانه
ان الصبر حينئذ هو الشكر (وهو) أى الصبر المطاق من غير التلذذ لماحق (على البلاء
خير منه على الرخاء) كما مر فى كلام الجنيد من طريق الائمة (وهو) أى وهذا
الصبر هو (المراد بما ورد من افضل ما اوتيتهم اليقين وعزيمة الصبر) وقد تقدم (يوتى
يوم القيمة بأشكر أهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكر بن ويوتى بأصبر أهل الارض
فيقال له أترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر؟ فيقول نعم رب، فيقول الله عز و علا
انعمت عليه) وفى نسخة الاحياء كما انعمت عليه (فشكر وابتليتك فصبرت
لاضعف لك الاجر) كذا فى الاحياء . وقال مخرجه : لم أجد له اصلا له لكن معناه
صحيح مستفاد من قوله تعالى (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) وروى
«يوتى بادل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ، ويصب عليهم الاجر
صبا بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض

وَالَا فَالشُّكْرُ لَا بُتَانَهُ عَلَى الْحُبَّةِ وَهِيَ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ

(الباب الثامن عشر في الخوف والرجاء)

عما يذهب به أهل البلاء من الفضل كذا في تفسير البغوى (والا) أى وإن لم يرد بالصبر ما كان يتلذذ (فالشكر) الذى يضمن ركنيه وهما الامتناع عن المعصية وصرف النعمة الى الطاعة أفضل من الصبر (لا بتأنه) أى الشكر هذا (على المحبة وهى) أى المحبة (أعلى المقامات) وحاصله ان لا فرق بين الصبر مع التلذذ والشكر التام ثم الصبر بغير التلذذ خير من الشكر الذى غير تام ، والشكر التام خير من الصبر بغير التلذذ ، وأما قوله عليه السلام : الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر ، لما ذكره الترمذى من حديث أبى هريرة فهو دليل على فضيلة الصبر حيث الحق به الشكر ، ومن المعلوم ان المشبه به ينبغي ان يكون أعلى رتبة فى القدر . وما يدل على فضيلة الفقر ما رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث معاذ بن جبل : يدخل الانبياء كلهم قبل داود وسليمان عليهما السلام الجنة باربعين عاما ، وروى البزار من حديث انس وآخر من يدخل الجنة من اغنياء أمتى عبد الرحمن بن عوف ، .

(الباب الثامن عشر فى الخوف والرجاء)

وهما جناحان للسالك يطير بهما الى كل مقام محمود ، ومطيتان بهما يقطع كل عقبة كئود ، فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيدا لالرجاء الا ازمة الرجاء ، ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب المقيم الاسياط التخويف وسطوات التعنيف ، وقد دخل عليه السلام على رجل وهو فى النزاع فقال عليه السلام : كيف تجددك فقال اجدنى اخاف ذنوبى وارجو رحمة ربى ، فقال عليه السلام : ما اجتمعما فى قلب عبد فى هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجاه وامنه مما يخاف ، رواه الترمذى وغيره باسناد جيد ، ومن هنا قال تعالى : (نبيء عبادى أنى انا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم) ليكونوا بين الرجاء والخوف . وفى تقديم الرجاء ايماء الى أن الوصول به ارجى كما لا يخفى ، وكذا قوله تعالى (وأن ربك لذ ومغفرة للناس على ظلمهم وأن ربك لشديد العقاب) فكان حق المصنف أن يقدم الرجاء ، وانما اخره كما فى الاحياء لان الخوف حال أهل الابتداء بخلاف الرجاء فانه مقام أهل الانتهاء . وما يدل على استواء الامرين حديث : القلوب بين اصبعين ، وما يدل على ترجيح الرجاء حديث : غلبت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ خَاطِرَانِ فَلَا تَكْلِفُ الْآفِي مُقَدَّمَاتِهِمَا

مَبْنِيَّانِ عَلَى اتِّظَارِ مَا يَسْتَقْبَلُ فَالْمُسْتَعْرِقُ بِذِكْرِهِ تَعَالَى ابْنُ الْوَقْتِ فَبَعْدَهُمَا

رحمتي غضبي هـ وفي الجملة لا بد للمؤمن من اجتماعهما وعدم انفكاك أحدهما. فلا بن حبان في صحيحه ، واليهيقي في شعبه ، وابن المبارك في زهده من رواية الحسن مرسلًا هـ لا اجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين هـ

(بسم الله الرحمن الرحيم) رجاء كل خائف من العذاب الاليم (الخوف) للسائرين (والرجاء) للطائرين في منازل السالكين (خاطران) عاطران ، وفي اصلهما عارضان ، وهما من جملة مقامات المریدين واحوال الطالبين ، وإنما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت ؛ واقام ؛ وإنما يسمى حالا اذا كان عارضا يوشك زوالا ، فالذى هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول عن القلب على القرب ، وهو جار في كل وصف من اوصاف القلب لتقلبه بتقليب الرب . ثم اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه من الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم له ، والحب يغلب بالرجاء . واعتبر ذلك بملك له عبدان يخدم احدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء ثوابه ؛ واذا كان الخوف والرجاء خاطرين من غير اختيار فيهما ولا اقتدار عليهما (فلا تكلف الآفي مقدماتهما) وهي ذكر الآيات والاحاديث التي تبعث الانسان على الخوف والرجاء ، فقد مات الخوف اربع : ذكر الذنوب السابقة وذكر شدة العقوبة التي لا طاقة للانسان بها في العاقبة ، وذكر ضعف النفس عن احتمالها ، وذكر قدرة الله على الانسان متى شاء . وكيف شاء في احوالها ، ومقدمات الرجاء اربع ايضا . ذكر سوابق الفضل اليك من غير العمل ، وذكر ما ورد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته في بابه دون استحفافك اياه بالخدمة في جنبه ، وذكر كثرة نعمه عليك دنيا واخرى ، وذكر سعة رحمته تعالى وسبقها على غضبه ، فهو بالرجاء أولى واخرى ثم هما (مبنيان على انتظار ما يستقبل) من الثواب والعقاب فان الخوف غم يلحق لتوقع المكر وهو الرجاء فرح يلحق لتوقع المحبوب (فالمستغرق بذكره تعالى ابن الوقت) بل ابر الوقت ، فانه الغالب عليه ، وإنما غيره فهو ابن الوقت لانه الحاكم لديه ، والحاصل انه مشغول بما هو أولى في الوقت قائم بما هو مطالب فيه حذرا عن المقت (فبعدهما) أي

فَالرَّجَاءُ الْفَرَحُ لانتظار محبوب فلا بدَّ من سبب فإن حصل أكثر الأسباب
فَالأَصْدَقُ اسْمُ الرَّجَاءِ كَتَوَقُّعِ الْحَصَادِ مَنْ أَلْقَى بَذْرًا جَيِّدًا فِي أَرْضٍ صَالِحَةٍ يَصِلُهَا
الْمَاءُ وَإِنْ فَقَدَ الْغُرُورَ وَالْحَمَاقَةَ كَمَا لَوْ أَلْقَى بَذْرًا فِي غَيْرِ صَالِحَةٍ لَا يَصِلُهَا الْمَاءُ وَإِنْ
شَكَّ فِيهَا فَالْتَمَنَى كَمَا إِذَا صَلَحَتِ الْأَرْضُ وَلَا مَاءَ

الخوف والرجاء ، وفي نسخة فبفقدهما ﴿ قال الرجاء الفرح لانتظار محبوب فلا بد
من سبب ﴾ وباعث لتحقيق انتظار المطلوب ﴿ فان حصل اكثر الاسباب ﴾ اي اسباب
حصوله لديه ﴿ فالاصدق اسم الرجاء ﴾ ووصوله عليه كتوقع الحصاد من القى
بذرا جيدا ﴿ نقيبا غير عفن ولا مسوس ﴾ في ارض صالحة ﴿ للزراعة بان تكون
غير سبخة ﴾ يصلها الماء ﴿ على سعة ﴾ وان فقد ﴿ اكثر الاسباب ﴾ فالغرور والحماقة ﴿
اصدق عليه من اسم الرجاء لصاحبه في هذا الباب ﴾ كما لو القى بذرا ﴿ تالفا ﴾ في غير
صالحة ﴿ من ارض ﴾ لا يصلها الماء ﴿ الا مرة ﴾ وان شك فيها ﴿ اى في كثرة
الاسباب للحصاد بان حصل بعضها دون بعضها ﴾ فالتمنى ﴿ اصدق عليه من اسم
الرجاء ﴾ كما اذا صالحت الارض ﴿ مع القاء البذر الجيد ﴾ ولما لم يكن لاحتمال وصول
ماء من السماء : وتوضيحه أن الدنيا مزرعة الآخرة ، والقلب كالارض ، والايمان
كالبذر ، والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتنظيفها وحفر الانهار ونحوها .
والقلب المولع بالدنيا ومتاعها المستغرق لحبها وذكرها كالارض السبخة التي
لا ينمو البذر فيها ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد احدا الا ما زرع ولا ينمو زرع
الامن بذرا الايمان ، وقل ما ينفع الايمان مع خبث الجنان وسوء الاخلاق ومساوى
المعصيان ، فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه
الداخلية تحت اختيار العبد ، ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله
بصرف القواطع والمفاسد والموانع . فالعبد اذا ثبت بذرا الايمان ، وسقاه بماء الطاعات ،
وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية ، وانتظر من فضل الله تربيته على ذلك الى
المات ، وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة والرحمة الكاملة الشاملة كان انتظاره
رجاء حقيقيا ، وان قطع عن بذر الايمان ماء الطاعات ، وترك القلب مشحونا
بالاخلاق السيئات ، وانهمك في طلب اللذات والشهوات واللوات ، ثم انتظر المغفرة

(م-٣٢-ج ٢ شرح عين العلم)

فَوَرَدَ (أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَكَأَنَّ وَرَدَ «الْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ أَمَّا حَسَنُ الظَّنِّ

وعلو الدرجات فانتظاره حق وغرور في الحالات (فورد أن الذين آمنوا والذين هاجروا) السيئات واللذات (وجاهدوا في سبيل الله) بتكثير الطاعات (أولئك يرجون رحمت الله) أي هم الذين يستحقون أن يرجوا رحمة ربهم ، بخلاف من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع إليه ، فرجاؤه المغفرة حق وغرور كما قيل : الغرة بالله أن يعمل الرجل بمعصية الله تعالى ويتمنى مغفرته عز وجل . (وكما ورد : الاحق من اتبع نفسه هواها) وتابعها في طلب مشتتهاها (وتمنى على الله) أن يدخل الجنة ومأواها . والحديث تقدم . وقال يحيى بن معاذ الرازي . من اعظم الاغترار عندى التماذى في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة ، وتوقع القرب من الله عز وجل من غير طاعة ، وانتظار زرع الجنة يئذ النار ، وطلب دار المطيعين بالمعاصي ، وانتظار الجزاء من غير عمل ، والتمنى على الله عز وجل مع الافراط في الامل قال عبد الله بن المبارك الحنظلي .

ما بال دينك ترضى أن تدنسه . وثوبك الدهر مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسالك مسالكها . ان السفينة لا تجرى على اليبس

وقد ورد أن زيد الخيل الذي غيره عليه السلام وسماه زيد الخير جاءه عليه السلام وقال : جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد ، فقال كيف أصبحت ؟ قال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وايقنت بشوايه ، وإذا فاتني شيء منه حزنت عليه وحزنت إليه ، فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو هيأك للآخرى هيأك لهائم لا يبالي في أي أوديتها هلكت » رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود . فمن ارتجى أن يكون مرادا للخبر من غير هذه العلامات فهو غرور في وادى الملامات . وعن علي كرم الله وجهه من اشتاق إلى الجنة تبطل عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجعت عن المحرمات (أما حسن الظن) بالله حيث يقول وأنا عند ظن عبدى بى ، كما رواه الشيخان وزاد ابن حبان وفليظن بى ما شاء ، وعنه عليه السلام ولا يموتن أحدا من الا وهو يحسن الظن بالله » كما رواه مسلم من حديث جابر ، أنما يكون

بِالْحَذَرِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَةِ فَلَا بُدَّ مِنْهُ لِّلسَّالِكِ فَهُوَ يَبْعَثُ عَلَى الطَّاعَةِ
وَيَهْوِي أَحْتِمَالِ الْمَشَقَّةِ وَالْقُنُوطِ كُفْرَ فُورَدَ (لَا يَبْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْكَافِرُونَ) وَالطَّرِيقُ ذِكْرُ سَوَاقٍ فَضْلُهُ

(بِالْحَذَرِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَةِ فَلَا بُدَّ مِنْهُ لِّلسَّالِكِ) أى من حسن الظن وغلبة
الرجاء (فَهُوَ يَبْعَثُ عَلَى الطَّاعَةِ) وترك المعصية (وَيَهْوِي أَحْتِمَالِ الْمَشَقَّةِ) في ورود المعصية
والمحنة (وَالْقُنُوطِ) وهو ضد الرجاء (كُفْرَ) قال تعالى (لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)
وقال (وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) وهو بمعنى اليأس (فُورَدَ) في التنزيل
(لَا يَبْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) وورد أنه عليه السلام قال « لو تعلمون
ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا لو خرج جنم إلى الصعدات لتدمون صدوركم وتجارون
إلى ربكم ، فهبط جبريل فقال : أنت ربك عز وجل يقول : لم تقنط عبادي ؟
فخرج اليهم فزجهم وشوقهم » رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة ؟
وأوله متفق عليه من حديث أنس . وقال على كرم الله وجهه لرجل أخرجه الخوف
إلى القنوط لكثرة ذنوبه : يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك . وعنه رضى
الله عنه : إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله .
وللبیهقي في الشعب عن زيد بن أسلم « أن رجلا من بنى إسرائيل كان يقنط الناس
ويشدد عليهم ، قال فيقول الله تعالى له يوم القيامة : اليوم أو بسك من رحمتي كما كنت
تقنط عبادي منها ، وفي الخبر « أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أحبني وأحب
من يحبني وحببني إلى خلقي ، فقال يارب كيف أحبيك إلى خلقك ؟ فقال اذكرني بالحسن
الجميل واذا ذكر آلائي واحسانى وذكرهم ذلك فأنهم لا يعرفون منى الا الجليل ، ولا بن
أبى الدنيا والبيهقي في شعبه من حديث أنس مرفوعا « أن رجلا يدخل النار فيمكث
فيها ألف سنة ينادى يا حنان يا منان ، فيقول الله تعالى لجبريل أذهب فأتني بعدى ، قال
فيجىء به فيوقفه على ربه فيقول له كيف وجدت مكانك ؟ قال فيقول شر مكان كان فيقول
بما قدمت يدك وما أنا بظلام للعبيد ردوه إلى مكانه ، قال فيمشى فيلتفت إلى ورائه
فيقول الله عز وجل إلى أى شيء تلتفت ؟ فيقول رجوت أن لاتعيدنى إليها بعد
أن أخرجتنى منها ، فيقول الله تعالى اذهبوا به إلى الجنة » فدل هذا على أن رجاءه أنجاه
(وَالطَّرِيقُ) الموصل إلى تحصيل الرجاء ذكر ستة أشياء (ذِكْرُ سَوَاقٍ فَضْلُهُ) في إيجاد

دُونَ شَفِيعٍ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنْ جَزِيلٍ ثَوَابِهِ دُونَ اسْتِحْقَاقٍ وَمَا أَنْعَمَ بِمَا يُدْفِعُ فِي الدَّارَيْنِ دُونَ سُؤَالٍ وَسَعَةِ الرَّحْمَةِ وَسَبْقُهَا الْغَضَبِ فَوَرَدَ «رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِثْلُ (لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) الْآيَةَ «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»

العبد وأمداده من جوده وكرمه ﴿دون شفيع﴾ أي بلا شفيع من عنده ﴿وما وعد الله من جزيل ثوابه﴾ في كتابه ﴿دون استحقاق﴾ سابق في بابه مع أنه لا استحقاق للمملوك على المالك بشيء من حسابه ﴿وما أنعم﴾ على عبده من الرزق والعافية وتوفيق الطاعة ﴿بما يمد﴾ نفعه ﴿في الدارين﴾ من عنده ﴿دون سؤال﴾ أي من غير مسألة سابقة من عبده ﴿وسعة الرحمة﴾ قال الله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد» ﴿وسبقها الغضب﴾ فورد رحمتي سبقت غضبي وفي رواية غلبت. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن الله كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي تغلب غضبي ﴿وما ورد فيه﴾ أي في فضل الرجاء من الكتاب والسنة ﴿مثل لا تقنطوا من رحمة الله الآية﴾ أي (إن الله يغفر الذنوب جميعا) وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي كما رواه الترمذي من حديث أسماء بنت أبي يزيد وحسنه ﴿أنا عند ظن عبدى بى﴾ ما تقدم والله أعلم وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول: انتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) انتهى وذلك لما ذكر في تفسيره أنه عليه السلام قال «لا يرضى محمد واحد من أمته في النار» أي مؤبدا. وكان بعض العارفين يرى آية المداينة في سورة البقرة من أقوى أسباب الرجاء فقبل له: وما فيها من الرجاء؟ فقال: الدنيا كلها قليل، ورزق الإنسان فيها قليل، والدين من رزقه قليل، فانظر كيف أنزل الله فيه أطول آية إيهدي بها عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه، فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه في دنياه وعقباه، وروى في تفسير قوله تعالى (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) أن الله أوحى إلى نبيه عليه السلام أني أجعل حساب أمتك إليك، فقال لا يارب أنت خير لهم مني فقال اذن لا أخزيك فيهم» رواه ابن أبي الدنيا في كتاب

وَالْخَوْفُ وَهُوَ الْحُزْنُ لِانْتِظَارِ مَكْرُوهِ

حسن الظن بالله تعالى . ولبيهي في شعبه من رواية عقبة بن الوليد «ان الخليل قال يوما يا كريم العفو فقال جبريل أتدرى ما تفسير يا كريم العفو؟ هو أن يعفو عن السيئات برحمته ثم يبدلها حسنات بكرمه» ولابن أبي الدنيا من حديث حذيفة مرفوعا «ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطر قط على قلب أحد حتى ان ابليس ليتناول طارحاً ان تصيبه» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ان الله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعة وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة يتراحم الخلق بها فتحن الوالدة الى ولدها ، وتعطف البهيمة على ولدها ، فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسعة والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه ، وكل رحمة منها طباق السموات والارضين قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك » وللمزمذى من حديث أنس وصحبه وابن ماجه من حديث جابر «شفاعتى لاهل الكباير من امتى» وقال الثوري: ما أحب أن يجعل حساني الى ابي ، لاني أعلم أن الله تعالى ارحم بي منهما . وقال ابن ادهم: خلا لي المطاف ليلة وكانت ليلة مظيرة فوقف في الملتزم عند الباب ، فقلت يارب اعصمني حتى لا اعصيك ابداً ، فهتف هاتف من البيت : يا ابراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك ، فاذا اعصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر ، ويؤيده حديث «لولم تذبوا لذهب الله بكم وجاء بخاق آخر يذبون فيغفر لهم أنه هو الغفور الرحيم » رواه مسلم من حديث أبي هريرة وكان الحسن يقول لولم يذب المؤمن لكان يطير في المملوك ولكن الله قعه بالذنوب ، ويؤيده حديث «لولم تذبوا لحشيت عليكم» وهو شر من الذنوب ، فقل ما هو؟ قال العجب » رواه البزار وابن حبان والبيهقي من حديث أنس . وقال الجنيد : أن بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين . ويؤيده قوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) وقال يحيى بن معاذ في مناجاته : يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص ، وكيف احرزها وانا بالآفة معروف . واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف . وكان بعض السلف يقول في دعائه : يارب وأى أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمك عليهم سابعة ، وارزاقك عليهم دارة سائغة ، سبحانك ما أحلمك ، وعزتك أنك تصي ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى لكأنك ياربنا أنما تطاع ، وسبحانك . أحلمك تصي وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى لكأنك ياربنا لا تنضب (والخوف) عطف على الرجاء (وهو الحزن لانتظار مكروه) وهو تألم

فَأَمَّا مَنْ الْعِلْمِ بَعْدَ مُبَالَاتِهِ تَعَالَى فَوَرَدَ هُوَلَاءُ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي وَهُوَلَاءُ فِي النَّارِ
وَلَا أَبَالِي مِنْ مَلَامَةِ أَحَدٍ أَوْ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ أَوْ لِعَدَمِ تَأْثِيرِ الْإِثَابَةِ وَالتَّعْذِيبِ فِي
زِيَادَةِ مُلْكِي وَنُقْصَانِهِ

القلب واحتراقه بسبب توقع مكروهه في الاستقبال واما من انس بالله في جميع الاحوال وملك الحق قلبه على وجه النظام ، وصار ابرز وقته ويشاهد الجمال الحق على الدوام ولم يبق له التفات الى المستقبل من الايام فلم يبق له خوف ولا رجاء . بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتهما ، ولهذا اشار الواسطي حيث قال : الخوف حجاب بين الله وبين العبد ، وقال ايضا : اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف في الضمائر . ويؤيده ظاهر قوله تعالى (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهذا بالنسبة الى الخواص الكرام ، واما بالنسبة الى الصالحاء من العوام فمعناه لا خوف عليهم بل حقوق العقاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب في العقبى ، وبالجملة فالحب اذا شغل قلبه في مشاهدة محبوبه لخوف فراقه كان ذلك نقصا في شهوده ، واما دوام الشهود غاية المقامات ونهاية الدرجات ، لكن الكلام الآن في اوائل الحالات ، فنقول الخوف له اسباب ينشأ منها ويصدر عنها كما قال ﴿ فاما من العلم بعدم مبالاته تعالى ﴾ فانه وعز وجل لا يسأل عما يفعل ، ومن عزته في صفاته انه لو ادلك العالمين لم يبال من احد ولم يمنعه مانع لو حدة ذاته ﴿ فورد ﴾ في حديث مشهور : ان الله تعالى لما خاق آدم مسح على ظهره فاستخرج منه ذريته فقبض قبضة فقال ﴿ هؤلاء في الجنة ولا ابالي و ﴾ قبض اخرى فقال ﴿ هؤلاء في النار ولا ابالي ﴾ اى لا ابالي ﴿ من ملامة احد ﴾ اذ لا يجب على الله شئ . لا من اثابة المطيع ولا من تعذيب العاصي ﴿ او من الطاعة والمعصية ﴾ اى او المعنى لا ابالي من طاعة . مطيع ولا من معصية عاص ، فانه لما ورد « لوعذب اهل سمواته وارضه لكان عاد لا في حكمه غير ظالم في امره » ﴿ او ﴾ لا ابالي ﴿ لعدم تأثير الاثابة والتعذيب في زيادة ملكي ونقصانه ﴾ كما في حديث مسلم عن ابي ذر مرفوعا حكاية عن الله سبحانه : يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقي قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي

أَوْلَانِي مُتَصَرِّفٌ فِي مَالِكِي أَوْ مُتَفَضِّلٌ غَيْرُ مَائِلٍ عَادِلٌ غَيْرُ جَائِرٍ أَوْ الْجَهْلُ بِالْخَاتَمَةِ
وَهُوَ لِلْمَتَّقِي أَغْلَبُ وَالْأَعْلَى مِنْ سَابِقَةِ الْأَزْلِ وَإِمَامِنِ الْمَعَاصِي

لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على اجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من مالكي شيئا» (او) لا ابالي (لاني متصرف في مالكي) افعل ماشاء واحكم ما اريد بالعدل (او) لاني (متفضل غير مائل) في ادخال الجنة (عادل غير جائر) في ادخال النار لما تقدم (او الجهل) أي او الخوف هو الحزن للجهل (بالخاتمة وهو) أي خوف الخاتمة (للمتقى أغلب) لانه بحسب معرفته بعيوب نفسه وبعظمة جلال الله وقدره ، فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ، ولذا قال عليه السلام: «والله اني لا خشا لله واتقاكم له ، رواه البخاري من حديث انس وللشيخين من حديث عائشة» والله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية ، وقد قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) (والاعلى) من انواع المخافة وادها على كمال المعرفة ان يكون الخوف (من سابقة الازل) لان الخاتمة اللاحقة تتبع المقدمة السابقة . فالخاتمة في هذا الباب تظهر بما سبق به القضاء في ام الكتاب ، فالالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتوفيقه القلم اعلى من الالتفات الى ما يظفر في الابد بعد ما كان في حيز العدم ، واليه اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال على المنبر فقبحض كفه اليمنى ثم قال وهذا كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم لا يزداد فيهم ولا ينقص ، وليعلمن اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كانوا منهم بل هم هم ، ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفوق ناقة وليعلمن اهل الشقاوة بعمل اهل السعادة حتى يقال كانوا منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفوق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء الله ، والأعمال بالخواتيم ، رواه الترمذي من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب وفي رواية «السعيد من سعد في بطن أمه والشقى من شقى في بطن أمه» رواه البزار وغيره بسند حسن ، ومن هنا خوف الكامنين حيث لم يعرفوا أنهم من أي القبضتين ومن أي الفريقين المذكورين في قوله تعالى (فريق في الجنة وفريق في السعير) وفي قوله عز وجل (فمنهم شقى وسعيد) وقوله عز وجل (فمنكم كافرو منكم مؤمن) وقوله سبحانه (اما شاكر أو اما كفور) (واما بالكسر تطف على قوله اما من العلم الخ ، والمعنى ان الحزن لا تنظر مكروه اما من جهة المعرفة بصفة الله تعالى وعزته وجلاله في مرتبة عظمتة واما (من المعاصي) أي من جهة

وَيَخْتَصُّ بِمَوْضِعِ الْغُرُورِ عِنْدَ الْمَوَاطِنَةِ عَلَى الطَّاعَةِ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ ثُمَّ أَمَّا مِنَ السُّؤَالِ

كثرة المعصية الصادرة عن العبد في حال غفلته وغرته ﴿ ويختص ﴾ الخوف من المعصية ﴿ بموضع الغرور عند المواظبة على الطاعة بخلاف الأول ﴾ أي يختص هذا الخوف ويتميز من الخوف الأول وهو عدم المبالاة بأن يغتر بمواظبته على الطاعة فيعلم أن هذا كان من المعاصي لامن عدم المبالاة لأن خوف عدم المبالاة لا يزول قط وخوف الثاني يزول عند المواظبة على الطاعة * وتوضيحه أن هذا انقسام الخائفين إلى من يخاف من معصيته وجنابته وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لعظمته وجلالته فهذا أعلى رتبة وأعلى منزلة ، ولذا يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصديقين ، وأما الآخر فهو في عرضة الغرور والأمن أن واطب على الطاعات وداوم على العبادات فالخوف من المعصية خوفاً للصالحين والخوف من الله تعالى خوفاً للموحددين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله ، فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جنابته ، بل العاصي لو عرف الله حق معرفته لخاف الله ولم يخف من معصيته ، إذ لو لا أنه مخوف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيل بابها ومهد له تمام أسبابها ، فإن تيسير أسباب المعصية إبعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخر للمعصية وتجري عليه أسبابها ، ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من تيسرت له الطاعات وتمهدت له سبل القربات ، فالعاصي قد قضى عليه بالمعصية شاء أم أبى فكذا المطيع حسب ما قدره الله وقضى . فالذي رفع محمداً صلى الله عليه وسلم إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع أبا جهل في أسفل سافلين من غير جنابة سبقت منه قبل شهوده جدير بأن يخاف منه لصفة جلاله فإن من أطاع الله أطاع بأن ساط عليه إرادة الطاعة وآتاه القدرة ، وبعد خالق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضرورياً والذي عصى عصى لأنه سلط عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة ، فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضرورياً فليت شعري ما الذي أوجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه ، وما الذي أوجب اهانة الآخر وتبعيده بتسليط دواعي المعصية لديه ، وكيف يحال ذلك على العبد وينسب إليه . وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جنابة ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما شاء ويحكم بما يريد جزم عند كل مرید طالب للمزيد ﴿ ثم ﴾ الخوف عند سكرات الموت وشده وما بعده ﴿ أمان السؤال ﴾ في القبر من منكر ونكير ، أو عند

أَوِ الْعَذَابِ أَوْفَتْ الْجَنَّةَ وَنَحَرَهَا، وَتَخْتَفُ الْآثَارُ فَمَنْ خَافَ اسْتِيْلَاءَ الْعَادَةِ وَاطَّابَ عَلَى تَرْكِهَا وَمَنْ خَافَ اِطْلَاعَهُ تَعَالَى اشْتَغَلَ بِتَنْقِيَةِ السَّرِّ فَاعْتَبَرُوا يُوَثِّرُ فِي الْبَدَنِ بِالْهَزَالَةِ وَالصَّفْرَةِ وَالضَّعْفِ وَالْبُكَاءِ وَإِذَا كَمُلَ يُودَى إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَوْتِ وَهُوَ شَهَادَةٌ لَكِنَّ الْأَفْضَلَ مَنْ عَاشَ وَجَاهَدَ

الموقف من فقير وقطمير ﴿ أو العذاب ﴾ في القبر ، أو من هول المطلع ، أو هيبة الموقف ، والحياء من كشف السر ، أو من مزلة الصراط ، أو حدته وكيفية العبور عليه باختلاف الأحوال ، أو العذاب في النار وما فيها من الأغلال والآنكال والاهوال ﴿ أو فوات الجنة ﴾ دار النعيم والملك المقيم ﴿ ونحوها ﴾ من نقصان الدرجات وخوف حجاب الذات ، وإعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب ، فإنه أشد العذاب عند إرباب الآليات ، وهو خوف العارفين وما قبل ذلك هو خوف العابدين . والصالحين والزاهدين وكافة العاملين . ومن لم تكمل معرفته ، ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بآلم البعد والفراق ، فإذا ذكر له أن العارف لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب في دار القرار وجد ذلك منكراً في باطنه وتعجب منه في نفسه . قال ذو النون : خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي ﴿ وتختلف الآثار ﴾ للخوف بحسب اختلاف أنواعه في الأسرار ﴿ فمن خاف استيلاء العادة ﴾ في اتباع الشهوات المألوفة بالإرادة ﴿ واطب على تركها ﴾ وداوم على خلافها ﴿ ومن خاف اطلاعه تعالى ﴾ على السرائر ﴿ اشغل بتنقية السر ﴾ وتطهير القلب من الوساوس في الضمائر ﴿ فاعتبر ﴾ وقس على هذا مخاوف أخرى من خاف اغتراره بزخارف الدنيا زهد فيها ، ومن خاف هجر الموت قبل التوبة بادر إليها ﴿ ويؤثر ﴾ الخوف ﴿ في البدن بالهزالة ﴾ أي النحول بإذابة اللحم والشحم ﴿ والصفرة ﴾ باللون المصحوب بالكدرية ﴿ والضعف ﴾ في القوى ﴿ والبكاء ﴾ الصادر عن الخشية ﴿ وإذا كمل ﴾ الخوف ﴿ يؤدي إلى الجنون ﴾ بأن يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل أ ﴿ و ﴾ يقوى فيورث القنوط واليأس أو يفضي إلى ﴿ الموت ﴾ بأن تنشق به الماراة ﴿ وهو ﴾ أي الموت من خوف الله ﴿ شهادة لكن الأفضل من عاش وجاهد ﴾ لقوله عليه السلام : طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ، وقد تقدم . وأعلم أن معنى لونه شهيداً أن له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت ، لا بسبب الخوف

وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ كَمَا كَانَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَوُردَ «أَنَّ الشَّيْطَانَ لَيُفْرُ
 مِنْ ظِلِّ عُمَرَ، وَالْأَعْلَى أَنْ يَدْهَشَهُ عَنِ الْأَشْيَاءِ فَلَمْ تَوْثُرْ فِيهِ لِلْغَيْبَةِ عَنْهَا كَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ حَيْثُ قَصَدَهُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَاحْتَرَقَ فَلَا بُدَّ

فرو بالإضافة اليه فضيلة ، واما بالإضافة الى بقاءه وطول عمره في طاعة الله وسلوك
 سبيل أمره فليس بفضيلة ، بل للسالك لطريق الفكر والمشاهدة والترقي في درجات المجاهدة
 في كل لحظة رتبة شهيد ، ولذا ورد « يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح
 مداد العلماء » ولولا هذا لكان رتبة صبي يقتل ، او مجنون يفتسه سبع اعلى من رتبة
 نبي او منزلة ولي يموت حتف انفه ، وهو محال . والحاصل أن اتصى درجات الخوف
 أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله حتى لا يبقى فيه متسع لغير الله ، وذلك مع بقاء
 الصحة والعقل ، فان جاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب عليه علاجه
 أن كان قدرة لديه ، ولذا كان سهل يقول للمريدين الملازمين للجوع أياما كثيرة
 : احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله ولي ناقص العقل . ويؤيده ما اشتهر في لسان العامة :
 ما اتخذ الله ولدا جاملا ولو اتخذ له لمة ، وكذا يؤثر الخوف في الجوارح فيكفها عن
 السيئات ويقيدها بالطاعات فلا يما فرط في الماضي واستعدادا للمستقبل ، ولذا قيل :
 ليس الخائف من يبكى ويمسح عينيه ، بل الخائف من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه .
 وقال أبو القاسم الحكيم : من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه . وقيل
 لذى النون : متى يكون العبد خائفا قال اذا نزل نفسه منزلة السقيم الذى يحتج مخافة طول
 السقام (ومن غلب عليه) خوف الله (خافه كل شيء) مما سواه . ولأبي الشيخ بن
 حيان وابن أبي الدنيا حديث « من خاف الله خافه كل شيء » (كما كان) هذا المقام
 المعمر (لعمر رضى الله عنه فورد : أن الشيطان ليفر من ظل عمر) كما مر ، وكذا
 يؤثر في الصفات بان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة
 كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيها اذا عرف سما فيه (والاعلى) في مراتب
 الخوف (أن يدهشه) الخوف يدهشه (عن الأشياء) أى رؤيتها ويفقه عما يجري على
 الاعضاء من حركاتها (فلم توتر) الأشياء (فيه) أى فى الخائف (للغيبة عنها)
 أى لغيبة الخائف عن الأشياء والغفلة عنها (كما كان له عليه السلام حيث قصده
 الشيطان وهو فى الصلاة فاحترق) أى الشيطان فاذا كان الامر كذلك (فلا بد)

مِنْهُ فَهُوَ يَزْجِرُ النَّفْسَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَيُنْفِي الْعُجْبَ عَنِ الطَّاعَةِ وَالْأَمْنُ كُفْرٌ فُورِدَ
فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ الْآيَةَ وَالطَّرِيقُ النَّظَرُ فِي صِفَاتِهِ تَعَالَى وَأَفْعَالِهِ

للسالك (منه) أى من الخوف هنالك (فهو) أى الخوف (يزجر النفس) ويمنعها (عن المعصية) وارتكابها (وينفي العجب) ويدفعه (عن الطاعة) واكتسابها فاقبل درجات الخوف بما يظهر أثره في الأعمال المورثة للأحوال أن يمتنع من المحظورات، ويسمى الكف الحاصل عنها رعا، فإذا زادت قوته كف عما يتطرق إليه إمكان التحريم فيكف عما لا يتيقن أيضا تحريمه، ويسمى ذلك تقوى، إذ التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس، وهو الصدق في التقوى، فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يصرف إلى غير الله نفسا من أنفاسه فو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقا، وأما الخوف الذى يجرى مجرى رقة النساء كما يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء، وكذا عند مشاهدة سبب هائل فإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفلة عن خوف الرب، فهذا خوف قاصر قليل الجدرى . وهذا حال الناس كلهم إلا العارفين والعلماء الراغبين . ولست أعنى بالعلماء المترسمين برسومهم والمتسمين باسمائهم فانهم أبعد الناس عن الخوف لما فيهم من العجب والغرور، بل العلماء بآيات الله وصفاته وأفعاله في مصنوعاته وذلك مما قد عز وجوده الآن كالسكبريت الأحرى في سالف الزمان ولذا قال الفضيل : إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت، فاك أن قلت لا كفرت وأن قلت نعم كذبت . وأما الخوف المفرط وهو الذى يجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط فهو مذموم أيضا لانه يمنع من العمل، والمراد من الخوف هو الحمل على العمل، وإذا تحقق اليأس له فهو كفر منه لانه أعتقد عدم قدرته سبحانه على عفوه في زلته (والأمن) وهو ضد الخوف (كفر) أيضا لانه يدل على اعتقاد عدم قدرته وفقد ارادته على عقوبته على ذنوبه مع وجود طاعته وعبادته (فورد) في التزبل (فلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ الْآيَةَ) أى (إلا القوم الخاسرون) أى الذين خسروا أنفسهم وأهلبيهم يوم القيامة بالكفر والمعصية (والطريق) الموصل إلى تحصيل الخوف شيان (النظر) في صفاته تعالى (الجلالية) كالتقهار والمنتقم والجبار (وأفعاله) في مصنوعاته من معاملاته مع طوائف الكفار، فمن عرف الله حق معرفته حملته معرفته على خشيته

فَوَرَدَ (أَمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) أَنَا أَعْلِمُكُمْ بِاللَّهِ وَآخِشًاكُمْ لَهُ وَذَكَرُ الذُّنُوبِ
وَالْخُصُومِ وَشِدَّةِ الْعَذَابِ وَضَعْفِ النَّفْسِ وَمَا وَرَدَ فِيهِ

بشاهدة عظمة الله وعزته (فورد) في التنزيل (أَمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) لأنهم
العارفون بصفاته الخائفون منه بحسب ذاته (أَنَا أَعْلِمُكُمْ بِاللَّهِ وَآخِشًاكُمْ لَهُ) حديث
متفق عليه (وَذَكَرُ الذُّنُوبِ) السابقة (وَالْخُصُومِ) المتعلقةين به يوم القيامة في الأحوال
اللاحقة (وَشِدَّةِ الْعَذَابِ) بعد مناقشة الحساب (وَضَعْفِ النَّفْسِ) عن العذاب
والحجاب (وَمَا وَرَدَ فِيهِ) أى في فضل الخوف من الكتاب والسنة وأقوال السلف
وأحوالهم في هذا الباب ، أما الكتاب فقوله تعالى (هَدَى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ)
(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) (وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ)
(وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (سَيَذَكِّرُنَا خِشْيَا) (وَهُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) هـ
وأما السنة فقوله عليه السلام «رَأْسُ الْحِكْمَةِ خِشْيَةُ اللَّهِ» رواه البيهقي في شعبه من
حديث ابن مسعود وقوله لعائشة لما قالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا تَوْأَمُوا قُلُوبَهُمْ
وَجَلَّةٌ : هُوَ الرَّجُلُ يَسْرِقُ وَيَزْنِي ، قَالَ لَا بَلْ هُوَ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيَصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَيَخَافُ
أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُ ، رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم . وقوله عليه السلام «مَنْ مَنَّ وَمَنْ
تَخَرَّجَ مِنْ عَيْنِهِ دُمْعَةٌ وَأَنْ كَانَتْ مِثْلَ رَأْسِ الذَّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ثُمَّ تَصِيبُ شَيْئًا
مِنْ حَرِّ وَجْهِهِ إِلَّا وَحَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث
ابن مسعود ، وقوله «إِذَا أَتَى شَرْقَابُ الْمُؤْمِنِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتُّ
عَنِ الشَّجَرَةِ وَرَقَاتُهَا» رواه الطبراني والبيهقي في شعبه من حديث العباس وقوله «لَا يَبَاجُ
النَّارُ أَحَدٌ بِكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ» رواه الترمذي وقال حسن
صحيح وقوله لعقبة بن عامر حيث سأل : «مَا النَّجَاةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «أَمْسِكْ عَائِيكَ
لِسَانِكَ وَلِيَسْمَعْكَ بَيْتُكَ ، وَابْكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ» وقد تقدم . وقوله «مَنْ قَطَرَةٌ أَحَبَّ إِلَى
اللَّهِ مِنْ قَطَرَةٍ دَمَعَتْ جَرَّتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ . أَوْ قَطَرَةٌ دَمَ أَهْرِيْقَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» رواه الترمذي
من حديث أبي أمامة وحسنه ، وقوله «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي عَيْنَيْنِ دَاطِلَيْنِ تَسْقِيَانِ بِذُرُوفِ
الدَّمْعِ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ الدَّمُوعُ دَمًا وَالْأَضْرَامُ جَرًّا» رواه أبو نعيم في الحلية من حديث
ابن عمر بإسناد حسن وقوله «سَبْعَةٌ يَظَاهِمُ اللَّهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» وذكر منهم «رَجُلًا
ذَكَرَ اللَّهَ فِي خُلُوةٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» رواه الشيخان ، وعن حفظة قال «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم فودعنا مودعة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعنا إلى أهلي فحدثتني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فذيت ما كنا عليه عنده عليه السلام وأخذنا في الدنيا ، ثم تذكرت ما كنت فيه وقلت في نفسي قد نأقت حين تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرهبة ، فخرجت وجعلت أنا نأق حنظلة ، فاستقبلني أبو بكر فقال كلام تناق ، فدخلت على رسول الله ﷺ وأنا أقول نأق حنظلة نأق حنظلة ، فقال عليه السلام كلام يناق حنظلة ، فقلت يا رسول الله كنت عندك فودعنا مودعة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا ، فرجعنا إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عليه عندك ؛ فقال يا حنظلة لو كنتم أبدا على تلك الحالة لصاغتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ؛ ولكن يا حنظلة ساعة فساعة ، رواء مسلم . وأما الآثار فقال أبو بكر الصديق : من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتبك . وكأنه أخذه من قوله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكيوا كثيرا) ومن قوله (يبكون ويزيدهم خشوعا) ومن قوله (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون) ومن قوله (خروا سجدا وبكيا) وكان محمد بن المنكدر إذا مسح وجهه ولحيته من دموعه يقول : بلغني أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع ؛ وقد تقدم في الحديث ما يساعده . وقال عبد الله بن عمرو : أبكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ، فوالذي نفسي بيده لو يعلم أحدكم ما وراءه أصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى ينكسر صلبه ، وقال أبو سليمان الداراني : ما تغرغرتين بمائها من خشية الله إلا لم يرهق وجه صاحبها قط ولا زلة يرم القيمة ، فإن سألت دموعه انظما بأول قطرة منها بحار من الزيران ، ولو أن رجلا بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة . وقال كعب الأحبار : والذي نفسي بيده لأن أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجهي أحب إلي من أن أتصدق ببجل من ذهب . وقال عبد الله بن عمر : لأن أدمع دموعه من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بالف دينار . وقال الفضيل : من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير ، أي وحفظه عن كل شر وضير . وقال الشبلي : ما خفت الله يوما إلا رأيت له بابا من الحكم والعبر ما رأيته قط . وقال ذو النون ينبغي أن يكون الخوف اباع من اشتد لله حبه وصح له به أي عقله . وقال ذو النون ينبغي أن يكون الخوف اباع من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب . وكان أبو الحسن الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لأن الخوف زمام بين الله وبين عبده ، فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين ، وقيل ليحيى بن معاذ : من آمن الناسي غدا ؟ فقال أشدهم خوفا اليوم . وقال سهل

وَاخْتَلَفَ فِي أَنَّ الرَّجَاءَ أَفْضَلُ أَمْ الْخَوْفُ وَالْحَقُّ عَدَمُ الْإِنْفِكَاحِ إِذَا لَوْ عَدَمَ أَحَدُهُمَا
لَصَارَ أَمْنًا وَقُتُوطًا فَشَرُّهُمَا عَدَمُ الْقَطْعِ فَلَا يُقَالُ أَرْجُو طُلُوعَ الشَّمْسِ وَاخْأَفِ هُجُومَ
الْأَجَلِ وَالرَّجَاءُ أَفْضَلُ مِنْ حَيْثُ هُوَ هُوَ فَهُوَ طَرِيقُ الْمَحَبَّةِ وَوَرَدَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي

لا تجدد الخوف حتى تأكل الحلال . وقال أبو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا
الاخرب (واختلف في أن الرجاء) للعبد (أفضل) من الخوف (أم الخوف) أفضل
له من الرجاء (والحق) من القول (عدم الانفكاك) أي انفكاك أحدهما عن الآخر (إذ
لو عدم أحدهما لصار أمنا) عند عدم الخوف (أو قوطا) عند عدم الرجاء فان الرجاء
بلا خوف أمن والخوف بلا رجاء يأس وكلاهما ممنوعان بنص القرآن والحق
الاعتدال في غالب الاحوال وأيضا فهما متلازمان لان كل من رجا محبوبا فلا بد أن
يخاف فوته كما يشير اليه قوله تعالى (يدعوننا رغبا ورهبا) (ويدعون ربهم خوفا
وطمعا) نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز أن يشتغل القلب
بأحدهما ولا يلتفت الى الآخر في الحال اغفلت عنه (فشرطهما) أي شرط وجودهما
(عدم القطع) في كليهما فالأمن والقنوط ينفي عدم القطع (ولا يقال أرجو طلوع
الشمس و أخاف هجوم الأجل) لأن أمرهما مقطوع فيه عادة بل يقال انتظر
لعوت الشرط وهو عدم القطع نعم يقال أرجو نزول المطر و أخاف انقطاعه فلا
يطلق اسم الرجاء والخوف الاعلى مشكوك بتردد منه إذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف
فان المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لاحتماله فتقدير وجوده يروح القلب
وهو الرجاء وتقديره عدمه يوجع القلب وهو الخوف فالتقديران لاحتماله يتقابلان نعم
أحد طرفي الشك قد يترجح بحصول بعض الأسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك
سبب غلبة أحدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفى
الخوف بالاضافة وكذا بالعكس (والرجاء أفضل من حيث هو هو) أي مع قطع
النظر عن صاحبه انه في أي مقام هو من مقامات المبتدئين والمتهنئين من المريدين
في طريق المجتهدين أو المريدين في أمر الدين (فهو) أي الرجاء (طريق المحبة) وسبيل
المحبين وهو أفضل المقامات وأهل الحالات (ووردت راحتي غضبي) وقد تقدم،
وفيه تنبيه على أنه ينبغي أن يكون الرجاء أغلب على الخوف وتوضيحه أن الخوف
والرجاء دواء ان تدارى بهما القلوب ففضاهما بحسب الداء الموجود فان غالب

وَهُوَ الْأَفْضَلُ إِنْ اِمْتَنَعَتِ النَّفْسُ عَنِ التَّوْبَةِ لَكثْرَةِ الْمَعَاصِي أَوْ اقْتَصَرَتْ عَلَى الْفَرَائِضِ
أَوْ ضَعُفَ وَاشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ لِمَوْتٍ عَلَى الْحُبَّةِ وَالْخَوْفِ إِنْ غَلَبَ التَّمَنَّى
وَاعْتَادَ الْمَعَاصِي وَالْإِعْتِدَالَ إِنْ اتَّقَى ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ وَلَا يُعْرَضُ بِمُعَارَضَةٍ
كَثْرَةُ سَبَابِ الرَّجَاءِ فَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لَوْ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ الْوَاحِدُ

على القلب داء الأمن من مكر الله والاعتذار به فالخوف أفضل وإن كان الأغلب على
العبد هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف
أفضل لأن الاعتذار أغلب على القلب وإن نظر إلى مطلق الخوف والرجاء فالرجاء أفضل
لأنه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله
ما يقتضى اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب وليس وراء المحبة مقام فى طلب الرب
وأما الخوف فمستند إلى الصفات التى تقتضى العنف والقمة فلا تمازجه
المحبة بمازجة الرجاء (وهو) أى الرجاء (الأفضل) من الخوف والمفهوم من الأحياء
أنه الأصلح كما فى بعض النسخ هنا ولعله المصلح وإنما يكون الرجاء أولى من الخوف
(إن امتنعت النفس عن التوبة لكثرة المعاصي) الموجبة لليأس والقنوط من الرحمة
(واقصرت) النفس (على الفرائض) دون الواجبات والسنن المؤككات
(أضعف) بالمرض والكبر (واشرف على الموت) أى قاربه الموت فإن الأفضل
حينئذ هو الرجاء (لموت) بزيادة وصف الرجاء (على المحبة) الناشئة من كثرة
الرجاء (والخوف) أفضل وأصلح وأولى من الرجاء فى مقام الدراء (إن غلب التمنى
واعتاد) صاحبه (المعاصي) لقله خوفه (والاعتدال) بين الخوف والرجاء أنسب
واقرب (أن اتقى ظاهر الإثم وباطنه) أى جليبه وخفيه ولذا قيل لو وزن خوف المؤمن
ورجاؤه لا اعتدلا، وروى أن عليا كرم الله وجهه قال لبمض ولده يا بنى خف الله خوفا
ترى أنك لو أتيت بحسنات أهل الأرض لم يقبلها منك وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيت
بسيئات أهل الأرض غفرها لك (ولا يعرض) من الأعراض أى ولا يعدل المتقى
المذكور عن الاعتدال (بمعارضة كثرة أسباب الرجاء) من الأعمال (فكان عمر رضى
الله عنه) مع كمال تقواه وكثرة أعماله لله (يقول لو لم يدخل الجنة الواحد) من

أَرْجُو أَنْ أَكُونَ آيَاهُ وَلَوْ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ إِلَّا وَاحِدٌ أَخَافُ أَنْ أَكُونَ آيَاهُ وَتَعَسَّرَ
التَّحَرُّزُ عَنِ الْمَعَاصِي الْبَاطِنَةِ حَتَّى كَانَ عُمَرُ يَسْأَلُ حَذِيفَةَ عَنْ وَجُودِ أَثَرِ النِّفَاقِ
فِيهِ وَاحْتِمَالِ زَوَالِ الْأَسْبَابِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَوَرَدَ أَنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ
الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا شِبْرٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ

المؤمنين ﴿ أرجو أن أكون آياه ﴾ أى ذلك الرجل ﴿ ولولم يدخل النار الا واحد ﴾ من
الحقاق ﴿ أخاف أن أكون آياه ﴾ وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتداهما مع
الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوى فذل عمر رضى الله عنه ينبغى أن يساوى
خوفه رجاءه فاما العاصى اذا ظن أنه ذلك الرجل واستثنى من دخول النار كان ذلك دليلا
على ما فيه من الاغترار ﴿ وتعسر التحرز ﴾ عطف بالمعنى لأن الفاء في قوله فكان عمر لتعليل
المعنى فالتقدير لانه كان عمر ولتعسر الاحتراز ﴿ عن المعاصى الباطنة ﴾ ويجوز عطفه على
قوله بما رضى فيكون ما بينهما جملة معترضة وفيه جواب لسؤاله بقدر وهو ان مثل عمر لا ينبغى
أن يساوى خوفه رجاءه بل ينبغى أن يغلب رجاءه خوفاً لما أشار الى أن شروط صحة الايمان
على وجه الحقيقة من الامور الدقيقة فانه لا بد للقلب أن يكون نظيفاً من الشرك الخفى والنفاق
والرياء وخبايا الاخلاق الخبيثة فيه غامضة والآفات من الشهوات وزخارف الدنيا وما يتعلق
بها من اللذات والهموات كثيرة وذن سلم القلب في الحال عن هذه الاحوال ربما يلتفت
اليها في الاستقبال فان كان ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه
لا محالة كما يحكى في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوى القلب ثابت
الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما أن يغلب رجاءه فلا ولقد كان عمر يبالغ
في تفتيش قلبه وتقلب حاله من المعاصى حتى كان يقول رحم الله من أهدى الى
بعيوب نفسه وكذا يخاف من النفاق وخصال أهله ﴿ حتى ﴾ غاية التوسر الى أن
﴿ كان عمر يسأل حذيفة ﴾ بن اليمان ﴿ عن وجود اثر النفاق فيه ﴾ أى عمراً كان حذيفة
قد خصه عليه السلام بعلم المنافقين، وكان يسمى صاحب سر النبي عليه السلام
﴿ واحتمال زوال الاسباب ﴾ أى ولا احتمال زوال اسباب الرجاء ﴿ في المستقبل ﴾ من الزمان
﴿ فورد أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ﴾ وفى الاحياء زيادة خمسين سنة ﴿ حتى لا يبقى
بينه وبين الجنة الا شبر ﴾ قال فى الاحياء وفى رواية الا قدر فواق ناقة ﴿ فيسبق عليه

الْكِتَابُ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ سُوءُ الْخَاتِمَةِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ أَمَّا بِالشَّكِّ أَوِ الْجُحُودِ

الكتاب (أى المكتوب الازلى فى علم الله او المكتوب فى الوح المحفوظ او عند تولده فى صحائف الملائكة الموقلة على حفظه) فيختم له بعمل أهل النار (فيدخل النار وكذا من يعمل عمل أهل النار ، والحديث رواه مسلم من حديث أنى هريرة أن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ، وللبنار والطبراني فى الاوسط سبعين سنة واسناده حسن ، وللشيخين فى اثناء حديث لابن مسعود وأن احدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع) الحديث وليس فيه تقدير زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شهر ولا فواق ناقة (ثم سوء الخاتمة نعوذ بالله منه) أى من سوء الخاتمة وتغير الحالة فمن ذا يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفى والرياء فى زوايا القلب وأن اعتقد نقاء قلبه وصفاء قلبه عن مثله فمن يأم من مكر الله بتلبيس حاله عليه واخفاء غيبه عنه فان وثق به فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة التى عليه مدار سعادة العاقبة فاذا انقضت غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه اما غلبة الرجاء فى اكثر الناس فيكون مستنده الاغترار ورقة المعرفة واين مثل عمر حتى يعتدل خوفه ورجاؤه كما مر ، فالخاف الموجدون فى هذا الزمان ظهروا الاصاح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع الطمع عن المغفرة فيكون سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك فى المعاصى وطول الامل فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذى يحث على الطاعات ويكمد جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا وزخارف اللذات ويدعوه الى التجافى عن دار الغرور والامنيات فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذى لا يؤثر فى الكف عن السيئات والحث على العبادات ودون الياس الموجب للقنوط من رحمة خالق البريات وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق فى بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه فى مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام فى محجة ذوى الاسبصار ، وقال مكحول النفسى من عبده بالخوف فهو حرورى ومن عبده بالرجاء فهو مرجى ومن عبده لمجرد المحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد صدق ثم سوء الخاتمة (اما بالشك) والتردد فى قبول الايمان (او الجحود) أى الانكار باصل الايمان ومحض الكفران

عند النزاع لظهور بطلان بدعة كان يعتقدونها تقليداً أو تعويلاً على مجادلته الكلام فهو حالة الانكشاف واعتقاد بطلان كل ما اعتقده أو شكّه لهذا السبب

(عند النزاع) أى نزاع الروح حال سكرات الموت وظهور أهواله الموجبة لتغير أحواله فتقبض روحه في حالة شك القلب اوججود الرب وذلك يقتضى البعد الابد والعذاب الخلد وذلك الشك أو الجحود انما يقع (لظهور بطلان بدعة) يعتقدونها في ذاته سبحانه أو صفاته أو أفعاله في مصنوعات أو بياتها في آياته (كان يعتقدونها) أى البدعة (تقليداً) من هذا حاله (أو تعويلاً) أى اعتماداً (على مجادلته الكلام) أى مجادلته الخصام بما يعول عليه من أصول علم الكلام ويغتر به فيما بين الانام (فهو) أى وقت النزاع (حالة الانكشاف) أى أنكشف كل شيء على ما هو عليه كما قال تعالى (فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد) فقوله هر علة لظهور بطلان البدعة، وأما قوله (واعتماد بطلان كل ما اعتقده) فبتدأ وقوله (أو شك) بالجر عطف على بطلان الثانى ، وقوله (لهذا) خبر المبتدأ أى واعتماد بطلان كل المعتقدات الصحيحة أو اعتماد شك كلها لهذا (السبب) وهو ظهور النزاع أى صار هذا الظهور سبباً لاعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة ، أو سبباً لاعتقاد شك الجميع ، ويجوز كون قوله أو شك مرفوعاً عطفاً على قوله واعتقاد ، قيل وهو الأرجح يعنى اعتقاد بطلان الجميع لهذا السبب أو شك الجميع لهذا الباعث . والظاهر عندي أنه فعل ماض عطفاً على اعتقده فتأمل ، ثم حاصل كلامه انه جواب سؤال مقدر يترتب على قوله لظهور بطلان بدعة وتقرير السؤال ، فان قلت: ظهور بطلانها بما يوجب الشك أو الجحود في نفسها فقط دون بقية الاعتقادات الصحيحة وسوء الخاتمة المستلزم خلود النار انما هو باعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة أو الشك فيها كلها ، فكيف يتصور سوء الخاتمة بهما في بدعة واحدة ؟ فاجيب بما تقدم . وتوضيحه : ان المبتدع مهما كان بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعاً به متيقناً له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه اخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لانجائه فيه الى رأيه الكاسد وعقله الفاسد ، بل ظن أن كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين إيمانه بالله وبرسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاداته الفاسدة الصريحة ، فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سبباً لبطلان بقية اعتقاداته أو باعثاً لشكها فيها ، فاذا اتفق زهوق روحه في

وَوَرَدَ (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) الْآيَةَ وَالْمُعَامَلَةَ لَا تُنَافِيهِ وَالْبَلَّةُ بِمَعَزَلٍ عَنْهُ وَمَنْ ثُمَّ وَرَدَهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبَلَّةُ

هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشك والعياذ بالله منه ، فمؤلاهم المرادون بقوله تعالى : (وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحسبون) (وورد) في التنزيل (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الآية) (أي) الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (والمعاملة) أي حسنها (لا تنافيه) أي لا تعارض سوء الحاتمة وأراد بالمعاملة الورع والزهد وسائر الأعمال الصالحة فانها لا تنفي لدفع هذا الخطر بل لا ينبغي منه الا الاعتقاد الحق (والبله) جمع الابله (بمعزل عنه) أي عن خطر سوء الحاتمة فانهم هم الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر أيمانا بجملا راسخا كالاعراب والنجار وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر العقلي استدلالا ، ولم يشرعوا في الكلام استقلالاً ، ولا اصغوا إلى أصناف أهل الكلام في تقايد آرائهم المختلفة التي تقتضي ضللا واضلالا (ومن ثم ورد أكثر أهل الجنة البله) رواه البزار من حديث أنس ، ولذا نعم السلف الكرام من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الأمور بالتمام ، وأمروا الخلق أن يفتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله جميعه وبكل ما جاء من الظواهر من عنده مع اعتقاد نفي التشبيه ، ومنعواهم من الخوض في التأويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤودة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جاءت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون بوضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة والقلوب لما القى اليها في ابتداء النشوء آلفة وبه متعلقة والتعصبات النائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في أول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنة آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا قمع باب الكلام بالله وبصفاته بالرأى والمعقول وفي تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعى الكمال والاحاطة بكنهه ذي الجلال انطاعت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعاقد ذلك بقلوب المصنفين اليهم وتأكد ذلك بطول الالف فيهم وأنسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت

أَوْ بِمُعَادَاتِهِ تَعَالَى لَعَلَّهُ يَتَفَرِّقُهُ تَعَالَى آيَاهُ وَتَأْلُمُ الْقَلْبِ بِقَوَاتِهَا وَكَانَ يَسْتَوِي
حُبِّهَا عَلَيْهِ وَلِضَعْفِ إِيْمَانِهِ وَلَا يَكُونُ مَنْ ذَكَرَهُ تَعَالَى فِيهِ الْإِحْدِيثُ النَّفْسِ وَهُوَ
أَسْوَدُ مَنْ تَرَأَى ظِلَامَ الرِّذَائِلِ فَوَرَدَ (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ)
الْآيَةُ أَوْ بِأَمْرِ دُنْيَوِيٍّ كَانَ يُحِبُّهُ فَاحْتَجَبَ عَنْهُ تَعَالَى شُغْلًا بِهِ

سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم
ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان وترك كل جاهل على ما رآق طبعه بظن
وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واسميقان وأنهم صفو إيمان وعرفان ويظن أن
ما قنع به من حدس وتخمين علم يقين بل عين يقين ولتعلمين نبأه بعد حين كما قيل
سوف ترى إذا أنجلي الغبار أفرس تحمك أم حمار
وينشد في حق هؤلاء عند كشف الغطاء :

أحسن ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاعتثرت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

واعلم يقينا أن كل ما فارق الإيمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد
تعرض لخطر سوء الخاتمة وهذا ملخص ما في الأحياء (أو) سوء الخاتمة يقع (بمعاداته
تعالى) وهو من إضافة المصدر إلى مفعوله (لعله) أي لمعرفة العبد (بتفريقه تعالى
آياه) أي للعبد من الدنيا (وتألم القلب) أي وانزعجه (بقواتها) أي بقدرات الدنيا
ولذاتها (وكان يستولى حبه عليه) أي على قلبه (ولضعف إيمانه) بالله وبمآلهيه (ولا يكون
من ذكره تعالى فيه الإحديث النفس) المحذور إليه (وهو) أي والحال أن قلبه
(أسود من ترأى ظلام الرذائل) من سوء الأخلاق والشماثل فإن اتفق زهوق وحه في
تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء سرمد واهلك هلا كما ورد
ولا يظلم ربك أحدا (فورد) في التنزيل (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم
الآية) أي وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن
ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره
والله لا يهدي القوم الفاسقين (أو) سوء الخاتمة يحصل (بأمر دنيوي كان
يحبه) العبد (فاحتجب عنه تعالى شغلا) لذلك العبد (به) أي بالأمر الدنيوي

فَمَا اعْتَادَوْتَرَسَخَ فِي الْقَلْبِ لَا يُنْسَى كَمَا فِي النَّوْمِ وَهُوَ لِكَثْرَةِ الْمَعَاصِي مَعَ قُوَّةِ الْإِيمَانِ
أَوْ قَلَّتْهَا مَعَ ضَعْفِهِ وَهَذَا لَا يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ وَمِنْ ثَمَّ تَكْرَرُ الْفُجَاءَةُ لِمَنْ أَتَّفَقَتْهَا
عَلَى خَاطِرٍ سَوْءٍ وَتُغْبَطُ الشَّهَادَةُ لِاسْتِيلَاءِ حُبِّهِ تَعَالَى عَلَى الْقَلْبِ

﴿فما اعتادو ترسخ﴾ أي ثبت ﴿في القلب لا ينسى كما في النوم﴾ ويعرف هذا بمثال وهو لا يخفى عليك أن الإنسان يرى في منامه جملة من الأحوال التي عدها طول عمره حتى أنه لا يرى إلا ما يماثل مشاهداته في اليقظة فإن المراق الذي لم يحتمل لا يرى صورة الوقوع إذ المريد قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الوقوع ثم لا يخفى أن الذين مضى عمره في التفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء ما لا يراه التجار الذي مضى عمرهم في التجارة والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بأسباب التجارة أكثر مما يراه الطبيب والفقير لانه إنما يظهر له في حالة النوم ما حصل له من مناسباته مع القلب بطول الألف والموت يشبه النوم ولذا قيل الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ولكن الموت فوق النوم، وأما سكرات الموت وغشيانه فقريب من النوم فيقتضي بذلك تذكر المألوقات من الطاعات أو السيئات أو المآلات والشهوات ومن هنا يخالف منامات الصالحين والصالحات وقد قيل كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون ويشير إليه قوله تعالى ﴿كما بدأكم تعودون﴾ وطول المواظبة على الخير وتخليه الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت وساعات الفوت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات لديه، ولذا قيل عن يقال كان يلقن عند الموت كلمة الشهادة وهو يقول خمسة ستة أربعة زيادة ﴿وهو﴾ أي الاحتجاب المذكور وسائر الأمور ﴿لكثرة المعاصي مع قوة الإيمان أو قلتها مع ضعفه﴾ أي لقلّة المعاصي مع ضعف الإيمان ﴿وهذا﴾ الحجاب المذكور أو القسم المسطور من أقسام سوء الخاتمة ﴿لا يوجب الخلود في النار﴾ بخلاف الأولين من أقسام سوء الخاتمة فانهم أي وجبان الخلود في دار البوار ﴿ومن ثم﴾ أي ومن أجل أن سوء الخاتمة يتحقق عند النزاع ﴿تكره الفجاءة﴾ من الموت والبلغته المقتضية لبعض الفوت ﴿لجواز اتفاقها﴾ أي اتفاق وقوع الفجاءة ﴿على خاطر سوء﴾ يكون سببا لسوء الخاتمة ﴿وتغبط الشهادة﴾ أي تحب وتتمنى ﴿لاستيلاء حبه تعالى﴾ حينئذ ﴿على القلب﴾

وَأَعْرَاضَهُ عَنِ الدُّنْيَا وَهُوَ مَنْ يُخَاصُّ وَلَا يَقْصُدُ الْغَلْبَةَ وَالْغَنِيمَةَ وَالصَّيْتَ
وَالْعِلَاجَ الْمَعْرِفَةَ وَلُزُومَ الطَّاعَةِ وَتَعْجِيلُ التَّوْبَةِ وَالنُّومُ عَلَى الطَّهَارَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا
وَتَنْقِيَةُ الْقَلْبِ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَطَلَبُ الْعِلْمِ النَّافِعِ فَلَا مَرُ صَعْبٌ مِنْ ثُمَّ يَرَوِي
عَنِ السَّافِ كَثْرَةُ النُّوحِ وَالْبُكَاءِ ۝

وأعراضه عن الدنيا (واقباله بكايته على الرب (وهو) (لمن يخاص) في النية (ولا يقصد الغلبة) من اخذ البلاد وقهر العباد (والغنيمة) من الاموال النفيسة والخدام الانيسة (والصيت) بالجاء والرياء والسمة (والعلاج) للخلاص عن سوء الخاتمة (المعرفة) التامة من العلم النافع (ولزوم الطاعة) من العمل الصالح (وتعجيل التوبة) عن المعصية (والنرم على الطهارة ظاهرا) وهو طاهر (وباطنا) بان لا يكون في قلبه غل وغش لاحد من خلق الله فورد من بات على طهارة ثم مات من ليلته مات شهيدا رواه ابن السني عن انس (وتنقية القلب) اي تصفيته وتخليته عن حب غير الرب (وتلاوة القرآن) غيبا ونظرا مع مراعاة المباني وملاحظة المعاني (وطلب العلم النافع) من التفسير والحديث والفقه والتصوف (فالامر) اي امر سوء الخاتمة (صعب) اي شديد مر (ومن ثم يروى عن السلف) من الصحابة والتابعين (كثرة النوح والبكاء) مع زيادة التضرع والدعاء في الامراء والضراء فقد قال الحسن البصري: يخرج رجل من النار بعد الف عام باليتى كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لحرف سوء الخاتمة، وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا اذكرى احدا غير رسول الله ولا ابي الذي ولدني فارت الشيعة عليه فجعل يذكر من فضائل علي ومناقبه، وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يكماخوفا من الله عز وجل فوحى الله اليهما لم تبكيان فقد امتنكما فقالا ومن يا من مكر رواه الطبراني وغيره وكانهما اذا علما ان الله علام الغيوب وأنه لا ووقوف لهما على غاية الامور لم يأمنا ان يكون قوله فقد امتنكما ابتلاء لهما واجتانا ومكرأبهما حتى ان سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنا من المكروما وفيما يقولهما هذا، ولولا ان الله لطيف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحتقرت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء للعارفين رحمة من الله لهم واسباب الغفلة رحمة على عموم الخلق من وجه، وكان أبو الدرداء يحلف بالله

ما أحد آمن على أيمانه أن يسلب عند الموت الاسلام، وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله اذ قال (وقلوبهم وجلة) ولما احتضر سفيان جعل يبكي ف قيل يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان القى الله بامثال الجبال من الخطايا، وفي رواية عنه انه قال بكينا على الذنوب زمانا فالآن بكوانا على الاسلام، وكان سهل يقول المريد يخاف ان يبغى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبغى بالكفر، وروى عن عيسى عليه السلام انه قال يامعشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر، وفيه تنبيه نبيه على ان خوف الانبياء اقوى وبه اشار حديث انا اخوفكم بالله والمعتمد ان الانبياء مصومون من الكفر اجماعا بحسب النقل لديهم كانوا خائفين من جهة تجويز العقل اذ لا يجب شيء على الله وان فعله اما العدل واما الفضل، وقد قيل كان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلافى ميل فيأتيه جبريل فيقول له الجبار يقرؤك السلام ويقول هل رأيت خليلي يخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي، وعن الحسن لو أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إلى مما طلعت عليه الشمس، وقد قال الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلص من هذه المعاني بل صارت هذه الاور مألوفة بين الناس معتادة ومنسى كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد زمانه عليه السلام فكيف الظن بزماننا هذا حتى قال حذيفة : ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهده عليه السلام فيصير بها منافقا اني لاسمعه من احدكم اليوم عشر مرات رواه احمد، وكان الصحابة يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعتها على عهده عليه السلام من الكبائر رواه البخاري وغيره، وقال بعضهم علامة النفاق أن تذكره من الناس ما تأتي مثله وان تحب على شيء من الجور وان تبغض على شيء من الحق، وقيل من النفاق أنه إذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال: كنا نعد هذا نفاقا على عهده عليه السلام رواه احمد، وسمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال ارأيت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهده عليه السلام، واشد من ذلك ما روى ان نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا

يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما أنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نمد هذا نفاقا على عهدك عليه السلام ، وكان حذيفة يقول أنه يأتي على القلب ساعة يمتلي بالايان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرزايرة ويأتي عليه ساعة يمتلي بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرزايرة ، ولعلمهم ما عتوا به النفاق الذي هو ضد الايمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الايمان من بعض العصيان ، والحاصل أن العارف بين الالتفات الى السابقة والى الخاتمة اللاحقة خائفا منهما ولذا قال عليه السلام العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعقب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار ذكره البيهقي وغيره ، وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحوارين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا وبحق أقول لكم أن اكل الشعير والنوم على المزابل مع السكالب في طالب الفردوس قليل ويروى عن الصديق أنه قال لطائر ليتني كنت مثلك يا طائر ولم اخاق بشرا ، وقال أبو ذروددت لو أني لشجرة تعضد وكذا قال طلحة ، وقال عثمان وددت أني اذا مت لم ابعث وقالت عائشة وددت أني كنت حبيضة ونسياما نسيا وروى أن عمر كان يسقط من الخوف فاذا سمع آية من القرآن خر مغشيا عليه وكان يعاد اياما واخذ يوما نبتة من الارض وقال ياليتني كنت مثل هذه النبتة ياليتني لم اك شيئا مذكورا ياليتني كنت نسياما نسيا ياليت أمي لم تلدني وكان في وجهه عمر خيطان أسودان من الدموع ولما قرأ عمر (إذا الشمس كورت) فأنتهى الى قوله (وإذا الصحف نشرت) خر مغشيا عليه ، ومريوما بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى (أن عذاب ربك لواقع ما له من دافع) نزل عن حمائه واستند الى حائط فكث زمانا ورجع الى منزله فرض شهرا يعود الناس ولا يعرفون مرضه ، وقال على كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الصبح وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رأيت أصحابه عليه السلام فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعنا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوون بين جباههم وأقدامهم فاذا أصبحوا وذكروا مادوا كما تميد الشجرة في يوم الريح فهمات أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله كائن بالقوم باتوا غافلين يعني من حرله ثم قام فما روى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم ، وقال عمران بن حصين لوددت أني كنت رمادا فسفني الرياح في يوم عاصف وقال أبو عبيدة بن الجراح وددت أني كبش فيذبني

أدلى فيأكلون لحمي ويحتسون مرقى ، وكان علي بن الحسين اذا توضأ اصفر لونه فيقول له
أهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول اتدرون بين يدي من اريد أن اقوم، وقرأ
مضر القارى يوما (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كننا) الآية فبكى عبد الواحد بن
زيد حتى غشى عليه وقال وعزتك وجلالك لا عصيتك جهدى ابدا فاعنى بتوفيقك على
طاعتي ، وكان المسور بن مخرمة لا يقوى على أن يسمع القرآن من شدة خوفه ولقد كان
يقرأ عنده الحرف او الآية فيصبح الصبيحة فما يعقل اباما حتى اتى عليه رجل من خثعم
فقرأ عليه (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا)
فقال انا من المجرمين ولست من المتقين فقال اعد على القول ايها القارى فاعاد عليه فشبه
شبهة فلحق بالآخرة ، وروى ان زرارة بن اوفى صلى بالناس صلاة الغداة فلما قرأ
(فاذا نقرفى الاقور) خر مغشيا عليه فحمل ميتا ، وسئل ابن عباس عن الخائفين فقال
قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت وراءنا والقبر
أمامنا والقيامة موعدا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقنا ، وقال عمر بن
عبد العزيز انما جعل الله الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله ، وقال
الفضيل انى لا اغبط نيا مرسلا ولا ملكا مقربا اليس هؤلاء يعاتبون يوم القيامة انما
اغبط من لم يخلق ، وروى ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فبكى حتى حبسه ذلك
في البيت فجاء عليه السلام ودخل البيت فاعتقه فخر ميتا فقال عليه السلام : جهزوا
ميتكم فان الفرق من النار قتت كبده ، رواه ابن ابي الدنيا والبيهقى في الشعب من حديث
سهل بن سعد ، وقال العنبرى اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع
عليهم من كوة وهو يبكى ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم
ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع ودعاء كدعاء الفريق انما هذا
زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ماتعرف ودع ماتنكر ، وقال
رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت فقال بخير فقال كيف حالك فتبسم الحسن فقال
تسألنى عن حالى ما ظنك بناس قد ركبوا سفينة حتى توسلوا البحر فانكسرت سفينتهم
فدعا كل انسان منهم بخشبة على أى حال هم قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن
حالى أشد من حالهم ، وعن ابن السماك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود اما فى الجنة
اوفى النار ، وقال معاذ بن جبل أن المؤمن لا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه
وخلاصة الكلام فى هذا المقام أن غلبة الخوف حال الصحة أصلح ليعينه على ترك الغفلة
وغلبة الرجاء فى تلك الحالة أصاح لانه اجلب للمحبة ولذا قال عليه السلام : « لا يموتن

﴿البَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ فِي الْفَقْرِ وَالزُّهْدِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْفَقْرُ فَقْدُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَإِنْ فَرِحَ بِالْفَقْدِ وَكَرِهَ
الزَّائِدَ عَلَى الضَّرُورَةِ فَزَاهِدٌ وَإِنْ لَمْ يَكْرِهْ

أحد لم الأوهو يحسن الظن بربه، رواه مسلم من حديث جابر، ومن هنا لما حضر
الوفاة سليمان النيمي قال لابنه يابني حدثني بالرخص واذكري الرجاء حتى ألقى الله
حسن الظن به، وكذلك لما حضر الوفاة الثوري واشتد جزعه جمع العلماء حوله
يرجونه، وقال الامام أحمد عند الموت لابنه اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن
الظن، والمقصود من ذلك أن يحبب الله إلى نفسه وأن يموت مع المحبة التي هي مقام
أنسه رزقنا الله من فيض قدسه ۝

﴿البَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ فِي الْفَقْرِ وَالزُّهْدِ﴾

الفقر نفي الانبياء وذخرا الاولياء والزهد زاد الاتقياء، وقدم الفقر على الزهد بناء
على تقدم وجود أصله في كل مخلوق ونسله كما يشير إليه قوله تعالى (والله الغني وأنتم
الفقراء) والزهد عارض من جهة عدم ميله إلى الغنى المضر لوصول نيله ﴿ بسم
الله الرحمن الرحيم ﴾ افتقر إلى غنى ربي الكريم وأزهد عن غير لقاء مولاي
العظيم ﴿ الفقر ﴾ عند الصوفي ﴿ فقد ما يحتاج إليه ﴾ في ظن الفاقدين بالديه أما فقد
ملا حاجة إليه فلا يسمى فقرا وإن كان المحتاج إليه موجودا مقدورا عليه لم يكن
المحتاج إليه فقيرا وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله سبحانه
فهو فقير لانه محتاج إلى درام الوجود في ثانی الحال ودوام وجوده مستفاد من
فضل الله وجوده وأزكان في الوجود موجودا ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغنى
المطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الموجود الواحد فليس في الوجود الا غنى واحد
وكل ما عداه محتاج إليه في ايجاده وامداده، وإلى هذا الحصر اشير في قوله تعالى (والله
الغني وأنتم الفقراء) وهذا معنى الفقر مطلقا ولكن المراد هنا بيان الفقر من المال
على الخصوص والافتقر العبد بالاضافة إلى أصناف حاجاته لا ينحصر ﴿ فان فرح ﴾
السالك ﴿ بالفقد ﴾ المذكور أو بحصول ما يحتاج إليه ﴿ وكره الزائد على الضرورة ﴾
فيما لديه ﴿ فزاهد ﴾ أي فهو زاهد وهذه الحالة حالة علياء ﴿ وان لم يكره ﴾

وَلَمْ يَرْغَبْ فَرَأَى وَوَرَدَ يَامَعْشَرَ الْفُقَرَاءِ اعْطُوا اللَّهَ الرِّضَاءَ مِنْ قُلُوبِكُمْ تَظْفَرُوا بِثَوَابِ
فَقْرِكُمْ وَأَنْ تَرَكَ الطَّلَبَ مَعَ أَنَّ الْوُجُودَ عِنْدَهُ أَحَبُّ فَقَانِعٌ وَأَنْ رَغِبَ وَتَرَكَهُ
لِلْعَجْزِ فَخَرِيصٌ وَأَنْ اضْطُرَّ إِلَيْهِ وَفَقَدَهُ فَضْطُرَّ وَالْأَعْلَى تَسْوِيَةُ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ

الزائد على الضرورة كراهة يتأذى بوصوله ﴿ ولم يرغب ﴾ في الزائد على الضرورة
رغبة يفرح بمصوله ﴿ فراض ﴾ أى فاسمه راض ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه
انكار على الله ولا كراهة في فعله . ولاء تلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر في
حقه ﴿ وورد يامعشر الفقراء ﴾ أى جماعتهم ﴿ اعطوا الله الرضاء من قلوبكم تظفروا
بثواب فقركم ﴾ وتنمة الحديث والا لا رواه الديلمي عن أبي هريرة، ويكاد مفهوم
الحديث يشعر بان الحريص لا ثواب له على فقره لكن العمومات الواردة في فضل
الفقر والقناعة والزهد تدل على أن له ثوابا لفعل المراد بعدم الرضاء هو الكراهة بفعله
سبحانه في حبس الدنيا عنه ﴿ وأن ترك الطلب ﴾ أى طلب الزائد على الضرورة وهو
قادر على طلبه ولكن تركه ﴿ مع أن الوجود ﴾ أى وجود المال الزائد ﴿ عنده أحب ﴾
من عدم وجوده لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن يكون من طلبته بل أن اتاه عفوا
صفوا اخذه وفرح به وان افقر إلى تعب في طلبه لم يشتغل به ﴿ فقانع ﴾ أى فيقال له
قانع اذ قنع نفسه بالماوجود حتى ترك طلب المفقود مع دافيه من الرغبة الضعيفة في
الوجود ﴿ وان رغِب ﴾ في الزائد لو وجد سبيلا إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه ﴿ وتركه للعجز ﴾
أى وترك الطلب لعجزه عن طلبه أو هو مشغول بالطلب وتعبه ﴿ فخرِص ﴾ اسمه ﴿ وأن
اضطر إليه ﴾ أى افقر إلى ما يحتاج إليه ﴿ وفقده ﴾ أى وفقده ضرر عليه كالجائع الفاقد
للخبز والعمارى الفاقد للثوب ﴿ فضطر ﴾ وصفه كيف ما كانت رغبته في الطلب
ضعيفة او قوية وقل ما ينفك صاحب هذه الحالة عن الرغبة في الجملة ﴿ والأعلى ﴾
من الفقر او من الزهد أو أعلى الاحوال الخمس ﴿ تسوية الوجود ﴾ أى وجود ما يحتاج
إليه من المال ﴿ والعدم ﴾ أى وانقد ما يحتاج إليه فان وجد لم يترج من ثباته ولم يتأذى
عن اتيانه وان فقده كذلك كحال عائشة اذ اتاها مائة ألف درهم من العطاء فاخذته
وفرقته من يومها فقالت خادمها الوابقيت منها درهما تشتري لنا به لحما فطر به فقالت
لو ذكرتيني فعلت فمن هذا حاله لو كانت الدنيا بخذا فيرها في يده وخزائنها في تصرفه

فَهُوَ اسْتِغْنَاءٌ دُونَ الْغِنَى لِاخْتِصَاصِهِ بِهِ تَعَالَى وَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الْفَقْرِ

لم تضره اذ هو يرى الاموال من جملة خزائن الملك المتعال لاني يدنفسه فلا يفرق بين أن تكون في يده او في يد غيره وقد حملت خزائن الارض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر فاخذوها ووضعوها في مواضعها ولم يكن عندهم فرق بين الماء والمال في كل الحال (فهو استغناء دون الغنى) المطلق (لاختصاصه) أي الغنى المطلق (به) أي بالحق (تعالى) شأنه ويدبغى أن يسمى صاحبه المستغنى لأنه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا، وقد يقال له غنى بغنى مولاه لخبر ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس، ثم هذا العبد وان استغنى عن المال وجودا وعده لم يستغن عن اشياء اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله ليبقى استغناؤه الذي زين الله تعالى به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر والله تعالى هو الذي اعتقه عن هذا الرق فهو محتاج إلى دوام هذا العنق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في اوقات متقاربة لانها بين أصبهين من أصابع الرحمن فلذا لم يكن اسم الغنى مطلقا عليه مع هذا الكمال الاجازا (وهو) أي الاستغناء (المراد بما ورد) من الكتاب والسنة (في فضل الفقر) والفقراء كقوله تعالى (للفقراء المهاجرين) الآية (وللفقراء الذين أحصروا) الآية ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالمجرة والاحصار، وكقوله عليه السلام لبلال، يا الله فقيرا ولا تلقه غنيا، رواه الحاكم من حديث بلال والطبراني من حديث أبي سعيد بلفظ متفقين ولا تمت غنيا، وقوله يدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح، وقوله الفقر أزين بالموءن من العذار الحسن على خد الفرس رواه الطبراني من حديث شداد بن أوس، وقوله اطاعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطاعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد جيد وللشيخين من حديث اسامة بن زيد قمت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين واذا أصحاب الجند محبسون وقوله تحفة المؤمن في الدنيا الفقر رواه محمد بن حنيف الشيرازي في شرف الفقراء، والدليل من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به، وقوله آخر الانبياء دخولوا الجنة سليمان لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولوا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي رواية رأته دخل الجنة زحفا، والدليل عن أبي الدرداء مرفوعا

أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار
 الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجالت عقوبته، وروى أن عيسى عليه السلام
 مر في سياحته برجل نائم ملثف في دابة فایقظه وقال يا نائم قم فاذا ذكر الله فقال ما تريد
 منى انى قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فتم اذن حبیبى نعم، وقال موسى عليه السلام يا رب
 من أحباؤك من خلقتك حتى احبهم فقال كل فقير فقير فيحتمل أن يكون الثانى تأكيدا
 وان يكون المراد به شديد الفقر، وكان عيسى عليه السلام احب الاسامى اليه ان يقال له
 يامسكين، ولابى الشيخ من حديث انس يقول الله عز وجل يوم القيامة ادنوا منى احبائى
 فتقول الملائكة ومن احباؤك فيقول فقراء المسلمين فيدنون منه فيقول اما انى لم ازوال الدنيا
 عنكم بهوان كان بكم ولكن اردت بذلك ان اضعف لكم كرامتى اليوم فتمتعوا على
 ما شئتم، ولابى نعيم فى الحلية من حديث الحسين بن على اتخدوا عند الفقراء ابادى فان لهم
 دولة يوم القيامة وللطبرانى من حديث أبى امامة دخالت الجنة فسمعت حركة امامى
 فنظرت فاذا بلال فنظرت إلى اعلاها فاذا فقراء امتى واولادهم ونظرت فى اسفلها
 فاذا فيهم الاغنياء والنساء قليل فقات يا رب ما شأنهم قال أما النساء فاضرتن الاحمران
 الذهب والحريير وأما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب ففقدت أصحابى فلم أر
 عبد الرحمن بن عوف ثم جاني بعد ذلك وهو يبكى فقات ما خلفك عنى فقال أما والله
 يا رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات نظنت أنى لا اراك قلت لم قال كنت
 احاسب بما لى ، ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ الا اخبر لم عن ملوك الجنة قالوا
 بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف ذى طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله
 لآبره، وللحاكم والترمذى من حديث عائشة أنه عليه السلام قال لها ان اردت اللحوق بى
 فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقعى، وعن ابن
 عباس ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر، وقال لقمان لابنه لا تحقرن احدا خلقتان
 ثيابه فان ربك ورب واحد، وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من اخلاق المرسلين
 واشارك لمجالستهم من علامات الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامات المنافقين،
 وقال المؤمل ما رأيت الغنى اذل منه فى مجلس الثورى ولا رأيت الفقير اعز منه فى مجلس
 الثورى، وللدارقطنى وغيره من حديث ابن عمر ان لكل شىء مفتاحا ومفتاح الجنة حب
 المساكين والفقراء العبرهم جلساء الله يوم القيامة وفى الصحيحين من حديث أبى
 هريرة اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفى رواية لمسلم كفا قولا بن ماجه من حديث أنس
 ما من أحد غنى ولا فقر الا رديم القيامة أنه بان اوتى قوتا فى الدنيا، وللدبلى يقول الله

أَمَّا وَرَدَ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَنَحْوِهِ فَحَمُولٌ عَلَى الْاضْطِرَارِّ، وَاخْتَلَفَ فِي أَنَّ
الْفَقْرَ أَفْضَلُ أَمْ الْغِنَى؟

تعالى يوم القيامة ابن صفوتي من خافني؟ فتقول الملائكة ومن هم ياربنا فيقول فقراء
المسلمين القانعين به طائى الراضين بقضائى ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون
ويشربون منها والناس فى الحساب يترددون ﴿أما ما ورد اعوذ بك من الفقر﴾ كما للذسائى
من حديث أبى سعيد الخدرى أنه عليه السلام كان يقول أعوذ بالله من الكفر والفقر
وفى رواية للحاكم من الفقر والكفر ﴿ونحوه﴾ من حديث كاد الفقر أن يكون كفرا
وقد تقدم ﴿فحمول على الاضطرار﴾ بلا انضمام زهدى الاختيار وهو أن يضطر
الى الشىء ويفقده لان هذه الحالة لاشك أنها مشوشة او محمول على فقر القلب فعن
ذى النون اقرب الناس إلى الكفر ذوقا لاصبر له ، وفى الجملة كل ما هو شاغل عن المولى
فهو شؤم فى الدنيا والاخرى ، ومن هنا ورد اعوذ بك من شرفنة الفقر وشرفنة
الغنى فان الفقر يكون منسيا إذا أن الغنى يكون مطغيا هذا وسند كرفضل الزهد فى محله الآتى *
وأما الآثار فى الرضى والقناعة فكثيرة منها قول عمر رضى الله عنه أن الطمع
فقر والياس غنى وأنه من يئس عما فى ايدى الناس وقنع بما فى يده استغنى عنهم وفى
دعائه عليه السلام اللهم قنعنى بما رزقنى وبارك لى فيه ، وقد قيل فى القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس واقنع بياس فان العز فى الياس
واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم أن الغنى من استغنى عن الناس

وقال ابن مسعود ما من يوم الا و لك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك
خير من كثير بطغيك ، وقال أبو الدرداء ما من أحد الا وفى عقله نقص وذلك أنه اذا
اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبين فى هدم عمره ثم لا يحزنه
ذلك ويح ابن آدم ما ينفع ما يزيد وعمر ينقص ، وقيل لبعض الحكماء ما الغناء فقال قلة
تمنيك ورضاك بما يكفيك ، ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ما حبا وبقلا
فقال له يا ابا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا فقال أفلا ادلك على من رضى بشر
من هذا؟ قال بلى قال من رضى بالدنيا عوضا عن العقبى ، وروى أن الله عز وجل قال
فى بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت
فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها الى غيرك فانما محسن اليك ﴿واختلف
فى أن الفقر﴾ مع الصبر ﴿أفضل﴾ من الغنى مع الشكر ﴿أم الغنى﴾ مع الشكر أفضل

وَالْحَقُّ الْاِخْتِلَافُ بِحَسَبِ الْأَشْخَاصِ فَالْفَضْلُ بِقَدْرِ الْفَرَاغِ عَنِ الشَّوَاغِلِ وَالْدُّنْيَا
إِنَّمَا حَذَرَ عَنْهَا

من الفقر مع الصبر فذهب الجنيّد والخواص والا كثرون إلى فضل الفقر وخالفهم ابن عطاء
كما تقدم وقد استدل عليه بان الغنى وصف الحق واجيب بان غناه سبحانه ليس بالاسباب
فانقطع ولم ينطق في هذا الباب، واجيب أيضا بان التكبر من صفات الحق فينبغي أن
يكون أفضل من التواضع ثم قيل بل هذا يدل على أن الفقر أفضل لان صفات العبودية
أفضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينزع فيها لما ورد
المكبرياء ردائي والعظمة ازارى فمن نازعنى فيهما قسمته، وقال سهل حب العز والبقاء
شرك في الربوبية ولا منازعة فيهما لانهما من صفات الله قلت ويشير اليه قوله تعالى
(والله الغنى وانتم الفقراء) ثم التحقّق ان الفقر والغنى إذا اخذا مطلقا لم يشك
من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر وانما يتصور التردد في مقامين احدهما فقير
صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع وراض بالاضافة إلى غنى ينفق ماله
في الخيرات ليس حريصا على امساك المال وثانيهما فقير حريص مع غنى حريص
اذ لا يخفى ان الفقير القانع أفضل من الغنى الحريص الممسك وان الغنى المتفق ماله في
الخير خير من الفقير الحريص اتفاقا واما الاول فربما يظن ان الغنى أفضل من الفقير لانهما
تساويا في ضعف الحرص على المال والغنى متقرب بالخيرات والفقير عاجز عنه وهذا
هو الذى ظنه ابن عطاء في غالب الظن فأما الغنى المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا
يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما سيأتى من سؤال الفقراء عما يورهم
ترجيح الأغنياء (والحق الاختلاف بحسب الأشخاص) بل وتفاوت الأحوال كما يشير
اليه قوله تعالى (ان ربك يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا)
وفي الحديث القدسي « ان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله وان
من عبادى من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله » وفي دعائه عليه السلام « اللهم
وسع لى في رزقى عندك كبير سنى، ومن هنا قيل التسليم أسلم ومقام الرضاء انم والله أعلم
ويؤيده قوله تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو
شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) (فالفضل) أى زيادة الفضيلة (بقدر الفراغ عن
الشواغل) أى الموانع عن تحصيل الفضائل (والدنيا انما حذر عنها) أى عن حبها

لَلشَّغْلِ عَنْهُ تَعَالَى وَكَمْ مِنْ فَقِيرٍ شَغَلَتْهُ وَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ لَمْ تَشْغَلْهُ كُسَلَيَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَمَّا فِي حَقِّ الْكَثْرِ فَالْفَقْرُ أَذْهُوَ أَبْعَدُ عَنِ الْخَطَرِ وَالْإِنْسُ
بِالدُّنْيَا وَالْقُدْرَةِ عَلَى الشَّهْوَةِ

﴿لَلشَّغْلِ عَنْهُ تَعَالَى﴾ بسببها وتوضيحه أن ما لا يرا د بعينه بل يرا د لغيره فيذبغى أن يضاف إلى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها بل لكونها عاتقة عن الوصول إلى الله ولا الفقر ، طلب لعينه ولكن لان فيه فقد العائق عن الله سبحانه ﴿وكم من فقير شغلته﴾ الدنيا وحبها وكسبها وصرفه الفقر عن المقصد كالكثير ابتداء الدنيا ﴿وكم من غنى لم تشغله﴾ الدنيا ولوا اثر في مالها وجاهها ﴿كسليمان عليه السلام﴾ وداود و ابراهيم ﴿وعبد الرحمن بن عوف﴾ وعثمان بن عفان وذلك لان غاية المقصد في الدنيا هو حب الله والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل كما يشير اليه قوله عليه السلام «أعوذ بك من شرفنة الفقر وشرفنة الغنى» كما تقدم وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا ولا يجتمع معه حب الله في القلب ، والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه او في وصاله ، وربما يكون شغله في الفراق اكثر ، وربما يكون في الوصال اكثر . والدنيا معشوقة للغافلين ، فالحجوروم منها مشغول بطلبها ، والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها ﴿امافي حق الاكثر فالفقر﴾ افضل ﴿اذهوا بعد عن الخطر﴾ في الشغل عن المولى ﴿والانس﴾ اى وعن الاستيناس ﴿بالدنيا والقدرة﴾ اى وعن القوة ﴿على الشهوة﴾ اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ، ومن العصمة ان لا تقدره ، ولذا الصحابة : بليذا بفتنة الضراء فصبرنا ، وبليذا بفتنة السراء فلم نصبر . ومن هذا قال عيسى عليه السلام : لا تنظروا إلى اموال أهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم . وفي الخبر «ار لكل امة عجلا وعجل هذه الامة الدينار والدرهم» رواه الديلمى من طريق أبى عبد الرحمن السلمى من حديث حذيفة . وكان أصل عجل قوم موسى عليه السلام من حلية الذهب والفضة ايضا ، فاستروا المال والماء والذهب والحجر أنما يتصور للإنباء والاولياء ، ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله بطول المجاهدة هنالك اذ كان عليه السلام يقول للدنيا «الك عنك عنى» اذ كانت تتمثل له بزيتها ، رواه الحارم . وكان

الْأَفِي الْمُضْطَرُّ لِأَنَّهُ يَمُوتُ جَبْرًا وَالْوَاحِدُ يَحْصُلُ الْمَعْرِفَةَ الْأَمَنَ لَا يَتُوبُ عَنِ الْمَعَاصِي
فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ وَكَذَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَوَرَدَ اللَّهُمَّ أَحْنِنِي مَسْكِينًا وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا
وَأَحْشُرْنِي فِي زُمَرَةِ الْمَسَاكِينِ بَلِّغْ عَنِّي الْفُقَرَاءَ أَنَّ لِمَنْ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ خِصَالٍ
لَيْسَتْ لِلْأَغْنِيَاءِ أَمَّا الْخِصْلَةُ الْوَاحِدَةُ فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ كَمَا يَنْظُرُ أَهْلُ
الْأَرْضِ إِلَى نُجُومِ السَّمَاءِ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَبِيٌّ فَقِيرٌ أَوْ شَهِيدٌ فَقِيرٌ أَوْ مُؤْمِنٌ فَقِيرٌ وَالثَّانِيَةُ

على كرم الله وجهه يقول : يا صفراء غري غري ، يا بيضاء غري غري ، وذلك
لاستشعاره في نفسه ظهور مبادئ الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربه (الافى
المضطر) فليس الفقراء افضل في حقه (لانه) (أى المضطر) (يموت جبرا) (أى خاليا
عن الخير قهرا ، وقد يكون ذلك كفرا) (والواجد) بالنصب عطفًا على الضمير وبالرفع
على انه مبتدأ خبره (يحصل المعرفة) والجملة حال (الامن) استثناء من المستثنى
أى الامضطر (لا يتوب عن المعاصي فالموت خير له) (أى بالفقر الموجب للموت خير له ،
اذ تقل معاصيه في الديار ويتمخلص هو عن ألم الاضطرار) (وكذا في نفس الامر)
أى وبما ان الفقر افضل في حق الاكثر فكذا هو افضل في نفس الامر (فورد اللهم
أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين) (رواه الترمذى من حديث
انس وحسنه وابن ماجه والحالم وصححه من حديث أبى سعيد . وفيه وبالغة عظيمة
في مدح المساكين حيث لم يقل واحشروهم في زمركى ، وهو أمتواضع منه عليه السلام وأما
أراد بهم الانبياء والمرسلين . لان غالبهم كانوا فقراء ومساكين . وفى رواية للترمذى زيادة
يوم القيامة ، فقالت عائشة : لم يارسول الله؟ قال «انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بأربعين
خريفاء» (بالغنى) خطاب منه عليه السلام لمن جاء برسالة (الفقراء) من أصحابه الكرام
والمعنى اخبر من قبل الفقراء تسلياً لهم حيث ما جعلوا اغنياء (أن لمن صبر) على الفقر
(واحتسب) (أى طلب من الله الاجر) (منكم) ومن أمثالكم (ثلاث خصال) مختصة
لكم (ليست للأغنياء) واحدة منها فضلا عن جميعها (أما الخصلة الواحدة فان في الجنة
غرفاً) (أى قصوراً عالية) (ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها
إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير) وهو من لا يكون صاحب نصاب (والثانية

يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ وَالثَّلَاثَةُ إِذَا قَالَ
 الْغَنِيُّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَقَالَ الْفَقِيرُ مِثْلَ ذَلِكَ لَمْ
 يَلْحَقِ الْغَنِيُّ بِالْفَقِيرِ وَأَنْفَقَ مَعَهَا عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَكَذَلِكَ أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا مَنْ جَاءَ
 بِرِسَالَةِ الْفُقَرَاءِ أَنَّ الْأَغْنِيَاءَ يَحْجُونَ وَيَعْتَمِرُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَنَحْنُ عَاجِزُونَ عَنْ ذَلِكَ

يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام) وهذه الجملة رواها
 الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه (والثالثة إذا قال الغني سبحان الله والحمد لله
 ولا إله إلا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وأن أنفق معها عشرة
 آلاف درهم ، وكذلك أعمال البر كلها لمن جاء) متعلق ببلغ غنى أى قال النبي عليه
 السلام لمن جاء (برسالة الفقراء أن الأغنياء) يجوز فتح أن وكسرها (يحجون ويعتَمرون
 ويتصدقون) بفضول أموالهم (ونحن عاجزون عن ذلك) في تمام أحوالهم وفي الأحياء :
 روى في الخبر « أن الفقراء شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء
 بالخيرات والصدقات ، والحج والجهاد ، فدلهم كلمات في التسييح وذللهم أنهم ينالون بها
 فوق ما نال الأغنياء فعلم الأغنياء بذلك فكانوا يقولونه ، فعادوا إلى رسول الله ﷺ
 فاخبروه فقال عليه السلام « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » قال مخرجه متفق عليه
 من حديث أبي هريرة ونحوه انتهى . وقال في الأحياء أيضا : وقد استشهد ابن عطاء
 بهذا أيضا قال وفيه نظر لان الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك
 وهو أن ثواب الفقير في التسييح يزيد على ثواب الغنى ، وأن فوزهم بذلك الثواب هو
 (فضل الله يؤتيه من يشاء) فقد روى زيد بن أسلم عن أنس قال « بعث الفقراء رسولا
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أنى رسول الفقراء إليك ، فقال
 مرحبا بك وبمن جئت من عندهم ، جئت من عند قوم أحبهم الله ، قال قالوا يا رسول
 الله أن الأغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا تقدر عليه ، ويعتَمرون ولا تقدر عليه ، وإذا
 مرضوا بعثوا بفضول أموالهم ذخيرة لهم ، فقال عليه السلام بلغ غنى الفقراء الحديث
 قال مخرجه : لم أجده هكذا بهذا السياق . والمعروف في هذا المعنى ما رواه ابن ماجه
 من حديث ابن عمر « اشتكى فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما فضل الله به عليهم أغنياءهم ، فقال يا معشر الفقراء ألا ابشركم أن فقراء المهاجرين

وَلَاَنَّ الْغِنَى سَبَبُ طُولِ الْحِسَابِ وَالْغُرُورِ فَإِنْ عُرِضَ بَأَنَّ الْغِنَى صِفَتُهُ تَعَالَى
وَالْتَخَلُّقُ بِاخْلَاقِهِ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ وَبَأَنَّ الْغِنَى قَادِرٌ عَلَى الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ دُونَ الْفَقِيرِ لَمْ
يَعْتَرِضْ لِأَنَّ الْغِنَى بِالْأَسْبَابِ وَالْأَعْرَاضِ لَيْسَ مِنْ خُلُقِهِ تَعَالَى كَالْتَكْبِيرِ دُونَ اسْتِحْقَاقِ

يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام ﴿ولان﴾ عطف على
ورد فهو دليل ثان على أن الفقر أفضل في نفس الامر وذلك لان ﴿الغنى سبب
طول الحساب﴾ وهو نوع من العذاب ، ولذا قال أبو الدرداء: ما أحب أن لي حانوتا على
باب المسجد ولا تخطئني صلاة ولا ذكر واربح كل يوم اربعين دينارا ، واتصدق بها في
سبيل الله ، قيل وما تكره ؟ قال سوء الحساب . ومن هنا قال شقيق : اختار الفقراء
ثلاثة اشياء : راحة النفس ، وفراغ القلب ، وخفة الحساب . واختار الاغنياء ثلاثة
اشياء : تعب النفس ، وشغل القلب ، وشدة الحساب ﴿والغرور﴾ أى وسبب طول
الغرور في الامور الموجبة للحجاب ، فقد قال بعض السلف : مثل من تعبد وهو في طلب
الدنيا كمثل من يطفي النار بالحلفاء ، ومثل من يغسل يده من الغمر بالسلك ، وقال أبو سليمان
الداراني : تنفس فقير في شهوة لا يقدر عايتها أفضل من عبادة غني ألف عام ، وعن
الضحاك قال : من دخل السوق فرأى شيئا يشتميه فصبر واحتسب كان خيرا له من ألف
دينار ينفقها كلها في سبيل الله عز وجل . وقال رجل لبشر بن الحارث : ادم الله
لي فقد أضرتني العيال ، فقال : إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله
لي في ذلك الوقت فان دعائك افضل من دعائي . وكان يقول : مثل الغني المتعبد مثل
روضة على مزبلة ، ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر على جيد الحساء . وقد
كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء ﴿فان عورض﴾ ما ذكره من ادلة تفضيل
الفقر على الغنى ﴿بان الغنى صفة تعالی والتخاق باخلاقه مندوب اليه﴾ كما ورد تخلقوا
باخلاق الله ، ﴿وبان الغنى قادر على العبادات المالية﴾ من الزكاة والحج والعمرة
﴿دون الفقير﴾ أى بخلافه ﴿لم يعترض﴾ أى لم يقبل اعتراضه في الامرين فهما الف
ونشرهما مرتبا قوله ﴿لان الغنى بالاسباب والاعراض﴾ الواقعة من غير الاكساب
﴿ليس من خلقه﴾ أى صفة ﴿تعالى كالتكبر﴾ بهما ﴿دون استحقاق﴾ للغنى والكبرياء
وذلك لان الله غني بذاته لا بما يتصور زواله والتكبر لا يخلق بالعبودية من خاصة صفاته

وَالْعِبَادَةُ الْمَالِيَّةُ أَمَّا تُوجِبُ الثَّوَابَ لَتَرْكِ الدُّنْيَا كَالْتَّوْبَةِ لَتَرْكِ الذَّنْبِ فَلَوْ فَضَّلَ
 الْغَنِيُّ عَلَى الْفَقِيرِ لَفُضِّلَ الْعَاصِي عَلَى الْمُتَّقِي وَحَقُّهُ أَنْ لَا يَكْرَهُهُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ فَعَلَهُ
 تَعَالَى بَلْ يَتَقَلَّدُ مِنْهُ الْمُنَّةَ كَتَقَلَّدِ الْمَحْجُومِ مِنَ الْحَاجِمِ وَالْأَيَّامُ وَيَسْتَرَاهُ—رَهُ
 بِالْتَّجَمُّلِ وَالتَّعَفُّفِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ

اللائقة بذاته كما اوضحناه فيما تقدم (والعبادة) أى ولان العبادة (المالية) إنما
 توجب الثواب (في العقبى) (لتترك الدنيا) الاشتغال بخدمة المولى (كالتوبة) في الدنيا
 توجب التوبة في الاخرى (لتترك الذنب) أى مخافة المولى (فلو فضل الغنى على
 الفقير) بهذا الاعتبار (افضل العاصى على المتقى) أى الطائع من الابرار وهو لا يصح
 عنداولى الاستبصار (وحقه) أى حق الفقير الواجب عليه عشرون حقاً (ان لا يكرهه)
 أى الفقر (من حيث أنه فعله تعالى) شرعاً وأن كان كارهاً للفقر طبعاً، كالمحجوم يكون
 كارهاً للحجامة ولا يكره فعل الحجام الا كارهاً للحجامة (بل) ربما (يتقلد منه)
 سبحانه (المنة كتقلد المحجوم) أى كتقلد المنة (من الحاجم) ثم عدم الكراهة
 من هذه الحيثية واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر. وهذا معنى قوله (والايأثم)
 أى وأن لم يحبه من حيث أنه فعله تعالى بأثم لعدم الرضاء بالقضاء وهو واجب على العباد شرعاً
 وإن كان الفقر مكروهاً عنده طبعاً وارفعت من هذا المقام أن لا يكون كارهاً للفقر بل يكون
 راضياً به وارفعت منه أن لا يكون طالباً له وفرحاً به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متردداً في باطنه
 على الله تعالى وثاقبه في قدر ضرورته أنه يأتيه الرزق لا محالة عند المولى، ويكون كارهاً للزيادة
 على الكفاف، وقد قال على كرم الله وجهه: أن الله عقوبات للفقر ومشوبات بالفقر، فمن علامة
 الفقر إذا كان ثوبه أن يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه، ولا يشكو حاله، ويشكر الله تعالى
 على فقره. ومن علامته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويعصى ربه ويكثر الشكاية والتسخط
 بالقضاء، وهذا آداب باطنه مع ربه (ويستر) أى وحق الفقير في ادب ظاهره أن يستر
 (أمره) ويكتم فقره ويستر أيضاً سره فقد قال بعضهم: ستر الفقر من كنوز البر. وروى من
 كنوز البر كتمان المصائب، (بالجمال) أى باظهار الجمال كأنه صاحب المال كما قال صاحب
 هذا الحال: وإذا تصبكت خصاصة فتجمل. وقال سفيان: افضل الاعمال التجميل
 عند شدة الاحوال (والتعفف) عن السؤال واظهار الحال، وقد وصف الله
 اصحاب الصفة من لئل الرجال بقوله (يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف) أى اظهار

فَورَدَ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ وَلَا يَتَوَاضَعُ لِنَفْسِهِ لِلْغَنَى فَوَرَدَ فِيهِ
«مَنْ تَوَاضَعَ لِنَفْسِهِ ذَهَبَ ثَلَاثًا دِينَهُ» بَلْ يَتَرَفَّعُ عَلَيْهِ فَوَرَدَ أَنَّهُ صَدَقَةٌ وَلَا يَتَوَانَى فِي الْعِبَادَةِ
وَيَصَّدَّقُ بِالْفَاضِلِ فَوَرَدَ فِيهِ «أَنَّ دَرَاهِمًا أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ»

المعفة حال المحنة (فورد ان الله يحب الفقير المتعفف اباالعيال) رواه ابن ماجه من
حديث عمران بن الحصين (ولا يتواضع) أى وحق الفقير ان لا يتواضع (لغنى) بالمال
(لغنى) أى لاجل ماله من مال المستغنى عن طلب الكمال من العلوم والاعمال
(فورد فيه) أى فى ذمه (من تواضع لغنى) لاجل غناهم (ذهب ثلاثا دينه) رواه البيهقى
وغیره . وروى الديلمى من حديث أبى ذر بلفظ «لعن الله فقيرا تواضع لغنى من أجل ماله
من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه» انتهى . وذلك لان آلة العبادة قلب ولسان
وجوارح ، وفى تهظيم الغنى لابد من استعمال اللسان والجوارح ، وفيه تنبيه نبيه على
أنه لو عظمه بقلبه ذهب كل دينه (بل) حق الفقير ان (يترفع عليه) أى على
الغنى استغناء بربه الغنى المغنى (فورد أنه) أى التكبر على الغنى المتكبر (صدقة) أى
ثوابه صدقة او صدقة من صدقات الفقير تدل على صدقه فى باب الفقر ، وفى رواية ته
مع التامهى فانه صدقة . وعن دلى كرم الله وجهه : ما احسن تواضع الغنى للفقير
رغبة فى ثواب الله ، واحسن منه تيه الفقير دلى الغنى ثقة لله ، فهذه رتبة واكل منها
أن لا يخاطب الاغنياء ولا يرغب فى مجالستهم لان ذلك مبادئ الطمع . قال النورى :
إذا خاطب الفقير الاغنياء ورغب فى مجالستهم فاعلم أنه مرأى ، وإذا خاطب السلطان
فاعلم أنه اص . وقال بعض العارفين : إذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته ، فإذا
طمع فيهم انقطعت عصمته ، وإذا سكن اليهم ضل سعيه ومحتته (ولا يتوانى) أى
وحقه أن لا يفتقر عن الطاعة ولا يتكاسل (فى العبادة) بسبب فقره وقلة صبره (ويتصدق
بالفاضل) أى وحقه أن لا يمنع ما يفضل عنه من حاجته كطعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى
عورته ويدفع عنه حره وبرده ، ويبت يذنه ويستتره فان ذلك جهد المقل ، وفضله اكثر من
أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى (فورد فيه) أى فى حقه (ان درهما) من الفقير
(أفضل من مائة ألف) أى مائة ألف درهم من الغنى ، وفى رواية «سبق درهم مائة
ألف درهم» وعن أبى هريرة قال عليه السلام : درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة

وَيَسْتَقْرِضُ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ بِهِ تَعَالَى لَا تَعْوِيلًا عَلَى السُّلْطَانِ الظَّالِمِ فَيَقْضِي أَنْ وَجَدَ
حَلَالًا وَلَا الْإِيقْضِيهِ تَعَالَى وَيَرْضَى الْخُصْمَ مَا وَبَكَشَفَ الْحَالَ عَنِ الْمُقْرِضِ وَلَا يَخْدَعُ
بِالْمَوَاعِيدِ وَيَجِبُ الْقَضَاءُ مَنْ بَيَّتَ الْمَالَ وَالصَّدَقَاتِ وَلَا يَسْأَلُ فَهُوَ فِي الْأَصْلِ
حَرَامٌ لَتَضْمَنِهِ الشَّكَايَةُ مِنْهُ تَعَالَى وَادْزَالِ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةَ لغيره

الف ، قيل وكيف يا رسول الله ؟ قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف درهم فتصدق
بها ، واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه ، فصار صاحب الدرهم
أفضل من صاحب المائة الف ، رواه النسائي (ويستقرض) أى وحقه أن يستقرض
(تحسينا للظن به تعالى) أن يقضيه من خزائن كرمه وجوده (لا تعويلا) أى اعتمادا
(على السلطان الظالم) وأعواله وجنوده (فيقضى) دينه بنفسه (أن وجد حلالا)
بعده (والا) أى وإن لم يجد حلالا فلا يأخذه فانه حينئذ (يقضيه تعالى) فى الدنيا
(ويرضى الخصم) فى العقبى أما بفضله أو بعدله بأن يعطى الخصم مثله يرضى
بها عن نفسه (ويكشف الحال) أى وإن بظهوره ولا يخفيه (عن المقرض) لئلا يدخل تحت
وعيد « من غشنا فليس منا » (ولا يخدع) أى وأن لا يخدع المقرض (بالمواعيد) الكاذبة
(ويجب القضاء) أى قضاء دين الفقير حيث صرفه فى الطاعات (من بيت المال)
الموضوع لمهمات المسلمين من الملمات (والصدقات) أى الزكاة (ولا يسأل) أى وحقه
أن لا يسأل من الناس أصلا (فهو) أى السؤال من الخلق (فى الأصل) أى أصل وضع
الشرع (حرام) وإنما يحل لعوارض تشرع من ضرورة أو حاجة مهمة قريبة من
الضرورة فإن كان عنها بد فهو حرام وإنما كان الأصل فيه التحريم لثلاثة أهـ ومحرمه
(لتضمنه الشكاية منه تعالى) إذا السؤال اظهار للفقر وفقد المال وذكر اقصور نعمة الله عنه
فى الحال ، وهو عين الشكوى من المولى ولما أن العبد المملوك إذا سأل غير سيده كان
سؤاله تشنيعا على مالكه فكذا سؤال العبد تشنيع على ربه سبحانه وهذا ينبغى أن يحرم
ولا يحل الا لضرورة كما لا تحل الميتة الا لضرورة (وادلال النفس) أى ولتضمنه اهانة
النفس (المومة لغيره) سبحانه وقد قيل السؤال ذل ولو أين الطريق وورد « لا يحل
لمومن أن يذل نفسه » يعنى لغير الله بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه العزة والجاه
فقد قال تعالى (والله العزة لرسوله والبرؤ مدين) فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي

وَأَيْذَاءِ الْمَسْئُولِ فَرُبَّمَا يُعْطَى حَيَاءً فَوَرَدَ مَا أَحَلَّ مِنَ الْفَوَاحِشِ غَيْرَ مَسْأَلَةِ النَّاسِ

أن يذل لهم الا لضرورة في أحواله ففي السؤال ذل السائل بالاضافة الى المسئول ، ومن دعاء الامام أحمد : اللهم لما صنعت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك (وايذاء المسئول) اي ولتضمنه ايذاءه غالباً لانه ربما لا تسمح نفسه بالذل عن طيب قلب منه (فربما يعطى حياءً) من السائل اذ رياء اذا كان السؤال في المحافل فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحي وتاذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ، ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام الا لضرورة (فورد) في كون السؤال في الاصل حراماً (ما احل من الفواحش غير مسألة الناس) ، ولفظ الاحياء مسألة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها ، قال مخرجه لم اجده اصلاً انتهى ، فورد من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سال وله مال يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه دظم يتمقع ليس عايه لحم » رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية ، ولمسلم من حديث أبي هريرة « من سأل الناس أمواهم تكثراً فانما يسأل جمراً ، وللشيخين من حديث ابن عمر « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم ، ولا صحاب السنن من حديث ابن مسعود « من سأل وله ما يغنيه كانت مسأله خدوشا وكدوحا في وجهه » ، ولمسلم من حديث عوف بن مالك الاشجعي « أنه عليه السلام بايع قوما على الاسلام فاشتراط عليهم السمع والطاعة ، ثم قال كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا ، ولقد كان بعضهم يقع السوط من يده فينزل عن فرسه ويتناولوه ولا يقول لاحدان يناوله ، ولا بن ابى الدنيا وغيره من حديث أبى سعيد الخدرى « من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ، ومن لم يسألنا فهو أحب الينا » ، وللبزار والطبراني من حديث ابن عباس « استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك » ، واسناده صحيح ، وفي رواية فتغنموا ولو بحزم الخطب . فهذه الاحاديث صريحة في تحريم السؤال الالفقير . قال في الاحياء : وتقديره عسير اذ ليس الينام وضع التقدير ، بل يستدرك ذلك بالتوقيف والتقرير ، وقد ورد في الحديث « استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره . قالوا وما هو ؟ قال غدا يوم وعشاء ليلة » كذا في الاحياء قال مخرجه : هو من حديث سهل بن الحنظلية قالوا ما يغنيه ؟ قال ما يغنيه اوعيشه » ولاحمد من حديث على باسناد حسن « قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلته » وهذا هو المختار من مذهبنا الحنفية . وفي حديث آخر « من سال وله خمسون درهما

الْأَلْضُرُورَةُ تُمَيِّتُ أَوْ تُمَرِّضُ لِمَنْ عَجَزَ عَنِ الْكَسْبِ أَوْ اسْتَعْرَقَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ
أَوْ تَعَبَ وَفِيهِ التَّرْكُ أَوَّلَى

او عدلها من الذهب فقد سال الحافا، وفي لفظ آخر «اربعون درهما» راعل هذه الاحاديث
بحرلة على حالة احتياج السائل لغير الاكل من الثوب او البيت ونحوهما من
ضروريات معيشته . وقيل يجوز للسائل أن يسأل معيشة سنة لا سيما اذا كان معيلا او لا
يعطى العطاء الا في وقت واحد ، والله سبحانه أعلم ﴿ الا ﴾ أى وحقه ان لا يسأل
احدا الا ﴿ الضرورة تميت ﴾ أى تقتله ﴿ او تمرض ﴾ أى تجعله مريضا او تجعله عريانا
ونحوها فالسؤال حينئذ مريض فيه لكن ﴿ لمن عجز عن الكسب ﴾ بحرفة ونحوها
﴿ او استغرق ﴾ وقته ﴿ فى طلب العلم ﴾ الشرعى من الامر الاصلى او الفرعى ، لا من استغرق
فى طلب العبادة ، فان نفع هذا قاصر ونفع ذلك متعدد ، ولان زيادة العبادة نائلة وزيادة
العلم فريضة ﴿ او تعب ﴾ أى او لمن تعب بسبب الكسب وضعف عن الطاعة ﴿ وفيه ﴾ أى فى
حصول التعب ﴿ الترك ﴾ للسؤال ﴿ اولى ﴾ مع جواز السؤال وفى الجملة ورد ما يدل على
الرخصة فى السؤال حيث قال عليه السلام « للسائل حق وأن جاء على فرس » رواه أبو داود ومن
حديث الحسين بن على ، ولابى داود والترمذى وقال حسن صحيح « ردوا السائل ولو بظلف
محرق ، وقد سأل ثلاثة من الانبياء فى موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر
عليهم السلام . وروى : أن بعضهم رأى ابا الحسن الثورى يمد يده ويسأل الناس
فى بعض المواطن ، قال فاستعظمت ذلك واستعجبته له ، فأتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم
هذا عليك ، فان الثورى لم يسأل الناس لتعظيمهم ، إنما يسألهم ليثيهم فى الآخرة
فيؤجرون من حيث لا يشعرون ، ثم قال الجنيد : هات الميزان فوزن مائة درهم ، ثم قبض
قبضة والقها على المائة ، ثم قال احملها اليه ، فقلت فى نفسى : إنما يوزن الشيء ليعلم
مقداره فكيف خاطبه بجهولا وهو رجل حكيم ، فاستحييت أن أسأله ، فذهبت بالبصرة
الى الثورى ، فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه ، وقال : قل له انا لا اقبل منك
انت شيئا ، واخذ ما زاد على المائة ، قال فزاد تعجبى ، فسألته فقال : الجنيد رجل حكيم
يريد أن ياخذ الجبل بطرفيه ، وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة
بلا وزن لله عز وجل فاخذت ما كان لله ورددت ما جعل لنفسه ، قال فردتها الى الجنيد
فيكى وقال : اخذ ما له ورد ما لنا الله المستعان ، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم ،
وكيف خالصت لله أعمالهم ، حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير

وَيَحْتَرِزُ عَنِ الشَّكَايَةِ فَيَقُولُ أَنِّي مُسْتَغْنٍ لَكِنَّ النَّفْسَ تُرِيدُ الشَّهْوَةَ وَعَنِ الْإِذْلَالِ
فَيَسْأَلُ قَرِيبًا أَوْ كَرِيمًا لَا يَمُنُّ بَلَّ يَقْبَلُ الْمَنَّةَ وَعَنِ الْإِذْيَاءِ فَلَا يَسْأَلُ فِي الْجَمْعِ إِلَّا
عَمَّنْ يَسْتَحْيِي عَنِ الرَّدِّ فَيَحْرُمُ أَنْ أُعْطِيَ حَيَاءً مِنْهُ أَوْ مِنْ حَاضِرٍ كَأَلَوْ أَخَذَ عُنْفًا وَالْفَارِقُ
الْقَرَأْنُ وَفَقَوَى الْقَلْبِ وَيَشْكُرُهُ سُبْحَانَهُ بَعْدَ الْقَبْضِ بِالشَّغَالِ بِالطَّاعَةِ وَالْإِنْفَاقِ فِيهَا

مناطقة باللسان ، ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الاسرار ، وذلك نتيجة كل الحلال ،
وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على المولى بكنهه الهمة (ويحترز) أى وحقه
أن يحترس (عن الشكاية) من الله فى سؤاله (فيقول) كاتما لحاله (أنى مستغن)
بالقلب عن السؤال ثقة بالله الملك المتعال (لكن النفس تريد الشهوة) فتوقعنى فى السؤال
(وعن الإذلال) أى ويحترز عن التذلل فى السؤال فيجتنب اجنبيا لثيما من ارباب
الاموال (فيسال قريبا) أى ذا قرابة حميما من اهل الكمال من وصفه أنه لا ينقصه ذلك
فى عينه ولا يزدريه بسبب فقره وكذا حكم صديقه ، فكان ابراهيم النخعي يسال اصحابه
الدرهم والدرهمين ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا ياخذهم (او كريما) من ذوى الجمال
من نعتة أنه (لا يمين) على السائل بالعطاء والنوال (بل يقبل المنة) للسائل عليه فى
اخذ المال ولو بالسؤال . فقد قال بشر الحافى : ما سالت احدا فط شيئا الا السرى السقطى
لانه قد صح عندى زهده فى الدنيا . فهو يفرح بخروج الشئ من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون
عوناله على ما يجب (وعن الايذاء) أى ويحترز عن ايذاء المسؤل (فلا يسال فى الجمع)
الاعمى يستحيى عن الرد (والمنع) ان لم يكن فى الجمع (فيحرم) حينئذ ما اخذ (ان
اعطى) المسؤل (حياء منه) أى من السائل (او من حاضر) آخر (كالأخذ عنفا)
أى غصبا ، اذ لا فصل بين الاخذ بضرب العصا او بسوط الحياء ، بل ضرب الباطن
اشد نكاية عند العقلاء . (والفارق) بين عطاء الله او حياء من الخلق (القرائن) الموجدة
فى تلك الحالة (وفقوى القلب) الخالى عن الميل الى المال وسبيل الخلاص عن الايذاء ،
أن يلقى الكلام تعريضا فى الصحبة بحيث لا يقدم على البذل الامتبرع بصدق الرغبة ،
وأن لا يعين شخصا للسؤال لئلا يشوش له البال (ويشكره) أى وحق الفقير أن يشكر
الله (سبحانه بعد القبض) أى اخذ العطاء بثلاثة من الاشياء (بالاستغال بالطاعة)
قولا او فعلا مثل أن يقول الحمد لله او يصلى ركعتين لله (والانفاق فيها) أى وبصرف

فَهُوَ الْأَحَبُّ أَوْ فِي الْمُبَاحِ وَمَعْرِفَةُ فَضْلِ الْفَقْرِ وَشُكْرُ الْمُعْطَى بِكَوْنِهِ سَبِيًّا فَوَرَدَ مَنْ
 لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ وَيَدْعُو لَهُ فَوَرَدَ مَنْ اسْتَدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ
 فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَادْعُوا لَهُ وَلَا يَسْتَصْغِرْ وَلَا يَفْزَعْ بِالْمَنْعِ وَيَحْتَرِزْ عَنِ الشَّبْهِةِ فَوَرَدَ
 (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا

العطاء في طاعة المولى (فهو) أي الانفاق في الطاعة (الاحب) أي الافضل من غيره
 المستفاد من قوله (أو في المباح) يتفق مثل فضول الحلال (ومعرفة فضل الفقر) أي
 أي وبمعرفة المثمرة لترك التواضع المفروض للمعطي (وشكر المعطي) أي وبثناؤه لجزائه
 (بكونه سبياً) في عطائه (فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله) رواه أحمد والترمذي
 وحسنه عن أبي سعيد، وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله، أما إذا غفل عن الله في
 اخذ العطاء أو اتنى على المخلوق وشكره بالثناء والدعاء فلا يكون شكره حينئذ شكراً لله
 (ويدعوه) أي وحقه أن يدعو بالخير للمعطي فيقول: طهر الله قلبك في قلوب الأبرار،
 وزني عملك في عمل الأخيار: أو يقول: بارك الله لك فيما أعطيت وفيما بقيت (فورد
 من اسدى) أي أوصل (إليكم معروفاً) أي إحساناً (فكافته) أي جازوه بمثله
 لقوله تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) (فان لم تستطيعوا) على المكافاة في العطاء
 (فادعوا له) باظهار الثناء واسرار الدعاء، فللترمذي والنسائي وابن حبان عن اسامة
 «من صنع إليه معروفاً فقال لفاعله جزاك الله خيراً فقد ابلغ في الثناء» وللشيرازي
 عن ابن عباس «من اسدى إلى قوم نعمة فلم يشكروها له فدعا عليهم استجيب»
 ولابن عساكر عن علي «من صنع إلى أحد من أهل بيتي يدا كافأته عليها يوم
 القيامة» (ولا يستصغر) أي وحقه أن لا يستحق العطاء ولا يترك الدعاء والثناء؛
 لحديث «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير» والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر،
 رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن عثمان بن بشير (ولا يفزع) أي وإن لا يجزع
 (بالمنع) فإن العطاء والمنع والضرر والنفع بيد الله سبحانه. فورد «لا مانع لما أعطيت
 ولا معطى لما منعت» وفي الحكم لابن عطاء: ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك
 وقال تعالى (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً) وما منع
 عبد عن باب الاو فتح له عن ابراب (ويحترز) أي وحقه أن يحترز (عن الشبهة)
 أي تناوها (فورد) في التثريب (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) أي من الشدائد

ويزرقه من حيث لا يحتسب) ولا يأخذ أكثر من قوت يومه وليلته فهو العزيمة
والرخصة قوت سنة لتجدد سبب الدخل بعدها وكان عليه السلام لا يأخذ للعيال أكثر
منه بل يؤثر شيئاً منه حتى ينتهى قبل مضي السنة وهو الوسط المرضي من الروايات
فورد أربعون أو خمسون ونصاب الزكاة وقيمة الضيعة أو البضاعة المحصلة للغنى

الديوية والاخرية ، ويجعل له من كل ضيق فرجا ومن كل عسر يسرا (ويزرقه
من حيث لا يحتسب) رزقا حلالا طيبا من غير حساب (ولا يأخذ) أى وان لا يقبل
(أكثر من قوت يومه وليلته) أن كان من الأقوياء (فهو) أى أخذ قوت اليوم (العزيمة)
التي يأخذها الانبياء والاوياء (والرخصة) للضعفاء ، ومن له العيال والنساء (قوت سنة
لتجدد سبب الدخل) وهو ما يدخل على الانسان من ضيعته وزراعتة (بعدها) أى بعد
تمام سنته (وكان عليه السلام لا يأخذ) أى لا يدخر (للعيال أكثر منه) أى من قوت
سنة (بل يؤثر شيئاً منه) أى من قوت سنته للفقراء (حتى ينتهى) أى يفرغ ما ادخره
(قبل مضي السنة وهو) أى ادخار قوت السنة (الوسط) أى الافضل المتوسط بين
الحالات (المرضي من الروايات ، فورد أربعون) يوما (أو خمسون) يوما فى مدة جواز
الادخار ، واو للشك او التنويع (ونصاب الزكاة) وهو عشرون دينارا او اربعمائة
درهم (وقيمة الضيعة) أى المزرعة فيستغنى بها طول عمره ، وفى معناها قيمة البيوت
والحوانىث المستقلة لفوائد الغلة (او البضاعة) أى قدر رأس مال التجارة (المحصلة
لغنى) بسبب الربح الكافى للمعيشة ، فيتجر بها ويستغنى عن غيرها . وفى الاحياء :
ان فى الادخار ثلاث درجات : أحدها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهى درجة
الصديقين . وثانيتهما ان يدخر لاربعين يوما ، فايما زاد عليه دخل فى طول الامل . وقد
فهم العلماء ذلك من ميعاد الله لموسى عليه السلام ، ففهم منه الرخصة فى أمل الحياة أربعين
يوما وهذه درجة المتقين ، ثالثها ان يدخر لسنة وهى أقصى المراتب ، وهى رتبة
الصالحين . ومن زاد فى الادخار على هذا فهو داخل فى غمار العموم خارج عن حيز
الخصوص بالكلية ، فغنى الصالح الضعيف لطما نينة قلبه فى قوت سنة ، وغنى
الخصوص فى أربعين يوما ، وغنى خصوص الخصوص فى يوم وليلة . وقد قسم النبى
عليه السلام لنسائه على مثل هذه الاقسام ، فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند

وَيَسْتُرُ تَحَامِيًّا عَنْ هَتِكَ الْمَرْوَةِ وَكَشَفَ الْحَاجَةَ وَالْحَسَدَ وَالْغِيْبَةَ وَسُوءَ الظَّنِّ بِهِ
وَعَنْ اِعْلَانِ عِبَادَةِ الْمُعْطَى وَمَذَلَّةِ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ فِي حُرَامِ وَشِبْهِهِ الشَّرِكَةِ فَوْرَدَ
مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ هَدِيَّةً وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَهُمْ شَرَكَاؤُهُ فِيهَا وَيَعْرِفُ بِكَرَاهَةِ ظُهُورِ أَخْذِ
غَيْرِهِ كَأَخْذِهِ

حصول ما يحصل وبعضهن قوت أربعين يوما وبعضهن يوما وليلة ، منهن عائشة وحفصة . وقد سكت عنه مخرجه ﴿ ويستر ﴾ أى وحقه ان يستر السؤال او اخذ النوال ويكتمه فيسال في الخلاء دون الملاء ﴿ تحاميا عن هتك المروءة ﴾ أى تحفظا عن خرق الفتوة فانها تقتضى عدم السؤال فى حال يوجب الايذاء ، او مروءة المسؤل ان رد السائل مع القدرة والقوة ﴿ وكشف الحاجة ﴾ أى وتحاميا عن اظهار الفقر والفاقة وقد تقدم ان من كنوز البر كتمان الفقر ﴿ والحسد ﴾ أى وعن اظهار الحسد الذى لا يخلو من الجسد ﴿ والغيبة ﴾ بالظن عليه بالغيبة ﴿ وسوء الظن به ﴾ فى كونه غنيا ، ويظهر الفقر الذى يقتضى خلقا دنيا ، وهذا كله من الكبائر فصياتهم عن هذه الجرائم أولى ، وذا انما يحصل بستر السؤال والاخذ كما لا يخفى ﴿ وعن اعلان عبادة المعطى ﴾ فان الاخفاء افضل فى الصدقة لقوله تعالى (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) وفى ستر السؤال واخذ النوال اعانة للمعطى على اسرار والعمل واخفائه الذى هو الاكل والاعانة على اتمام المعروف معروف عند الكل ﴿ وعن اعلان ﴾ مَذَلَّةِ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ فِي حُرَامِ ﴿ من غير الضرورة ﴾ وشبهة الشراكة ﴾ أى وتحاميا عنها ﴿ فورد من اهدى اليه هدية وعنده قوم ﴾ او احد ﴿ فهم شركاؤه فيها ﴾ والمراد بهم هم الذين يداومون مجلسه ويعتدقون بابه ويتفقدون اموره ، لا كل من كان جالسا فى ذلك الوقت عنده كذا فى أصول الترهذى . والحديث رواه الطبرانى من حديث الحسن بن على بلفظ « جلساؤه شركاؤه فيها » وعليه البخارى بصيغة تريض . قال السيوطى : واخرجه العقيلي من حديث عائشة انتهى . واما حديث « الهدايا تشترك » فلا أصل له وكذا « الهدية لمن حضر » الامن حيث المعنى من غير اعتبار المبنى ﴿ ويعرف ﴾ من ستر سواله واخذه تحاميا عن هتك ستر المروءة الى آخره ﴿ بكراهة ظهور اخذ غيره كاخذه ﴾ أى ككراهة ظهور اخذ نفسه ، فورد « لا يؤمن احد لم حتى يحب لاختيه ما يحب لنفسه »

وَيُظْهِرُ قَصْدَ الْإِخْلَاصِ وَاسْقَاطَ الْجَاهِ وَهَضْمَ النَّفْسِ وَأَدَاءَ الشُّكْرِ فَوَرَدَ (وَأَمَّا
 بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَعْرِفُ بَارَادَةَ ظُهُورِ عَطَاءِ
 السَّاتِرِ لَهُ كَعَطَاءِ الْمُظْهِرِ لَهُ وَأَمَّا أَنْ بَلَغَ حَدًّا يَسْتَوِي فِيهِ السِّرُّ وَالْعِلَانِيَةُ فَكَبِّرِيَتْ
 أَحْمَرُ وَيَتْرُكُ مَا فِيهِ السُّمْعَةُ وَالرِّيَاءُ تَحَامِيًّا عَنِ الْإِعَانَةِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْأُولَى أَنْ
 لَا يَأْخُذَ إِلَّا لِلْحَاجَةِ

وبكره لآخيه ما بكره لنفسه (و يظهر) أى وحقه أن يظهر السؤال واخذ النوال (قصد
 الاخلاص) فى تصحيح الحال ، والمعنى أن من ترك السؤال فى الملائل يعيب عليه
 الخلق فى الخلاء فهذا نوع من الرياء ، فيصح له أن يظهر اخذ العطاء ليتخلص من
 شائبة الرياء (واسقاط الجاه) واسقاط المائلة عند ارباب الدنيا (وهضم النفس) أى
 ولرياضتها فى طريق المولى النافعة له فى العقبي (واداء الشكر) أى ولادائه لنعمة
 الفقر (فورد) فى التنزيل لبيان مدح اظهره (وأما بنعمة ربك فحدث) وليبان ذم
 اسراره (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) وهذا إنما يصح لمن يتأذى بالفقر والبلاء
 كما يتأذى غيره بالسعة والنعماء بل يكون ممن يقتدى به الصالحاء ، وينفق على فضله العلماء
 فيظهر الشكر على الفقر ، ليعلم أن موجب فضله الفقر المقرون بالشكر (ويعرف) من
 يظهر السؤال قصدا لاداء الشكر فى نعمة الفقر (بارادة ظهور عطاء الساتر له) أى
 المعطى (كعطاء المظهر له) بل ربما يرد العطاء على وجه الاسرار ويقبله على طريق
 الاظهار عكس فعل بعض الابرار (وأما ان بلغ حدا يستوى فيه السر والعلانية)
 فى حقه (فكبريت أحمر) أى فهو ككبريت أحمر عزيز الوجود فى دائرة الشهود بل
 كعنفاء مغرب يسمع له اسم ولا يرى له جسم (ويترك) أى وحقه أن يترك (ما)
 أى سؤال ما أو اخذ ما يدخل (فيه) أى عطائه (السمعة والرياء) وكذا المنفعة والايذاء
 (تحاميا عن الاعانة على الاثم) قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
 الاثم والعدوان) وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ويقول: لو علمت انهم لا يذكرون ذلك
 افتخارا به لآخذت ، وعوتب بعضهم فى رد ما كان يأتيه من صلة قال : إنما ارد
 صلتهم اشفاقا عليهم ونصحاهم ، لانهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم بهم فتذهب
 أموالهم وتحبط اجورهم ، وتفسد احوالهم (والأولى أن لا يأخذ إلا للحاجة

إِلَيْهِ فَرَدَّ مَا الْمُعْطَى مِنْ سَعَةٍ بِأَعْظَمِ أَجْرٍ أَمِنْ الْآخِذِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ أَوْ التَّفْرِيقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ فَيُعْجِلُ تَحَامِيًا عَنِ الْإِنْسِ بِالْذُّنْيَا أَوْ الْآخِذِ فِي الْمَلَأِ وَالرَّدِّ فِي الْخَلَاءِ فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ وَيَخْتَارُ التَّطَوُّعَ إِنْ شَكَّ فِي شَرَائِطِ الْوَاجِبِ أَوْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَتَصَدَّقُ

إِلَيْهِ) فيما لا بد منه ، وهو مفسر في حديث رواه الترمذى وصحه عن عثمان مرفوعا « لاحق لابن آدم الا في ثلاث : جلف الخبز والماء وثوب يوارى عورته ، وبيت يسكنه وبكنه فإزاد فهو حساب » (فورد ما المعطى من سعة) في ماله (بأعظم أجرا من الآخذ اذا كان) الآخذ (محتاجا اليه) رواه الطبرانى من حديث ابن عمر (او التفريق) أى اولا باخذ الا لاجل تفريقه (على الفقراء) المحرومين من خيرات الاغنيا (فيعجل) في التفريق ولا يهمل (تحاميا عن الانس بالدنيا) فلا يدخر فان أمساكها لوليلة واحدة فيه اختبار وقتة ، فربما يحلو في قلبه فيمسكه . ولاحد من حديث عائشة بسند حسن أنه قال في مرضه الذى مات فيه « يا عائشة ما فعلت بالذهب ؟ فجاءت ما بين الخمسة الى الثمانية الى التسعة فجعل يقاها بيده ويقول : ما ظن محمد بربه لولقى الله وهذه عنده ؟ انفقها » وفي رواية سبعة او تسعة دنانير . وله من حديث أم سلمة باسناد صحيح « دخلت على رسول الله عليه السلام وهو ساهم الوجه - أى متغيره - قالت لحسبت ذلك من وجع ، نقلت يابى الله مالك ساهم الوجه ؟ فقال من اجل الدنانير السبعة التى انا انا أمس ، امسينا وهى في خصم الفراش » وفي رواية « امسينا ولم تنفقاها » (او الآخذ) أى ولا ياخذ الا لاجل اخذه (فى الملا والرد فى الخلاء فهو اقرب الى السلامة) من السمعة والرياء ، ومن خيالة الاغنيا وما يحصل لهم من الايذاء ، وأما أن اخذه فى الملا وفرقه فى الخلاء فهو مقام الصديقين من الاولياء ، وهذا أمر شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمانت نفسه بالرياضة . هذا ويجوز له أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو احوج اليه منه ، او يأخذ العطاء ويوصله إلى من هو احوج اليه من الفقراء فيعمل كلاهما فى السر او كلاهما فى الملا (ويختار التطوع) أى وحقه أن يختار أخذ صدقة التطوع على الواجب من الزكاة والفطرة (أن شك) الفقير (فى شرائط الواجب) أى فى وجود شرائط اخذ الزكاة الواجبة هل هو مستحق للزكاة أم لا ، فان اشتبه الامر عليه فهو محل الشبهة (او علم) الفقير (أنه) أى الغني (لا يتصدق) بصدقة

عَلَى غَيْرِهِ أَنْ لَمْ يَأْخُذْ أَوْ قَصَدَ التَّوَسُّيعَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْوَاجِبُ أَنْ قَصَدَ الْإِعَانَةَ عَلَى
أَدَائِهِ أَوْ مُوَافَقَةَ الْفُقَرَاءِ أَوْ هَضَمَ النَّفْسَ فَاثْمَالَهُ يُخْتَلَفُ بِاخْتِلَافِ النِّيَّةِ

التطوع ﴿على غيره أن لم يأخذ﴾ الفقير بعينه ﴿أو قصد﴾ الفقير ﴿التوسيع على الفقراء﴾
بإيثار مال زكاة الأغنياء فإنه يختار أخذه فإنه محض الخير ونفع الغير ﴿والواجب﴾ أى
ويختار أخذ صدقة الواجب ﴿أن قصد الإعانة على أدائه﴾ أى أداء الواجب وقضائه
﴿أو﴾ قصد ﴿موافقة الفقراء﴾ ومراقبة الضعفاء ﴿أو هضم النفس﴾ أى رياضته فى
مقام الابتلاء ﴿فأمثاله﴾ أى أمثاله مذكور ﴿يختلف باختلاف النية﴾ أى نيات الصالحين
وجاءت إلى فتح الموصلى صرة فيها خمسون درهما ، فقال : حدثنا عطاء عن النبى ﷺ
أنه قال : من أتاه رزق من غير مسألة فرده فإنما يردّه على الله عز وجل ، ثم فتح الصرة فأخذ
منها درهما ورد سائرهما . وكان الحسن يروى هذا الحديث أيضا ، ولكن حمل إليه رجل كبشا
ورزمة من دقيق فرد ذلك وقال : من جلس مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذالقى الله
عز وجل يوم يلقاه وليس له خلاق . وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ اشد
فى قبول العطاء ، وكان الحسن يقبل من أصحابه ، كذا فى الاحياء . وقال مخرجه حديث
عطاء لم أجده مرسلًا بكذا . ولاحمد وأبى يعلى والطبرانى باسناد جيد من حديث
خالد بن عدى الجهنى د من بلغه من أخيه معروف من غير مسألة ولا اشراف نفس
فليقبله ولا يردّه فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه ، وجاء خراسانى بمال إلى الجنيد
وسأله أن يأخذه ويأكله ، فقال افرقه على الفقراء ، فقال ما أريد هذا ، قال ومتى
اعيش حتى آكل هذا ؟ فقال ما أريد أن تنفقه فى الحل والبقل ، بل فى الحلوى والطيبات
فقبل ذلك منه ، فقال الخراسانى : ما أجد ببغداد آمن على منك ، فقال الجنيد : ولا ينبغي
أن يقبل الا من مثلك . وقيل من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط . قال العلماء يخاف فى الرد
مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول فى شبهة أو غيره . وفى الاحياء قال بعض
العلماء المجاورين بمكة : كانت عندى دراهم اعددتها للانفاق فى سبيل الله ، فسمعت
فقيرا وقد فرغ من طوافه وهو يقول : بصوت خفى . جئناك كما ترى ، عريان كما ترى ،
فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى . فنظرت فإذا عليه خلقان لا تكاد تواريه ، فقلت
فى نفسى لا أجد لدراهمى أحسن من هذا ، فحملتها إليه فنظر إليها ثم أخذ منها
خمسة دراهم فقال : أربعة ثمن . ثم زين ، ودرهم انفقته ثلاثا ، ولا حاجة لى إلى الباقي

ثُمَّ الزُّهْدُ عُرُوفُ الْقَلْبِ عَنِ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ طَوْعًا

فرده . قال فرأيت الليلة الثانية وعليه مئزران جديد ان فحس في نفسى منه شئ . فالتفت الى واخذ يدي فاطأني معه سبعا كل شوط منها في جوهر من معادن الارض تتشخص تحت اقدامنا الى الكعبين ، منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤه وجوهر ، ولم يظهر للناس ، فقال هذا كله اعطانيه ربي فزهدت فيه وآخذ من ايدى الخلق لان هذه اثقال وفتنة ، وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة ، والمقصود أن الزيادة على الحاجة إنما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه ، وقدر الحاجة بأتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال تعالى (انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا) وعن موسى عليه السلام أنه قال : يا رب جعلت رزقي هكذا على ايدى بنى اسرائيل يغديني هذا يوما ويمشي بي هذا ليلة ، فارحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليائي ، اجري ارزاقهم على ايدى الباطلين من عبادى ليؤجروا فيهم ، فلا ينبغي أن يرى المعطى الامن حيث أنه مسخر مأجور . وقيل في تفسير قوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) معناه ليعب أحد نوبه ، وقيل ليستقرض بجأه فذلك مما آتاه الله . وقال بعضهم : لله عباد ينفقون على قدر بضائعهم ، والله عباد ينفقون على قدر حسن ظنهم بربهم . ومات بعضهم فأوصى بماله لثلاث طوائف : الاقوياء والاسخياء والاغنياء ، فقيل من هؤلاء ؟ فقال : أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله ، وأما الاسخياء فهم أهل حسن الظن بالله ، وأما الاغنياء فهم أهل الاقطاع الى الله . وكان بشر رحمه الله يقول : الفقراء ثلاثة . فقير لا يسأل وان أعطى لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين ، وفقير لا يسأل وان أعطى أخذ فهذا مع المفقرين في جنات الفردوس ، وفقير يسأل عند الفاقة فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين . وقال ابراهيم بن أدهم لشقيق البلخي حين قدم عليه من خراسان . كيف تركت الفقراء من أصحابك ؟ قال تركتهم ان أعطوا شكروا وان منعوا صبروا ، وظن انه لما وصفهم بترك السؤال اثني عليهم غاية الثناء . فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا . فقال شقيق فكيف الفقراء عندكم يا أبا اسحق ؟ فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه . وقال : هددت يا استاذ (ثم الزهد عُرُوفُ الْقَلْبِ) أى ميلا وانصرافا (عن الدنيا الى الآخرة طوعا) أى اختيارا وجعله طاعة ، فالزهد عبارة عن انصراف الرغبة

وَلَا يُعْبَأُ بِالْيَدِ لَوْ جُودَهَا لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَوْنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْلَى
يَدًا مِنْ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن الشيء الى ما هو خير له منه ومنه قوله تعالى (وشروه بشمن ينجس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) أى باعوه طمعا فى أن يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك أحب عندهم من يوسف ، فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا ، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد فى الآخرة ، لكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد فى الدنيا كما يخص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل ، واسم الحنيف بمن يميل الى الحق وأن كان الكل بمعنى الميل فى وضع اللسان ، فالذى يرغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس فهو الزاهد المطلق ، والذى يرغب عن كل حظ ينال فى الدنيا ولم يزهد فى مثل تلك الحظوظ فى الآخرة بل طمع فى الحور والقصور والانهار والاثمار فهو أيضا زاهد لكن دون الاول ، والذى يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذى يترك المال دون الجاه او بالعكس ، او يترك التوسع فى الاكل ولا يترك التجميل فى الزينة فلا يستحق اسم الزهد مطلقا ، ودرجته فى الزاهدين درجة من يتوب عن بعض المعاصى فى التائبين ، وقد تقدم الخلاف فى صحة التوبة ، لكن لا خلاف فى صحة الزهد عن البعض . ثم الزهد عبارة عن ترك المباحات ، ومن ترك المحظورات لا يسمى زاهدا ، ويشترط فى المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه ، ولذا قيل لابن المبارك : يا زاهد ، فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها . أما انا فقيما ذا زهدت . وقال ابن أبى ليلى لابن شبرمة : الا ترى الى هذا ابن الحائك لا نفقى فى مسألة الازد علينا يعنى ابا حنيفة ، فقال ابن شبرمة : لا ادرى اهو ابن الحائك أو ما هو ، ولكن أعلم أن الدنيا غدت اليه فهرب منها ، وهربت منا فطلبناها انتهى . فمن عرف أن ما عند الله باق وأن الآخرة خير وابقى عرف قلبه عن الدنيا الى العقبى مع القدرة على تحصيل مراتب الغنى ، ولما هذا الشرط اشار بقوله طوعا (ولا يعبا باليد) أى ولا يعتبر بتصرف المال وتوسع الجاه وجودا وعدما وقلة وكثرة إذ حصل الزهد فيها (لوجودها) أى الدنيا جاها ومالا (لسليم عليه السلام) مع أنه كان زاهدا فى الدنيا وراغبا فى العقبى كسائر الانبياء والاولياء (وكون عيسى) أى ولكونه (عليه السلام اخلى يدا من نبينا صلى الله عليه وسلم

مع أنه أفضل وهو يثمر المكاشفة كما سبق في حديث التجاني وحارثة رضي الله عنه

مع أنه أي نينا (افضل) وزهدها تم وادل ، على أنه لا بدع أن يوجد في المفضول بعض ، الا يوجد في الافضل . فتأمل . ولعل الحكمة في اختيار عيسى عليه السلام المبالغة في الزهد فانه مساك أدل الترهيب ، وأمانينا عليه الصلاة والسلام فلما كان رحمة لكافة الانام اختار طريقا يسع جميع امته أن يتبعوه ، ولانه صاحب الملة الخفيفة السمحاء ، وليس في دينه من حرج ، ولكونه مظهرا لمرتبة الجمع بين الصفات الجمالية والنعوت الجلالية كما يشير اليه قوله : اشبع يوما فاشكر واجوع يوما فاصبر مع أن الزهد عند المحققين هو ترك ما يشغلك عن المولى وزاد العقبي . ثم كل مؤمن يعلم ان الآخرة خير وأبقى ، لكن قد لا يقدر على ترك الدنيا . اما الضغف عليه ويقينه بالمآل ، واما لاستيلاء الشهوة عليه في الحال ، واما لاغتراره في الاستقبال ، واما عيد الشيطان في التسويف . — وما بعد يوم الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا حسرة بعد الفوت . والى تعريف خسارة الدنيا اشار قوله تعالى (قل متاع الدنيا قليل) والى تعريف نفاسة الآخرة قوله تعالى (وقال الذين اتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن) وأما قول ابن مسعود : ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا — ومنكم من يريد الآخرة) فرواه البيهقي في دلائل النبوة باسناد حسن ، لكن حمل على أن منهم من يريد الدنيا ليصرف في طريق العقبي ، ومنهم من يريد الآخرة ويترك الدنيا بالكلية رضا للمولى وعملا بما قال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لتبر . تركك الدنيا أبر . (وهو) أي الزهد (يثمر) خمسة أشياء (المكاشفة) لاحوال الآخرة (كما سبق في حديث التجاني وحارثة رضي الله عنه) أما حديث التجاني فهو أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للسلام) فقبل له ما هذا الشرح فقال أن النور إذا دخل القلب أنشرح له الصدر وانفسح قبل يارسول الله هل لذلك من علامة ؟ قال نعم التجاني عن دار الغرور والاناة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ، رواه الحاكم ، وأما حديث حارثة فهو أنه لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا فقال : وما حقيقة ايمانك ؟ قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني بالجنة عن يميني والنار عن يساري ، وكأني بعرش ربي بارزا . فقال عليه السلام « عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالايمان ،

وَالْفَرَاغَ لِلْعِبَادَةِ فَوَرَدَ مِنْ أَحَبِّ آخِرَتِهِ أَضْرَ بَدَنِيَّاهُ وَتَعْظِيمَ قَدْرِهَا فَوَرَدَ «رَكْعَتَانِ مِنْ عَالَمٍ زَاهِدٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ الْمُتَعَبِّدِينَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ وَحُبَّتَهُ تَعَالَى وَمَعْرِفَتَهُ فَهَمَّا

رواه البزار من حديث أنس، والطبراني من حديث الحارث بن مالك (والفراغ) أي ويثمر الزهد فراغ خاطر أرباب الإرادة (للعبادة) التي هي سلوك سبيل السعادة (فورد من أحب آخرته أضرب بدنياه) تمامه ومن أحب دنياه أضرب آخرته فأثروا ما يبقى على ما يفنى، رواه أحمد والطبراني من حديث أبي موسى (وتعظيم قدرها) أي ويثمر تعظيم مقدار العبادة (فورد ركعتان من عالم زاهد خير من عبادة المتعبدين إلى آخر الدهر) لم أجده أصلا بهذا السياق، وإنما هو لابن مسعود موقوفا، وللشيرازي في الألقاب عن علي مرفوعا «ركعة من عالم بالله خير من ألف ركعة من متجاهل بالله، وللدبلي عن أنس: ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط، ولابن النجار عن محمد بن علي مرسل «ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم» وقد صحح لفيقه وأحد أشد على الشيطان من ألف عابد (وحبته تعالى) أي ويثمرها الزهد، فقد ورد في الخبر «أن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا، رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد وقد تقدم حديث «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس» (ومعرفته) أي ويثمرها، ففي الخبر قد ورد «إذا رأيت العبد قد أعطى صمتا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمة، رواه ابن ماجه من حديث أبي خالد، وقد قال تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) ولذا قيل: من زهد في الدنيا أربعمائة يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه. كذا في الأحياء وقد وجد معناه من حديث «من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه، رواه أبو نعيم من حديث أبي أيوب: ومن المعلوم أنه لا يكون العبد عابدا مخلصا إلا إذا كان زاهدا. وفي الخبر أيضا «من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه، وأنطق بها لسانه، وعرفه داء الدنيا ودواها، وأخرجه منها سالما إلى دار السلام، رواه ابن أبي الدنيا من حديث صفوان بن سليم مرسل، ولابن عدي من حديث أبي موسى «من زهد في الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» (فهما) أي المحبة والمعرفة اللتان يثمرهما الزهد

لَا يَحْصُلَانِ إِلَّا بِدَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ الْمُتَمَتِّعِينَ مَعَ الشَّغْلِ بِالدُّنْيَا

(لا يحصلان الا بدوام الذكر) اي ذكر المولى (والفكر) لزاد العقبي (الممتنعين مع الشغل بالدنيا) وقد قال تعالى (اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا) اي على الزهد في الدنيا كما جاء في التفسير ، وقال تعالى (انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا) قيل معناه ايهم ازهد فيها . وقال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب) وقال عز وعلا (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى) وللطبراني من حديث ابن مسعود بسند حسن « من اشرب قلبه حب الدنيا التاط منها - اي ابتلى - بثلاث : شقاء لا ينفذ عنه ، وحرص لا يبلغ غناه ، وامل لا يبلغ انتهاه » وللدبلي من رواية علي بن ابي طلحة مرسلا « لا يستكمل عبد الايمان حتى يكون قلة الشيء أحب اليه من كثرتة » وله من حديث أنس « من زهده في الدنيا بصره بعيوب نفسه وفقهه في الدين ، وعن عيسى عليه السلام : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها ، ولا بن حبان من حديث علي « من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ، ومن خاف من النار لها عن الشهوات ، ومن يرقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » وجاء في الآثار « لا تزال لاله الا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يبالوا بما نقص من دنياهم » وفي لفظ « ما لم يؤثر واصله دنياهم على دينهم » فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال تعالى : كذبتم لستم بها صادقين ، وعن بعض الصحابة قال : تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الآخرة ابلغ من زهد في الدنيا . وقال بعض الصحابة لصدر التابعين : أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم كانوا خيرا منكم ، قيل ولم ذلك ؟ قال كانوا ازهد في الدنيا منكم : وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد . وقال ابن سعد : كفى به ذنبا أن الله تعالى زهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها : وقال رجل لسفيان : اشتهى أن ارى عالما زاهدا ، فقال ويحك تلك ضالة لا توجد . وقال يوسف ابن اسباط . اني لاشتهى من الله ثلاث خصال ، أن اموت حين اموت وليس في مالي درهم ، ولا يكون على دين ، ولا يكون على عظمى لحم ، فاعطى ذلك كله ، ويروى أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء الجوائز فقبلوها وأرسل إلى الفضيل بعشرة

ثُمَّ الْأَدْنَى بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ أَنْ يُجَاهِدَ فِيهِ لِمَلِيلِ النَّفْسِ إِلَى الدُّنْيَا وَهُوَ تَزَهُدٌ ثُمَّ أَنْ يَتَنَفَّرَ عَنْهَا فَهُوَ تَزَهُدٌ ثُمَّ عَدَمُ الْمَلِيلِ وَالتَّنَفُّرُ وَيَعْرِفُ بِتَسْوِيَةِ سَرَقَةِ مَالِهِ وَمَالٍ غَيْرِهِ ثُمَّ عَدَمُ

الْإِعْتِبَارُ بِزُهْدِهِ

آلاف درهم فلم يقبها فقال بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد وأنت على حالك هذه فبكى الفضيل وقال : أتدرون ما مثلى ومثلكم فمثل قوم كانت لهم بقرة يجربون عليها فلما هربت ذبحوها لكي ينتفعوا بجلدها وكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبر سنني موتوا يا أهلي جوعا خير لكم من أن تذبحوا فضيلا (ثم الأدنى) من مراتب الزهد (باعتبار نفسه) أى نفس الزهد وذاته مع قطع النظر عن حكمه وامانه وفيه كما سيأتى (أن يجاهد فيه) أى فى تحصيل الزهد (لميل النفس الى الدنيا) والتفاتها اليها ولكنه يجاهد ما ويكفها عنها (وهو تزهد) وهو مبدأ الزهد فى حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجهد (ثم) الاعلى منه (أن يتنفر) طبعه (عنها) أى عن الدنيا لعدم ميل نفسه اليها (فهو زهد) فالتزهد فى الدنيا يذيب أولا نفسه فى الطاعة ثم كيسه والزاهد يذيب أولا كيسه ثم يذيب نفسه فى الطاعة لا فى الصبر على مفارقتها والتزهد على خطر لأنه ربما تغلبه نفسه وتجذب شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها فى قليلها أو كثيرها (ثم) الاعلى منه (عدم الميل) اليها (و) عدم (التنفر) عنها وذلك بان يترك الدنيا طوعا ولا استحقاقا اياها بالاضافة الى ما طمع فيه من غيرها خيرا منها ، ولكن هذا الزاهد يرى لاحتالة زهده ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ، ويظن بنفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرامنه ، وهذا أيضا نقصان عند من له عرفان (ويعرف) صاحب هذا المقام (بتسوية سرقة ماله ومال غيره) لعدم ميله الى كل منهما ، ولقوله عليه السلام « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره لاخيه ما يكره لنفسه » بل ربما يهون عليه سرقة مال نفسه دون سرقة مال غيره (ثم) الاعلى (عدم الاعتبار بزهده) لغنائه فى الله وبقائه به ، فقد انطوى فى نظره وجود كل شيء فضلا عن زهده ، وهى المرتبة العليا بان يزهد فى الدنيا طوعا ، وبزهدى زهده أيضا فلا يرى زهدا أصلا ، اذ لا يرى أنه ترك شيئا ما اذ عرف أن الدنيا لا شيء ، وسببه حال

وَبَاعْتَبَارِ مَا مَنَّهُ مِنْ خَوْفِ النَّارِ ثُمَّ مِنْ أَجْلِ الرَّجَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ لِاقْتِضَائِهِ الْمَحَبَّةَ ثُمَّ
مِنْ رَفْعِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَاسِوَاهُ تَعَالَى وَبَاعْتَبَارِ مَا فِيهِ فِي بَعْضِ الدُّنْيَا كَالْمَالِ دُونَ
الْجَاهِ وَهُوَ كَالْتَوْبَةِ

المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات إلى الدنيا ، ومن هنا قال أبو يزيد
لابن موسى عبد الرحيم : في أي شيء تتكلم ؟ قال في الزهد ، قال في أي شيء ؟ قال في الدنيا ،
ففرض يده وقال : ظننت أنك تتكلم في شيء الدنيا لأشياء أي شيء تزهد فيها ، فاذن
لا يلتفت الزاهد إلى زهده إلا إذا التفت إلى ما زهد فيه ولا يلتفت إلى ما زهد فيه
إلا لأنه يراه شيئاً معتداً به ، ولا يراه شيئاً معتداً به إلا لقصور معرفته ، فسبب نقصان
الزهد نقصان المعرفة (وباعتبار ما منه) أي والادنى في الزهد باعتبار ما منه
الزهد أن يكون زهده للنجاة (من خوف النار) وما فيها من أنواع العقاب (ثم) الأعلى
أن يكون زهده (من أجل الرجاء إلى الجنة) وما فيها من أنواع الثواب ، وأنما يكون
أعلى ما قبله (لاقتضائه المحبة) أي زيادتها ، والمحبة أعلى المقامات كما سيأتي في خاتمة
الكتاب (ثم) الأدنى أن يكون زهده (من رفع الالتفات) لخواتمه (إلى ماسواه
تعالى) فلا تكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه ورضائه ولا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقتصد
الخلاص منها ، وإلى اللذات ليقتصد نيلها والظفر بها ، بل هو مستغرق الهم بالله
تعالى ، وهو الذي يصبح وهمهم واحد ، وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب
غير الله ، ومن طلب غير الله فقد عبده ، سواء وجده أو فقد . وهذا زهد المحبين وهم
العارفون ، لأنه لا يحب الله تعالى خاصة إلا من عرفه ولا تنظن أن أهل الجنة عند
النظر إلى وجهه الكريم تبقى لذة الحور والقصور وسائر النعيم المقيم في قلوبهم ،
بل تلك اللذة بالإضافة إلى نعيم الجنة كـلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف
الأرض ورقاب الخاق بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به ،
فالطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة كالصبي الطالب للعصفور التارك للذة الملك
وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك إلا أن اللعب بالعصفور في نفسه أعلى والذمن
الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخاق ، ومن هنا روى « أكثر أهل الجنة البله
وعليون لاولى الألباب » (وباعتبار ما فيه) أي أدنى الزهد باعتبار ما فيه الزهد
أن يكون زهده (في بعض الدنيا كالمال دون الجاه) أو عكسه (وهو كالتوبة

عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ ثُمَّ فِي كُلِّهَا ثُمَّ فِي سِوَاهُ تَعَالَى

عن بعض الذنوب) وقد اختلف في صحتها ، لكن الصحيح اعتبارها في الجملة على ما تقدم ، بخلاف الزهد فإنه لا خلاف في صحة بعضه (ثم) الاعلى أن يكون زهده (في كلها) أى في جميع الدنيا مالها وجاهها (ثم) الاعلى وهى المرتبة العليا أن يكون زهده (فيما سواه تعالى) حتى يزهد في نفسه أيضا وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة مما فيه الزهد فقال (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) ثم أجمله في آية أخرى ورده إلى خمسة فقال (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد) إلى أن قال (وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور) ثم رده إلى اثنين فقال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا مالا) وقال في موضع آخر (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) ثم رد الكل إلى واحد في موضع آخر فقال (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس فى الدنيا . والحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء فى الدنيا ، واذا رغب عنها لم يردّها ، ولذا لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتببت علينا القتال ؟ لولا اخرتنا الى أجل قريب فقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) أى لستم تريدون البقاء الامتاع الدنيا ، فظهر عند ذلك الزاهدون وفضح المنافقون . أما الزاهدون المحبون فى الله فقاتلوا فى سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنين ، وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمان الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله او نيل رتبة الشهادة ، وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت سعادة الشهادة حتى أن خالد بن الوليد رضى الله عنه لما احتضر للموت على فراشه كان يقول : لم غررت بروحى وهجمت على الصفوف طمعا فى الشهادة ، والآن أموت موت العجائز ، فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات . وأما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت ، فقليل لهم (إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم) الآية هذا . واجمع ما قيل فى حد الزهد قول أبى سليمان الداراني : قد سمعنا فى الزهد كلاما كثيرا ، والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل ، وقرأ

وَبَاعْتَبَارِ الْحُكْمِ الْفَرَضِ وَهُوَ فِي الْحَرَامِ ثُمَّ السُّنَّةِ وَهُوَ فِي الشُّبْهَةِ ثُمَّ النَّفْلِ
وَهُوَ فِي فَضُولِ الْمُبَاحِ

أبو سليمان قوله تعالى (الامن آتى الله بقلب سليم) فقال: هو القلب الذى ليس فيه
غير الله، وقال انما زهدوا فى الدنيا ليفرغوا قلوبهم من همومها للآخرى (وباعتبار
الحكم) أى والزهد الأدنى باعتبار حكم الزهد (الفرض) أى يجب على السالك أن يزهد
فيه (وهو) أى الزهد الفرض أن يكون زهدا (فى الحرام) وهو لا بد منه لكمال
الاسلام وجمال الأحكام (ثم السنة) أى الزهد الذى يسن للدريد أن يزهد فيه
(وهو) أى الزهد السنة أن يكون زهدا (فى الشبهة ثم) الزهد (النفل) المندوب
المستحب (وهو) أى الزهد النفل أن يكون زهدا (فى فضول المباح) وقال قوم:
الزهد فى الحلال لافى الشبهة والحرام، فليس ذلك من درجاته فى شيء. ثم رأوا أنه لم يبق
حلال فى أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن، ويؤيده قول الحسن: رايت سبعين بدرية
كانوا فيما أحل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم. وفى خبر آخر: كانوا بالبلاء اشد
فرحا منكم بالرخاء، وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول: اخاف
أن يفسد على قلبى، فن كان له قلب فهو لا محالة يخاف على فسادة، والذين قد أمات
حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم اذ قال (ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها
والذين هم عن آياتنا غافلون) وقال تعالى (ولانقطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع
هواه وكان أمره فرطا) وقال عز وجل (فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة
الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) فاحال ذلك كله على الغفلة وعدم المعرفة، فان قلت
مهما كان الصحيح ان الزهد هو ترك ما سوى الله فكيف يتصور مع الاكل والشرب
واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم، فكل ذلك اشتغال بما سواه فاعلم أن معنى
الانصراف عن الدنيا الى الله هو الاقبال بالقاب على المولى ذكرا وفكرا، ولا يتصور
ذلك الا مع البقاء والبقاء الا بضرورات النفس فهما اقتصر ب فى الدنيا على دفع
المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشغلا
بغير الله، فان ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه، كذا فى الاحياء. وقد يقال المراد
بالاشتغال بالمولى أن يكون بالقلب دون القلب، فان الواصلين الى مقام الجضور
لا يشغلهم شيء من الأمور، فقلوبهم لا يغفل عن الله ولو كانوا فى الزراعة والتجارة

وَيُخْرِجُ عَنْهُ الْقَصْدَ إِلَى الْكَسْبِ أَنْ كَانَ لِلذَّهْنِ دُونَ الْعِدَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْإِدْخَارِ أَنْ
زَادَ عَلَى قُوَّةِ السَّنَةِ الْإِمْنُ لَا يَكْسِبُ وَلَا يَأْخُذُ مِنَ الْإَيْدِي كَدَاوُدَ الطَّاغِي وَهُوَ مَلِكُ
عَشْرِينَ دِينَارًا قَنَعَ بِهَا عَشْرِينَ سَنَةً

كما يشير إليه قوله سبحانه (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) الآية كما أن قلب
أهل الدنيا لا يغفل عن دنياهم ولو كان قلبهم في المسجد والطاعة والقراءة ونحوها
بل أهل القلوب لكمال ذكرهم وفكرهم لو أرادوا أن يغفلوا قلبهم ساعة لم يقدرُوا
على ذلك كما أن أهل الغفلة لو اجتهدوا أن يحضروا قلبهم ساعة عجزوا عما هنالك
بل العارفون عدوا الغفلة كفرا وارتدادا كما أشار إليه العارف ابن الفارض بقوله:
ولو خطرت في سواك ارادة * على خاطري يوما حكمت بردتي

فال حاضرُونَ على الدوام هم الأنبياء عليهم السلام والاولياء من اتباعهم الكرام والغافلون
الكاملون هم الكافرون المشبهون بالأنعام، وأما المخلطون فهم في أحوالهم مختلفون
فقارة يحضرون وأخرى يغفلون وهم الذين قال الله تعالى فيهم (وآخرون اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) الآية (ويخرج) السالك (عنه) أي عن الزهد
ويدخل في حب الدنيا خمسة أشياء (القصد إلى الكسب أن كان) القصد (للذة) أي
بشهوة النفس بالملكوسوب (دون العدة) أي بخلاف ما إذا كان القصد من الكسب
الاستعداد والاستعانة (على العبادة) التي هي المندوب والمطلوب ، وهذا يحمل قول
أبي سليمان الداراني : من تزوج أو سافر في طلب المعيشة ، أو كتب الحديث فقد ركن
إلى الدنيا ، وذلك لأنه نقل عنه أيضا أنه قال : كل ما شغلك عن الله من مال أو ولد فهو
عليك شؤم (والادخار) يخرج السالك عن الزهد أيضا (أن زاد) الادخار (على
قوت السنة) كما ثبتت الرخصة في السنة (الإمان لا يكسب) أي لا يقدر على الكسب
لعدم حرفة أو لا شغاله بتحصيل وجوه معرفة (ولا يأخذ من الأيدي) مع هذه
الحالة أيضا فإنه لا يخرج الادخار عن الزهد وأن كان زائدا على قوت السنة (كداود
الطاغي وهو ملك عشرين دينارا) ورثها من أبيه (قنع بها عشرين سنة) ثم اعلم
أنه قد يظن أن تارك المال زاهد وليس كذلك ، فإن ترك المال وأظهر الخشونة سهل
على من أحب المدح بالزهد ، بل لا بد من الزهد في المال والجاء جميعا في مقام الكمال
هذا وقوم يظهرون الزهد بالتقشف ، وآخرون بالتكلف . ومن الخواص قوم ادعوا

الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يوهون بذلك على الناس ليهدي اليهم مثل لباسهم ،
ولئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ،
ويحتجون لانفسهم باتباع العلم وانهم على السنة ، وأن الاشياء داخلة عليهم وهم
خارجون منها ، وأن ما يأخذون بعلة غيرهم . هذا إذا طولبوا بالحقائق والجثوا إلى
المضائق . وكل هؤلاء الكلبة الدنيا بالدين ، لم يعاؤوا بتصفية أسرهم ولا تهذيب
أخلاق نفوسهم ، فظهرت عليهم صفاتهم فغلبيتهم فادعوا حالاً لهم ، فهم ما نلون
إلى الدنيا متبعون الهوى ، فهذا كله كلام الخواص ، فإذا معرفة الزهد مشكل حتى على
الزاهد نفسه ، فينبغي أن لا يتعبد بلبس خاص موافقاً للسنة ، وإن يعول في باطنه
على ثلاث علامات . الأولى أن لا يفرح بوجوده ولا يحزن على مفقوده كما قال تعالى
(لَيْسَ لَكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مَتَاعٌ) لا تفرحوا بما آتاكم) أى لا تحزنوا حزن فرح ولا
تفرحوا فرح بطرول ولا فلا يخلو تأثيرهما في النفس باعتبار أصل الطبع ، ثم الكمال أن
يحزن بوجود المال ويفرح بفقده لأنه سبب وجود صحة الحال . والثانية أن يستوى
عنده ذامه ومادحه ، بل يبغي أن يفرح بذمه ويحزن بمدحه . والثالثة أن يكون أنسه
بالله ونسيانه عما سواه ، ولذا قيل لبعضهم : إلى ماذا أنضى بهم الزهد فقال إلى الأنس
بالله ، وأما الأنس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان ظلماء والهواء في القدرح ، فالما إذا دخل
خرج الهواء وقد قال أهل المعرفة : إذا تعاقب الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والآخرة
جميعاً وعمل لهما ، وإذا بطن الايمان سواي بدء القلب وباشره أبغض الدنيا ولم ينظر إليها ولم
يعمل لها ، ولذا ورد في دعائه عليه السلام اللهم انى أسألك ايماناً يباشر قلبي ، وقال
أبو سليمان : من شغل بنفسه شغل عن الناس ، وهذا مقام العابدين . ومن شغل بربه شغل
عن نفسه ، وهذا مقام العارفين . وقال السري : لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه ،
ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه . وقال النصرابادي : الزاهد غريب في الدنيا
والعارف غريب في الآخرة وقال يحيى بن معاذ : الزاهد يسعطك الخلل والخرذل . والعارف
يشمك المسك والعنبر ، ثم لا يستدل بامساكه قليلاً من المال على فقد زهده في مقام
الكمال ، كما لداود الطائي ، فان مدار الزهد في الدنيا عدم محبتها . وقد قال الفضيل .
جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله في بيت
وجعل مفتاحه الزهد فيها (والتغذى) بالذال المعجمة أى الأكل (من بر) أى دقيق

مَنْخُولٌ وَالْمُؤَاظِبَةُ عَلَى الْإِدَامِ وَاتِّخَاذُ ثَوْبَيْنِ وَأَنْثَايَيْنِ، وَجِنْسٌ رَفِيعٌ

حنطة (منخول) يخرج من الزهد أيضا (والمواظبة على الإدام) تخرجه أيضا منه (و) كذا (اتخاذ ثوبين) كقميصين (وأنثاين) أى متاعين من أمتعة البيت كصحنين وأبريقين أحدهما زائد عن استعماله (وجنس رفيع) أى مستحسن ولذيذ من الإدام والثوب والأنثا . والأولى في المقام الأعلى عدم التقيد بالادنى والأعلى كما كان طريق المصطفى . وقد قال يحيى بن معاذ الرازى الزاهد الصادق قوله ما وجدته وأبسه ماستر ، ومسكنه حيث أدركه المساء ، الدنيا سجنه ، والقبر مضجعه ، والخلة مجلسه . والاعتبار فكرته ، والقرآن حديثه ، والرب أنيسه ، والذكر رفيقه ، والزهد قرينه ، والحزن شعاره ، والحياء دثاره ، والجوع ادامة ، والحكمة كلامه ، والتراب فراشه ، والتقوى زاده ، والصمت غنيمته ، والصبر معتمده ، والتوكل حسيبه ، والعقل دليله ، والعبادة حرقة ، والجنة مبلغه ان شاء الله وحده .

ثم اعلم ان المهمات الضرورية في الامور الدنيوية ستة : المطعم ، والملبس ، والمسكن والأنثا ، والمنكح ، وما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة : أما المطعم فلا بد للإنسان من قوت حلال يقيم صلبه وأقل مقداره لقيمات كما ورد في حده ، وأقل جنسه ما يقوته ولو خبز نخالة ، وأوسطه خبز الشعير والذرة وأعلاه خبز البر غير منخول وأقل ادامة الملح أو البقل أو الخل ، وأوسطه الزيت والسمن واللبن وأعلاه اللحم . وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين ووقته الأقل في ثلاثة أيام وأوسطه في اليوم والليلة مرة وأنصاه في اليوم والليلة مرتين ، ويشير إليه قوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وكان يعيش عليه السلام بالأسودين أى التمر والماء وما شبع هو وأهل بيته من خبز الشعير يومين متتابعين وفي رواية عند عليه السلام أنه قال . من طلب الفردوس نخب الشعير له والنوم على المزابيل مع الكلاب كثير ، وكان عيسى عليه السلام يقول : يا بنى اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البرى ، وخبز الشعير وأياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره . ولما أتى عليه السلام أهل قبا أتوه بشربة من ابن مشوبة بعسل فوضع القدح في يده وقال « أما انى لست أحرمه ، ولكنى أتركه تواضعا لله ، وأما الملابس فأقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستتر العورة وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان وأعلاه ان يكون له مع ذلك منديل وسروال ، وأقل جنسه المسوح الخشن وأوسطه الصوف الخشن ، وأعلاه القطن الغليظ . قال أبو بردة : أخرجت لنا عائشة كساء ملهدا وأزارا غليظا

وقالت قبض عليه السلام في هذين ، رواه الشيخان . ولا بن ماجه من حديث ابى ذر
باسناد جيد « ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه » وقد اشترى
عليه السلام سروا لا باربعة دراهم لما رواه ابو يعلى من حديث ابى هريرة . ولا بن الشيخ
من رواية عروة بن الزبير مرسل « كان رداه عليه السلام اربعة اذرع وعرضه ذراعان
ونصف » وفي طبقات ابن سعد من حديث ابى هريرة « كان له ازار من نسج عمان طوله
اربعة اذرع وشبر في ذراعين وشبر » وعن جابر قال دخل عليه السلام على فاطمة وهي
تطحن بالرحى وعليها كساء من اجلة الابل ، فلما نظر اليها بكى وقال « يا فاطمة تجرعى
مرارة الدنيا لنعيم الابد » فانزل الله سبحانه (ولسوف يمدطيك ربك فترضى) وقال
عليه السلام لعائشة « ان اردت اللحوق بى فايك وبجالسة الاغنياء ، ولا تنزعى ثوبا حتى
ترقبه » رواه الترمذى والحاكم وصححه من حديث عائشة . ولا بن نعيم والحاكم والبيهقى
في شعبه « ان من خيار امتى فيما انبأنى العلى الاعلى قوما يضحكون جهر من سعة رحمة الله ،
ويبكون سرا من خوف عذابه ، وثقتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون
الخفاف ، ويتبعون الرهبان ، اجسامهم فى الارض وانفوسهم عند العرش » وعد على قبض
عمر اثني عشر رقعة بعضها من ادم . واشترى على كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم
ولبسه وهو فى الخلافة ، وقطع كية من الرسغين وقال : الحمد لله الذى كسانى هذا
من ريشه . وقال بعضهم : قومت ثوبى سفيان ونعليه بدرهم واربعة دنانير . ولا احمد
من حديث معاذ « ان عبدا لله ليسوا بالمتنعين ، واما المسكن فالاعلى ان يقنع بزواية
من المسجد كاصحاب الصفة واوسطها بيت من سعف ونحوه وادناها حجرة مبنية
اما بشرى او كراء . وللطبرانى من رواية ابى العالى « ان العباس بنى غرفة فقال له عليه
السلام اهدهما » ولا بن داود من حديث انس بسند جيد « رأى عليه السلام قبة مشرفة
فقال لمن هذه ؟ قالوا لقلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل
الرجل اصحابه عن تغير وجهه عليه السلام فاخبره بذلك فذهب فهدمها فمر عليه
السلام بالموضع فلم يرهما فاستخبر فاخبر بانه هدمها فدعاه بخير ، ولا بن حبان فى النقائ
وابى نعيم فى الحلية عن الحسن مرسل « مات رسول الله ﷺ ولم يضع لينة
على لينة ولا قصبه على قصبه » وقال عبد الله بن عمرو « مر علينا عليه السلام ونحن نعالج
خصا ، فقال ما هذا ؟ قلنا خص لنا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك » رواه ابو
داود الترمذى وصححه وابن ماجه وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهو فى بيت
من قصب قد مال عليه فقليل له لو اصلحته فقال كم من رجل قدمنا وهذا قائم على حاله

ولابن داود من حديث أنس بسند جيد « كل بناء وبال على صاحبه إلا مالا ، يعني ما لا بد منه ، وكان في السلف من بنى داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه ، وكان منهم إذا حيج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه فإذا رجع أعاده ، قال الحسن : كنت إذا دخلت بيوته عليه السلام ضربت يدي إلى السقف . وقال عليه السلام للرجل الذي شكاه إليه ضيق منزله : اتسم في السماء ، يعني في الجنة . رواه أبو داود في المراسيل ووصله الطبراني . وقال ابن مسعود : يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون إلى قبلكم ويموتون على غير ملتكم ، وأما اثاث البيت فاعلاها حال عيسى عليه السلام إذ كان لا يصحب إلا مشطا وكوزا ، فرأى أنسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط ، ورأى آخر يشرب من النهر فرمى الكوز . ثم الظرف ينبغي أن يكون من الخرف ولو مكسورا الطرف ، وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء متعددة كالذي معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ، وقالت عائشة رضي الله عنها « كان ضجاعه أي فراشه عليه السلام الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف ، رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح ، وللترمذي في الشمائل من حديث حفصة « ان فراشه عليه السلام كان عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف ، ورأى عليه السلام على باب منزل عائشة سترا فتهتكه ، وقال : كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلني به إلى فلان ، رواه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها ، وقال الحسن « أدركت سبعين من الخيار ما لا أحدهم الاثوبه ، وما وضع أحدهم بيته وبين الارض ثوبا قط وكان إذا أراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه وأما المنكح فقال قائلون لازهد في أصل النكاح ولا في كثرته ، وإلى هذا ذهب سهل بن عبد الله ، وقال قد حبيب إلى سيد الزاهدين النساء فكيف زهد فيهن ووافقهن ابن عيينة قال وكان على ازهد الصحابة وله أربع نسوة وبضع عشرة سرية ، والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني ان كل ما شغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو عليك شؤم ، وهو مستفاد من قوله تعالى : (لا تألهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) وقوله (ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) وقال أبو سليمان : الزهد في النساء أن يختار المرأة الفقيرة الضعيفة على المرأة الجميلة الشريفة ، وقال الجنيد : أحب للمرء المتبدي أن لا يشغل قلبه بثلاث ولا يغير حالة الكسب وطالب الحديث والتزوج وقال أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهم وأما ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة فهو المال والجاء أو الجاه فانه قد يفتقر إلى خادم له فينفعه ، وقد يحتاج إلى دفع ظم

وَالْأُولَى الْمُبَالَغَةُ فِي التَّشْدِيدِ تَحَامِيًّا عَنِ الْإِنْسِ بِالْدُّنْيَا وَطُولِ الْمَكْثِ لِلْحِسَابِ
وَالْحَبْسِ عَنِ الْجَنَّةِ وَاللَّوْمِ وَالتَّعْيِيرِ وَالْحَرَمَانِ عَنِ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ وَهُوَ الْمَأْثُورُ

عن نفسه او غيره، والغالب ان من اشتغل بالعلم والعمل تمهد له من قلوب الخلق ما يدفع به عنه الاذى، ولو كان بين الكفار فكيف بين الابرار، واما المال فقدر الضرورة كاف في المعيشة، فاذا كان كاسبا واكتسب حاجة يومه ينبغي أن يتركه ويشغل بأمريهم، وقد قال أبو سليمان لا ينبغي للرجل أن يرهق أهله إلى الزهد، بل يدعوهم إليه فان اجابوه والتركهم وفعل بنفسه ماشاء. وروى أن ابراهيم الخليل عليه السلام اصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه، فرجع مهموما فإوحى الله إليه لو سألت خليلك لاعطاك، فقال يا رب عرفت مقتك للدين فخفت أن أسألك شيئا منها، فإوحى الله إليه ليس الحاجة من الدنيا. فبين من هذا أن تحصل قدر الحاجة من أمر الدين، (والاولى المبالغة في التشديد) أي التضييق على نفسك أن كنت من المرادين المجتهدين (تحاميا) أي تحافظا عن ستة اشياء (عن الانس بالدنيا) ونسيان المقي والاشتغال بغير ذكر المولى (و) (عن طول المكث للحساب) المتضمن لعذاب الحجاب (و) (عن الحبس) والتوقف (عن الجنة) وما فيها من الثواب (واللزم) أي وعن الملاماة في اكتساب السيئات (والتعير) أي التوبيخ في تقصير الطاعات (والحرمان عن الدرجات العالية) والمقامات العالية (وهو) أي المبالغة على المنهج المذكور كله ورد فيه (المأثور) عن الساف الصالحين. فعن الثوري وكان قد شدد على نفسه فقل له: لو خففت لنت الجنة أيضا، فاهذه الشدة؟ فقال: كيف لا اشدد على نفسي وقد ورد أن جارية تضحك عند زوجها في الجنة فتشرق الجنان الثمانية بنور اسنانها فيظنون أن ذلك نور من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين؛ فنودوا أن ارفعوا رؤوسكم ليس الذي تظنون، انما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها «وأما ما حكى ان داود الطائي كان له جب مكسور فيه ماء، فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب منه الماء الحار، ويقول: من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا، فلعله محمول على وقت رياضته وابتداء مخالفتة النفس في شهوته، والافئد من الزهد اليارد لانه عليه السلام كان يستعذب الماء ويقول في دعائه «اللهم أجعل حبك أحب إلى من حب الماء البارد» وقد دخل بستانا فقال لصاحبه «أن كان عندك ماء بارد في شئ والا كرى عنا فأتني به فشرب» وكان

وَوَرَدَ «لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدُلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ مَاسَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرِبَةً مَاءٍ»
 الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ . ثُمَّ الْحَالَاتُ الَّتِي قَبْلَ الْمَوْتِ دُنْيَا وَالَّتِي
 بَعْدَهُ آخِرَةٌ لَكِنَّ الْعِبَادَةَ وَمَا لَا بُدَّ مِنْهُ فِيهَا مَعْدُودَةٌ مِنَ الْآخِرَةِ بِخُرُوجِهَا عَمَّا جُمِعَ
 فِيهَا وَرَدَ (أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَهُوَ)

بعض العارفين يقول: اذا شربت الماء البارد أحد الله من صميم قلبي. وأيضا أنما خلق
 الله اللذات الدنيوية لتكون نموذجا للذات الاخرية وقد قال تعالى: (قل من حرم
 زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا
 كلوا من طيبات ما احل الله لكم ولا تعبدوا أن الله لا يحب المعتدين) أى المتجارزين
 عن الحديث فى أمر الدين كالرهبانيين (وورد) فى الحديث (لو كانت الدنيا تعدل عند الله)
 أى تساوى وتماثل (جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء) رواه الترمذى من
 حديث سهل بن سعد . ورواه ابن ماجه بلفظ تزن بدل تعدل ، وقال قطرة ابدا بدل
 شربة ماء رواه الحاكم وصححه (الدنيا ملعونة ملعون) وفى نسخة وملعون (ما فيها الا
 ما كان لله) وهو العبادة وما يعين عليها . وفى رواية الطبرانى من حديث أبى الدرداء
 « الا ما يتغنى به وجه الله عز وجل » واسناده لا بأس به ورواه الترمذى من حديث أبى
 هريرة وحسنه . ولفظه « الا ذكر الله وما والاياه وعالموا وتمعلوا » يعنى وما يجرى مجراه فانه
 سبحانه خالق الاشياء كلها لعباده لما يشير اليه قوله تعالى (هو الذى خلق لكم ما فى الارض
 جميعا) وخلق عباده لعبادته لما قال (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فشكر
 نعمته أن يصرفها فى طاعته ، وكفرانها أن يصرفها فى معصيته او غفلته (ثم الحالات
 التى قبل الموت) خير او شر تسمى (دنيا والتى بعده) أى بعد المات تكرر (آخرة)
 فان من مات فقد قامت قيامته . وقد يقال بين الموت والبعث حال يقال له البرزخ فانه
 الوسطة بين الدنيا والاخرى (لكن العبادة وما لا بد منه فيها) مما يعين عليها كالاكل
 والشرب واللباس والنوم والمخالطة ونحوها بقدر الضرورة (معدودة من الآخرة
 بخروجها عما جمع) من أمورها (فيما ورد) فى التنزيل (انما الحياة الدنيا لعب)
 وهو ما يتعب الشخص فيه نفسه من غير فائدة له ، وهو فعل الصبيان والمجانين (وهو)
 وهو ما يشتغل به عن الطاعات ويلهو عن العبادات وهو فعل أهل الغفلة من الشباب

الآية : فِي الدُّنْيَا بِاجْمَعِهَا وَمَتَاعُهَا مَا جَمَعَ فِيمَا وَرَدَ (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ)
الآية وَالشَّغْلُ بِهَا حُبُّ حُظْوِظِهَا بِاطْنًا وَتَحْصِيلِهَا ظَاهِرًا وَعِلَاجُ حُبِّهَا مَعْرِفَةُ الرَّبِّ
وَالنَّفْسِ وَشَرَفِ الْآخِرَةِ وَخَسَاسَةِ الدُّنْيَا

وارباب المال والجاه، كما يشير اليه قوله تعالى (الهيك المكثر حتى زرتم المقابر) (الآية)
أي (وزينة) وهي الغالب على النساء ومن تشبه بهن من السفهاء (وتفاخر بينكم وتكاثر
في الاموال والاولاد) وهو حال اكثر اهل الدنيا من الاغنياء والامراء (فهي)
أي الاشياء التي جمعت في الآية السابقة (الدنيا باجمعها) أي بتمامها (ومتاعها)
مبتدأ خبره (ما جمع) من انواعها (فيما ورد) في التنزيل (زين للناس حب
الشهوات) أي اللذات (الآية) أي (من النساء والبنين) أي ذور البنات ولذا قيل
في قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات) ان البنات داخله
في الباقيات الصالحات (والفناطير المقنطرة) أي الحمول الكثيرة (من الذهب والفضة)
وقد ورد لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يتغنى ثالثا وان يملأ جوف ابن آدم الا التراب
ويتوب الله على من تاب (والحيل المسومة أي المعملة او المرملة (والانعام) من الابل
والبقر والغنم (والحراث) للزراعة والاشجار والاثمار والازهار (ذلك متاع الحياة الدنيا)
أي (وما الحياة الدنيا الا متاع الفرور) (والله عند حسن المأب) وجزيل الثواب
وما عند الله خير للابرار (والشغل بها حب حظوظها) أي لذاتها وشهواتها
(باطنا وتحصيلها ظاهرا) واما الانبياء والاصفياء فاختر الله لهم الدرجات العليا
في العقبي والحن والبلايا في الدنيا، فعن ابى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم
« لقد كان الانبياء قبلي ليبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباء، وان كان احدهم ليبتلى
بالقمل حتى يقتلهم القمل ، وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم » رواه ابن ماجه باسناد
صحيح ، وعن ابن عباس قال لما ورد موسى ماء مدين كانت خضرة البقل ترى من بطنه
من الهزال « (وعلاج حبها معرفة الرب) فان معرفة الرب موجبة لحبه وحبه لا يجتمع
مع حب غيره كما يشير اليه قوله سبحانه (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ولانه
سبحانه انه يفيضها فلا ينبغي لاحد ان يحبها (والنفس) أي ومعرفة قدرها حتى
لا يضيعها في طلبها الدنية ، ويمنعها عن تحصيل المنازل السنية (وشرف الآخرة)
ودرجاتها العالية الباقية ونفاسة مراتبها الرفيعة المنيعه (وخساسة الدنيا)

(البَابُ الْعِشْرُونَ فِي التَّوْحِيدِ . وَالتَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَذْنَى رُتَبِ التَّوْحِيدِ مُحَضُّ الْقَوْلِ وَهُوَ النِّفَاقُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْهُ وَلَا يَفِيدُ إِلَّا عَصْمَةَ الدِّمِّ وَالْمَالِ فَوَرَدَ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ثُمَّ التَّصَدِيقُ كَمَا لِلْعَامِيِّ وَالْمُتَكَلِّمِ

من خمسة شركائنا وسرعة فنائنا وكثرة غنائنا وقلة غنائنا ، ويكفيك في ذمها ماورد في حقها من « ان الدنيا جيفة وطلائها كلاب » فقد روى ابو الشيخ في تفسيره عن علي مرفوعا « الدنيا جيفة فمن ارادها فليصبر على مخالطة الكلاب » واخرج الديلمي عن علي مرفوعا « اوحى الله تعالى الى داود يا داود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يحرقونها افتحبا ان تكون طبا مثلهم فتجر معهم ، ولا احد عن عائشة مرفوعا ورجاله ثقات « الدنيا دار من لادار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابي هريرة مرفوعا « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » ورواه احمد عن عبد الله بن عمرو بزيادة « فاذا فارق الدنيا فارق السجن » ثم الدنيا فتنة وبليّة كما في صحيح مسلم « الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فانظر كيف تعملون » وفقنا الله سبحانه وتعالى لما يحب ويرضى في الدنيا والاخرى ، وبلغنا المقام الاسنى مع الذين احسنوا الحسنى انه جواد كريم .

(البَابُ الْعِشْرُونَ فِي التَّوْحِيدِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) المنفرد بتوحيد الذات وتفريد الصفات عليه يتوكل المتوكلون وبه يتقرب المتقربون الموقنون (اذنى رتب التوحيد) من مراتبه الاربع (محض القول) بالتفريد بان يقول الانسان بظاهر اللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه وهو جاهل به أو منكر له كتوحيد المنافق (وهو) اى قوله (النفاق والعياذ بالله منه) اى من النفاق وما يترتب عليه من الخلاف والشقاق ولا يقبذ ذلك التوحيد في الحال (الاعصمة الدم والمال) اى حفظ دم الموحّد وماله (فورد) في الحديث الصحيح وصدره أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، (فاذا قالوها) اى كلمة التوحيد (عصموا مني دماءهم وأموالهم) تمام الحديث « لا يحقها وحسابهم على الله » (ثم التصديق) معوهو أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين ويكون اعتقاده (كما للعامى) اى كما هو اعتقاد العوام (والمُتَكَلِّمِ) وهو الخائض

فَهُوَ لَا يَتَمَيَّزُ إِلَّا بِالْحِيلَةِ الدَّافِعَةِ لِتَشْوِيشِ الْمُبْتَدِعَةِ وَيُفِيدُ النَّجَاةَ مِنَ الْخُلُودِ فِي
النَّارِ ثُمَّ مُشَاهِدَةَ صُدُورِ الْكُلِّ مِنْهُ تَعَالَى وَيُفِيدُ اعْتِمَادَ الْقَلْبِ عَلَيْهِ وَانْقِطَاعَهُ عَمَّا
سِوَاهُ وَهُوَ السَّتَوَكُلُّ

في علم الكلام (فهو) أي المتكلم (لا يتميز) عن العامي في هذا المقام (الاباحيلة) أي
الصنعة الجدلية (الدافعة لتشويش المبتدعة) المانعة من انخراط قواعده أهل السنة
والجماعة (ويفيد) التصديق الجنائي مع الاقرار اللساني (النجاة من الخلود
في النار) ولو كان صاحبه من الفساق والفجار (ثم مشاهدة صدور الكل) أي
ظهور جميع ما يقع في الكون (منه تعالى) وفي الحقيقة هذا يسمى توحيد الافعال
في المصنوعات وما سبق توحيد الذات والصفات وهذا انما يكون بطريق الكشف
برأسية نور الحق لتنوير الاسرار وهو مقام المقربين الأبرار وذلك بازيرى أشياء كثيرة
ظاهرها الأغيار ولكنه يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار ، فيقول المشاهد
حينئذ ليس في الدار غيره ديار (ويفيد) هذا التوحيد (اعتماد القلب عليه) في أمور
الدنيا والاخرى (وانقطاعه عما سواه) فلا يرى أحدا يضر وينفع أو يهبط ويمنع
الاياه (وهو التوكل) أي الاعتماد على الله وعدم الالتفات إلى ما عداه، وتوضيحه
أن ينكشف لك أن لا فاعل الا الله وأن كل موجود من خلق وورزق، وعطاء ومنع وضر
ونفع، وحلو ومر، وخير وشر، وغنى وفقر، وحياة وممات، الى غير ذلك مما ينطلق عليه
اسم الوجود في دائرة الشهود فالمنفرد بابداعه وابدائه واختراعه هو الله سبحانه
لا شريك له فيه، وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره . بل كان منه خوفك واليه رجائك
وبه ثقتك وعليه اتكالك ، فانه الفاعل على الانفراد دون غيره ، وما سواه مستخرون
لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض ، وإذا انفتح لك ابواب
المكاشفة اتضح لك هذا انضاحا اتم من المشاهدة بالبصر . وأما يصدق الشيطان
عن هذا التوحيد في مقامين ، ويبتغى به أن يتطرق إلى قلبك شائبة الشرك بشيئين:
أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات ، والثاني الالتفات إلى الجمادات . أما الالتفات
إلى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه ، وإلى الغيم في نزول
المطر ، وعلى البرد في اجتماع الغيم ، وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله

ثُمَّ رُؤْيَةُ عَدَمِ مَاسِوَاهُ وَيُفِيدُ الاسْتِغْرَاقَ بِهِ تَعَالَى وَالْغَيْبَةَ عَنِ الْغَيْرِ

شرك في التوحيد وجهل بحقائق أمر التفريد ، ولذا قال تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون) قيل معناه يقولون لولا استواء الريح لما نجاوا . ومن انكشف له أمر العالم بما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحرك ، وكذا محركه وهكذا ينتهي إلى المحرك الاول الذى لا يحرك له ولا هو متحرك في نفسه ، ومنه قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وأما الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية فيقول الشيطان كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره ، فان شاء اعطاك وأن شاء قطع عنك ، وهذا الشخص هو الذى يحز رقبتك بسيفه ، وهو قادر عليك أن شاء حز رقبتك وأن شاء دافع عنك ، فكيف لا تخافه ولا ترجوه وأمرك بيده ؟ فانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ، وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الاعباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين ، فشاهدوا بنور البصائر أن جميع ما في السموات وما في الارض : من الشمس والقمر والنجوم والمطر والارض والحجر والمدر والشجر ، وكل حيوان وملك وبشر مسخرات في قبضة القدرة الالهية الصمدانية ؛ والقوة السبحانية الربانية .

ثم اعلم أنه سبحانه قال (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) وأجمع السلف على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يتحرك الانسان ولا يسكن الا اذا شاء الله شاء العبد أو لم يشأ فليست المشيئة اليه فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحر كذا لازمة ضرورة بالقدرة ، والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة في القلب ، فهذه ضروريات يرتبط بعضها الى بعض ، وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصرف القدرة الى المقدور بعدها ، ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة ، فهو مضطر في الجميع ، فان قيل فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف تكون مجبرا مختارا اجيب بانه لو كشف لك الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور ، لانه عديم مسخر مقهور ولذا قال بعض العارفين . لا تختر فان كنت تختار فاختر ان لا تختار ، وربك تخلق ما يشاء ويختار ، والله سبحانه اعلم بحقائق الاسرار (ثم رؤْيَةُ عَدَمِ مَاسِوَاهُ) أى مشاهدته بجنب وجود مولاه ، فلا يرى في الوجود الا واحدا وهو شهادة الصديقين الاحرار (وبُفِيدُ) هذا التوحيد (الاستغراق به تعالى) أى بشهرده (والغيبة عن الغير) أى الغفلة عن وجود غيره

وَهُوَ الْفَنَاءُ

(وهو) عند الصوفية (الفناء) في التوحيد الحاصل من كمال الصفاء وجمال الوفاء من حيث انه لا يرى الا واحدا لا يرى نفسه ايضا فاذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه في عن رؤية نفسه بالسلبية وقد يفنى عن رؤية فناءه ايضا ويسمى الفناء عن الفناء ويبقى له البقاء في مشاهدة اللقاء ، فالاول موحد بمجرد اللسان وذلك بعصم صاحبه عن السيف والسنان ، والثاني موحد بجنانه مفهوم لسانه لكن ليس فيه انشراح وانفتاح لسانه ، والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا والرابع موحد بمعنى انه لم يظهر في نظار شهوده غير الواحد الواجب في وجوده ولا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد ويسمى مقام جمع الجعم في حال التوحيد وهو ان لا تحجزه الكثرة عن الوحدة ولا تحجبه الوحدة عن الكثرة وبهذا يتبين لك ان توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن مشاهدة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق المطابق . فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وما بينهما من الطول والعرض وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا ؟ فاعلم ان العارفين قالوا صدور الاحرار قبور الاسرار كما يشير اليه قوله عليه السلام «لو تعلمون ما اعلم» وقالوا ايضا : افشاء سر الربوبية كفر لكن قد يمكن الإشارة الى كشف ما فيه ستر بان يقال الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ، وقد يكون واحدا بنوع آخر من ملاحظة واستبصار ، وهذا كما أن الانسان كثيرا اذا التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وأعضائه ، وهو باعتبار آخر وم مشاهدة أخرى واحد . ولمن شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة أبعائه واجزائه فهو في حال الاستغراق والاستمثار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق ، وكأنه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقه ، فكذا كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات أخرى سواها كثير . ثم هذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة كالبرق الخاطف وهي الاكثر والدوام نادر عزيز يغلب في المجازيب وإلى هذا المقام أشار الحسين بن منصور بن الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال فيما ذا أنت ؟ قال ادور في الاسفار لاصح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين

فقال الحسين : قد افيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد؟ فكان الخواص في تصحيح المقام الثالث من التوحيد فطالبه بالمقام الرابع من التفريد . فان قلت : فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ؟ اذ معنى التوحيد أن لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا ؟ وأن كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ؟ ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فالجواب نعم ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد ، وأن كان له معنيان ويكون الفعل مجعلا مرددا بينهما لم يتناقض ، كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ، لكن الامير قتل بمعنى آخر والجلاد قتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى آخر ، فمعنى كون الله فاعلا أنه المخترع الموجد ، ومعنى كون العبد فاعلا أنه المحل الذي خلقت فيه القدرة بعد أن خلق الله فيه الارادة ، بعد أن خالق الله فيه العلم ، ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله سبحانه الافعال في القرآن مرة إلى الملائكة واخرى إلى العباد ، ونسبها بعينها مرة إلى نفسه فقال تعالى (قل يتوفيك ملك الموت الذي وكل بكم) وقال (ثم توفته رسلا) وقال (الله يتوفى الانفس حين موتها) وقال (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهر اولكن معناه مارميت بالمعنى الذي يكون به الرب راميا اذ رميت بالمعنى الذي يكون به العبد راميا فانهم الغتان مختلفتان فالمعنى ومارميت حقيقة اذ رميت مجازا ولكن الله رمى حيث خالق فيك قوة الرمي أو خالق في رمي الوصول إلى عين العدو . وقيل مارميت خلقا اذ رميت كسبا ، ولكن الله قدر رميك اذ لا . وكذا ذكر الله تعالى في القرآن الادلة والآيات في الارض والسموات ثم قال (اولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) وقال (شهد الله أنه لا اله الا هو) فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس بمتناقض بل طريق الاستدلال مختلف ، فكم من طالب عرف الله بالنظر إلى الموجودات كما قال بعضهم : ما نظرت شيئا الا ورأيت الله بعده ، وهذا طريق المريد السالك . ولمن طالب عرف الموجودات بالله سبحانه كما قال بعضهم : ما نظرت شيئا الا ورأيت الله قبله ، وهذا ملك المريد المجذوب ومن هنا قال من قال عرفت ربي بربي ، ولو لا ربي لما عرفت ربي .

فالحاصل أن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تناقض لهذه المعاني اذا فهمت حقائق المعاني ، ولذا قال عليه السلام للذي ناوله التمرة : خذها لولم تأتها لاتتك ، ورواه ابن حبان والطبراني فاضاف الاتيان اليه وإلى التمرة ومعلوم أن التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الانسان به اليها ، وكذا لما قال ذلك الثائب : اتوب إلى الله ولا اتوب إلى محمد قال عليه

وَالْإِنْفَاتُ إِلَى الْغَيْرِ إِمَّا لِلضَّعْفِ الْيَقِينِ لِتَطَرُّقِ الشَّكِّ وَعَدَمِ الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَى الْقَلْبِ
وَأَمَّا لِلضَّعْفِ الْجَبَلِيِّ كَالْجَبَانِ مُطِيعِ الْوَهْمِ لَا يُطِيقُ الْبَيْتُوتَةَ فِي بَيْتٍ خَالٍ أَوْ فِيهِ مَيِّتٌ

السلام «عرف الحق لادله» وذلك لان من اضاف الكل الى الله فهو المحقق الذي عرف الحق لادله ، ومن اضاف الى غيره فهو المتجاوز في مرامه المستمير في كلامه ومن هنا قال عليه السلام «اصدق بيت قالته العرب قول لبيد : الاكل شيء ما خلا الله باطل» متفق عليه من حديث ابى هريرة . والمعنى ان ما لا اقوام له بنفسه وانما اقوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقته وحقيقته لغيره لا بنفسه فاذا لاحق بالحقيقة الا الحى القيوم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل اى مضمحل وزائل وكما قال تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) ومن هنا قال سمل : يامسكين كان ولم تكن ، ويكرن ولا تكون ، فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا ان الآن كائن لم تكن ، فانه اليوم كما كان . وهذا تفصيل ما اجمل في قول بعضهم كان الله ولم يكن معه شيء ، وهو الآن على ما عليه كان . هذا واذا ثبت في نفسك بكشف او اعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك ان له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والرحمة بحملة الاحاد وان له راء منتهى قدرته قدرة ، ولا وراء منتهى علمه علم ، لا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم تلتفت الى غيره بوجه ، ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله ، فاجل حول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة (والانفات الى الغير) حيث لا احد الا مرين (اما الضعف اليقين) وذلك (لتطرق الشك) وخطوره في امور يجب عدم الانفات اليها (وعدم الاستيلاء) اى ولقلة غلبة اليقين واستعلائه (على القلب) ودخول اليقين في سويدائه (واما للضعف الجبل) اى الخلق الطبعى وهو مرض القلب باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة لديه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من كان يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة وبما نضر عنه طبعه ويمتنع عليه تناوله (كالجبان مطيع الوهم لا يطيق البيتوتة في بيت خال او فيه ميت) فلو ظف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر طبعه عن ذلك وان كان متيقنا لكونه ميتا وانه جماد في الحال ، وان سئله الله مطردة بان لا يحشره الا الآن

وَأَدْنَى رُتَبِ التَّوَكُّلِ أَنْ يَعْتَمِدَ اعْتِمَادَ الْمُوَكَّلِ عَلَى الْوَكِيلِ لِلْعِلْمِ بِشَفَقَتِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ
وَعِلْمِهِ ، ثُمَّ اعْتِمَادَ الطِّفْلِ عَلَى الْأُمِّ وَتَفَارُقِ الْأُولَى بَعْدَ الْإِلْتِفَاتِ عَلَى الْإِعْتِمَادِ

ولا يحويه، ولو أحياء لعاد كما كان واحبه وابقاه وعانقه وارتضاه، لما أن سنته سبحانه
مطرده بان القلم الذى فى يده لا يقا به حية وان كان قادرا عليه ومع أنه لا يشك فى هذا
اليقين فلينفر قلبه عن مضاجعة الميت فى فراش بل الميت معه فى بيت ولا ينفر عن
سائر الجمادات . وذلك جبن فى القلب وهو نوع ضعف قل ما يخلو الانسان عن شىء
منه وان قل، وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف أن يبیت فى البيت وحده مع
اغلاق الباب واحكامه . فاذن لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما
يحصل سكون القلب وطمانيته ، فالسكون فى القلب شىء واليقين شىء آخر فكم
من يقين لا طمانينة معه كما قال تعالى (اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) فالتمس
أن يشاهد احياء الميت بعينه ليترقى من مقام علم اليقين الى عين اليقين .

هذا وقد قال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه
وفضلا) فالانسان بطبعه مشغوف بسمع تخويف الشيطان، ولذا قيل : الشفيق بسوء الظن
مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلفين على الطلاب والكسب
غلب سوء ظنه وضعفت قوة توكله . وعنه عليه السلام : أن الله عز وجل بحكمته وجلاله
جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط (وادنى
رتب التوكل) على الله (ان يعتمد) عليه (اعتماد الموكل) من المخلوق (على الوكيل)
مثله (للعلم) أى لعم الموكل (بشفقته تعالى وقدرته وعلمه) كما قدمناه وهذه الدرجة
الاولى . (ثم) التوكل الاعلى منه أن يعتمد عليه سبحانه (اعتماد الطفل على الام)
فيكون حاله مع الله كحالة الطفل مع أمه ، فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى أحد سواها
ولا يعتمد الاياها ، فاذا راها تعاق فى كل حال بذيلها ولم يتركها ، وأن نابه أمر فى غيبها
كان اول سابق الى لسانه يا اماء يا اماء واول خاطر يخطر على قلبه أمه فانها مفزع وقد
وثق بكفالتها وشفقتها وكفايتها ورعايتها فن كان تاله إلى الله ونظره الى مولاه
واعتماده عليه فى دنياه واخراه كلف به لما تكلف الصبى بامه بل أقوى منه ، فانه
سبحانه أرحم الراحمين فيسكون متوكلا حقا لما أن الطاعل متوكل على أمه صدقا
(وتفارق) هذه الرتبة الثانية الدرجة (الاولى) بشيئين (بعدم الالتفات على الاعتماد

اسْتَغْرَاقًا بِالْأَمِّ وَتَرَكَ التَّدْيِيرَ فَلَمْ يَكْ لَّا تَنَافِيهِ بِالطَّرِيقِ الَّذِي رَسَّمَهُ الْوَكِيلُ ثُمَّ
أَنْ يَكُونَ كَالْيَتِّ بَيْنَ يَدَيِ الْغَسَّالِ

استغراقا بالام) في باب الاستناد اذ الصبي اذا طولب بتفصيل الكل لا يعرف أن التوكل ما هو فلا يعرف الا الوكيل وتوضيحه في مقام الفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فنى في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل على المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه وأما الاول فتوكل بالتكلم والكسب وليس فانيا عن توكله حيث له التفات الى توكله وشعوره بذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده وإلى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه فقال ترك الآمانى قيل فإوسطه قال ترك الاختيار وهذا إشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لم يعرفه الا من بلغ أوسطه (وترك التدبير) أى وتفارق الثانية الاولى بترك تدبير الامور اذا كان في مقام الحضور (فتلك) الرتبة الاولى (لاتنافيه) أى أصل التدبير (بالطريق الذى رسمه) أى بينه (الوكيل) به وعينه بان يفعله تصرّحا أو تلويحا ولكن تنافى بعض التدبيرات التى مارسه بها ولا كلفه فى تحصيلها ، وذلك كالتوكل على وكيله فى الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذى أشار اليه وكيله أو التدبير الذى عرف من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذى يعرفه بأشارته بان يقول لست أنكلم الا بحضورك فيشتغل لاحالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مانا قضا لتوكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوتها فى اظهار الحجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله أن يفعل مارسه له اذ لو لم يكن متوكلا ولا معتمداً له فى قوله لما حضر بقوله وأما المعلوم بعادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته أنه لا يحتاج الخصم الا من السجل ، فتمام توكله ان كان متوكلا عليه أن يكون معولا على سنته وعادته ووفائه بمقتضاها وهو أن يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاطبته فاذن لا يستغنى عن التدبير فى الحضور وعن التدبير فى احضار السجل ونحوه من الشهود فى الامور (ثم) أعلى رتب التوكل على الله تعالى (أن يكون) المتوكل بين يدي الله سبحانه فى حركاته وسكناته (كاليت بين يدي الغسال) حال تقلبه وسائر تصرفاته لا يفارقه الا فى أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية لما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذى

وَتَفَارِقُ الثَّانِيَةَ بِتَرْكِ السُّؤَالِ مُطْلَقًا فَتَلْكَ أَمَّا تَنَافِيهِ مِنْ غَيْرِهِ تَعَالَى وَهِيَ أُنْدَرُ
وُقُوعًا وَبَقَاءً، ثُمَّ الثَّانِيَةُ ثُمَّ الْأُولَى

قوى يقينه بأنه سبحانه مجرى الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات ، وأن
له يحدث جبراً فيكون غائباً عن الانتظار لما يجرى عليه (وتفرق) هذه المنزلة
الثالثة الدرجة (الثانية بتترك السؤال مطلقاً) سواء كان السؤال من الله أو من غيره
في جميع الاحوال كما روى عن الخليل أنه لما قال له جبريل لك حاجة قال أما إليك فلا
وأما الى الله فبلى ، فقال سل ربك فانك في مقام البلاء المورث للولاء ، فقال حسبى
من سؤالى علمه بحالى *

وحاصله أن صاحب هذا المقام يفارق الصبى فيما له من المرام ، فان الصبى
يفزع إلى أمه ويصيح وراءها ، ويتعلق بذيلها ويعدو خلقها ، بل مثال هذا مثال صبى
فرض أنه يعلم أمه وإن لم يزق بامه فالأم تطلبه وأنه وإن لم يتعلق بذيل أمه فالأم
تحمله رانه وإن لم يطلب منها اللبن فالأم تبتدى وترضعه. وهذا المقام فى التوكل يشترت ترك
الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته ورحمته ورعايته وأنه يعطى ابتداء افضل مما يسأل
فكم من نعمة ابتداء قبل الدعاء وبغير الاستحقاق كما يشير اليه قوله تعالى (وآنا كم من كل
ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (فتلك) أى الرتبة الثانية (انما تنافيه) أى
السؤال (من غيره تعالى) فقط (وهى) أى الدرجة الثانية (اندر) أى اقل (وقوعاً
و) اعز (بقاء ثم الثانية ثم الاولى) كذلك فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة
والاسباب طبع ، وانقباضه بالكلية عن ملاحظة هذه الاشياء عارض لا يدوم ، فاذا
رجع حال المتوكل الى التبرى من الحول والقوة ، وهذا هو تحقيق معنى لاحول ولا
قوة الا بالله حقاً صدقاً ، وقد اشكل امر الحول والقوة على المعتزلة والفلاسفة
وطوائف كثيرة ممن يدعى انه تدقق فى رأى والمقول حتى يشق الشعر بحدة نظره
ففى مهلكة خطيرة ، ومزلة قدم عظيمة هلك فيها العالمون اذ اثبتوا لانفسهم امراً
وهو شرك فى التوحيد واثبات خالق سوى الله فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه
فقد علت رتبته ، وعظمت نسبته ، ورفعت درجته ، وارتفعت همته ، وهو الذى يصدق
بمعنى قوله : لاحول ولا قوة الا بالله . وعن بعض العارفين انه قال ما مضمونه : اسأت

وَلَا بُدَّ مِنْهُ فُورَدَ (وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) « وَلَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ »

بالذنوب واعتذرت منه الى الرب ، مع ان اعتذارى عند قلبى اسوأ من ذنبى لتضمنه دعوى الوجود والقدرة والفعل . وهذه كلها مخصوصة بربى (ولا بد منه) اى من التوكل فى امر الرزق وغيره لثمانية اشياء (فوردا) والتنزيل (وعلى الله) اى لا على ما سواه (فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) كاملين ، أو اذا صرتم مؤمنين والامر للوجوب . وفى آية اخرى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال (نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) اى كافيه فيما تمناه وقال (أليس الله بكاف عبده) فن يطلب من غيره الكفاية فهو مكذب بهذه الآية . وقال (ان الله يحب المتوكلين) وناميك بخصلة موجبة للمحبة الالهية وقال (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) اى عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى حماه وزمائه وبابه ، حكيم لا يقصر عن تدبير امر من توكل على حسن تدبيره وفق تقديره وقال (وتوكل على الحى الذى لا يموت) ايماء الى ان من يموت لا اعتماد عليه ولا استناد اليه كما حكى عن الخواص (ولونوكلتم) وفرواية لو أنكم تتوكلون (على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير) تمامه « تغدو خماصا وتروح بطانا » رواه الترمذى والحاكم وصححه من حديث عمر وهو مقبوس من قوله تعالى (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها ويايأى وهو السميع العليم) وفى رواية زيادة « ولمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال » وفى رواية لليهقى « لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال » وعن ابن مسعود مرفوعا « أريت الامم بالموسم فرأيت امتى قدملأت السهل والجبل فأعجبني كثرتهم وهيتاتهم ، فقيل لى افرضيت ؟ فقلت نعم ، فقيل ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال الذين لا يكتبون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون . فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة ، رواه منيع باسناد حسن واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس . وللحاكم وغيره من حديث ابن عباس « من سره أن يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما فى يديه ، وللطبرانى وغيره من رواية

الحسن عن عمران بن الحصين ولم يسم منه أنه قال عليه السلام ومن انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله اليها، ويروى أنه لما قال جبريل لأبراهيم الخليل ألك حاجة فقال أما إليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل أنزل الله فيه (وأبراهيم الذي وفى) وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام «ما من عبد يعتصم بي من دون خلقى فيكده أهل السموات والأرض إلا جعلت له مخرجاً» وقال سعيد بن جبير: لدغتنى عقرب فاقسمت على أمتى لتسترقن فنأولت الراقي بدى التى لم تلدغ. وقال بعض العلماء: لا يشغاك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما كتبه الله لك. وقال هرم بن حيان لأويس القرنى: أين تأمرنى أن أكون؟ فأوماً إلى الشام، فقال هرم كيف المعيشة بها فقال أويس: أف لهذه القلوب قد خالطنها الشكوك فما تنفعها الموعظة. وقال بعضهم: متى رضيت بالله وكلا وجدت إلى كل خير سبيلاً، وقال أبو موسى الديلمي قلت لأبي يزيد: ما التوكل؟ فقال: ما تقول أنت؟ فقلت إن أصحابي يقولون: لو أن السباع والأفاعى عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك شرك، فقال أبو يزيد: نعم هذا قريب، ولكن لو أن أهل الجنة فى الجنة يتنعمون وأهل النار فى النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل قال فى الأحياء مما ذكره أبو موسى خبر عن أعلى أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذى هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وإن ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أغصن أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو يزيد قل ما يتكلم إلا عن أعلى المقامات واتصى الدرجات، وليس ترك الاحتراز عن نحو الحيات شرطاً فى المقام الأول من التوكل، فقد احترز الصديق فى الغار إذ سد منافذه، إلا أن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه باطن سره، أو يقال إنما فعل ذلك شفقة على رسوله لا على نفسه، وإنما يزول التوكل بحركة سره ولغيره لا يرجع إلى نفسه، وللنظر فى هذا مجال لأن أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض أحوال التوكل، فإن حركة السر من الحيات هو الخوف، وحق المتوكل أن لا يخاف تسلط الحيات، إذ لا حول للحيات ولا قوة إلا بالله. وإن احترز لم يكن إتكاله على تدبيره وحوله وقوته فى الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير، ويشير إلى هذا المقام قوله تعالى لموسى (لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون) وقال تعالى (فأوجس فى نفسه خيفة، وسى فلما لا تخف إني لك أنت الأعلى) لا لك والمنظر

وَأَيْضًا فِيهِ التَّفَرُّغُ لِلْعِبَادَةِ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ، وَأَيْضًا لَا يَتَغَيَّرُ الْمَقْدَرُ الْمَقْسُومُ فَرَدَّ
«الرِّزْقُ مَقْسُومٌ مَفْرُوعٌ»

الاعلى (وأيضاً) أى لما لا بد من التوكل لوجوبه لا بد منه لما يحصل (فيه التفرغ
للعبادة عن الالتفات) الى تحصيل الاقوات كالمنع عن ارادة طريق السعادة ، فقد
سئل ذوالنون المصرى عن التوكل فقال : خلع الارباب وقطع الاسباب فخلع الارباب اشارة
الى علوم التوحيد ، وقطع الاسباب الى الاعمال فى مقام الفريد ، فقليل له زدنا فقال القاء
النفس فى العبودية واخراجها من الربوبية ، يعنى بالتبرى من الحول والقوة (وأيضاً)
لا بد من التوكل فانه كما هو المعلوم (لا يتغير المقدر المقسوم) قال تعالى (نحن قسمنا
بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) الآية وقد سئل حدون القصار عن التوكل فقال : إن كان
لك عشرة آلاف درهم وعليك دائق دين لم تأمن أن تموت ويبقى ذلك فى عنقك ، وإن
كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء فلا تيأس من الله أن يقضيها
عنك ، ويقرب منه قول صاحب المنازل : ما يدى لم اعرف يصيب من وما يصيبني لم اعرف
يبد من ، وفى هذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان فى المقدورات
اسباباً خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة (فورد الرزق مقسوم مفروغ) ليس
له أصل بهذا المبنى ولكنه صحيح من حيث المعنى . فليبهقى فى الشعب مرفوعاً
عن أم الدرداء « ان الرزق ليطالب العبد كما يطلبه أجله » ويشير اليه قوله سبحانه
(الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم) بل فيه تنبيه نبيه على أن مابقى له شيء
من رزقه لم يتأت له طلب أجله . وقد قال بعض العلماء : لو هرب العبد من رزقه
لطلبه لما لو هرب من الموت لادركه ، وأنه لو سأل الله أن لا يرزقه لما استجاب
له وكان عاصياً ، ويقال له يا جاهل كيف أخلقك ولا أرزقك ، وإذا قال ابن عباس :
اختلف الناس فى كل شيء الا فى الرزق والاجل فانهم أجمعوا على أن لا رازق ولا
ميت الا الله . وقال عيسى عليه السلام : انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا
تدخر والله يرزقها يوماً بيوم . فان قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا الى الانعام والوحوش
كيف قبض الله لها الرزق . وقال أبو يعقوب السوسى : المتوكلون تجرى أرزاقهم
على أيدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون . وقال بعضهم :
العبيد كلهم فى رزق الله لكن بعضهم يا كل بذل السؤال وبهضمهم بتعب وانتظار

أَرْبَعٌ فَرِغَ مِنْهُنَّ الْخَلْقُ وَالْأَجَلُ وَالرِّزْقُ ، وَأَيْضًا الْمَطْلُوبُ هُوَ الْعِدَّةُ عَلَى الطَّاعَةِ وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إِعْطَائِهِ لِسَبَبٍ حَاصِلٍ بِالطَّلَبِ أَوْ دُونَ السَّبَبِ

كالتجار ، وبعضهم بامتحان كالصانع ، وبعضهم بعز كالصوفية يعبدون فيشبهون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة ، ويشير الى هذا المقام قوله تعالى : (والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) الى أن قال : (والله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون) (أربع فرغ منهن الخلق) بالفتح (والخلق) بالضم (والاجل والرزق) رواه الطبراني من حديث ابن مسعود وانظروا فرغ الى ابن آدم من أربع : الخلق والخلق والرزق والاجل ، ورواه أحمد والطبراني عن أبي الدرداء بلفظ : فرغ الله عز وجل الى كل عبد من خمس : من أجله ورزقه وأثره - أى عمله - ومضجعه - أى محل موته - وشقى أو سعيد ولقد احسن من قال من اهل الفنون .

جرى قلم القضاء بما يكون فيسيان التحرك والسكون

جنون منك ان تسعى لرزق ه ويرزق في غشاوته الجنين

وأيضا لا بد من التوكل اذ (المطلوب) من العبد (هو العدة) أى الاستعداد (على الطاعة) لزاد المعاد (وهو تعالى قادر على اعطائه لسبب حاصل بالطلب او دون السبب) أى او حاصل بغيره من انواع الكسب ، فقد قال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق دلالة على ان الرزق مأمور بطلب العبد ويؤيده قوله عليه السلام للسائل بعد اعطائه النمرة : خذها ولو لم تأتها لاتتك ، وقد تقدم مبناه وما يؤيده من معناه . وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال . فقال السائل : زدنى فقال ترك كل سبب موصل الى سبب حتى يكون الحق المتولى لذلك . فالاول عام للمقامات الثلاثة المتقدمة ، والثانى اشارة الى المقام الثالث خاصة ، وهو مثل توكل ابراهيم الخليل اذ قال له جبريل : ألك حاجة ؟ فقال أما ليك فلا ، اذ كان سؤاله سببا يوصل الى سبب وهو حفظ جبريل له ، فتركة ثقة بأن الله ان أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك . وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله سبحانه فلم ير معه غيره ، وهو حال عزيز في نفسه ، ودوامه ان وجد أبعد منه وأعز

وَالْمَوْتُ جُوعًا مُقَدَّرٌ أَيْضًا كَالْمَوْتُ شَبَعًا

(والموت جوعاً مقدر أيضاً كالموت شبعاً) فلا بد من التوكل سواء كان شبعانا أو جوعانا ، وقد قال أبو سعيد الخزاز : التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ، فالاول إشارة إلى فزع العبد اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه ، والثاني إشارة إلى كمال توكله عليه . فعن أبي علي الدقاق : التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التذويض فالمتوكل يسكن إلى وده ، والمسلم يكتفى بعلمه ، والمفوض يرضى بحكمه .

ثم اعلم أن الشخص إذا كان بطالا فعليه أن يصير كاسباً وعمالاً ، ولا معنى للتوكل في حقه إلا ما يليق بمقامه وفق مرامه ، فإن كمال التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فهو خاصة للمجتهدين ، إما من العلماء الزاهدين وإمامان الصالحين العابدين ، فما للبطل والأتكال وإذا كان مشغلاً بالله وملازماً لمسجده أو بيته ، ومواطباً على دلمه وعبادته بتحسين نيته وتزيين رعايته فالتوكل سبحانه يقرر حبه في قلوب خلقه حتى يحملوا اليه فوق كفايته ، فما روى إلى الآن من قديم الزمان عالم أو عابد استغرق الأوقات بالله سبحانه وتعالى وهو في وسط الديار من القرى والامصار فقات جوعاً بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس يعوله لقدر عليه ، فمن كان الله كان الله له ، لكن ينبغي أن يكون نظره إلى مسبب الأسباب لا إلى الأسباب . نعم لا يطعم في الحلوى والطير السمانى والثياب الرفيعة والبيوت المنيعة مع أنه لو قدر له شيء من ذلك فلا بد من ظهوره هنالك بإشعار اليه (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) (وربك يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) وفي الخبر أبي الله أن يرزق عبده المؤمن من الأمن حيث لا يحتسب . فالاهتمام الكثير بأمر الرزق قبيح من ذوى الدين ، وهو أقبح من العلماء المجتهدين ، لأن من شرطهم القناعة والاشتغال بالطاعة حسب الاستطاعة إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ، ولم يكن له سير بالباطن فإن الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن غالباً فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنه تفرغ للدولى وإعانة للمعطى على نيل الثواب في العقبى ، ومن نظر إلى مجارى سنة الله علم أن الرزق ليس على قدر الأسباب ولا على كد الاكتساب ولذا سأل بعض الأساسة حكماً عن الاحتمى المرزوق والعامل المحروم فقال : أراد الصانع أن يدل

وَإِذَا الصَّلَاحُ مَسْتُورٌ، وَإِذَا أَنَّهُ ضَمِنَ الرِّزْقَ بِلَا تَعْلِيْقٍ فَوَرَدَ (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) فَمَا أَقْبَحَ مِنْ يَثُقُ عَلَى سُوقِي بَعْدَ الْأِقْرَاضِ أَوْ الضِّيَاقَةِ وَلَا يَثُقُ عَلَى ضَمَانِهِ تَعَالَى

على نفسه ، اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل جاهل اظن أن العقل رزق صاحبه ، فلما رأوا خلافه علموا ان الرزق من غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم ، فقد دخل جماعة على الجنيد فقالوا : نطلب الرزق فقال ان علمتم في اى موضع هو فاطلبوه ، فقالوا نسأل الله تعالى فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه ، فقالوا ندخل البيت وتوكل على الله تعالى وننظر ما يكون ، فقال التوكل على التجربة شك ، قالوا فما الحيلة ؟ قال ترك الحيلة . وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فزالني جوع شديد فغلبتني نفسى ان اسأل الله عز وجل طعاما فقلت ليس هذا من افعال المتوكلين ، فطالبتنى ان اسأل الله تعالى صبرا ، فلما هممت بذلك سمعت قائلا يقول :

وتزعم انه منا قريب وانا لانضع لمن اتانا
ويسألنا القوي جهدا وصبرا كأننا لانراه ولا يرانا

(وايشا) لابد من التوكل اذ (الصلاح) في الامور (مستور) لان من عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عبادته لم يكن فرجه بالاسباب فانه لا يدري اى الاسباب خير له لما قال عمر رضى الله عنه : لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايها خير لي (وايشا) لابد من التوكل حيث (انه) اى الله سبحانه (ضمن الرزق بلا تعاليق) اى من غير تقييد بشرط الكسب والطلب (فورد) في التنزيل (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) أى ولو لم تكسبه ولم تطلبه لاسيما والرزق مبهم في نفسه غير معلوم باعتبار محله وجنسه ، فعن ابراهيم بن ادهم سألت راهبا من ابن تاكل ؟ فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربى مرة من اين يطعمنى (فما اقبح من يثق) اى يعتمد (على سوقى) مع أن الغالب عليه الكذب وخاف الوعد (بعد الاقراض او الضيافة ولا يثق على ضمانه تعالى) مع كمال صدقه وجمال وعده . وقد قيل : مكتوب في التوراة ملعون من ثقت انسان مثله وفي الحديث من اعتر بالعبيد اذله الله ، رواه ابو نعيم في الحلية عن عمر وقد حكى عن عابده انه عذف في مسجد ولم يكن له معلوم ، فقال له الامام بالمسجد لولا كتبت

وَأَيْضًا لَفَائِدَةٌ فِي الطَّلَبِ إِلَّا الْمَذَلَّةُ وَضَيَاعُ الْوَقْتِ؛ وَأَيْضًا الْحَيَاةُ فِي الْإِسْتِقْبَالِ
مَشْكُوكٍ وَالْمَوْتُ مُتَيَقَّنٌ وَالْإِسْتِعْدَادُ لِلْمُتَيَقَّنِ أَوَّلَى بِخِلَافِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ
لِوُرُودِ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَتَعْلِيْقِهِمَا عَلَى الْعَمَلِ، وَأَمَّا مَا وَرَدَ (وَابْتَغُوا مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ) فَالْعِلْمُ وَالثَّوَابُ أَوْ هُوَ أَمْرٌ بِإِبَاحَةٍ وَلَا يُنَافِيهِ الْكَسْبُ لِأَنَّهُ عَمَلُ الْبَاطِنِ

كان أفضل لك . فلم يحبه حتى أعادها ثلاثا ، فقال في الرابعة : يهودى فى جوار المسجد
قد ضمن لى كل يوم رغبين ، فقال إن كان صادقا فى ضمايه فعكوفك فى المسجد خير لك ،
فقال : يا هذا لولم تكن إماما تقف بين يدى الله وبين العباد مع هذا النقص فى التوحيد
خيبرا لك ، يعنى فضلت وعدي يهودى على ضمان الله تعالى للرزق (وأيضاً) لا بد من
التوكل اذ (لا فائدة فى الطلب) حيث لا يزيد بطلبه ولا ينقص بتركه فلا منفعة فى طلبه
(إلا المذلة) لمخلوق مثله ، ولا يحل لماؤ من أن يذل نفسه (وضياع الوقت) أى وتضييع العمر
فى غير عبادة هى المطلوب من العبد بحسب الامر (وأيضاً) لا بد من التوكل اذ (الحياة
فى الاستقبال مشكوك والموت متيقن) مسلوك (والاستعداد للمتيقن اولى) من الاستعداد
للمشكوك (بخلاف الثواب والعقاب) فانهما ولو كانا مقدرين كسائر الاسباب ،
لكن لا بد للانسان أن يسعى فى اكتساب ما يوجب الثواب وفى اجتناب ما يقتضى العقاب
(لورود الاوامر والنواهي) فى الكتاب (وتعليقهما على العمل) حيث قال (ومن يعمل
من الصالحات) (ومن عمل صالحا) الآيات . وقال تعالى (جزاء بما كانوا يعملون)
(وأن ليس للانسان الا ما سعى) (وأما ما ورد) فى التنزيل (وابتغوا من فضل الله) فقد
يتوهم منه أن المعنى اطلبوا من رزق الله ، وليس كذلك (فالعلم والثواب) هما المرادان
من فضل الله (او هو أمر اباحة) بقدر الحاجة ، او امر بطلب الحلال دون الشبهة
هذا وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن ، وترك التدبير بالقلب ، والسقوط على
الارض كالخرقة الملقاة وهذا ظن الجهال وحرام فى الشرع والشرع قد اثنى على
المتوكلين ولا ينال بمحذور مقام من مقامات الدين فدفعه بقوله (ولا ينافيه) أى التوكل
اربعة اشياء منها (الكسب لانه) أى التوكل (عمل الباطن) فيجتمع مع عمل الظاهر
بلى هو اتم عند بعض ارباب المرائر ثم فى مراتب الكسب تفصيل باعتبار السبب

فَإِنْ كَانَ السَّبَبُ مَقْطُوعًا بِهِ بَارْتِبَاطُ الْمُسَبَّبِ لُسْنَهُ تَعَالَى كَمَدِّ الْيَدِ لِلطَّعَامِ وَالْوَقَاعِ
لِلْوَلَدِ وَبَثِّ الْبَذْرِ لِلْحَصَادِ فَالْتَرَكُ خَطَأٌ فُورِدَ (فَلَنْ تَجِدَ لُسْنَهُ اللَّهَ تَبْدِيلًا)
وَأِنْ كَانَ مَظْنُونًا بَعْدَ حُصُولِ الْمُسَبَّبِ دُونَهُ غَالِبًا كَحَمْلِ الزَّادِ لِلسَّفَرِ فِي الْبَوَادِي
فَكَذَلِكَ لِأَنَّهُ

(فإن كان السبب مقطوعا به بارتباط المسبب) بحيث لم يحصل المسبب بدون السبب
(لسنه تعالى كمد اليد للطعام) أى لا طه (والوقاع) أى وكالجماع (للولد)
أى لحلقه (وبث البذر للحصاد) بالفتح والكسر أى لقطعه (فالترك خطأ)
بل جنون محض (فورد) فى التنزيل (فلن تجد لسنه الله تبديلا) (وإن تجد
لسنه الله تحويلا) وتوضيحه أنه إذا كان الطعام موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج
إليه ولذلك لست تمد اليد إليه وتقول أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعى ، ومد
اليد إلى الطعام سعى وحركة ، وكذا مضغه بالأسنان وابتلاعه باطباق أعلى الحنك
على أسافله ، فهذا جنون محض وجهل ظاهر وليس من التوكل فى شيء ، فافك إن
انتظرت أن يخلق الله شعبا دون أهل الخبز ، أو يخلق فى الخبز حركة اليك أو يستخر
ملكاً ليمضغه ، ويوصله إلى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الأرض
وطمعت أن يخلق الله نباتا من غير بذر ، أو تلد الزوجة من غير وقاع كما
ولدت مريم ، فهذا وأمثاله جنون وليس التوكل فى هذا المقام بالعمل بل بالعلم
والحال أما العلم فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والأسنان وقوة الحركة
وأنه هو الذى يطعمك ويسقيك ويشبعك ويرويك وأما الحال فهو أن يكون سكون
قلبك واعتماده على الله سبحانه وتعالى لا على اليد والطعام فكيف تعتمد على صحة يدك
وربما تحجف فى الحال . وكيف تقول على قدرتك وربما يطرأ عليك ما يزيل عقلك
ويبطل قوة حركتك وكيف تتق على حضورها لطعام وربما يسلط الله عليك من
يقلبك عليه . وإذا كان هذا عمله وحاله فليمد اليد إليه فانه متوكل على الله ومعتمد عليه
(وإن كان) السبب (مظنوناً) أى مشكوكاً فيه (بعدم حصول المسبب دونه)
أى من غير السبب (غالباً كحمل الزاد للسفر فى البوادي) التى لا يطررها الناس
الا نادراً (فكذلك) تركه خطأ وجنون وإيقاع للنفس فى التهلكة (لأنه)

سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ لَكِنَّهُ يَجُوزُ إِنْ ارْتَاضَتْ النَّفْسُ وَصَبَرَتْ عَنِ الطَّعَامِ أَسْبُوعًا
أَوْ مَاقْرَبَ مِنْهُ دُونَ الشَّغْلِ عَنْهُ تَعَالَى وَقَدَّرَتْ عَلَى الْاِقْتِيَاتِ بِالْحَشِيشِ

أى حمل الزاد في السفر ﴿سنة الاولين﴾ أى عادة الانبياء والمرسلين وطريقة السلف
الصالحين من الصحابة والتابعين ﴿لكنه﴾ أى ترك حمل الزاد ﴿يجوز﴾ ولذا
كان يفعل الخواص وهو من الخواص لكنه بالنسبة إلى العوام القاء للنفس في التهلكة
وهو حرام وإنما يجوز ﴿إن ارتاضت النفس﴾ في مقام المرام ﴿وصبرت عن الطعام
اسبوعا﴾ أى سبعة أيام ﴿أو ما قرب منه﴾ أى من الاسبوع . واصله أن يكون ثلاثة
أيام ولياليها . وقد روى عن أبى تراب النخشي رأى صوفيا مديده إلى قشر بطيخ ليأكله
بعد ثلاثة أيام ، فقال له : لا يصالحك التصوف ، أى لا تصوف الامع التوكل ولا يصح
التوكل الا لمن يصبر على الطعام أكثر من ثلاثة أيام ، وعن أبى على الروذبارى : إن قال
الفقير بعد خمسة أيام انا جائع فالزموه السوق ، ومروه بالعمل والكسب ﴿دون الشغل
عنه تعالى﴾ بان يعبد من غير ضيق قلب وتشويش خاطر ، كما حكى أن رجلا قال دخل
أبو تراب النخشي مكة طيب النفس ، فقلت اين اطلت ايام الاستاذ ؟ فقال اكلة بالبصرة
واكلة بالنجاح راكلة ههنا ، كذا في الرسالة الفشرية ﴿وقدرت﴾ أى وإن قدرت وظاهر
كلام الاحياء أن يقال او قدرت ﴿على الاقتيات بالحشيش﴾ فبعد هذين الشرطين لا يخلو غالبا
ما يخلو في البوادي في كل أسبوع من أن يلقاه آدمى ، او ينتهى إلى قرية او إلى حشيش يكون سببا
لحياته . وقد يكون له ثبات على الرضى هنالك إلى الموت إن لم يتيسر شيء من ذلك
فان الذى يحمل الزاد قد يؤخذ زاده أو يضل بعيره فيموت جوعا . فذلك ممكن مع الزاد
كما أنه ممكن مع فقده . وأما لو انحاز إلى شعب من الشعاب حيث لا ماء ولا حشيش ولا
يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في اهلاك نفسه كما روى : أن زاهدا
من الزهاد فارق الامصار واقم في سفح جبل وقال لا اسأل أحدا شيئا حتى ياتينى
ربى برزقى ، فبعد سبعا فكاد أن يموت ولم يات به شيء ، فقال يارب : إن أحيتنى فأتنى برزقى
الذى قسمت لى والا فقبضنى ، فأوحى الله تعالى اليه : وعزنى لا ارزقك حتى تدخل
الامصار وتقعدين الناس ، فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب
فاكل وشرب ، فأوجس في نفسه من ذلك ، فأوحى الله تعالى اليه . أردت أن تذهب حكمتى
برزقك في الدنيا أما علمت أن ارزق عبدي بيد عبادى أحب إلى من أن ارزقه بيد
قدرتى . فاذن التباعد عن الاسباب بالكلية مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله القديمة

وَأَمَّا مَا وَرَدَ وَتَزَوَّدُوا فَزَادُ الْآخِرَةِ بِقَرِينَةٍ (فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) أَوْ هُوَ أَمْرٌ
لِقَوْمٍ يَقْصُدُونَ الْحَجَّ بِلَا زَادٍ اتِّكَالًا عَلَى النَّاسِ وَيُؤْذُونَ بِاللِّحَاحِ فِي السُّؤَالِ
وَالْإِلَّا فَحَرَامٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ سَعَى فِي الْهَلَاكِ وَإِنْ كَانَ مُوهُومًا كَالْإِسْتِقْصَاءِ فِي دَقَائِقِ
التَّدْبِيرِ فَهُوَ يُنَافِيهِ لِأَنَّهُ غَايَةُ الْحَرَصِ وَيَسْتَفْتِي الْعَزْبُ قَلْبَهُ فَيَخْتَارُ الْكَسْبَ بِنِيَّةِ
التَّصَدُّقِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّحَامِي عَنِ الشُّغْلِ عَنْهُ تَعَالَى بِالْإِلْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِهِ

﴿رَأَى مَا وَرَدَ﴾ فِي التَّنْزِيلِ ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ هُوَ أَمْرٌ بِطَلَبِ الزَّادِ أَوْ اخْذِ الزَّادِ ﴿فَزَادُ الْآخِرَةِ﴾
هُوَ الْمُرَادُ ﴿بِقَرِينَةٍ﴾ مَا بَعْدَهُ ﴿فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ النَّافِعَةُ فِي الْمَعَادِ ﴿أَوْ هُوَ﴾ أَيْ
تَزَوَّدُوا ﴿أَمْرٌ لِقَوْمٍ﴾ خَاصٌّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَغَيْرِهِمْ ﴿يَقْصُدُونَ الْحَجَّ بِلَا زَادٍ اتِّكَالًا عَلَى
النَّاسِ﴾ أَيْ اعْتِمَادًا عَلَى اعْطَائِهِمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ ﴿وَيُؤْذُونَ﴾ النَّاسَ ﴿بِالِلِّحَاحِ فِي السُّؤَالِ﴾
وَمِنْهُمْ جَمْعٌ يَدْعُونَ أَنْهُمْ مَتَوَكِّلُونَ وَالحَالُ أَنَّهُمْ مَتَاكِلُونَ ﴿وَالَا﴾ أَيْ وَإِنْ لَمْ تَرَ تَضِ النَّفْسَ وَلَمْ
تَصْبِرْ عَلَى الطَّعَامِ ﴿فَحَرَامٌ عَلَيْهِ﴾ تَرَكَ السَّبَبَ مِنَ الْكَسْبِ وَالطَّالِبِ ﴿لِأَنَّهُ سَعَى فِي الْهَلَاكِ﴾
لِلْبَدَنِ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الْفُسَادَ وَرُؤْفَ الْعِبَادِ ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ السَّبَبُ ﴿مُوهُومًا كَالِاسْتِقْصَاءِ
فِي دَقَائِقِ التَّدْبِيرِ﴾ مِنْ أَمْرِ الزَّرَاعَةِ وَالتَّجَارَةِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الصَّنَاعَةِ ، وَمِنْهُ السَّكِّي
وَالرَّقِيقَةُ وَالطَّيْرَةُ ﴿فَهُوَ﴾ أَيْ الْإِسْتِقْصَاءُ فِي هَذَا الْبَابِ ﴿يُنَافِيهِ﴾ أَيْ التَّوَكُّلُ عِنْدَ أُولَى
الْإِلْبَابِ ﴿لِأَنَّهُ غَايَةُ الْحَرَصِ﴾ وَنَهَايَةُ الْإِتِّكَالِ عَلَى الْإِسْبَابِ ، فَعَنْ سَهْلِ التَّوَكُّلِ تَرَكَ
التَّدْبِيرَ . وَقَالَ : إِنْ أَلَّهِ تَعَالَى خَاقَ الْخَلْقِ وَلَمْ يَحْجِبْهُمْ عَنْ نَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا حَجَابُهُمْ تَدْبِيرُهُمْ
﴿وَيَسْتَفْتِي الْعَزْبُ قَلْبَهُ﴾ أَيْ دُونَ الْمَعِيلِ فَإِنَّهُ يَتَعَيْنُ عَلَيْهِ طَلَبُ الْحَلَالِ لِأَجْلِ الْعِيَالِ ،
فَانَّهُمْ لَا يَكْلِفُونَ بِالتَّوَكُّلِ وَفَقْدِ مَالِهِ مِنَ الْحَالِ ﴿فَيَخْتَارُ﴾ الْعَزْبُ ﴿الْكَسْبَ﴾ بِسَبَبِ
ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ ﴿بِنِيَّةِ التَّصَدُّقِ﴾ بِمَا فَضَلَ عَنْ قُوَّتِهِ عَلَى سَائِرِ الْفُقَرَاءِ لِأَسْمَا ذَوِي الْقُرْبَى
﴿وَالْإِعَانَةِ عَلَى الْبِرِّ﴾ أَيْ لِلْمُسَاعَدَةِ عَلَى أَهْلِ الْمَجَاهِدَةِ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَتَعَاوَنُوا
عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) ﴿وَالْتَّحَامِي﴾ أَيْ الْمَحَاطَظَةُ ﴿عَنِ الشُّغْلِ عَنْهُ﴾ أَيْ عَنْ ذِكْرِهِ وَفِكْرِهِ
﴿تَعَالَى بِالْإِلْتِمَاتِ إِلَى غَيْرِهِ﴾ سَبْحَانَهُ وَلَوْ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، فَإِذَا كَانَ الْمَكْتَسِبُ مَكْتَسِبًا
لِعِيَالِهِ أَوْ لِفَرِيقٍ مَالٍ مِنْ مَالِهِ فَهُوَ يَدِيهِ مَكْتَسِبٌ وَمُنْتَفِعٌ ، وَبِقَلْبِهِ عَنْهُ مَنَقُطِعٌ لِقُوَّةِ حَالِهِ فِي مَقَامِ

وَالْتَرَكَ لَشَغْلِ الْكَسْبِ عَنْهُ تَعَالَى وَانْقِطَاعِهِ إِلَيْهِ وَيَعْرِفُ بَعْدَ التَّغْيِيرِ لِفَقْدِ
الْمَالِ وَكَذَا التَّزَوُّدُ وَنَحْوُهُ وَيَكْتَسِبُ الْمُعِيلُ كَمَا رَوَى عَنِ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قاله (والترك) أى ويختار العزب ترك الكسب (لشغل الكسب عنه تعالى) أى عن القيام بحقه كما هو حقه (وانقطاعه إليه) أى ولكمال انقطاع العبد إلى حضور سيده عملاً بقوله تعالى (وتبذل إليه تبتلياً رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذوه وكيلاً) والحاصل أن الكسب لا ينافى حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وانضاف إليه الحال والمعرفة (ويعرف) صاحب هذا الحال (بعدم التغير لفقد المال وكذا التزود ونحوه) من الادخار للاستقبال ، ومن النكاح واختيار العيال اختياراً وتركاً فيختاره بنية التصديق والاعانة ويتركه لشغله عن الحق والعبادة (ويكتسب المعيل) لأجل العيال (لما روى عن الصديق رضى الله عنه) أنه لما بويع للخلافة أصبح فاخدر زمة متاعه تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادى ، فكره المسلمون ذلك ، فقالوا كيف تفعل هذا وقد ائمت الخلافة النبوة ؟ فقال لا تشغلونى عن عيالى فانى ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهلك من المسلمين ، فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطبيب قلوبهم واستغراق وقتهم لمصالح المسلمين اولى . ويستحيل أن يقال لم يكن أبو بكر فى مقام التوكل فمن اولى بهذا منه . فدل على أنه ما كان متوكلاً باعتبار ترك الكسب والسعى ، بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته . والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدير الاسباب ، وبشروط كان يراعيها من طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ، ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم غيره . فمن دخل السوق ودرهمه أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ، ولا يصح التوكل الا مع الزهد فى الدنيا . نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد . وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين : أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق ، كنت أكتسب فى كل يوم ديناراً لا أبيت منه دافقاً ، ولا أستريح منه الا قيراطاً ادخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل . وكان الجنيد لا يتكلم فى التوكل بحضرته ، وكان يقول : استحي أن أتكلم فى مقامه وهو حاضر عندى .

والحاصل أن التوكل مقام شريف ومرام لطيف ، ولذا قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الخوارى : لى من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل المبارك فانى

وَلَا يُكَلِّفُ الْعِيَالُ إِلَّا أَنْ تُسَاعِدَهُ وَلَا الْأَدْخَارُ لِمَا دُونَ الْأَرْبَعِينَ مِنَ الْعَزْبِ
وَاخْتَلَفَ فِيهِ وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْفَضْلَ لِقَصْرِ الْأَمَلِ

ما شئت منه راحة . هذا من كلامه مع تلو قدره ومقامه . ولهله أراد أقصى ادراك وهو مشاهد ان لافاعل الا الله ولا رازق سواه ، وان كل ما يقدره مولاه على عبده من فقر وغنى ، وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه . وقال الخواص - وقد سئل عن أعجب شيء رآه في أسفاره - فقال : رأيت الحضر عليه السلام ورضي بصحبي ولكنني فارقت خيفة ان تسكن اليه نفسي فيكون نقصا في توكلني (ولا يكلف العيال) بالاتكال (الا ان تساعده) فيماله من الحال بالتوكل مع عدم المال ، ولما فيجب عليه الكسب بقدر نظام المال . فمن سهل من طعن على الكسب فقد طعن على السنة ، ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن على التوحيد ، فسبحان من أقام العباد فيما أراد . ومع هذا الحال لا يخرج المعيل عن مقام الاتكال على الملك المتعال ، فقد قال الحسن البصري : وددت ان أهل البصرة في عيالي ، وأن حبة بدينار ، وقال وهيب بن الورد : لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا وامتعت برزقي لظننت أني مشرك بربي (ولا الادخار) أي ولا ينفي التوكل وضع الذخيرة (لما دون الاربعين) يوما (من العزب) وللسنة من المعيل كما سيأتي (واختلف فيه) أي في الادخار هل يكون منافيا للتوكل أم لا ، فذهب سهل الى أنه يخرج به عن التوكل مطلقا ، وذهب الخواص الى أنه لا يخرج عن التوكل بأربعين يوما ويخرج بما زاد على الأربعين . وقال أبو طالب المكي : لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة على الأربعين أيضا ، وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز أصل الادخار كما في الاحياء على ماسيأتي بيانه في الاثناء (والتحقيق) في مقام التوفيق (أن الفضل) في قلة الادخار (لقصر الامل) في التعاق بهذه الدار ، وتوضيحه أن كل ثواب موعد على مقام محود فانه يتوزع على قدر رتبته فيه بما يوافقه وينافيه ، ثم تلك الرتبة لها بداية ونهاية ، ويسمى أصحاب النهايات السابقين ، وأصحاب البدايات أصحاب اليمين اللاحقين . ثم أصحاب اليمين أيضا على درجات ، وكذلك السابقون ، وأعلى درجات أصحاب اليمين اللاحقين تلاصق اسافل درجات السابقين ، كما قيل : نهاية الاولياء بداية الانبياء ، فلا معنى للتقدير في مثل هذا التقرير ، بل التحقيق أن التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل وتجويز قرب الاجل . وأما عدم أمل البقاء فيبعد

وَمِيقَاتُ الْكَلَامِ لَيْسَ لِلْأَمَلِ بَلْ لَاسْتِحْقَاقُ نَيْلِ الْمَرَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا هُوَ السَّنَةُ
الْإِلَهِيَّةُ فِي تَدْيِيرِ الْأُمُورِ كَمَا فِي صَيْرُورَةِ الْجَنِينِ نُطْفَةً وَعَلَقَةً وَمُضْغَةً، وَوَرَدَ
« نَخَرَتْ طِينَةُ آدَمَ بِيَدَيِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا » وَمِنْهُ يُؤْخَذُ فِي الرِّيَاضَةِ وَلِلْسَّنَةِ
مِنَ الْمُعِيلِ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِ الضَّعَفَاءِ كَمَا هُوَ الْمَرْوِيُّ

اشتراطه ولو في نفس ، فان ذلك كالممتنع وجوده ، ثم الناس متفاوتون في طول
الامل وقصره ، وأقل درجات الامل يوم وليلة فسادونه من الساعات ، وأقصاه
ما يكون عمر الانسان بحسب غالب العادات ، وبينهما درجات لا حصر لها في الاوقات
فمن لم يامل أكثر من شهر اقرب الى المقصود بمن يأمل سنة في الوجود (وميقات الكليم)
اي ميعاد موسى عليه السلام حيث قال الله تعالى (وإذا وعدنا موسى اربعين ليلة)
(ليس الامل) اي لجواز طول الامل بقدر اربعين من الاجل ؛ فان تلك الواقعة
ما قصد بها بيان ما يرخص فيه الامل (بل لاستحقاق نيل المرام) اي وصوله وعود
موسى (عليه السلام) بعد اربعين يوما الى مقام الكلام (على ما هو السنة
الالهية) السبعانية والحكمة الربانية الصمدانية (في تدبير الامور) الانسانية
(كما في صيرورة الجنين) اي تطوير الطفل في بطن امه من الاطوار الانسانية
الايجابية المتضمنة للتربية التدريجية الامدادية (نطفة) اربعين يوما (وعلاقة)
كذلك (ومضغة) كذلك (وورد : نخرت طينة آدم بيدي) اي بصفتي من
نوعت الجمال والجلال او بقدرتي وارادتي على وجه الكمال (اربعين صباحا)
رواه الديلمي من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسي باسناد ضعيف ، وذلك لان
استحقاق تلك الطينة لتخمر كان موقوفا على مدة مبلغها ماذكر (ومنه) اي بما
ذكر من الكتاب والسنة (يؤخذ في الرياضة) على اختيار المشايخ للاربعين ويؤيده
حديث « من اخاص الله اربعين يوما ظهرت له ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »
وقد تقدم « ومن حفظ على أمتي اربعين حديثا حشر مع العلماء » وله طرق يقوى بعضها
بعض فيصير حسنا (وللسنة) اي ولا ينافي التوصل الادخار للسنة الكاملة (من
المعيل) أي صاحب العيال من الاطفال والنساء (تطيبا لقلوب الضعفاء) كما هو
المروى (في سنة سيد الانبياء ، ففي الصحيحين انه عليه السلام ادخر لعياله قوت

بِخِلَافٍ مَّا فَوْقَهَا وَيَتْرُكُ الْمُضْطَرِبُ طَرِيقَ الْمُتَوَكِّلِ بِالْأَدْخَارِ لِأَنَّ الْغَرَضَ
صَلَاحُ الْقَلْبِ

سنة (بخلاف ما فوقها) فان ما وراء السنة لا يدخر له الا بحكم ضعف القلوب
والركون الى ظاهر الاسباب من الطلب والسب (ويترك المضطرب) أي
المتشوش اضطرابا يشغل قلبه عن الذكر والفكر (طريق المتوكل) غير المضطرب
(بالادخار) فان كان يصاح قلبه بالادخار فهو أولى في الاختيار ، بل لو أمسك
صنعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان قلبه لا يفرغ الا برعايته فذلك أولى في
مقام عنايته (لأن الغرض) وهو مدار المقصود (صلاح القلب) في عبادة
الرب المعبود فرب شخص يشغله وجود المال عن تحصيل الكمال ورب شخص
يشغله عده لحصول ثمنات البال ، والمحذور ، ما يشغل العبد عن الحضور والا لجميع
ما في الدنيا ليس في عينه محذور ، ولا في وجودها وعدها محذور ، ولذا بعث
الله رسوله الى اصناف الخلق ومنهم أهل التجارات والزراعات والمحترفون بانواع
الصناعات ، فلم يأمر التاجر بترك تجارته ، ولا المزارع بترك زراعته ، ولا المحترف
بترك حرفته ، ولا أمر التارك لها بالاستغفال بها بل دعا الكل الى الله وطاعته
وارشدهم الى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله سبحانه وعبادته
وعمدة الاشتغال في عبادة الرب هو القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته .
كما ان صواب القوى ترك الادخار على قدر طاقته فقد ادخر عليه السلام لعياله قوت
سنة . ونهى أم ايمن وغيرها أن تدخر شيئا لغد كما تقدم ، ونهى بلالا عن الادخار
وقال : انفق بلال ولا تخش من ذي العرش افلا ، رواه البزار من حديث ابن
مسعود وأبي هريرة ، وذلك حين دخل عليه النبي عليه السلام وعنده صبر من تمر
والطيراني والحالم من حديث أبي سعيد أنه عليه السلام قال لبلال : الق الله فقيرا
واذا سئلت فلا تمنع ، واذا أعطيت فلا تخبأ ، وقد أخبر عليه السلام : ان الله يحب
أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » كما رواه أحمد وغيره من حديث عمر
تطايبا لقلوب الضعفاء حتى لا يأتي بهم الضعف الى اليأس والقنوط فيتركون الميسور
عليهم من الخير اعجزهم عن منتهى درجات الاقوياء ، فما ارسل سيد الانبياء الارحمة
للعالمين على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم ، واذا فهمت هذا علمت أن الادخار

وَلَا مُبَاشَرَةَ أَسْبَابٍ تَدْفَعُ الضَّرَرَ إِنْ كَانَ مَقْطُوعًا بِهِ أَوْ مَظْنُونًا كَالْتَحَرُّزِ عَنِ النَّوْمِ فِي مَكْمَنِ السَّبَاعِ وَعَمْرِ السَّيْلِ وَتَحْتَ الْحَائِطِ الْمَائِلِ

قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ، ويدل عليه ما روى أبو امامة الباهلي وأن بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال عليه السلام فتشوا ثوبه فوجدوا دينارين في داخل ازاره فقال عليه السلام كيتان « رواه أحمد وكان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالا فلا يقول ذلك في حقه ، فهذا يحتمل وجهين لان حاله يقتضى امرين أحدهما أنه اراد كيتان من النار ، كما قال تعالى (فتكرى بهاجباهم وجنوبهم وظهورهم) وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس منه فهو نوع تلبيس ، وثانيهما أن لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة جماله لما ينقص عن جمال الوجه أثر كيتين في الوجه . فان كل ما يخافه الرجل من الدنيا فهو نقصان لدرجته في العقبى ، اذ لا يؤتى احد شيئا من الدنيا الا ينقص بقدره في الاخرى . واما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ما روى عن بشر ، قال الحسين المغازى من أصحابه كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل اسمر خفيف العارضين فقام له بشر وقال مارأيت قام الى أحد غيره ، قال ودفع الى كفنا من دراهم وقال : اشتر لنا بها من اطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب ، وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعتة فأكل معه وما رأيتة أكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله وانصرف فعمجبت من ذلك وكرهته له ، فقال لي بشر لمالك أنكرت فعله ؟ قلت نعم اخذ بقية من الطعام من غير اذن ، فقال ذلك أخونا فتح الموصلى زارنا اليوم من الموصل ، وانما أراد أن يعلمنا أن التوكل اذا صح لم يضر منه الادخار . والله سبحانه أعلم بحقائق الاسرار (ولا مباشرة أسباب) أى ولا ينفي التوكل مباشرة أسباب هى (تدفع الضرر) المنعروض للخوف في نفس أو مال (ان كان) الضرر (مقطوعا به أو مظنونا كالتحرز عن النوم في مكمن السباع) أى في الارض المسبعة (وعمر السيل) أى وفي مجرى السيل من الوادى لا سيما في الليل فانه أدعى للويل (وتحت الحائط) أى الجدار (المائل) الى السقوط وكذا السقف المنكسر الذى يخاف منه الهبوط

لَآنَّ التَّعَرُّضَ لِلْهَلَاكِ مَنَهَى عَنْهُ بِخِلَافِ الْمَوْهُومِ فَوَرَدَ فِي وَصْفِ الْمُتَوَكِّلِينَ لَا يَكْتُونُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ إِلَّا فِي أَذَى النَّاسِ فَلَا أَوْلَى فِيهِ الصَّبْرُ فَوَرَدَ (فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْنُونَا. وَدَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) بِخِلَافِ أَذَى السَّبَّاحِ فَيَأْخُذُ السَّلَاحَ فَوَرَدَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ

(لان التعرض للهلاك منهي عنه) فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة منه (بخلاف الموهوم) أى بخلاف ما اذا كان الضرر موهوما فان مباشرته تنفي التوكل ، فترك الموهوم منها من شرط التوكل ، وهى التى نسبتها إلى دفع الضرر نسبة الكى والرقية ، فان الكى والرقية قد يقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع ، وقد يستعمل بعد نزول المحذور لازالة ما وقع (فورد في وصف المتوكلين) انهم (لا يكتونون ولا يسترقون) على ما تقدم فصار وصفهم عليه السلام الا بترك الكى والرقية والطيرة ، ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والحية تلبس دفعا للبرد المتوقع (الا فى اذى الناس) استثناء من قوله : ولا مباشرة اسباب تدفع الضرر ، أى الا ان يكون الضرر فيما ناله من اذى الناس له ، ويكون بما لا اثر له فى الخارج كالشتم والملامة والتعير والتوبيخ والمذمة فانه اذا أمكنه الصبر والتحمل وامكنه الدفع والتشفي (فالاولى فيه الصبر) وترك اسباب تدفع الضرر ، وقول المصنف فالاولى اولى من قول صاحب الاحياء : فشرط التوكل الاحتمال والصبر (فورد) فى التنزيل (فاتخذوه وكيلا واصبر على ما يقولون) تمامه (واحجروهم حجرا جميلا) (وانصبرن على ما آذيتنونا) آخره (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) (ودع اذاهم) أى اترك مدافعتة ومعاقبته فى الحال ، او مكافأته ومجازاته فى الاستقبال (وتوكل على الله) فان من توكل عليه كفاه (بخلاف اذى السباع) فانهم مجبولون على الاضرار ، وفى معناها الكفار فالصبر على اذى الحيوانات كالعقارب والحيات ليس من التوكل فى الدرجات ، اذ لا فائدة فيه فى حال من الحالات (فياخذ) المتوكل (السلاح فورد) فى التنزيل (وليأخذوا اسلحتهم) فى صلاة الخوف وهو أمر ايجاب او استحباب ، وقد اختفى عليه السلام عن اعين الاعداء فى الغار خوفا من ضرر الكفار ، وقد قال تعالى لموسى عليه السلام : (فاسر

وَيَعْقِلُ الْبَعِيرَ فُورَدَ أَعْقَلَهَا وَتَوَكَّلَ وَيَسُدُّ الْبَابَ غَيْرَ مُسْتَقْصٍ فِي الْحَفْظِ وَلَا يَحْفَظُ
مَتَاعًا يَحْرُصُ فِيهِ السَّارِقُ بَلْ يَقْتَصِرُ عَلَى مَا لَا يُدْمِنُهُ كَكُوزٍ وَرَكُوتَةٍ وَجَرَابٍ وَسِلَاحٍ
وَيَغْتَمُ إِنْ سَرَقَ لِمَعْصِيَةِ السَّارِقِ وَتَعَرَّضَ لِلْعِقَابِ لَا لِنَقْصِ الْمَالِ بَلْ يَفْرَحُ بِهِ لِمَافِيهِ مِنْ
صَلَاحِهِ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ بِهِ وَيَشْكُرُهُ تَعَالَى عَلَى جَعْلِهِ مَظْلُومًا لَا ظَالِمًا وَنَقْصَ دُنْيَاهُ لَا دِينَهُ

بعبادى ليل) فهذا وما قبله كله فى حق النفس ، وأما فى حق المال فأشار بقوله (ويعقل
البعير) أى يربط رجله لئلا يفارق رحله (فورد) أنه قال عليه السلام للأعرابي
لما أهمل البعير وقال توكلت على الله (اعقلها وتوكل) أى على الله ، رواه الترمذى
من حديث أنس وضعفه يحيى القطان ورواه الطبرانى من حديث عمر بن أمية الضمرى
باسناد جيد بافظ قيدها (ويسد الباب) أى يغلقه (غير مستقص) أى مبالغ
(فى الحفظ) كالتماسه من الجيران حفظه مع وجود غلقه ، وجمعه اغلاقا كثيرة فى محله ،
فقد كان مالك بن دينار يغلق بابه ليلا بشرط ويقول بلولا الكلاب ما شدته ، وفيه
لطافة اذ الدنيا جيفة وطالبها كلابها لما ورد وقد تقدم (ولا يحفظ متاعا يحرص فيه)
أى فى أخذه (السارق) ويطمع فيه الطارق فيكون هو سبب معصيته وباعث مصيبته ،
او يكون امساكه موجب هيجان رغبته (بل يقتصر على ما لا يدمنه ككوز) يشرب
منه (وركوة) يتطهر بها (وجراب) يضع زاده فيه (وسلاح) إذا كان من
أهل الجهاد أو سلاح كل أحد بحسب مقامه ووفق مرآه ، كالكتب للعلماء وعدة الحرف
للفقراء ، والعصا سلاح الضعفاء وسنة الانبياء . وكان بعض المتجردين لم يكن فى خلوته
شئ فاذا دخلها أغلقها وإذا خرج منها تركها مفتوحة ويقول انا متاع البيت ولما اهدى
المغيرة الى مالك بن دينار ركوة وقال له خذها قال لا حاجة لى اليها ، قال لم؟ قال يوسوس
الى العدو أن اللص قد اخذها ، فكانه احترز من أن يعصى السارق ، ومن شغل قلبه
بوسواس الشيطان بسرقتها فى اللاحق ، ولذا قال أبو سليمان هذا من ضعف قلب الصوفية
هو قد زهد فى الدنيا فما عليه من أخذها (ويغتم) المتوكل (إن سرق) أى جعل
مسروقا (لمعصية السارق وتعرضه للعقاب) اللاحق (لا) يغتم (لنقص المال
بل يفرح به) أى بنقص المال (لما فيه من صلاحه) أى لما فى نقص المال من مال
صلاح الحال (تحسينا للظن به) فيما قدره وقضاه من أزل الآزال (ويشكره تعالى
على جعله مظلوما لا ظالما ونقص دنياه) من ماله (لادينه) الذى من مثله ، فقد

وَلَا يُبَالِغُ فِي الطَّلَبِ وَسُوءِ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِ وَالْأَوَّلَى أَنْ يَعْفُو وَيَحِلَّ فَهُوَ صَدَقَةٌ إِنْ كَانَ فَقِيرًا وَإِلَّا فَاغْتَاءٌ لَهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَعَمَلٌ بِمَا وَرَدَ أَنْصَرَ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا

شكى بعض الناس الى عالم أنه قطع الطريق عليه وأخذ ماله ، فقال : إن لم يكن غمك أنه صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما تصحب المسلمين . وسرق من على بن الفضيل دينار وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكي ويحزن . فقال له أعلى الدنيا تبكي ؟ فقال لا والله ولكن على المسكين أنه يسأل يوم القيامة ولم تكن له حجة . وقيل لبعضهم : أَدع على من ظلمك . فقال إني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه . (ولا يبالغ في الطلب) أي طلب المسروق أو السارق (وسوء الظن بالمسلم) أي وفي التهمة للجيران أو غيرهم من أقاربه وأصحابه (والأولى أن يعفو) أولا (ويحل) ثانيا (فهو) أي ما ذكر من العفو والإحلال (صدقة إن كان) السارق (فقير أو لا) أي وإن لم يكن السارق فقيرا (فاغناء له عن المعصية) التي هي السرقة (وعمل بما ورد أنصراخاك ظالما أو مظلوما) وتوضيحه ما في الأحياء فإن قلت : كيف يتصور أن لا يحزن إذا أخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يأسف عليه ، وذلك لأنه إن كان لا يشتهيه ولا يريد له لم أمسكه لديه واغلق الباب عليه ، وإن أمسكه لأنه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن على فقدده وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه ؟ فأقول إنما كان يحفظه ليستعين به على دينه إذا كان يظن أن الخير له في أن يكون له ذلك المتاع ، ولولا أن الخير له فيه مارزقه الله ولما أخطاه ، فاستدل على ذلك بتيسير الله وحسن الظن به تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ، ولو لم يكن ذلك عنده مقطوعا به إذ يحتمل أن يكون خيره في أن يتبلى لفقد ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر ، فلما أخذه الله بتسليط اللص تغير ظنه لأنه في جميع الأحوال واثق بالله حسن الظن به . فيقول لولا أن الله علم لي الخير الآن في عدمها لما أخذها مني ، فبمثل هذا الظن يتصور أن يندفع عنه الحزن ، إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بالأسباب من حيث أنها الأسباب بل من حيث أنه يسرها مسبب الأسباب عناية به ولطفاله . وهو كالمريض بين يدي الطبيب الحبيب يرضى بما يفعله ، فإن قدم اليه الغذاء فرح به وقال لولا أنه عرف أن الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قر به الى ، وإن أخذ عنه الغذاء فرح أيضا وقال : لولا أنه عرف أن الغذاء يضرني لما حال بيني وبينه ، فكل من لا يعتقد في لطف الله بما يعتقده المريض في الوالد المشفق

الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التبركل أصلا ، ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري أى الاسباب خير له كما قال عمر رضى الله عنه : لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي ، فلذلك ينبغي أن لا يبالي المتوكل بسرقة متاعه أو ببقائه فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا والآخرة . فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان ولم من غنى يتبلى بواقعة لاجل غناه فيقول ليتني كنت فقيرا أو يتمناه أن ما يضطر المتوكل الى تركه في البيت ، فيذبح أن ينوى عند خروجه منه الرضا بما يقضى الله تعالى فيه من تسلط سارق عليه ، ويقول ما يأخذه السارق هو منه في حل أو هو في سبيل الله أو ان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقير فهو أولى ، ويكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقير ، إحداهما أن يكون ماله مانعاه من المعصية فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده ، وقد زال عصيانه بأكل الحرام لما ان جعله في حل ، والثانية أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر . ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه أو نوى دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامثل قوله عليه السلام وانصر اخاك ظالما أو مظلوما على ما في الصحيحين وتماه و قيل كيف انصره ظالما قال تحجزه عن الظلم فان ذلك نصرة ه فصر ذالما منعه عن الظلم ، وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له . والتحقيق أن هذه النية لا تنصره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الا زلى السابق ، ولكن يتحقق بالزهد بنيته فان أخذ ماله كان له بكل درهم سبعائة درهم لانه نواه وقصده ، وإن لم يؤخذ حصل له الاجر ايضا وجملة الامران يكون في هذا المقام متوكلا على الله سبحانه بالعلم والحال : اما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يدفع بكفايته في اغلاق الباب بل يدفع الله سبحانه اياه لما سبق في الكتاب . فكم من بيت يفتاق ولا ينفع ، ولم من يعير بعقل ويموت او يفلت . ولم من أخذ سلاحه يقتل او يغلب فلا يتكل اصلا على هذه الاسباب بل على مسبب الاسباب ورب الارباب . واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضى الله تعالى به في نفسه وبيته ، ويقول : اللهم ان سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري ان ما اعطيتني هبة فلا تسترجعها او عارية او ودیعة فتستردها ، ولا ادري انها رزقي قبل خلقى او سبقت مشيتك في الازل انها رزق غيرى ، وكيف ما قضيت فاناراض به ، وما اغلقت الباب تحصنا من قضائك وتسخطابه على بلاتك بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب ولا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب . ثم اذا عاود فوجد متاعه في البيت فينبغي ان يكون

وَيَنْوِيهِ لِيُثَابَ وَإِنْ لَمْ يُسْرِقْ كَمَا فِي تَرْكِ الْعَزْلِ فَوَرَدَ فِيهِ ثَوَابٌ وَلَدٌ كَبِيرٌ وَقُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَأْخُذُ لَوْ أَتَى بِهِ وَإِنْ جَازَ الْأَخْذُ لِأَنَّ النِّيَّةَ لَا تُخْرِجُ الْمَلِكَ

ذلك عنده نعمة جديدة من الله ، وان لم يجده بل وجده مسروقا فنظر الى قلبه فان وجده راضيا او فرحا بذلك عالما بان الله تعالى ذلك منه في الدنيا الا ليزيد رزقه في العقبى فقد صح مقامه في التوكل وظهر به صدقه ، وان تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ، ولا يصح الزهد الا لمن لا يأسف على ما فاتته من الدنيا ولا يفرح بما يأتيه ، بل قد يكون على العكس من ذلك فكيف يصح له التوكل ؟ نعم قد صح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس بعده وان لم يقدر على ذلك حتى يتأذى قلبه وأكثر الشكوى بلسانه واستقصى الطالب ييدنه فقد كانت السرقة معيبة له في دينه من حيث انها اظهرت له قصوره عن جميع المهمات وكذبته في جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاوها ولا يتدلى بجمل غرورها فانها خداعة اماراة بالسوء مدعية للخير في ادورها ﴿ وينويه ﴾ اي العفو ابتداء ﴿ ليثاب وان لم يسرق ﴾ انتهاء ﴿ كما في ترك العزل ﴾ فانه اذا نوى تحصيل الولد المجاهد في سبيل الله يثاب به ولو لم يولد ﴿ فورد فيه ﴾ اي في ترك العزل ﴿ ثواب ولد كبير وقتل في سبيل الله تعالى ﴾ وفي الاحياء كما روى عن رسول الله ﷺ فيمن ترك العزل واقر النطفة قرارها : ان له اجر غلام ولد من ذلك الجماع وعاش وقتل في سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس من امر الوالد الا الوقاع ، واما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس اليه ، فلو خاف لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم ، فكذلك امر السرقة ، لكن مخرجه قال لم اجده اصلا . هذا واذا جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة الى الآخرة فان اعيد عليه ﴿ فلا يأخذ ﴾ اي فلا ولي ان لا يقبله ﴿ لو أتى به ﴾ اي بالمال المسروق ﴿ وان جاز الاخذ ﴾ والقبول فانه ملكه في ظاهر العلم ﴿ لان النية ﴾ بمجرد ها ﴿ لا تخرج الملك ﴾ عن يد المالك لكن أخذه غير مستحسن عند المتوكلين فقد روى أن ابن عمر رضي الله عنهما سرقت ناقته فطلبها حتى اعيا ثم قال في سبيل الله ، فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن إن ناقتك في مكان كذا وكذا فلبس نعليه وقام ، ثم قال استغفر الله وجلس ، فقيل له الا تذهب فتأخذها ؟ فقال إني كنت قلبت في سبيل الله وكذا من

وَلَا إِزَالَةَ الضَّرَرِ الْمَقْطُوعِ بِهِ كَالشَّرْبِ لِدَفْعِ الْعَطَشِ وَالْمَظْنُونِ كَالْحِجَامَةِ وَالْإِسْهَالِ
بِخِلَافِ الْمَوْهُومِ كَالرُّقِيَّةِ وَالطَّيْرِ

أخذ رغيفا مثلا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كره له أن يرده إلى البيت بعد إخراجِه منه فيعطيه فقيرا آخر، وحكى عن رجل من العباد بمكة أنه كان نائما بجانب رجل معه هميان فانتبه الرجل وفقد هميانه فأنهم فيه فقال له لم كان فذكره فحمله إلى البيت ووزن من عنده ثم بعد ذلك أعلمه أصحابه بأنهم كانوا أخذوا الهميان مزحا معه فجاء هو وأصحابه إليه فردوا الذهب إليه فابى عليهم وقال خذوه حلالا فما كنت لأعود في مال أخرجه في سبيل الله ولم يقبله فالحوا عليه فدعا ابنه وجعل يصره صررا ويبعث بها إلى الفقراء حتى لم يبق منه شيء ثم أقل درجات المتوكل أن لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهيته وتأسفه على ما فات وبطل زهده، وفي الخبر من دعا على ظالم فقد انتصر وقد تقدم وفي رواية أن العبد يظلم المظلم فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون مقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه فيقتصص له من المظلوم وقد تقدم، وحكى أن الربيع بن خيثم سرق له فرس ثمنه عشرون الفا ورقا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج قلبه لطالبه فجاءه قوم يعزونه فقال أما انى كنت قد رأيت وهو يحمله قيل فما منعك ان تزجره؟ قال كنت فيما هو احب الى من ذلك يعنى الصلاة في مقام الاحسان وقال التكلان قال فجعلوا يدعون على السارق فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه، وقيل ليهضمهم في شيء كان قد سرق له الا تدعو على ظالمك فقال ما احب أن اكون عونا للشيطان عليه قبل افرأيت لو ردت عليك السرقة؟ قال لا آخذها ولا انظر اليها لاني كنت قد احملتها له، وقيل لآخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيد شرا (ولا ازالة الضرر) اى ولا ينق التوكل دفع الضرر (المقطوع به) اى بالسبب المقطوع به (كالشراب لدفع العطش) وكذا الاكل لدفع الجوع واللبس لدفع الحر والبرد (والمظنون) اى والضرر المظنون فيه بالسبب المظنون وهو الطرف الراجح من المشكوك (كالحجامة والفصد والاسهال) اى شرب الدواء المسهل وسائر أسباب الطب من معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة (بخلاف الموهوم) وهو الطرف المرجوح من المشكوك (كالرقية والطيرة) والكي فروي أن عمران بن الحصين اعتل فاشاؤوا عليه بالكي فامتنع فلم

وَالْتَرَكُ حَرَامٌ فِي الْمَقْطُوعِ بِهِ دُونَ الْمَظْنُونِ

يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتبوا فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا وتسلم على الملائكة فلما اكتبوا انقطع ذلك عنى وكان يقول اكتبوا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من بعد ذلك واتاب الى الله فرد عليه ما كان يجده من امر الملائكة، وقال لمطرف بن عبد الله الم ترالى الملائكة التى كان اكرمنى الله بها قد ردها الله على بعد أن كان قد اخبره بفقدها **﴿ والترك ﴾** لمباشرة السبب **﴿ حرام في المقطوع به ﴾** عند خوف الموت **﴿ دون المظنون ﴾** فان تركه ليس بحرام، واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذا وصف به النبى عليه السلام المتوكلين واقواها الى وتليه الرقية ولذا نهى عليه السلام عن الكى دون الرقية ففى البخارى **« وانهى امتى عن الكى »** وفى الصحيحين من حديث عائشة أنه عليه السلام رخص فى الرقية من كل ذى حمة ثم الطيرة آخر درجاتها بالاعتماد عليها والاتكال اليها فى هذا الباب غاية التعمق فى ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهى المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محذورا بخلاف المقطوع بل قد يكون تركه افضل من فعله فى بعض الاحوال وفى حق بعض الاشخاص ويبدل على أن التدوى غير مناقض للتوكل من فعله عليه السلام وقوله وامره اما قوله فحديث **« ما من داء الاوله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام - يعنى الموت »** رواه الطبرانى وغيره وحديث **« تداءوا وعباد الله »** رواه الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث اسامة بن شريك وسئل عليه السلام عن الداء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا قال هى من قدر الله، رواه الترمذى وصححه وابن ماجه ، والحديث المشهور **« ما مرت بملا من الملائكة الا قالوا مر أمتك بالحجامة »** رواه الترمذى من حديث ابن مسعود ، وحديث **« احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم »** رواه الترمذى من حديث ابن عباس ، فذكر أن تبغي الدم سبب الموت وأنه قاتل باذن الله تعالى ، وبين أن اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الالهاب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب . واما امره عليه السلام فقد أمر غير واحد من اصحابه الكرام بالتدوى والحمية، وقطع لسعد بن معاذ عرقا أى فصدته كذا فى الاحياء ، ورواه مسلم من حديث جابر قال **« رعى سعد فى الحكة لحسمه النبى عليه السلام يده بمشقة »** الحديث، وقد كوى اسعد بن زرارة رواه الطبرانى. ويؤخذ منه أن سبب الكى

فَتَرَكَ الدَّوَاءَ أَيْضًا مَأْثُورٌ

إذا كان موهوما قالوا لى تركه ، فينأى التوكل فعله . وقد قال لعل كرم الله وجهه وكان وجع العين « لا تأكل من هذا » يعنى الرطب ، وكل من هذا فانه اوفق لك ، يعنى السلق الذى طبخ بشعير . وقال لصهيب وقد رآه آخرأ يأكل التمر وهو وجع العين « أأكل التمر وأنت رمد ؟ فقال انما آكل بالجانب الآخر ، فتبسم عليه السلام » وأما فعله صلى الله عليه وسلم فقد روى من طريق أهل البيت « أنه كان يكتحل كل ليلة ، ويحتجم كل شهر ، ويشرب الدواء كل سنة » رواه ابن عدى من حديث عائشة وقال أنه منكر انتهى . وحديث الاكتحال ثابت فى الترمذى كما لا يخفى للطبرانى بإسناد حسن « أنه عليه السلام لدغته عقرب فغشى عليه فرقاه الناس » الحديث وله فى الاوسط « عن انس أنه عليه السلام كان اذا اشتكى تقمح كفا من شونيز ويشرب عليه ماء وعسلا » ولابى يعلى والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن جعفر « أن النبى عليه السلام احتجم بعد ما سم » وللبخارى وابن عدى فى الكامل من حديث أبى هريرة « انه عليه السلام كان اذا نزل عليه الوحي صدعه رأسه فيغلفه بالخناء » وللترمذى وابن ماجه من حديث سلمى كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها خناء » فكما أن التداوى مروي ومشهور (فتترك الدواء أيضا مأثور) عن السلف مسطور . فروى عن الصديق أنه قيل له : لودعونا لك طبيا فقال قد رأي الطبيب ، وقال إني افعل ما أريد . وقيل لابي الدرداء فى مرضه : ماتشتكى ؟ قال ذنوبى ، قيل فما تشتهى ؟ قال رحمة ربى . قالوا : ألا ندعوا لك الطبيب قال الطبيب أمرضى . وقيل لابي ذر - وقد رمدت عيناه - لوداويتهما ؟ فقال : انى مشغول عنهما ، قيل لو سألت الله ان يمايك ؟ فقال اسأله فيما هو أهم على منهما ، وكان قد اصاب الربيع بن خيثم فالج فقيل له لوداويت فقال قد همت ثم ذكرت عادا وثمود . وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى ولم يغن الدواء من الله شيئا من الداء . وكان أحمد بن حنبل يقول : احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق أن يترك التداوى من شرب الدواء وغيره ، وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل ؟ قال : اذا دخل عليه الضرر فى جسمه والنقص فى ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله ، وينظر الى قيام الله تعالى . فوجه الجمع انه عليه السلام وبعض اصحابه الكرام تداواوا توسعة للانام ورخصة فى الاحكام ، وترده بعض الاعلام من مشايخ الاسلام عملا بالعزيمة المناسبة لما لهم من المقام ، والا فالتداوى لا يضر الا من حيث رؤية الداء نافعا دون خالق

لَمَعْرِفَةِ عَدَمِ النَّفْعِ بِالْمُكَاشَفَةِ أَوْ لَكَوْنِ الْمَرَضِ مُزْمِنًا وَالْعِلَاجِ مَوْهُومًا كَالِكِي
أَوْ لِلشَّغْلِ عَنْهُ بِخَوْفِ الْعَاقِبَةِ وَعَلَيْهِ تَعَالَى أَوْ لِقَصْدِ تَطْوِيلِهِ لِنَيْلِ الْأَجْرِ بِالصَّبْرِ

الدواء ، فلا يرى ان الدواء نافع بنفسه بل من حيث أنه جعله الله سبباً لنفعه ، كما لا يرى الماء مروياً ، ولا الخبز مشبعاً ، وفي الأحياء ولا يصح وجه الجمع بين فعله عليه السلام وأفعال التاركين من الأعلام إلا بحصر الصوراف عن التداوى في ذلك المقام فترك الدواء المذكور والمأثور إنما هو لا حد أسباب سبعة (لمعرفة عدم النفع بالمكاشفة) وهو أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف له بأنه قد انتهى أجله وأن التداوى لا ينفعه ، ويكون ذلك معلوماً عنده تارة برؤيا صادقة ، وتارة بحس وطم ، وتارة بكشف محقق ، ويشبه ان يكون ترك الصديق التداوى من هذا السبب فإنه من المكاشفين فقد قال لعائشة في أمر الميراث إنهما أختاك ، ولم يكن لها إلا أخت واحدة ، ولكن كانت امرأته حاملاً فوضعت أنثى فعلم أنه قد كوشف بأنها حامل بأنثى . ولا يبعد أيضاً أن يكون قد كوشف بانتهاء أجله والأفلا يظن به إنكار التداوى ، وقد شاهدته عليه السلام تداوى وامره كذا في الأحياء . وفرق بين إنكار التداوى وعدم مباشرته كما لا يخفى (أو لكون المريض مزمناً والعلاج مَوْهُومًا) في النفع (كالكِي) والرقية ونحوهما وعليه حمل كلام الربيع (أو للشغل عنه) أي لاشتغال قلبه عن المرض وتداويه بما يوافقه وينافيه (بخوف العاقبة وعليه تعالى) بما وقع له في السابقة فينسيه ذلك ألم الأمراض اللاحقة فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلاً بحاله وتأملاً في مآله وعليه يدل كلام أبي الدرداء وأبي ذر في ترك الدواء فكان تألم قلبه خوفاً من ذنبه أكثر من تألم بدنه من حلول مرضه ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من أعزته ، أو الخائف الذي يحمل إلى ملك من أجل سياسته إذا قيل له ألا تأكل وانت جائع فيقول إني مشغول عن الأكل وعن ألم الجوع بما هو أهم منه . ويقرب من هذا اشتغال سهل رحمه الله حيث قيل له ما القوت ؟ فقال هو الحى القيوم فقيل له إنما سألتك عن القوام ؟ قال القوام هو العلم ، قيل سألتك عن الغذاء ؟ قال الغذاء هو الذكر قيل سألتك عن طعمة الجسد ؟ قال : مالك والجسد دع من تولاه أولاً يتولاه آخراً إذا دخلت عليه علة فردته إلى صانعه أما رأيت الصنعة إذا عابت رددوها إلى صانعها حتى يصلحها (أو لقصد تطويله) أي لارادة استبقاء المرض (لنيل الأجر بالصبر) على بلائه تعالى فقد ورد في ثواب المرض ما يذكر

أو تكفير الذنب

ذكره ومن ذلك « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدهم ذهبه بالبار ، فمنهم من يخرج كالبريز ، ومنهم من يخرج دون ذلك ، ومنهم من يخرج أسود محترقا »
 رواه الطبراني من حديث أبي أمامة . وقال ابن مسعود . تجد المؤمن من أصبح شيء قلبا وأمراضه جسما ، وتجد المنافق من أصبح شيء جسما وأمراضه قلبا ويشير إليه قوله تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) فلما عظم الثناء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واغتموه وتراوا الدواء لينالوا ثواب الصبر على الداء فكان فيهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ، ويقاسى العلة ويرضى بحكم الله تعالى وما فيه من الحكمة . ويعلم أن ذكر الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه ، وإنما يمنع المرض جوارحه ، وعلموا أن صلاتهم من قعود مثلامع الصبر على قضائه سبحانه من العلة أفضل من الصلاة قائما مع العافية والصحة . وكان سهل يقول : ترك التداوى وإن ضمف عن الطاعات أفضل من التداوى لاجل القوة على العبادات . وكانت به علة عظيمة ولم يتداو لها وكان يداوى الناس منها ، وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء فأنما هو سعة من الله عز وجل لاهل الضمف ، ومن لم يدخل في شيء منه فهو أفضل لانه إن اخذ شيئا من الدواء وإن كان هو الماء البارد يسأل عنه لم اخذت ذلك ؟ ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم أن ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضاء والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والمرضى لا يمنع من أعمال القلوب إلا إذا كان الله غالبا مدهشا . وقال سهل : علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة ﴿ أو تكفير الذنب ﴾ بان يرى طول المرض تكفيرا لخطاياهم فلا تبي يعلى وابن عدى من حديث أبي هريرة « لا يزال الحمى والصداع بالعبد حتى يمشى على الأرض كالبردة ما عليه خطيئة » وللطبراني من حديث أبي الدرداء نحوه . وله في الاوسط من حديث أنس « مثل المريض اذا صح وبرى من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها » وللقضاعي من حديث ابن مسعود « حمى يوم كفارة سنة » وفي رواية حمى ليلة ، ولاحمد وأبي يعلى من حديث أبي سعيد الخدري باسناد جيد « أن رجلا من المسلمين قال : يا رسول الله أرأيت هذه الامراض التي تصيبنا ما لنا فيها ؟ قال كفارات ، قال أبي وإن قلت قال وإن شوكه فما فوقها ، قال فدعا أن لا يفارقه الوعك حتى يموت » الحديث . والوعك الحمى او شدة الماء . وللطبراني في الاوسط من حديث

أَوْ امْتَحَانَ النَّفْسَ أَوْ طُغْيَانَهَا فِي الصَّحَّةِ بِتَضْيِيعِ الْوَقْتِ بِالتَّنْعَمِ وَتَأْخِيرِ الْخَيْرَاتِ
لِتَطْوِيلِ الْأَمَلِ

أبي بن كعب أنه قال : يا رسول الله ما جزاء الحي؟ قال تجري الحسنات على صاحبها ما احتاج عليه قدم أو ضرب عليه عرق ، فقال : اللهم إني أسألك حتى لا تمنعني خروجي جاني سبيلك ولا خروجي إلى بيتك ولا مسجد نبيك . الحديث . وقال عيسى عليه السلام : لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض على جسمه وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطايا به ؛ وروى أن موسى عليه السلام نظر إلى عبد عظيم البلاء فقال يا رب ارحمه ، فقال كيف أرحمه بما به ارحمه ؟ أي به ا كفر ذنوبه وازيد في درجته ﴿ أو امتحان النفس ﴾ أي لتجربتها في القدرة على الصبر في المحنة بعدم الجزع والفرع والشكاية فقد ورد « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر إيمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان في إيمانه ضعف خفف عليه البلاء » رواه أحمد وابو يعلى والحاكم وصححه ﴿ أو طغيانها ﴾ أي تجاوز النفس عن حدها ﴿ في الصحة ﴾ أي في أيام الصحة والعافية ﴿ بتضييع الوقت بالتنعم ﴾ في الشهوات واللذات ﴿ وتأخير الخيرات ﴾ أي بتأخير الطاعات والعبادات والمبرات ﴿ لتطويل الامل ﴾ وتبعد الاجل وتوضيحه أن يستشعر العبد في نفسه مبادئ البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوى خوفا من أن يماجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان أو طول الامل وتسويق العمل بتأخير الخيرات والمبرات ، فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي والسيئات ، واقلمها أن تدعو الى التنعم في المباحات وهو تضييع الاوقات وإهمال للربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات ، فاذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصائب ولذا قيل لا يخلو المؤمن من علة أو قلة أو ذلة وروى أن الله تعالى يقول الفقر سجنى والمرض قيدى احبس به من أشاء من خلقى . وقال بعض العارفين لانسان : كيف كنت بعدى ؟ قال في عافية ، قال ان كنت لم تنص الله فانت في عافية ، فان كنت عصيته فإى داء ادوى من المعصية ؟ ما عوفى من عصي . وعن علي كرم الله وجهه أنه لما رأى زينة النبط بالعراق في يرم عيدهم قال ما هذا الذي اظهروه ؟ قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لانصى الله فيه فهو لنا عيد وما أحسن من قال من ارباب الحال وليس العيد لمن لبس الجديد إنما العيد لمن أمن من الوعيد ، وقال تعالى : (لا

وَالْأَوَّلَى الْإِخْفَاءُ صَبْرًا وَرِضًا وَتَحَامِيًا عَنِ الشُّكَايَةِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَةِ لِقَصْدِ
الْعَلَّاجِ لِلطَّبِيبِ أَوْ تَعْلِيمِ حُسْنِ الصَّبْرِ بِالشُّكَايَةِ وَهُوَ مِنَ الْمُقْتَدَى بِهِ أَوْ إِظْهَارِ
الْعَجْزِ عَنِ الصَّبْرِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَهُوَ مِنَ الْقَوَى

أن الانسان ليطغى ان رآه استغنى (قيل أى بالعافية ، وقال بعضهم انما قال فرعون
(أنا ربكم الاعلى) لطول العافية لانه لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم
يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة لشغلته عن الفضول
الدنيوية فضلا عن دعوى الألوهية ، وروى أن عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تمرض
فطلقها ، وفي الخبر انه عليه السلام عرض عليه امرأة فذكر من صفتها ونعتها حتى هم
أن يتزوجها ، فقبل لهاها ما مرضت قط فقال « لا حاجة لى فيها »

رواه أحمد من حديث أنس باسناد جيد . وذكر عليه السلام الامراض والاوراجاع
كالصداع وغيره فقال رجل ما الصداع ما اعرفه ؟ فقال عليه السلام « عني اليك من اراد
أن ينظر الى رجل من أهل النار فليتنظر الى هذا » رواه أبو داود وذلك لما ورد أن الحى حظ
كل مؤمن من النار » رواه أحمد من حديث أبي امامة . ولابن ماجه من حديث أبي
هريرة أنه عليه السلام عاد مريضا من وعك كان به فقال ابشر ان الله عز وجل يقول هى
نارى اساطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار فى العقبى » (والاولى الاخفاء)
أى اخفاء مرضه وسوء حاله (صبرا) على بلائه تعالى (ورضا) بقضائه سبحانه
(وتحميا عن الشكاية الا على سبيل الحكاية) وانما جاز ذلك لثلاثة اغراض (قصد العلاج
للطبيب) اذا كان المريض من الضعفاء بخلاف الاقوياء فكان الامام احمد به علل لا يخبر
بها الطبيب اذا سأله عنها وتارة يخبر بامراض يجدها ويقول : انما اصف قدرة الله فى (أو
تعليم حسن الصبر) أى او لتعليم المريدين استحسان الصبر وجواز اظهاره (بالشكاية)
على طريق الحكاية بل لبيان الشكر فى الرواية بأن يظهر أن المرض بلية يصبر عليها أو نعمة
يشكر لديها فيتحدث به لما يتحدث بالنعمة ، وقال الحسن البصرى اذا حمد المريض ربه تعالى
وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى (وهو) أى صاحب هذا المقام يكون (من
المقتدى به) فى أمر الرعاية (أو اظهار العجز) والافتقار (عن الصبر اليه تعالى وهو)
انما يستحسن (من القوى) فى مقام الصبر كما روى عن على كرم الله وجهه انه قيل له فى
مرضه كيف أنت ؟ فقال بشر فنظر بعضهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه
شكاية فقال أتجملد على الله فاحب أن يظهر فيه العجز والافتقار مع ما علم فيه من القوة

والاقتدار (فالنِّيةُ) أى تحسینها واصلاحها (مرخصة) لاظهار علله واسبابها أو المعنى أن النية مرخصة للتداوى وتركه فان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاوقات وانما الأعمال بالنيات وأما من ترك التداوى توكلًا فلا وجه له للاظهار أصلاً فان الاستراحة الى الدواء أحسن من الاستراحة الى الانشاء، وقد قال بعضهم من بث لم يصبر ولذا قال يعقوب عليه السلام (انما أشكوا بئى وحزنى الى الله) وقيل فى معنى قوله (فصبر جميل) لا شكوى فيه، وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذى أذهب بصرك؟ قال مر الا زمان وطول الاحزان فإوحى الله تعالى اليه تفرغت بشكواى الى عبيدى فقال يارب أتوب اليك، وروى عن طاووس ومجاهد أنها قالت لا يكتب على المريض أنيته فى مرضه وكانوا يكرهون أنين المريض لانه اظهر معنى يقتضى الشكوى حتى قيل ما أصاب أبليس من أبوب عليه السلام الا أنيته فى مرضه فجعل الانين حظه منه ولعله محمول على أنين كان يمكنه أن لا يظهره عند عواده والافقد سبق أنه تسبيح ويثاب عليه مع أنه أمر طبعى لا يدخل تحت اختيار المريض وفى الخبر اذا مرض العبد قال الله تعالى للملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله تعالى وإثني عليه بخير دعواه وإن كان شكاً وذكر شراً قالاً كذلك يكون وإنما كره بعض العباد عيادة العباد خشية الشكاية فى المقام وخوف الزيادة فى الكلام وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابهم فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج اليهم، منهم الفضيل بن عياض. وهيب بن الورد. وبشر بن الحارث وكان الفضيل يقول: اشتهى المرض بلا عواد، وقال لا أكره العلة الا لاجل العواد. هذا وما ينفع فى باب التوكل من حسن الظن بمجىء الرزق وفق الرفق ان يسمع الحكايات التى فيها عجائب صنع الله تعالى فى وصول الرزق إلى صاحب التوكل فى سائر الاوقات، كما روى عن حذيفة المرعى وكان قد خدم ابراهيم بن أدهم ف قيل له: ما أعجب ما رأيت منه؟ فقال: بقينافى طريق مكة ايام الم نجد طعاماً، ثم دخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خراب فظفر الى ابراهيم بن أدهم وقال: يا حذيفة أرى بك الجوع، فقالت هو ما رأى الشيخ، فقال على بدواة وقرطاس، فجئت بها فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود اليه يا الله بكل حال والمشار اليه بكل معنى. وقال:

انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جائع انا نائم انا عارى
هى ستة فأنا الضمين لنصفها فكأن الضمين لنصفها يا بارى

مدحى لغيرك لهب نار خضتها فأجر عبيدك من لبيب النار

ثم دفع الى الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك ،
 فخرجت قائل من لقينى كان على بغلة ، فناولته الرقعة فاخذها ، فلما وقف عليها بكى ،
 وقال : ما فعل صاحب هذه الرقعة ؟ فقلت هو فى المسجد الفلانى ، فدفع الى صرة فيها
 ستمائة دينار ، ثم لقيت رجلا آخر فسأله عز راكب البغلة فقال هذارجل نصرانى ،
 فجئت الى ابراهيم فاخبرته بالقصة ، فقال لاتمسها فانه يحى الساعة ، فلما كان بعد ساعة
 دخل النصرانى وأكب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم . وقال أبو يعقوب الا قطع البصرى :
 جمعت بالحرم عشرة أيام ، فوجدت ضعفا فحدثنى نفسى بالخروج ، فخرجت الى الوادى
 لعلى اجد شيئا يسكن ضعفى ، فرأيت شاحمة وطروحة فاخذتها فوجدت فى نفسى منها
 وحشة ، وكان قائلا يقول لى : جمعت عشرة أيام وآخره يكون حظك شلجمة متغيرة
 فرجعت ودخلت المسجد وقعدت ، فاذا انا برجل أعجمى قد أقبل حتى جلس بين يدى
 ووضع قطرة وقال هذه لك ، فقلت كيف خصصتنى بها ؟ فقال أعلم انا كنانى البحر منذ
 عشرة ايام واشرفت السفينة على الفرق ، فنذرت إن خلاصنى الله أن اتصدق بهذه
 على اول من يقع عليه بصرى من المجاورين ، وأنت اول من لقيته ، فقلت افتحها
 ففتحها فاذا فيها لعك سميد مصرى ، ولوز مقشر ، وسكر كعاب ، فقبضت قبضة
 من هذا وقبضة من هذا وقبضة من هذا ، وقلت رد الباقي الى صبيائك هدية منى لهم
 وقد قبلتها ، ثم قلت فى نفسى رزقك يسير اليك من عشرة أيام وأنت تطلبه فى الوادى
 وقال عشاء الدينورى : كان على دين فاشتغل قلبى بسببه فرأيت فى النوم كأن قائلا
 يقول يا بخیل اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ وعلينا العطاء ، فما
 حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم ، وحكى عن بنان الحمال قال : كنت فى طريق
 مكة اجمى من مصر ومعى زاد ، فجاءتنى امرأة وقالت : يا بنان أنت حمال تحمل على
 ظهرك الزاد وتتوهم أنه لا يرزقك ؟ قال فرميت بزادى ، ثم أتى على ثلاث لم آكل ،
 فوجدت خلخالا فى الطريق فقلت فى نفسى أحمله - حتى يحى . صاحبه فرما يعطينى شيئا
 فارده عليه فاذا انا بتلك المرأة فقالت : أنت تاجر تقول عسى يحى . صاحبه فاأخذ
 منه شيئا ثم رمت الى شيئا من الدراهم وقالت : انفقها فاكتفيت بها الى قريب من مصر ،
 وحكى أن بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبط إلى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا اذا
 جاء النفير فنشترى ما يوافقك ، فلما ورد النفير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا انها
 تصلح له ، وقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية ؟ فقال انها ليست للبيع ، فألحوا عليه ، فقال

انها لبنان الحمال اهدتها اليه امرأة من سمرقند ، فحملت الى بنان وذكرت له القصة
وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال إن أكلته مات . فوكل الله به ملكا
فقال ان أكله فارزقه ، وان لم يأكله فلا تعطه غيره ، فلم يزل القرص معه الى أن
مات ولم يأكله وبقي القرص بعده . ويقرب منه ما في حياة الحيوان أن دودة أكلها
التراب وتموت جوعا خوفا من فراغه وحزنا على فراقه ، وكذا طير على ساحل البحر
يموت عطشا خوفا من نفاد ما فيه من الماء ، وقال أبو سعيد الخراز دخلت البادية بغير
زاد فأصابني فاقة فرأيت المرحلة فسرت بأن وصلت ، ثم فكرت في نفسي أني سكنت
واتكملت على غيره سبحانه ، فالتيت أن لا أدخل المرحلة الآن أحمل اليها فحضرت
لنفسى في الرمل حفيرة وواريت جسدى فيها ، فسمعوا صوتا علانيا في نصف الليل :
يا أهل المرحلة ان الله وليا حبس نفسه في الرمل فالحقوه ، فجاء جماعة فاخرجوني
وحملوني الى القرية . وروى أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فقال عمر يا هذا هاجرت
الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر ، فذهب الرجل حتى افتقده
عمر فاذاهو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر اني اشتقت اليك فما الذي شغاك عنا ؟ فقال اني
قرأت القرآن فاغتناني عن عمر وآل عمر ، فقال عمر رحمك الله فما وجدت فيه ؟ قال وجدت فيه
(وفي السماء رزقكم وما ترعدون) فقلت رزقي في السماء وانا أطلبه في الارض فبكى عمر وقال
صدقت ، وكان عمر بعد ذلك يجلس اليه ، وقال أبو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين
فبينما أنا أمشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعني نفسي أن أستغيث ، ثم قلت لا والله لا
أستغيث فما استتم هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما نعال حتى نسد رأس
هذا البئر لئلا يقع فيه أحد ، فأتوا بقصب وبارية وطموا البئر على رأسه فهممت ان أصبح
ثم قلت في نفسي الى من هو اقرب منهما فسكت فبينما انا بعد ساعة اذ انا بشيء . كشف عن
رأس البئر وادلى رجله وكان يقول تعلق بي في هممة له كنت اعرف له ذلك ، فتملقت
به فاخرجني فاذا هو سبع فر وتركني فتهف بي هاتف فقال : يا أبا حمزة اليس
هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا أقول :

اهابك ان أبدى اليك الذي اخفى	وانت علیم ما يلاحظه طرفي
نهاني هوای منك أن اكتم الحیا	واغنيتهني بالفهم منك عن الكشف
تلطفت في أمری فابدیت شاهدي	الى غائبی والطف يدرك باللطف
ترأيت لي بالغيب حتى كانمما	تبشرني بالغيب انك في الكهف
اراك وبني من هيبتي لك وحشة	فترنسي باللطف منك وبالعطف

وَالْأَصْلُ فِيهِ الْيَقِينُ. وَوَرَدَ مَنْ كَانَ غَرِيزَتُهُ الْعَقْلُ وَسَجِيَّتُهُ الْيَقِينُ لَمْ تَضُرَّهُ الذُّنُوبُ.
مِنْ أَفْضَلِ مَا أُوتِيَتْهُمُ الْيَقِينُ وَعَزِيْمَةُ الصَّبْرِ

وتحبي محبا كان في الحب حقه وذاعجب كون الحياة مع الحنف
فهذه احوال رجال ماتوا قبل الموت فلا لحقهم شيء من القوت. وفي هذا المقام قال من
قال: دع نفسك وتعال، ويان ذلك الحال ان تطيب نفس السالك لهذه المسالك
بالموت ان لم يات به رزقه علما بان رزقه هو الموت. والجوع وان كان نقصانا
في الدنيا فهو زيادة كمال في العقبى، فيرى انه سبق اليه من خير الرازقين ويعتقد انه سبحانه
خير الرازقين لما انه احسن الخالقين (والاصل) الذي عليه مدار امر الدين خصوصا
(فيه) اي في التوكل هو (اليقين) وقد قال تعالى (واعبد ربك حتى ياتيك اليقين)
اي عين اليقين فانه كان عليه السلام واتباعه الكرام في مقام علم اليقين، ولذا تفسيره
بالموت عند عامة المفسرين من الائمة المتبحرين. وقال عز وعلا (هدى للمتقين الذين
يؤمنون بالغيب) الى ان قال (وهم بالآخرة هم يوقنون) وقول على كرم الله وجهه:
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا، لانه انما يزداد وضوحا عينيا بعد ما كان ظاهرا
غيبيا، لما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع شمس النهار
بانه انسان في صورته وهيأته، بل يزداد وضوحا في عرفان تفصيل خلقته.
والحاصل انه ما يزداد اليقين من طريق العلم والبيان وانما يزداده باعتبار الظهور والعيان فينتقل
من علم اليقين الى عين اليقين وبرؤية الحق ينتقل من علم اليقين الى حق اليقين، ونظيره ان خبر
الكعبة متواتر عند كل سالك المناسك، فله علم اليقين في سلوك تلك المسالك الى ان يشاهد البيت
من بعيد فيشهد له بعين اليقين مع تأييد ثم اذا قبل الحجر الاسحمر والتزم الملتزم انتقل الى حق
اليقين في الحرم المحرم، والله سبحانه اعلم (وورد) عنه صلى الله عليه وسلم (من كان غريزته
العقل) اي طبيعته (وسجيته اليقين) اي خلقته وطويته (لم تضره الذنوب) اي ارتكابها
لانها يدعو الى سرعة التوبة عن اكسابها، والتائب من الذنب كمن
لا ذنب له في اجتنابها (من افضل ما اوتيتهم اليقين) في امر الدين (وعزيمة الصبر)
في مقام المجتهدين، قال تعالى (وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور)
وقال: (ومن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) ولا يني نعم في الحلية والبيهقي عن
ابي سعيد مرفوعا «ان من ضعف اليقين ان ترضى الناس بسخط الله؛ وأن تحمدهم

وَهُوَ عَدَمُ الشَّكِّ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ وَالِاسْتِيْلَاءُ عَلَى الْقَلْبِ فِي عِلْمِ الْآخِرَةِ قِيلَ ضَعْفُ
يَقِينُ فَلَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ مَعَ عَدَمِ الشَّكِّ فِيهِ وَقَوَى فِي الرِّزْقِ مَعَ الشَّكِّ فِيهِ وَبِجَارِيهِ
كُلُّ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ وَالْأُصُولُ . التَّوْحِيدُ وَبُلُوغُ الرِّزْقِ وَالْجَزَاءُ وَاطْلَاعُهُ
تَعَالَى عَلَى الْأَحْوَالِ وَالْجَدْوَى عَدَمُ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْمُسَخَّرَاتِ وَالْإِجْمَالِ فِي الطَّلَبِ
مَعَ تَرْكِ التَّأْسِفِ عَلَى الْفَوَاتِ وَالْإِقْدَامُ عَلَى الطَّاعَاتِ

على رزق الله وان اذمههم على ما لم يؤتكم الله ان رزق الله لا يجره اليك حرص حريص
ولا يرده كراهة كاره وان الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضاء
واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط (وهو) اى اليقين (عدم الشك) في
امر الدين (عند المتكلم) اى في علم الكلام (والاستيلاء) للامر (على القلب) باستعلاء
الرب (في علم الآخرة) المنتج للعمل في مرضات الله سبحانه وهذا التعريف عند المتصوفة
والفقهاء ولذا يوصف عندهم بالضعف والقوة والكمال والزيادة بخلاف غيرهم ومن هنا
(قيل) لمن جزع وقت الموت (ضعف يقين فلان عند الموت) كان الاظهر ان يقال في
الموت اى في حال وقوعه (مع عدم الشك) لاخذ من المسلم والكافر (فيه) اى في وجود
الموت وثبوته فهو يقين يشبه الشك (وقوى في الرزق) اى ويقال لمن ترك بالكلية مباشرة
الاسباب وتوكل على الله حق توكله بترك الاسباب قوى فلان في امر الرزق (مع الشك فيه)
اى في وجود الرزق اذ يحتمل عدمه بان يموت جوعا في مقامه (وبجاريه) اى محال اليقين
وبجاليه (كل ما جاء به الشرع) المبين (والاصول) لليقين اربعة (التوحيد) للحق
(وبلوغ الرزق) للخلق (والجزاء) على الاعمال (واطلاعه تعالى على الاحوال) سرا
وعلانية فانه يعلم السر واخفى (والجدوى) اى فائدة اليقين اربعة ايضا (عدم الالتفات الى
المسخرات) من العاويات والسفليات (والاجمال في الطلب) اى طلب الرزق في الحديث
واجملوا في طاب الدنيا فان كلاما ميسر لما كتب له منها رواه ابن ماجه وغيره من حديث ابي حميد
الساعدي والمعنى ا كسبوا المال بوجه جميل وهو ان لا تطلبه الا بالوجه الشرعى وتصحيح
النيات في المقامات (مع ترك التأسف على الفوات) قال تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم)
اى من الدنيا وورد «من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة، ومن
أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة» اخرجه البزار في مشيخته
عن ابي عمرو (والاقدام على الطاعات) اى واكتساب العبادات

مَعَ الْإِمْتِنَاعِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي إِصْلَاحِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ ۝

﴿ الْخَاتَمَةُ فِي الْمَحَبَّةِ وَالسُّلُوكِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَوَرَدَ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»

﴿ مع الامتناع عن المعصية ﴾ أى مع الاجتناب عن جميع السيئات ﴿ والمبالغة في اصلاح الظاهر والباطن ﴾ بتحصيل الاخلاق والشمائل وتحسين الاحوال والفضائل ۝

﴿ الخاتمة في المحبة والسلوك ﴾

أى وسلوك طريق المحبة وسبيل المودة ، ومن لم يعترف من بحر المعرفة لم يعترف بحقيقة المحبة مع غير الجنس والمثل والصفة . وقال لامعني لها الا المواظبة على الطاعة ، ولما انكر المحبة انكر الانس والشوق والذوق ، والمحور والصحو ، والفناء والبقاء ، والقبض والبسط ، وسائر لوازم المحبة وتراجم المودة ، وسائر مقامات أهل المعرفة . وسيجىء كشف الغطاء عن هذه الحالة ببيان الكتاب والسنة ۝

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ تنجلى الامور وتنشرح الصدور . والامة مجمعة على أن الحب لله ورسوله فرض ، فكيف يفترض ما لا وجود له ، وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تتبع الحب وثمرته ، فلا بد أن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب ﴿ وورد ﴾ في التنزيل ما يقوى هذا التأويل ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ أى تدعون محبته ﴿ فاتبعونى ﴾ فانى رئيس المحبين فى سلوك المودة ﴿ يحببكم الله ﴾ كما احببني وسماني حبيب الله ، وللاتباع حظ من متبوعهم بقدر الاتباع . وما يدل على اثبات الحب لله قوله عز وجل (يحبهم ويحبونه) ثم فى قوله سبحانه (والذين آمنوا أشد حبا لله) دليل على إثبات الحب ومناقبه والتفاوت فى مراتبه ﴿ لا يؤمن أحدكم ﴾ ايمانا كاملا او ايمانا أصلا ﴿ حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ﴾ من الولد والوالد وما عداهما . والحديث رواه الشيخان من حديث أنس بلفظ لا يجد احد حلاوة الايمان حتى ، الحديث . وعن أبى رزين العقيلي أنه قال يا رسول الله ما الايمان ؟ قال : الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما ، وفى الصحيحين من حديث أنس أيضا : لا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب إليه من ولده ووالده والناس اجمعين ،

وفي رواية لها «ومن نفسه». وللبخاري من حديث عبد الله بن هشام «قال عمر يا رسول الله لانت أحب الى من كل شيء الا نفسي، فقال لا والذي نفسي بيده حتى اكون أحب اليك من نفسك، قال عمر أنت الآن والله أحب الى من نفسي، فقال الآن يا عمر، يعني آمنت وهو خبر؛ ويحتمل أن يكون استغفهما. ولعل هذه الاحاديث مقتبسة من قوله سبحانه (قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامر) فان ذلك جرى مجرى التهديد والانكار، والقصد به الاثبات والاقرار، ونبه عليه السلام على تفاوت المحبة بينه وبين الله سبحانه في هذا المقام بقوله «احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، واحبوني لحب الله لياي» فأشار الى أن محبة الله اصالة ومحبة عليه السلام تبعية كما يقتضيه مقام الربوبية والعبودية. ويروى «أزرجلا قال يا رسول الله إني أحبك قال فاعد للفقير تجففا» رواه الترمذي وحسنه، وعن عمر رضي الله عنه أنه عليه السلام نظر إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تمتطق به فقال عليه السلام: انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبرين يغذيانه باطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله الى ما تزون، رواه أبو نعيم في الحلية باسناد حسن. وفي الصحيحين من حديث أنس وابن مسعود وأبي موسى «قال اعراني يا رسول الله متى الساعة؟ قال ما أعددت لها؟ فقال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا أني أحب الله ورسوله، فقال له عليه السلام: المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك» وقال الصديق: من ذاق خالص محبة الله شغلته ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر أي من أرباب الدنيا. وقال الحسن: من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها. والمؤمن لا يلهو حتى يغفل، فاذا تفكر حزن. وقال أبو سليمان الداراني: إن من خاق الله تعالى خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا. ويروى: أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نخلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم، فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا الخوف من النار، فقال حق على الله أن يؤمن الخائف. ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيراً، فقال ما الذي بلغكم الى ما أرى؟ فقالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم ما ترجون. ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيراً كأن وجوههم المرأيا من النور؛ فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا الحب لله

وَالْحُبَّةُ أَعْظَمُ الْمَقَامَاتِ وَأَهَمُّ الْمُهَمَّاتِ وَهِيَ مِيلُ النَّفْسِ إِلَى الْمُوَافِقِ

عز وجل ، فقال أتم المقر بون أتم المقر بون أتم المقر بون . وقال هرم بن حيان إذا عرف المؤمن ربه أحبه وإذا أحبه أقبل عليه وإذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ، ولم ينظر الى الآخرة بعين الفتره وهو بجسده في الدنيا وبروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ : عفوهُ يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ، ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه ، ورحبه يدهش العقل فكيف وده ، ووده ينسى مادونه فكيف لطفه . وقال يحيى بن معاذ : مثقال خردلة من الحب أحب إلى من عبادة سبعين سنة بلا حب ، وقال أيضا : إلهي اني مقيم بغنائك مشغول بثنائك أخذتني اليك وسربلتني بقربك وامكنتني من لطفك وثقلتني في الأحوال وقلبتني في الأعمال سترت توبتي وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقينني من حياضك وتحملني في رياضك ، ملازما لأمرك مشغوبا بقولك ، ولما طر شاربي ولاح طائلي فليفت انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت منك هذا صغيرا ، ولي مابقيت حولك دندنة ، وبالصراعة اليك همهمة لأنني أحبك ، وكل حبيب بحبيبه مشغوف ، وعن غير حبيبه مصروف () والمحبة أعظم المقامات وأهم المهملات () فقليل : المحبة محو المحب بصفاته ، واثبات المحبوب بذاته وقيل المحبة ايثار المحبوب على المصحب . وقيل مشاهدة الحبيب في المشهد والمغيب وقيل المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك في مقام المطلوب . وقيل المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب عن ادراك نهايته وتمنع الألسن عن عبارتها وقال الجنيد : حرم الله المحبة على صاحب العلاقة وقال : كل محبة تكون بعوض فإذا زال العوض زالت المحبة ، وعن ذي النون : قل لمن أظهر حب الله احذر أن تركز إلى غير الله () وهي () أي المحبة () ميل النفس الى الموافق () أي الى ما يوافق هواها ولا ينافي مشتهاها ، وتوضيحه ان المدركات تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلذذ ويلتزمه والى ما لا ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه باي لام ولا التئام فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما كان في ادراكه ألم ومحنة فهو مبغوض عنده وما يخلو عن استعقاب لذة وراحة وألم وشدة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها ، فاذن كل لذيق محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ، ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملتذ ، فان تأكد ذلك الميل وقري سمي عشقا وشوقا والبغض عبارة عن نفرة

وَلَا لَذَّةَ أَعْظَمَ مِنْ حُبِّهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَتِهِ ، فَلَا أَدْنَى الْمَطْعَمِ ثُمَّ الْمَنَكْحِ ثُمَّ الْجَاهُ ثُمَّ الْعِلْمُ ، وَيُعْرَفُ بِتَرْكِ الْأَدْنَى وَاسْتِحْقَارِهِ عِنْدَ وَجْدَانِ الْأَعْلَى

الطبع عن الماؤم المتعب ، فاذا قوى سعى مقنا . ويقال سحقاء ثم لما كان الحب تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات بالحواس ، فكل حاسة نوع من المدركات ولكل واحدة منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم ، فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور الحسنة المايحة ، ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ، ولذة الشم في الروائح الطيبة ، ولذة الذوق في الاطعمة المستلذة ، ولذة اللمس في اللينة والنعومة ، ثم لذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله لا يدرك بالحواس ولا يتمثل بالخيال فلا يجب فاذا قد بطل خاصية الانسان وما يميز به عن الحيوان من الحس ، السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل وإما بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيئات فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر كما يشير اليه قوله سبحانه (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) والقلب أشد ادراكا من العين ولذا قال تعالى: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) و(إلا من أتى الله بقلب سليم) وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار ولذا قال تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) و(ان في ذلك آيات لقوم يعقلون) فتكون الاحمال لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تخلو عن ادراكها الحواس ابلغ واتم ، فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح القويم اليه اقوى واهم ، ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة ولا لذة اعظم من محبته تعالى ومعرفته (فلا ينكر اذن حب الله الا من قعد به القصور عن درجة البهائم غفلا ، فلم يجاوز ادراكه الحواس أصلا) (فالادنى) من اللذات (المطعم) أى لذة الاكل والشرب من المستلذات (ثم المنكح) من المشتهايات ، وذلك بالنسبة الى المكلف والافالصبي عنده بعد الاكل تمام لذته لله واللعب (ثم الجاه) الصورى (ثم العلم) بالامر الضرورى (ويعرف) الترقى (بترك الادنى واستحقاره عند وجدان الاعلى) واستقراره ، كما أن المرأة الثيب إذا ارادت زوجا فخيرت بين غنى عينين وفقير رجول فالغالب أنها لا تختار الغنى ، لاسيما اذا كانت غنية ولها قوة شبيهة ، فعلم أن

وَاسْتَكْرَاهُ الْبَعْضُ لِلْعِلْمِ لِلنَّقْصِ كَاسْتِكْرَاهِ الْمَرِيضِ الْمَطْعَمَ وَالصَّبِيَّ الْمَنَكْحَ ، وَالْعِلْمُ بِهِ تَعَالَى أَشْرَفُ الْعُلُومِ فَشَرَفُهُ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ ، وَمِنْ ثَمَّ تَكُونُ الْفَتَوَى أَشْرَفَ مِنْ الْخِيَاطَةِ ، وَالرُّؤْيَا لَهُ سُبْحَانُهُ أَذْمَنُهُ لِازْدِيَادِ الْكَشْفِ فِيهَا ، فَالَّذَةُ بِاعْتِبَارِ هَذَا وَسَيِّئِهَا الْكَمَالُ فَهُوَ مَحْبُوبٌ طَبْعًا وَمِنْ ثَمَّ أَحَبُّ الْعَالَمِ وَالصَّالِحِ

لذة المنكح أعلى من لذة المطعم. ثم لو فرض انها كانت من اشراف القوم ، وفرض أن الرجولية زالت من الناس الا من ارادهم كالكناسين والدباغين فالغالب أنها لا تختار زوجا من هذه الطائفة ولو كان غنيا وفي الشهوة قويا ، فعلم أن لذة الجاه أعلى من لذة المنكح ثم لو فرض شريف ذو نسب ذاق لذة العلم وايسر في البلد عالم الا من اراد ان القوم المذكورين فالغالب أنه لا ياتف أن يحضر في مجلس هذا العالم ليستفيد منه العلم ، فعلم أن لذة العلم أعلى من لذة الجاه ، وكذا النخير بين النظر الى صورة جميلة وبين استنشاق رائحة طيبة اذا اختار النظر الى حسن الصورة علم به أن الصور الجميلة عنده ألذ من الروائح الطيبة ، وكذا اذا حضر الطعام واستمر اللاعب بالشطرنج علم أن لذة اللعب عنده أقوى من لذة الاكل (واستكراه البعض العلم للنقص) في مثاله (واستكراه المريض المطعم) لعلة في حاله (والصبي المنكح) لعدم بلوغ مثله ، والا فلا يخفى أن في العلم والمعرفة لذة حتى أن الذي ينسب الى العلم ولو بشيء خسيس كالشطرنج ونحوه من الكيمياء والسيمايا وأمثاله يفرح به ، والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم بسببه . ثم مراتب العلم متفاوتة باعتبار تفاوت المعلومات (والعالم به تعالى اشرف العلوم فشرفه) أي العلم (بشرف المعلوم) وايت شعري هل في الوجود شيء أجل واعلى واكمل واغنى من خالق الاشياء ومكملها ، ومزينها ومبديها ، ومعيدها ومديرها ومرتبها فالذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله في مصنوعاته وتديره في ارضه وسمواته (ومن ثم تكون الفتوى) بل الكتابة (اشرف من الخياطة) ونحوها من الصياغة والصباغة (والرؤية له سبحانه الذمته) أي من العلم به (لازدياد الكشف) في معرفة ذاته وصفاته (فيها) أي في الرؤية حال تجلياته (فاللذة باعتبار هذا) المعلوم وازدياد الكشف المفهوم (وسببها) أي موجب المحبة وباعثها (الكمال) في الجمال (فهو) أي الكمال (محبوب طبعاً) ولو في زيادة الجاه والمال (ومن ثم أحب العالم) لما له كال في العلم (والصالح) لما له كال في العمل لا لصورتهما

وَالْوَجْهُ الْجَمِيلُ وَالْكَلَامُ الْبَلِغُ وَالْإِحْسَانُ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ عَيْدُهُ وَلَا كَيْلَ إِلَّا لَهُ تَعَالَى

الظاهرة بل لسيرتها الباطنة الباهرة ، فان الطباع مجبولة على حب الانبياء والعلماء والاولياء مع أنهم لم يشاهدوا لهم شيئا من الاشياء ، ومنه حب ارباب المذاهب كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم من المشايخ ، حتى أن الرجل قد يتجاوز به حبه لصاحب مذهبه أو مشربه حد العشق بسببه فيحمله ذلك على أن ينفق جميع ماله في نصرته مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يظمن في إمامه أو شيخه فكمن دم أريق في نصرته المذاهب باختلاف المراتب فليت شعري من يحب متبوعا من عالم أو صالح فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته وهياته فاستحسانه الذي حمله على افراط حبه انما هو لاستحسان سيرته وهي صورته الباطنة لا صورته الظاهرة (والوجه الجميل) لما له من صورة الجمال (والكلام البليغ) لما له من سيرة أهل الكمال (والاحسان فان الانسان) أي نفسه (عييده) أي عييد الاحسان . وفي نسخ الاحياء عبد الاحسان وهو أظهر لحمله على الانسان ، والمعنى أنه قد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء عليها كما ورد ، وقد ورد أيضا « اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي » كما رواه الديلمي وهذا المقام اذا حقق رجع الى الاول فان المحسن من أمد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وتتمام الشهود وهو من جملة الكمال الا ان الاول كمال لذاته ، وهذا من عوارض صفاته ، بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك وأصحاب المال في اقطار الارض العدل والاحسان غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه لبعد المزار وتناى الديار ، فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من أحسن اليه فقط ، بل المحسن في نفسه محبوب وإن كان لا ينتهي احسانه قط الى المحب ، لان كل جمال وحسن فهو محبوب ، فالصور ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما ، وتذكر الصورة الظاهرة بالبصر الظاهر ، والصورة الباطنة بالبصيرة الباطنة ، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ، ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الخواص الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة ، فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة (ولا كمال) في الجمال والجلال (إلا له تعالى) شأنه وهو الملك

وَلَا إِحْسَانَ إِلَّا مِنْهُ وَالْأَعْلَى أَنْ يُحِبَّ لِدَاثِهِ وَهُوَ مِنَ الْمَوَاهِبِ بِخِلَافٍ غَيْرِهِ
ثُمَّ لِلْكَامِلِ ثُمَّ لِلْإِحْسَانِ وَهُوَ مَحَبَّةُ النَّفْسِ فِي الْحَقِيقَةِ

المتعال (ولا احسان إلا منه) كما يشير اليه قوله تعالى : (وما بكم من نعمة فمن الله)
(والاعلى أن يحب) أى الله (لذاته) مع قطع النظر عما تقتضيه صفاته الجمالية من
رجاء الجنة ، ونعوته الجلالية من خوف العقوبة ، وما ترجبه صفات الافعال من الاكرام
والاحسان والانعام (وهو) أى الحب الذى لذاته (من المواهب) الدنية والمراتب
العندية دون المكاسب العبدية كما ردد « نعم العبد صيب لولم يخف الله لم يعصه » (بخلاف
غيره) أى غير الحب لذاته من انواع الحب الآتية المعبر عنها بقوله (ثم للكمال ثم
للاحسان وهو) أى الحب الذى للاحسان (محبة النفس) أى نفس المحب (فى الحقيقة)
وإن كان يطلق عليه محبة الله فى ظاهر الشريعة والطريقة ، فاذأ يرجع الفرق الى تفاوت
الرتبة ، وإلا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه . فكل من أحب المحسن لاحسانه
فما أحب ذاته تحقيقا ، أى بل أحب احسانه ، وهو فعل من أفعاله لو زال زال الحب مع
بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ، وتتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان
ونقصانه . وفى الاحياء إن الانسان لا يحب نفسه ، ولا يخفى أنه قد يحب غيره
لاجل نفسه ، وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه ، هذا بما قد يشكل على
الضعفاء حتى يظنوا أن لا يتصور أن يحب الانسان غيره لذاته مالم يرجع منه حظ
الى المحب سوى ادراك ذاته . فالحق أن ذلك متصور وموجود ، ولاهل الكمال مدرك
ومشهود ، وذلك كحب الجمال فان كل جمال محبوب عند كل مدرك للجمال ، وذلك
لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ، ولا يظن
أن الصور الجميلة لا تتصور الا لقضاء الشهوة ، فان قضاءها اذة اخرى قد تحب
الصور الجميلة لاجلها ، وادراك نفس الجمال أيضا لذيقه فيجوز ان يكون محبوبا
لذاته ، وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجارى محبوبان لا يشرب الماء ولا تؤكل
الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية ، فقد كان عليه السلام يحب الخضرة
والماء الجارى كما روى أبو نعيم فى الطب النبوى من حديث ابن عباس ؓ أنه عليه
السلام كان يحب أن ينظر الى الخضرة والماء الجارى والطباع السليمة من العوارض
السقيمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان

والآثار حتى أن الانسان لتفرج عنه الغيوم بالنظر اليها لالطلب حظ وراء النظر اليها ، فاذا ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله ، لما ورد « أن الله جميل يحب الجمال » رواء مسلم من حديث ابن مسعود . هذا وقد يكون الموجبة للمحبة مناسبة خفية بين المحب والمحبوب ، اذ رب شخصين يتأكد الحب بينهما لاسبب جمال او حظ مال بل بمجرد تناسب الارواح دون تشاغل الاشباح ، لما ورد الارواح جنود مجندة فاتعارف منها اثنتان وفاتناكر منها اختلف ، رواء مسلم من حديث أبي هريرة . والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين . ثم اعلم أن المستحق للمحبة إنما هو الله وحده ، وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفته ، وإنما يحب غيره من الانبياء والاصفياء لكونهم أحياء له سبحانه ومحبوب المحبوب محبوب ، ولأن أسباب المحبة المتقدمة مجتمعة في حقه سبحانه بحملتها على وجه الدوام والكمال ، وأما في حق غيره تعالى فلا يوجد الا أحادها على وجه النقصان والزوال ، وانها حقيقة في حقه عز وجل وفي حق غيره مجاز محض ، بل وهم وتخيل صرف لاحقيقة لها في شهودهم لما في وجودهم فإن العبد لا وجود له من ذاته ، بل هو محو محض وعدم صرف ، لولا فضل الله عليه بالايجاد ، وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء والامداد ثم المحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ؛ واذا قال الحسن من عرف ربه أحبه ، ومن عرف النار بعد منها ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، ثم الله سبحانه هو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان من غير غرض ولا عوض ، بخلاف احسان الانسان مع ان احسانه أيضا من جملة احسان الملك المنان ، بل الاحسان على وجه الكمال من غيره محال ، فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته ، فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان . ثم العلم من اسباب المحبة فأين علم الاولين والآخرين من علم الله تعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ، ولقد خاطب الخلق كلهم فقال (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) بل لو اجتمع أهل الارض والسماء أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطالعوا على عشر عشرة كما قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) فالقدر اليسير الذي عليه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه لما قال تعالى (خلق الانسان عليه البيان) ثم لا قدرة ولا قوة الا بالله فان العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ،

وأما ما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وب نفسه ، بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه ، والممكن له من ذلك ولو ساط بعوضة على أعظم ملك وأقوى ملك لاهلكته ، فليس للعبد قوة الا بتمكين مولاه كما يشير اليه حديث « لا حول ولا قوة الا بالله » ، ولما قال في أعظم ملوك الارض (لما مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سيبا) (والسموات مطويات بيمينه) والارض ومن عليها جميعا في قبضته وناصية جميع المخلوقات بيد قدرته ، إن أهلكتهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه ومملكته ذرة ، وإن خاق أمثالهم ألف ألف مرة لا يزيد في كماله سبحانه ذرة ، وليس كمال لغير الله الا بقدر ما أعطاه . وأما كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه ونعته كما قال سيد المرسلين عليه السلام « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وقال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك ادراك فسبحان من لم يجعل للمخلوق طريقا إلى معرفته الا بالعجز عن معرفته . فالواجب على العبد أن يحب الله لجمال ذاته وكمال صفاته لا لغرض ولا لغرض مما يلائم قلب العبد من حالاته ولذا أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام « إن أود الأوداء إلى من عبدني لغير نوال ولكن ليعطى الربوية حقها . وفي الزبور : ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لولم أخاق الجنة ونار المأكن أهلا ان أطاع . ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نخلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال : مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتهم . ومربقوم آخريين كذلك فقالوا انعبده حبا له وتعظيما لجلاله ، فقال أتم أولياء الله معكم أمرت أن أقيم . وقال أبو حازم اني أستحي أن أعبد الله للعقاب والثواب فأكون كالعبد السوء اذا لم يخف لم يعمل أو كالأجير السوء ان لم يعط أجرأ لم يعمل . ثم المناسبة المحبة بين الله وعبده انه أمران يتخاق بأخلافه في اكتساب محامد الصفات التي هي من النعوت الالهية كالعلم والبر والاحسان واللفظ وافاضة الرحمة على الخلق والنصيحة والارشاد لهم الى الحق ، فكل ذلك يقرب العبد من الله سبحانه قرب الصفات ويشير إلى تلك المناسبة قوله تعالى (انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق) اذ لم يستحق داود خلافة الله إلا بتلك المناسبة ، واليه يوصى قوله عليه السلام « ان الله خالق آدم على صورته ، أي صفته السكالية من النعوت الجمالية والجلالية . وقد ظن القاصرون أن لا صورة الا الصورة الظاهرة فشبها وجسموا وصوروا تصويراً كثيراً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، واليه الاشارة بقوله تعالى في الحديث القدسي « مرضت فلم يعدني

وَأَثَارَهَا الشَّوْقُ فَوَرَدَ طَالَ شَوْقُ الْأَبْرَارِ إِلَى لِقَائِي

قال وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان ولو عدته لوجدتني عنده ، وهذه المناسبة لا تظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض واتمام الشرائع كما قال تعالى « لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به » كما رواه مسلم من حديث أبى هريرة وهذا موضع يجب فيضان العلم عنه ، فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر ، والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد ، وقالوا بالحلول ، حتى قال بعضهم : انا الحق . وضل النصارى فى عيسى وقالوا هو الاله . وقال آخرون تدربت الناسوت باللاهوت . وقال آخرون اتحد به كما تقول الجودية وهم طائفة ابن عربى بالمعنى . وأما الذين انكشفت لهم استحالة التشبيه والتمثيل والاتحاد والحلول ، واتضح لهم فى ذلك حقيقة التنزيه فهم الاقلون عددا والا كثرون عددا ، ولعل ابا الحسن الثورى كان ينظر من هذا المقام اذ غلبه الوجد فى قول القائل هذا الكلام .

لازلت انزل فى وداك منزلا تحير الالباب عند نزوله

﴿ وَأَثَارَهَا ﴾ أى نتائج المحبة وثمراتها خمسة ﴿ الشوق ﴾ وهو غلبة المحبة فى مقام الذوق ﴿ فورد طال شوق الابرار الى لقائى ﴾ قال أبو الدرداء لكعب : اخبرنى عن اخص آية يعنى فى التوراة ، فقال يقول الله تعالى : طال شوق الابرار الى لقائى ، ولانى الى لقائهم اشد شوقا . وقال : مكتوب فى جانبها من طلبى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى . فقال أبو الدرداء : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا فى الاحياء وسكت عنه مخرجه . ومن دعاء نبينا عليه السلام كما اخرجہ النسائي والحاكم « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر الى وجهك ، وشوقا الى لقائك » وكان ابراهيم بن ادهم من المشتاقين ، قال فقلت يوما يارب إن أعطيت أحدا من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقائك فاعطى ذلك فقد اضر بنى القاق . قال فرأيت فى النوم أنه واقفنى بين يديه وقال : يا ابراهيم أما استحييت منى أن تسألنى أن اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائى ، وهل يسكن قلب المشتاق قبل لقاء حبيبه ؟ فقلت يارب تهت فى حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لى وعلبنى ما اقول ، فقال قل : اللهم رضى بقضائك ، وصبرنى على بلائك ، واوزعنى شكر نعمائك . وأوحى الله الى داود عليه السلام : يا داود لويلعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقى بهم

وَهُوَ غَلْبَةُ التَّطَلُّعِ مِنْ وَرَاءِ حُجْبِ الْغَيْبِ إِلَى الْجَمَالِ وَأَنْبِعَاثُ الْقَلْبِ إِلَى الطَّلَبِ
وَبِالْمَوْتِ شَوْقُ اللَّقَاءِ لِحُصُولِهِ وَلَا يَرْتَفِعُ شَوْقُ زِيَادَةِ الْإِنْكَشَافِ ، فَلِلرُّؤْيَا
مَرَاتِبُ لَا تَنْتَاهِي

وشوقى الى ترك معاصيهم لما نوا شوقا الى ، وتقطعت اوصالهم من محبتي . يادارود هذه
ارادنى فى المدبرين عنى فكيف ارادنى بالمقبلين على . يادارود احوج مايكون عبدى
الى اذا استغنى عنى وارحم ما كون بعبدى اذا ادبر عنى واجل مايكون عبدى اذا رجع
الى (وهو) أى الشوق (غلبة التطلع) أى الاشراف (من وراء حجب الغيب الى
الجمال) أى جمال الحق وسبحان من احتجب بأشراق نوره واخفى عن البصائر والابصار
لشدة ظهوره ولذا قيل :

لقد ظهرت فما تخفى على أحد هـ الا على ا ك ه لا يبصر القمر

لكن بطنت بما ظهرت محتجبا هـ فكيف يعرف من بالعزة استترا

فهو الاول والاخر والظاهر والباطن (وانبعث القلب الى الطلب) أى وقيام قلب
العبد الى طلب الرب فلقد كان الخواص يضرب صدره ويقول واشوقاه الى من يرانى
ولا أراه ويقال الشوق نار الله الموقدة من نور بلائه لاهل ولائه أشعلها فى قلوب
أوليائه حتى يحرق بها مافى قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات
فيكونوا من خلاصة أصفيائه (و) يرتفع (بالموت شوق اللقاء) أى الملاقاة (لحصوله)
حال النزع والاشراف (ولا يرتفع شوق زيادة الانكشاف) وهى الرؤية المعبر عنها
بالزيادة فى قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (فللرؤية مراتب لا تنتاهى)
لعدم تناهى التجليات الالهية الصمدية الازلية الابدية ومن جهة عدم نهاية التجليات
الجمالية لاهل الجنة قال تعالى (لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد) فتزايد النعم ساعة
فساعة كما يشير اليه قوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا
من قبل) أى صورة (وأتوا به متشابهاً) أى سيرة لان الثانى يزيد على الاول لذة
وكذا من جهة عدم نهاية التجليات الجلالية لاهل النار قال عز وعلا (فذوقوا فلن
نزيدكم الا عذابا) (كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب)
فلا يدخل تحت الحصر درجات أهل النار كما لا يدخل فى حيز الحصر درجات اهل
الجنة فكل عارف فى جنة عرضها السموات والارض من غير ان تضيق على مثله

اصلا إلا انهم يتفاوتون في سعة منتزهاتهم بقدر درجاتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم في مقاماتهم فهذا القدر ينبتك على ان معرفة الله تعالى الذ الاشياء ولذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا فالرؤية بقدر المعرفة لان المعرفة هي البدر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة لما تنقلب النواة شجرة ومن لم يعرف الله في الدنيا لا يراه في العقبى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات مختلفة ولذا قال عليه الصلاة والسلام « ان الله يتجلى للناس عامة ولا يبي بكر خاصة » كادوا ابن عساكر من حديث جابر وذلك لانه افضل الناس بسروقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفراد به في سره ، وتوضيحه أن طيبة الجنة ان لكل واحد فيها ما يشتهيه ، فمن لم يشته الا لقاء الله فلا لذته في غيره بل ربما يتأذى به ، فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله وحب الله بقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر عنها الشرع بالايمان والاسلام والاحسان والله المستعان . وللمارفين في معرفتهم وفكرتهم لمناجات الله لذات لوعرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة المحبة ثم الواعلون الى رتب المعرفة ينقسمون الى الاقوياء المرادين المجذوبين فيكون أول معرفتهم لله تعالى ، ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء المرادين من المجتهدين فيكون أول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى (أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) وبقوله (شهد الله أنه لا إله إلا هو) ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك؟ قال عرفت ربي ولولولاري لما عرفت ربي والى الثاني الاشارة بقوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) الآية وبقوله (أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض) وبقوله (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين والواسع على السالكين واليه أكثر دعوة القرآن المبين ، فالعارف لا يرى غير الله ولا يعرف سواه ويعلم انه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة فلا وجود لها بالحقيقة ، وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ، ومن هذا حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا ويرى فيه الماعل ويذهل عن العمل من حيث انه أرض وسماء وشجر وماء بل ينظر فيه من حيث أنله صانعا فلا يكون نظره مجازا له إلى غيره فكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليها من حيث انها فعل الله كان الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذي يقال انه في في التوحيد وانه في عن نفسه

وَالْأَنْسُ وَهُوَ غَلْبَةُ الْفَرَحِ بِالْقُرْبِ إِلَى الرَّبِّ وَقَصْرُ النَّظَرِ عَلَى الْمُطَالَعَةِ

واليه الإشارة بقول من قال: كنا بنا فغيبنا عنا فبقينا نحن بلانحن ه ولذا قال أبو سليمان الداراني: إن لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله، وفي أخبار عيسى عليه السلام: إذا رأيت الفتى مشغوقا بطلب الرب فقد ألهاه ذلك عما سواه، وقال أبو سليمان أيضا: من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغولا بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغولا بربه وقال الثوري لرابعة: ما حقيقة إيمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا رجاء لجنته فأكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه. وقالت في معنى المحبة:

أحبك حبين: حب الهوى وحب لآلئك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وأعلمنا أرادت بحب الهوى حب الله لأحسانه اليها، وبإناعامه عليها بالحفظ والعاجلة، وبجبه لما هو أهل له الحب لجلاله وجماله الذي انكشف لها، وهو أعلى الحبين واقواها. وقد قيل لرابعة: ما تقولين في الجنة؟ قالت: الجارم الدار، فبينت أن ليس في قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب الجنة، وبذلك يشير قول آسية (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة)،

هذا ومن عرف الله عرف أن اللذات المفرقة والشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال:

كانت بقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت منذ رأيتك العين أهوائى
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولاتى
تركيت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يادبنى ودنيايى
وقال بعضهم: وهجره أعظم من ناره ه ووصله أطيب من جنته

وما أرادوا بهذا الاشارة لذة القلب في معرفة الرب على لذة الأكل والشرب والجماع ونحوها، فإن الجنة معدن تمتع الحواس، فأما القلب فلذته في لقاء الله في مقام الايناس (والانس) أيضا من آثار المحبة (وهو) أى الانس (غلبة الفرح بالقرب إلى الرب وقصر النظر على المطالعة) أى مراقبته ومشاعبدته، ومن هنا قيل: الاسيقناس

وَيَفَارِقُ الشَّوْقَ بِكَوْنِهِ حَالَةً الْإِضَافَةِ إِلَى الْحَاضِرِ وَذَلِكَ إِلَى النَّائِي

بالناس علامة الافلاس ، ومن أنس بالله توحش عن خلق الله . وفي اخبار داود عليه السلام : أن الله تعالى قال : يا داود ابلغ أهل ارضي أني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسنى ، وانيس لمن انس بذكرى ، وصاحب لمن صاحبنى ، ومختار لمن اختارنى ، ومطيع لمن اطاعنى ، ما احبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسى واحببته حبا لا يتقدم اليه احدهم من خلقي ، من طلبنى بالحق وجدنى ، ومن طلب غيرى لم يجدنى فارفضوا يا أهل الارض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتى ومصاحبتى وبجالتى وسدوها فأنسوا بى اونسكم واسارع الى محبتكم ، فاني خلقت طينة احبابى من طينة ابراهيم خليلي ، وموسى نجيبى ، ومحمد صفيى . ولاني خلقت قلوب المشتاقين من نورى ، ورقمتها بجلالى وفي اخبار داود عليه السلام أيضا : أن الله أوحى اليه قل لعبادى المتوجهين الى محبتى : ما ضررهم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا الى بعيون قلوبكم ؟ وما ضرركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت لكم كرامتى ؟ وما ضرركم سخط الخلق اذا التستم رضائى . وفي اخباره أيضا : أن الله أوحى اليه ان كنت تحببني فأخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبا لا يجتمعان في قلب يا داود خالص أحببني مخلصا وخالط أهل الدنيا مخلصا . ومن هنا قيل : علامة الانس بالحق ضيق صدر صاحبه من معاشره الخلق واستهتاره بعذوبة الذكر ولذا ذه الفكر فان خالط فهو منفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر ، وحاضر في سفر ، وشاهد في غيبة ، وغائب في شهرد ، ومخالط بالغالب ومباين بالقلب . (ويفارق) الانس (الشوق بكونه) أى الانس (حالة الاضافة الى الحاضر وذلك) أى الشوق حالة الاضافة (الى النائي) أى البعيد الغائب ، ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له : انت مشتاق ؟ فقال لا انما الشوق الى الغائب ، فاذا كان الغائب حاضرا قل من اشتاق ، فهذا كلام مستغرق بالفرح لما ناله غير ملتفت الى ما بقى في الامكان من مزايا اللطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا فى الانفراد والخلوة كما حكى ان ابراهيم بن آدم نزل من الجبل فقليل له : من أين أقبلت ؟ فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يقتضى التوحش من غير الله ، بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من امثل الاشياء على القلب . كما روى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرًا لا يسمع كلام أحد من الناس الا اخذه الغشيان ، لان الحب يوجب

وَيُجِدِّي الْإِنْبِسَاطَ كَمَا وَرَدَ (رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُجِيبِي الْمَوْتَى - رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ)
 أَنْجَحَ فِي الْأَوَّلِ لَوْجُودِ الشَّرْطِ ، وَاعْتَذَرَ فِي الثَّانِي لِفَقْدِهِ ، وَلَوْلَا الْإِنْسُ لَعُوتِبَ
 كَمَا احْتَرَقَ قَوْمُ الْكَلِيمِ

غذوبة كلام المحبوب وغذوبة ذكره المطلوب . فتخرج غذوبة مأسواه من القلوب ،
 وقال بعض الحكماء في دعائه . يا من آتسنى بذكره واوحشني من خلقه . قال الله تعالى
 لداود عليه السلام كن بي مستأنسا ومن سوائى متوحشا ، وقيل لرابعة : بم نلت هذه
 المنزلة ؟ قالت بترى ما لا يعينني وانسى بمن لم يزل . وقيل من ذق حلاوة الوحدة استوحش
 من نفسه الوحدة . وكأنه يشير الى قول من قال : هو وجودك ذنب لا يقاس به ذنبه
 وعن علي كرم الله وجهه في وصف أهل الانس من خواص الانس : هم قوم
 هجم بهم الامر على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون ،
 وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بآبدان ارواحهم معلقة بالمحل الاعلى
 اوائك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه وقد قيل :

الانس بالله لا يحويه بطل وليس يدركه بالحول محتال

والآنسوز رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال

(ويجدى) أى يشعر الانس (الانبساط) أى النشاط على حاشية البساط
 بالأقوال والأفعال والمناجاة على سبيل الادلال (كما ورد) فى التزئيل : (واذا قال
 ابراهيم رب ارنى كيف تجيبى الموتى) وقال موسى : (رب ارنى أنظر اليك انجح
 فى الاول) أى اجيب لابراهيم بقوله : خذ أربعة من الطير الآية (لوجود الشرط)
 فيما طلب (واعتذر فى الثانى) فيما طلبه أى جواب موسى بقوله : (لن ترانى ولكن انظر
 الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) (لفقده) أى لفقد الشرط وعدمه كما بينه
 قوله (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) (ولولا الانس) أى وجرده المقتضى للانبساط
 لموسى عليه السلام (لعوتب) على ما صدر منه من السؤال والكلام (كما احترق
 قوم الكليم) عليه التسليم حيث قالوا (أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم
 ينظرون) فالانبساط قد يكون منكر الصورة لما فيه من الجرأة وقلة الهية ، ولكنه
 محتمل من أقيم مقام الانس كموسى عليه السلام ومن لم يقم فى ذلك المقام وتشبه بهم
 فى الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر بسببه كما فى قوم موسى .

ومثاله مناجات برخ الاسود الذي امر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسأله أن يستسقى لبنى اسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين . وخرج موسى عليه السلام يستسقى بهم في سبعين الفا ، فأوحى الله اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم ، وسراثرهم خبيثة ، يدعوني على غير يقين ، ويأمنون مكري ، ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له ، فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرفه ، فبينما موسى يمشي ذات يوم في طريق اذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه ، فر موسى عليه السلام بنور الله فسلم عليه ، وقال ما اسمك ؟ قال اسمي برخ ، فقال أنت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسقى لنا ، فقال في كلامه : ما هذا من فعالك ، ولا هذا من حملك ، وما الذي بدالك ؟ انقصت عليك غيوميك ؟ ام عاندت الرياح عن طاعتك ؟ ام نذر ما عندك ؟ ام اشتد غضبك على المذنبين ؟ ألسنت كنت غفارا قبل خلق الخاطئين ؟ خلقت بالرحمة وامرت بالمعطف ، ام تريدنا انك تمتنع ، ام تخشى القوت فتعجل بالمعقوبة ؟ قال فما برح برخ حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر ، وانبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب ، قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام ، فقال كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف انصفني ؟ فهم موسى عليه السلام به ، فأوحى الله اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلاث مرات ، وعن الحسن قال : احترقت اخصاص البصرة فبقى في وسطها خص لم يحترق . وابو موسى امير يومئذ بالبصرة فاخبر بذلك ، فبعث الى صاحب الخص ، فأتى بشيخ فقال له يا شيخ ما بال خصك لم يحترق ؟ قال اقسمت على ربي عز وجل لا يحرقه ، فقال أبو موسى إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون في امتي قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم لو اقساموا على الله لا برهم ، رواه ابن ابى الدنيا في كتاب الاولياء . قال الحسن ايضا : ووقع حريق بالبصرة لجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخلى النار ، فقال له امير البصرة : انظر لا تحترق بالنار ، فقال اني اقسمت على ربي عز وجل لا يحرقني بالنار ، قال فاعزم عليها أن تطفأ فعزم عليها فطفئت . وكان أبو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش ، فقال له أبو حفص : ما اصابك ؟ قال ضل حماري ولا املك غيره ، فوقف أبو حفص فقال : وعزتك لا اخطو خطوة حتى ترد عليه حماره ، قال فظهر الحمار في الوقت ، ومر أبو حفص رحمه الله . فهذا وامثاله يجري لذوى الانس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم . قال الجنيد : اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة لو سمعها العوام لكفروهم

وَالْأَعْلَى التَّرْكُ اسْتِغْنَاءً كَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ وَالْقُرْبِ
وَهُوَ زَوَالُ كُلِّ مُعْتَرِضٍ وَهُوَ النَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ وَالْخَلْقُ

وهم يجدون المزيد في احوالهم وذلك يحتمل منهم ويليق بهم، راليه اشار القائل بقوله
قوم يخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه
تأهوا برؤيته عما سواه له يا حسن رؤيتهم في عز ماتاهاوا

ومن الانبساط قول موسى عليه السلام (ان هي الا فتنتك تفضل بها من تشاء
وتهدى من تشاء) وقوله في الاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون وقومه فقال (ولهم
على ذنب فاخاف أن يقتلون) (والاعلى الترك) أى الاولى من المراتب في مقام
الانس هو ترك الانبساط في حضرة المولى (استغناء) عن السؤال في مراتب انتقال
الاحوال (لما كان له عليه السلام في تحويل القبلة) حيث كان متأدبا في مقام الانس
والدلال فاكتفى بالحال عن السؤال تبعاً للخليل حيث قال: حسبى من سؤالى علمه بحالى، كما
يشير اليه قوله سبحانه وتعالى: (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها)
أى تحبها وتوهاها (والقرب) ايضا من آثار المحبة لما يشير اليه حديث ولا يزال
العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه (وهو) أى القرب (زوال كل معترض)
أى شاغل ومانع عن ذكره تعالى وفكره (وهو) أى المعترض إنما هو (النفس) أى
المتابعة هواها ومطاوعة مشتهاها قال تعالى (افرايت من اتخذ إلهه هواه) وورد ما بغض
اله عبد في الأرض الهوى وقيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب (والشيطان)
لانه يدعو حزبه الى الطغيان في الدنيا والى النيران في العقبى ، ولان نسبة الاضلال
اليه ايضا قد تبعد عن حقيقة صفة الجلال فانه من أسباب الضلالة ، كما أن النبى
سبب الهداية فإضافة الهداية الى النبى في قوله (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم)
مجاز و (إنك لاتهدى من أحببت) حقيقة ومن المجاز فى جانب الاضلال قول الخليل
(رب انهن أضللن كثيرا من الناس) فإله سبحانه هو الهادى والمضل من يهد الله
فلا مضل له ومن يضلله فلا هادى له، وهو يضل من يشاء وهو يهدى من يشاء، وهو
أعلم بالمهتدين كما هو أعلم بالضالين (والحق) لان مخالطتهم غالبا يدعو الى الغيبة
والبعد عن قرب الرب لاسيما حب الاهل والولد والاصحاب والاحباب والعقار
من البساتين والمنزهات من الدار فى الديار حتى النوح بطيب أصوات الاطيار وروح

وَالدُّنْيَا ، وَكَأَلَهُ الْغَيِّبُ فِي رُؤْيَا فَعَلَهُ حَتَّى لَا يَرَى نَفْسَهُ فَاعْلَةً كَمَا وَرَدَ (وَمَا
رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) وَالْإِتِّصَالُ

نسيم الاشجار فبقدر أنسه وقربه الى غير الله يبعد عن أنسه وقربه الى مولاه
كما أنه لا يتقرب الانسان من المشرق الا ويبعد من المغرب بالضرورة بقدره الامان
وصل الى مقام جمع الجمع بحيث لا تنحجب الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة
(والدنيا) فان قطع علاقتها ودفع عوائقها وإخراج حب غير الله من القلب
هو الموجب لقرب الرب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل أو الهواء ما لم يخل
منه الماء (وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وذلك الحب المورث للقرب ان يحب
الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية في القلب مشغولة بغيره ، فبقدر ما يشغل
بغير الله وحبه وقربه ينقص منه حب الله ويبعد عن قرب ربه ، وبقدر ما يبقى في الاناء من
الماء ينقص من الخل أو الهواء ويشير الى هذا التفريد والتجريد قوله سبحانه (قل الله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون) وقوله (ان الذين قالوا ربنا الله) أى في مقام التوحيد (ثم استقاموا)
على مقام التجريد وقدم التفريد بل هو معنى قولك لا اله الا الله أى لا معبود ولا موجود
ولا مشهود سواه (وكأله) أى القرب (الغيبة في رؤيا فعله) أى غيبة العبد
في رؤيا أفعال ربه (حتى لا يرى نفسه) أيضا (فاعلة) في الحقيقة (كما ورد)
في التنزيل (وما رميت) خلفا أو حقيقة (اذ رميت) كسبا أو مجازا وقد
سبق تحقيقه وتدقيقه *

وحاصل المرام في هذا المقام ان الحبيب هو القريب من الله ، والقريب من الله
هو البعيد من صفات البهائم ونعوت الشيطان والتخلق بكمارم الاخلاق التي هي اخلاق
الرحمن فهو قريب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا وصار قريبا فقد تغير فربما
يتوهم بهذا أن القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد
ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه من المحال بل لا يزال في نعوت
الكمال وصفات الجمال والجلال على ما كان عليه في ازل الآزل فكما كان العبد
أكمل صفة واتم معرفة وانبت قوة في قهر النفس والشيطان صار أقرب الى الرحمن
فتمتبه الكمال لله وقرب كل واحد منه بقدر كماله في التخلق باخلاق الله وافعاله
(والاتصال) أيضا من آثار المحبة وليس المراد بالاتصال هنا ضد الانفصال ولذا

وَهُوَ الْمُكَاشَفَةُ وَالْمُشَاهَدَةُ كَمَا فِي قَوْلِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كُنَّا نَتَرَاهُ اللهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مُعْتَذِرًا عَنْ تَرْكِ رَدِّ السَّلَامِ فِي الطَّوَافِ ، وَحَارِثَةً كَمَا سَبَقَ ، وَمَا وَرَدَ «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» وَحُبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى الْعَبْدَ

قال (وهو) أى الاتصال يراد به (المكاشفة والمشاهدة) فى مقام المراقبة والمشاهدة أقوى من المكاشفة إذ يتصور وهم الخلاف فى المكاشفة بخلاف المشاهدة . والحاصل أن المكاشفة أول نتائج المجاهدة ، والمشاهدة نهاية المساعدة ويشير إليه قوله عليه السلام بعد ذكر الايمان والاسلام « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك » وقبل المحاضرة ابتداء ، والمكاشفة بعده والمشاهدة انتهاء فالمحاضرة حضور القلب ، وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعدد مراتب الستر وان كان حاضرا باستيلاء الذكر . والمكاشفة حضوره بنعت البيان غير مفتقر الى تأمل دليل وتطلب سبيل . والمشاهدة هى وجود الحق من غير بقاء تهمة وبلا ريبة فاذا صحا سماء الاسرار عن غيوم الاستار فشمس الشهود مشرقة من برج شوق الانوار ، كذا فى ارشاد المريدين ، وهو تفسير علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين .

عبارتنا شتى وحسنك واحد فكل إلى ذاك الجمال يشير

(كما فى قول ابن عمر رضى الله عنهما كونا نتراهى الله تعالى فى ذلك المكان) أى تتكلف فى مشاهدته أو نجته حتى نصل إلى مرتبة رؤيته ومثلة حضرته فى ذلك الحال الذى هو على الشان جلى البرهان ، وإنما قال هذا الكلام حال كونه (معتذرا عن ترك رد السلام) لبعض الصحابة الكرام (فى الطواف) أى فى حال طواف بيت الله الحرام (وحارثة) أى وفى قول حارثة للنبي عليه السلام (كما سبق) فى تحقيق المقام (وما ورد) أى وكما ثبت (اعبد الله) وهذا نقل بالمعنى ، والصواب أن ينقل بالمبنى وهو أن تعبد الله (كأنك تراه) وهذا أعلى مقام للعبد وأقصاه وأما أدناه فكما يشير إليه آخر الحديث (فان لم تكن تراه فإنه يراك) وقد بسطنا القول فيه فى شرح الاربعين وهو خير معين (وحبة الله تعالى العبد) أى للعبد أيضا من آثار محبة

وورد (يحبهم ويحبونه) «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن أحبه الحب البالغ اقتناه فإن صبر على بلائه اجتبه وإن رضى اصطفاه» وورد «إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه»

العبد لله سبحانه (وورد) في التنزيل ما يدل على ثبوت المحبة من الجانبين حيث قال (يحبهم ويحبونه) وفي تقديم يحبهم إيماناً إلى أن الأصل هو المحبة الأزلية الصمدية الموجبة لمحبة العبد المحبة الأبدية وورد في الحديث (إذا أحب الله تعالى عبداً ابتلاه) بالمصائب على قدر ماله من المراتب فإن أشد الناس بلاءاً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل (فإن أحبه الحب البالغ اقتناه) واقتناء الممال وغيره اتخاذ فنية ، فالمعنى اختاره من بين خلقه وجعله من خواص ملكه ، وفي رواية «فقل وما اقتناه؟ قال لم يترك له أهلاً ولا ولداً» أى فى قلبه فعلامة محبة الله أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره كما يشير إليه قوله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) رواه الطبراني وفي رواية «إذا أحب الله عبداً ابتلاه» (فإن صبر على بلائه اجتبه) فى مقام ولائه (وإن رضى) باعطاءه (اصطفاه) لمقام لقائه، وعن بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيتك يبتليك فاعلم أنه يريد أن يصافيك، والحديث الثانى ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرج له ولده فى مسنده وقد يتوهم من المتن أنهما حديث واحد وليس كذلك كما بيناه (وورد) أيضاً (إذا أحب الله عبداً) من عبيده (جعل له واعظاً من نفسه) أى يصبره بعبوب نفسه ويعرفه طريق أنسه (وزاجراً من قلبه) بأمر ربه (يأمره) بالخير (وينهاه) عن الشر والحديث رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أم سلمة بأسناد حسن لكن بالفظ «إذا أراد الله بعد خيراً» الحديث وله من حديث انس «إذا أراد الله بعد خيراً بصره بعبوب نفسه» وورد من حديث انس كما رواه الديلمى «إذا أحب الله عبداً لم يضربه ذنب» والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا : أن الله يحب التوابين ، ومعناه أنه إذا أحبه تاب عليه قيل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وإن كثرت كما لا يضره الذنوب الماضية قبل الإسلام وإن كبر. وقال عليه السلام «أن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الإيمان إلا من يحب» رواه أحمد والحام وصححه من حديث ابن مسعود . ولاحد وأبى يعلى من حديث أبى سعيد من أكثر ذكر الله أحبه الله» وعن رابعة : من أحب شيئاً أكثر

وَمَعْنَاهَا أَنْ يَبْلِيَهُ بِهِ فَلَا يَصْلَحُ لِغَيْرِهِ كَمَا وَرَدَ (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) وَعَلَامَاتُهَا
كُتْمَانُهَا ، وَحُبُّ الْمَوْتِ

ذكره ، فذكر الله علامة لمحبة الله ومحبة العبد إياه . وفي الصحيحين « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » وقال زيد بن اسلم : ان الله تعالى يحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك ، ويؤيده انه ورد مثل هذا لاهل بدر (ومعناها) أى معنى محبة الله للعبد (ان يبلية به) أى من علامة حب العبد للمولى ان يبلية بالبلاء المورث لزيادة الولاء . واما علامة كونه محبوبا له سبحانه ان يتولى الله شأنه ظاهره وباطنه سره وجهه ، فيكون هو الميسر عليه والمدير لامره ، والمزين لاختلافه والمستعمل لجوارحه ، والمسدد لظاهره وباطنه ، والجاعل همومه ما واحدا من ذكر ربه ، والمبغض للدنيا في قلبه ، والموحش له من غيره ، والمونس له بلذة المناجاة في خلوته ، والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته . فانظر في تحقيق هذا المبنى فما اليسر الدعوى وما العسر المعنى . وقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل المحبة والمعرفة ، ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك . وقد جاء من بعض المتبحرين من المفسرين في قوله سبحانه (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) انهم هم الذين ادعوا المعرفة والمحبة من غير تحقق تلك الحالة (فلا يصلح) العبد (لغيره) أى لغير مولاه فيما قدره وقضاه (كما ورد) في التنزيل (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) أى اخترتك بالرسالة (لنفسى) أى لمعرفة ذاتي وصفاتي .

(وعلاماتها) أى امارات محبة العبد لله ثمانية (كُتْمَانُهَا) لانه قد يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه في المبنى ، وتنظم عليه العقوبة في العقبي وتتعجل عليه البلوى في الدنيا ، ويكون ذلك من الافتراء على الله من غير الامتراء (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) نعم قد تكون للمحب سكرة في حبه حتى تدهش عقله ولبه فيضطر الى اظهار حبه لربه ، والا فصدور الاحرار قبور الاسرار . ولقد قال بعض الابرار :

من اطعموه على سرفتم به لم يامنوه على الاسرار ما عاشا

(وحب الموت) فانه سبب اللقاء ، ولذا قال عليه السلام « لن تروا ربكم حتى

وَالْإِطَاعَةُ وَالتَّلَذُّدُ فِي الْعِبَادَةِ

تموتوا ۝ وقال حذيفة : حبيب جاء على فاقة لا افلاح اليوم من يذم . وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما : الحق ذليل وهو مع ثقله مريء ، والباطل خفيف وهو مع خفته وبنء فان حفظت وصيتي لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدرتك ، وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه . وكان الثوري وبشر الحافي يقولان : لا يكره الموت الا المريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب . نعم من يكون في ابتداء مقام المحبة ليس يكره الموت بل يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء ربه ، وعلامته المداومة على الطاعة واستغراق الهم في استعداد زاد المعاد ، وان يكون مؤثرا ما احبه الله على ما يحب نفس العبد ريهواه ، فان من بقى مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه ، بل يترك المحب هوى نفسه هوى محبوبه كما قيل

اريد وصاله ويريد هجرى فاترك ما اريد لمسا يريد

(والاطاعة) أى بمداومة الطاعة قدر الاستطاعة ، فمن احب الله لا يتبع هواه كما قال ابن المبارك :

تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمرى في الفعالم بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى من بديع المبني •

واترك ما اهوى لما قد هويته وارضى بما يرضى وان هلك نفسي

(والتلذذ في العباداة) بالمراظبة على الذكر والمداومة على الفكر وكثرة التلاوة ،

فقد حكى عن بعض المريدين قال : كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في شدة الارادة ،

فادمنت قراءة القرآن اياما ونهارا ، ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة . قال فسمعت

قائلا يقول في منامى : ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كلامي ؟ اما ترى ما فيه من لطيف

عتابي وشريف خطابي ، فانتبهت وقد اشرب قلبي تلاوة القرآن ، فما وددت الى حاله ،

وقال ابن مسعود : لا ينبغي ان يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن

فهو يحب الله عز وجل ، وإن لم يكن يحب القرآن فلم يحب الله ، وقال سهل علامة حب

الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي عليه السلام وعلامة حب

النبي حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا ،

وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زادا يبلغه الى العقبى . وعن مطرف ان المحب .

لا يسأم من حديث حبيبه وأوحى الله الى داود عليه السلام : قد كذب من ادعى محبتي فاذا جنة الليل نام عنى ، أليس كل محب يحب لقاء حبيبه ، فها أنا ذا موجود لمن طلبنى ، وقال يحيى بن معاذ : من أحب الله أبغض نفسه ، أى لأنها لما سواه ، وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله على كلام الخلق ، ولقاء الله على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق . ثم اعلم أنه ليس فى الوجود غيره سبحانه فى عين أهل الشهود من ذاته وصفاته ومصنوعاته ، ولذا ذكر عن الشيخ أبى سعيد الميمنى لما قرئ عليه قوله (يحبهم ويحبونه) قال بحق يحبهم فليس يحب الا نفسه ، على معنى انه الكل وان ليس فى الوجود غيره ، فن لا يحب الا نفسه وأفعال نفسه وتسايف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث انها متعلقة بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه ، كما أن العارف لا يحب جميع مصنوعات الله ومكنوناته الا من حيث آثار قدرته وانوار ذاته واسرار صفاته . وما ورد من الالفاظ فى حبه عبارة يؤول منها ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه ويشاهده بلبه ، والى تمكنه اياه من قرب ، والى ارادته ذلك به فى ازاله ، محنة لمن حبه ازالى مهما اضيف الى الارادة الالهية الارلية التى اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب الى الرب ، واذا اضيف الى فعله الذى يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بمحدث سببه الذى يقتضيه كما قال « لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه » فيكون قرب به بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجب عن قلبه وحصوله فى درجة القرب من ربه ، وكل ذلك فعل الله ولطفه به فهو معنى حبه . وجملة الكلام فى هذا المقام ان حب العبد لله ثمرة حب ربه الازلى ، ونتيجة حب ربه الابدى . فحب العبد مكتشف بين حب الرب لما يشير اليه قوله سبحانه (يحبهم ويحبونه) مع قوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله) ثم لا يخفى ان مراتب الحب ومافيه من الدرجات انما تكون على قدر الطاعة والعبادات . ويدل على تفاوت المقامات ما روى ان ابا حذيفة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش فى ذلك وقالوا : انكحت عقيلة من عقائل قريش مولى ، فقال والله لقد انكحته اياها وانى لاعلم انه خير منها ، فكان قوله اشد عليهم من فعله ، قالوا فكيف وهى اختك وهو مولاك ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم ، كذا فى الاحياء . وقال مخرجه لم اره من حديث حذيفة . وروى أبو نعيم فى الحلية المرفوع منه من حديث عمر « ان سالما يحب الله حقا من قلبه » فى رواية « ان سالما شديد الحب لله عز وجل لو لم

وَالْمُصِيبَةِ، وَالْحَرِصُ فِي الْخُلُوةِ، وَالْمُنَاجَاةُ، وَبُغْضُ الدُّنْيَا

يخف الله عز وجل ما عصاه فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب غيره أيضا فلا جرم أن يكون تنعمه ببقاء الله عند قدومه عليه على قدر حبه له وغناه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها وتعلقه بها، وقد قال بعض العارفين: إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله حبا متوسطا وإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي، وقال الجنيد: الناس في محبة الله عام وخاص، فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه اليهم وكثرة نعمه عليهم فلم يتماثلوا أن أحبوه، إلا أنهم تقل محبتهم وتكسر على قدر نعمتهم، قلت ويشير إلى ذلك قوله تعالى: (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) بل إيمانهم إلى رجائهم الجنة وخوفهم النار في دار القرار ومن هنا قال الشبلي لما سمع قوله تعالى: (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) الخ فأين من يريد الله؟ وقد أجبت عن هذا في بعض مؤلفاتي (والمصيبة) أي والتلذذ في البلية لما يرى فيها من فعل المبتلى سواء يكون في مقام الصبر أو الرضاء أو الشكر (والحرص في الخلوة) عن الخلق دون الخلوة لأنها غالباً تمنع عن مشاهدة الحق وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة والتنعيم بمناجاته من دون الرياء والسمعة فمن كان المتنام والاشتغال بكلام الدنيا الذي عنده من العبادة وأطيب من مناجاة الله فكيف تصح محبته؟ فعلامة الحب كمال الانس بمناجات المحبوب وكمال التنعيم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما يبغض عليه الخلوة ويعوقه عن لذة المناجاة وعلامة الانس أن يصير العقل والفهم كله مشغوقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة إلى بعضهم حتى كان في صلاته فوق الحريق في داره ولم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة أصابته وهو في الصلاة ولم يشعر بها، وعن الصديق من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه من جميع البشر (والمناجاة) أي والحرص في الدعاء والثناء في جميع الحالات والمقامات فيو اظب على التهجد ويقتنم هدوء الليل وصفاء الوقت عن الخللق بانقطاع العلائق وانفصال العوائق (وبغض الدنيا) بأن لا يأخذ منها إلا زاد العقبي من سلوك طريق المولى، وفي اخبار داود عليه السلام: لا تستأنس إلى أحد من خلقي فاني إنما اقطع عني رجلين رجل استبطأ نوابي فاقطع ورجل نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك أن كله إلى نفسه وأن ادعه في الدنيا حيران ثم مهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشا

وَالْوَحْشَةُ مِنَ الْخَلْقِ وَاتِّحَادُ الِهِمِّ وَطَرِيقُهَا السُّلُوكُ فَوَرَدَ «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَى النَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَقَلْبًا وَيَدًا وَرِجْلًا».

من الله ساخطا عن درجة محبته، وفي قصة برخ وهو العبد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام إن الله تعالى قال لموسى: إن برخانعم الدبد هو إلا أن فيه عيبا قال يارب وما عيبه؟ قال يعجبه نسيم الأسفار فيسكن اليه ومن أحبنى لم يسكن إلى غيري ﴿والوحشة من الخلق﴾ لأن محبة الله ومحبة غيره لا يجتمعان ﴿واتحاد الهم﴾ هم الدين لما ورد من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والآخرة وقال بعض العارفين: إن الله تعالى عباداً أحبوه فاطمأنوا إليه فذهب عنهم التأسف على كل ما فات فلم يشتغلوا بحظ أنفسهم إذ كان ملك ملكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل إليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم ثم حق الحب إذا رجع من غفلته في لحظة أن يقبل على محبوبه ويشغل بالعتاب لنفسه ويسأله ويقول: يارب باي ذنب قطعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسى وبمتابعة الشيطان؟ ﴿وطريقها﴾ أى طريق تحصيل المحبة ﴿السلوك﴾ أى سير مسالك أهل الشريعة والطريقة والحقيقة من منازل السائرين ومراحل الطائرين وقد قيل: إن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق وفيه تنبيه نبيه على أن كل مخلوق له سر مع خالقه لا يطلع عليه إلا من هو أقرب منه إليه، وعن هذا قال تعالى: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ثم أقرب الطرق إلى الله تعالى هو المحبة وهى حاصلة بمتابعة الكتاب والسنة ومخالفة الهوى والبدعة، وتماه باجتنب السيئات، من المحرمات والمكروهات، واكتساب الطاعات من الفرائض والنوافل من السنن المؤكدة والمستحبات ﴿فورد لا يزال العبد يتقرب إلى﴾ أى بعد أداء الفرائض والواجبات والسنن الرواتب ﴿بالنوافل﴾ من الصلاة والطواف والذكر والفكر والثناء والدعاء وما استحسنته العلماء ﴿حتى أحبه﴾ حباً يليق بأرباب المناقب ﴿فإذا أحبته﴾ حباً يليقاً ﴿كنت له سمعاً﴾ يسمع بي ﴿وبصراً﴾ يبصر بي ﴿وقلباً﴾ يعقل بي ﴿ويداً﴾ يبطش بي ﴿ورجلاً﴾ يتقوى بي رواه البخارى وغيره بالفاظ مختلفة، فيستخرج ذلك من السالك صفاء ذكر ورقة قلب ودقة فكر يكفر عنه ماسبق من الغفلة وتكون هفوته سبباً لتجدد ذكر ربه وصفاء قلبه ومهمالم يرا المحب الا المحبوب ولم يري شيئاً الا منه لم

يأسف على فقد المطلوب واستقبل الكل بالرضا بما وقع من القضاء ، وعلم أن المحبوب لم يقدر له الا ما في خيرته ويتذكر قوله تعالى : (وعسى أن تذكرهوا شيئا وهو خير لكم) ولعله عليه السلام قال في هذا المقام : «انه ليغان على قلبي في اليوم واليلة فاستغفر الله سبعين مرة» كافي الصحيحين وإنما كان استغفاره من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني كما قيل : حسنات الابرار سيئات المقربين الاحرار ويكون ذلك عقوبة لأهل التوفيق على الفتور في الطريق والالتفات الى غير الحبيب والرفيق ، كما يروى عنه عليه السلام بما يروى عن ربه تبارك وتعالى انه قال : «في بعض الكتب المنزلة ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي أن اسلبه لذة مناجاتي» فسلب المزيدي بسبب الشهوات عقوبة العموم وأما الخصوص فيحبسون عن المزيدي بمجرد الدعوى والعجب والركون الى مظهر من مبادئ اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا القوي من ذوى الاقدام الراسخة ، وقد سمع ابراهيم بن أدهم قائلا يقول وهو في سياحته وكان على جبل لبنان :

كل شئ لك مغفور ه رسوى الاعراض عنا ه قد وهبنا لك ما فاه ت بقى ما فات منا
فاضطرب وغشى عليه فلم يفق يوما وليلة وطرات عليه أحوال وغلبة ثم قال سمعت
النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت وقد قدمنا ان درجات الحب
لانهاية لها في مقام القرب ، فحق العبد أن يجتهد في كل نفس ما يفيد حبا حتى يزداد فيه
قربا ، ولذا قال عليه السلام : «من استوى يوما فهو مغبون» ومن كان يومه شرا من أمسه
فهو ملعون كذا في الاحياء وقال نخرجه : لا أعلم هذا الا في مقام لعبد العزيز بن أبي رداد
قال : رأيت النبي عليه السلام في المنام فقلت : يا رسول الله أوصني فقال ذلك بزيادة
في آخره رواه البيهقي ولعل تلك الزيادة ما في بعض الروايات ومن لم يكن في زيادة
فهو في نقصان وقد قال الشيخ البستي :

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران

وقال بعض العارفين : من عبد الله بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال
ومن عبده بالخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ، ومن عبده من طريق
المحبة والخوف أحبه الله تعالى وقربه ومكنه وعلمه فالحب لا يخلو عن خوف ، والخائف
لا يخلو عن محبة ، ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف
الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين ويجعل في طريق السير من الطائرين
المجنونين المحبوبين وقد قيل في وصف حال العارفين :

قريب الوجد ذو مرمى بعيد على الأحرار منهم والعبيد
 لقد عزت معانيه فغابت عن الابصار الا للشهيد
 غريب الوصف ذو علم غريب كأن نؤاده زبر الحديد
 ترى الأعياد في الأوقات تجرى له في كل يوم ألف عيد
 وللأحباب أفراح بعيد ولا تجد السرور له بعيد
 وكان الجنيذ ينشد أيانا يشير بها إلى أسرار العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره
 للغافلين وهي هذه :

سرت بناس في الغيوب قلوبهم بما قد جباها الماجد المتفضل
 عراضا بقرب الله في ظل عرشه تجول بها أرواحهم وتنقل
 وواردهم فيها على العز واليبا ومصدرهم عنها لما هو أكمل
 تروح بعز مفرد من صفاته وما كتبه أولى لديه وأعدل
 سأكتم من علمي به ما يصونه وابدل منه ما أرى الحق يبذل
 فأعطي عباد الله منه حقوقهم وامنع منه ما أرى المنع أعدل
 على أن للرحمن سرا يصونه إلى أهله في السرو والصون أجل

فأما هذه المعارف التي أشير إليها لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا ينبغي أن يظهرها
 من انكشف له شيء منها لمن لم ينكشف له عنها ، بل لو اشترك الناس فيها لخربت
 الدنيا ولم تبق على نظامها ، فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا وتماها ولذا قيل :
 الغفلة عن الله رحمة ولولا الحق لخربت الدنيا بل لو أكل الناس الحلال أربعين يوما
 لتعطلت الدنيا لزهدهم فيها وذهولهم عنها ، وبطأت الأسواق والمعاش منها .
 ولو أكل العلماء من مال الحلال لاشتغلوا بأنفسهم لتحصيل الكمال ولوقفت الألسنة
 والأقلام عن كثير مما انتشر من العلوم بين الأنام ، ولكن الله فيما هو شر ظاهر حكم
 وأسرار على ما لا يخفى كما أن له في الخير أسراراً وحكماً لا تحصى لانهية لحكمته ولا غاية
 لقدرته هذا ، وقد يظهر مقال السر على لسان العارف حال السكر فهو معذور لانه
 مقهور إذ ربما يشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه ، وقد يفيض القلب به فلا
 يندفع فيضانه ولا ينطق لمعانه ، فيقول القادر على كتمانها :

فقالوا قريب قلت ما أنا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري
 فإلى منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدري

والعاجز عنه يقول :

تخفى فيدى الدمع أسرارہ و يظهر الوجد عليه النفس
ويقول أيضا :

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم
وكان صاحب البردة أخذ من هذه البردة في قوله :

أحسب الصب أن الحب منكتم ما بين منسجم منه ومضطرم
وقال بعض العارفين : أكثر الناس من الله بعدا أكثرهم إشارة به إلى مقام قربه
وقد دخل ذو النون المصرى على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء
فقال : لا يحبه من وجد ألم ضربه ، فقال الرجل : لكنى اقول لا يحبه من لم يتنعم بضر به ،
فقال ذو النون : ولكنى اقول لا يحبه من شبر نفسه بحبه ؛ فقال الرجل : استغفر الله
واتوب إليه أى من دعوى حبه . وقد قال ابو تراب النخشي في علامة الحب اياتاهاى

لاتخذ عن فللمحب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمسر بلائه وسروره في كل ماهو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة والفقير اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل ان يرى من عزمه طوع الحبيب وان الخ العاذل
ومن الدلائل ان يرى متبسما والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل ان يرى متفهما لكلام من يخطى لديه السائل
ومن الدلائل ان يرى متقشفا متحفظا من كل ماهو قائل

وقال يحيى بن معاذ الرازى في هذا المعنى من المبنى :

ومن الدلائل ان تراه مشمرا في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه خوف الظلام فماله من عاذل
ومن الدلائل ان تراه مسافرا نحو الجهاد وكل فاعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما ترى من دار ذل والنعم الزائل
ومن الدلائل ان تراه باكيا ان قد رآه على قبيح فاعل
ومن الدلائل ان تراه مسلما كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلائل ان تراه راضيا بملكه في كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الوري والقلب محزون كقلب النازل

وَهُوَ بِلُزُومِ الْوُضُوءِ فَهُوَ نُورُ الْقَلْبِ ، وَالْخُلُوةُ فَهِيَ تَفَرُّغٌ عَنِ الشَّوَاغِلِ ، وَالْأَوَّلَى
أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتٍ مُظْلَمٍ ، أَوْ يَلْفَ رَأْسَهُ وَيَغْمِضَ عَيْنَيْهِ لَتَرُدَّ الْحَوَاسِ ، وَالسُّكُوتِ
فَهُوَ يَلَقَّحُ الْعَقْلَ وَيَقْوِي الْقُوَى ، وَالْجُوعِ وَالسَّهَرِ فَهُمَا يُنَوِّرَانِ الْقَلْبَ

(وهو) أى السلوك أو طريقه بلزوم عشرة أسباب تكون رقيقة (بلزوم الوضوء)
أى الطهارة الظاهرة (فهو) أى الوضوء وما فى معناه (ينور القلب) بسبب تأثير
صفاء الظاهر لصفاء الباطن (والخلوة) أى وبلزومها عن الخلوة (فهى) أى
الخلوة (تفرغ عن الشواغل) المانعة من تحصيل الفضائل وقد تقدم تحقيق بحث
الخلطة والعزلة . ثم القوم مختلفون فى طرق سلوكهم فمنهم من جعل مدار الخلوة على
خلو القلب من غير ذكر الرب ومشاهدة الحق ولو كان فى مجمر الخاق كما يشير إليه قوله
تعالى: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) وهو طريق السادة النقشبندية والقادة
الشاذلية ويقال فى حقهم انهم غريبون قريبون ، وكائنون بائون ، وعرضيون فرشيون
ومنهم من اختار الخلوة المعتارفة بينهم تهوينا للمبتدى وتسهيلا للمنتهى وكان المصنف
منهم ولذا قال (والاولى أن يكون) السالك اذا كرس فى بيت مظلم (ضيق ليس فيه
متاع إلا ما لا بد منه) (أو يلف رأسه) اذا كان فى مسجد ونحوه (ويغض عينيه) حال
ذكره وفكره لآحين صلاته فانه مكروه على خلاف دأبه عليه السلام وسنته ، وانما
يختار البيت المظلم ولف الرأس وتغميض العين (لتركد الحواس) أى لتسكن وتستقر ،
وفيه ان ما ذكر انما هو يسكن حاسة البصر ولعل إيراد بصيغة الجمع لتوارد النظر
(والسكوت) أى وبلزومه من غير ذكر ربه فقد ورد من صمت نجاه ، ومن كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فآىقل خيرا أو ليصمت ، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه (فهو)
أى السكوت المشتمل على الفكر (يلقح العقل) أى ينتج ثأله (ويقوى القوى) من اللسان
وما يتبعه من الجوارح والاركان (والجوع) أى وبلزومه للصيام أو للصبر على فقده والا
فهو ليس مطلوبا بنفسه ، ولذا ورد فى دعائه عليه السلام « وأعوذ بك من الجوع
فانه يفس الضجيع ، فانه إذا اشتد عن حده يكون شاغلا لصاحبه عن ذكر
ربه وفكر حبه (والسهر) فى الذكر والفكر والعبادة والتلاوة ، وإلا فهو أيضا ليس
بمطلوب فى حد ذاته (فهما) أى الجوع والسهر (ينوران القلب) اذا كان مشغلا

بَتَقْلِيلِ دَمِهِ وَذَوْبَانِ شَحْمِهِ عَلَى الْاِعْتِدَالِ فَلَا فَرَاطُ شَاغِلٌ كَالْتَقْرِيطِ وَنَفَى
الْخَوَاطِرِ فَالْتِمِزُ شَاغِلٌ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ تَعَالَى فِي كُلِّ حَالٍ وَنَصَبٌ مُتَفَقِّدٌ يَبْلُغُ
الْقُوَّةَ الْحَلَالَ فَهُوَ الْأَصْلُ

بذكر الرب ﴿ بتقليل دمه وذوبان شحمه ﴾ فيكون مضيقا لمجرى الشيطان ودخوله
ووصوله فيختارهما ﴿ على الاعتدال ﴾ فيهما ﴿ فالافراط ﴾ والمبالغة، ﴿ شغل ﴾
عن العبادة ﴿ كالتقريط ﴾ والتقصير عن قدر الحاجة لأرباب الارادة وأصحاب السعادة
﴿ ونفى الخواطر ﴾ أى وبلزوم نفيها ودفعها إذا كانت مدمومة كما قال العارف ابن الفارض:
ولو خطرت لى فى سواك ارادة على خاطرى سهوا حكمت بردتى

أى بارتدادى عن مقام كمالى وحال ودادى وهذا اذا استقرت الخواطر ولم تكن من العواطر
والافلا عبرة لها وأشار اليها بقوله ﴿ فالتميز ﴾ بين الخاطر الالهى والملكى والشيطانى
والنفسى ﴿ شغل ﴾ للسالك عما هو بصدده من حصول ذكر ربه ووصول سير قربه فى مقام
حبه ﴿ والتسليم ﴾ أى وبلزوم التسليم والنفيض ﴿ له تعالى فى كل حال ﴾ من جميع
أموره الدنيوية والاخروية فيترك تدبيره واختياره فى جميع أحواله الى مادبره الحق له فى
الارادة ونصب ممتنع أى وبلزوم تعيين حادى ممتنع لئلا يضل ﴿ يبلغ القوت الحلال ﴾
أى يوصل اليه ما كوله ومشروبه من مال الحلال ولا فشبهه أقرب اليه من الحرام
فان هذا الزمان زمان الشبهات وفقدان الحلال الصرف من الطيبات ﴿ فهو ﴾ أى الحلال
﴿ الأصل ﴾ فى محافظة الأعمال والأحوال لما يشير اليه قوله تعالى: ﴿ يا أيها الرسل كلوا
من الطيبات واعملوا صالحا ﴾ وقوله سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون ﴾ فقدم اكل الحلال على صالح الاعمال ،
وقد امر الله المؤمنين بما امر به المرسلين اشعارا بان هذا شان السالكين من السابقين
واللاحقين ، ولان الحلال يثبت ثواب عبادة لم يفعلها الشخص ، والحرام يبطل ثواب
عبادة فعلها . وتوضيحه شخص تعب فى النهار بسبب كسب الحلال ، وكانت له وظيفة
عبادة فى الليل من الاعمال ، ففات منه العمل بسبب فتور البدن وظهور الكسل . فلا
شك انه يثاب على تلك العبادة بسبب تحسين النية فى الارادة . ومن اكل الحرام اربس
الحرام وترك المنام وقام الليل كله بالصلاة وسائر انواع العبادة لا يقبل منه ، كما ورد
من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة مادام عليه منه شيء .

وَتَرَكَ غَيْرَ الْفَرَائِضِ وَالرَّوَاتِبِ وَالذِّكْرَ الدَّائِمَ مُسْتَقْبِلًا مَعَ الْحُضُورِ بِاللِّسَانِ قِيلَ
هُوَ اللَّهُ وَوَرَدَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

رواه الامام احمد عن ابن عمر . بل قوله تعالى: (انما يتقبل الله من المتقين) يعم اكل
الحرام رسائر المحرمات على الانام (وترك غير الفرائض) القطعية والظنية (والرواتب)
أى وغير السنن المؤكدة للصلوات الخيرة، وهذا اللزوم بالنسبة الى المبتدى حيث
الافضل فى حقه مجرد الذكر، وأما نسبته الى المتوسط فالأكل فى حقه التلاوة،
وبالنسبة الى المنتهى الصلاة لانها جامعة للذكر والتلاوة واعمال الجوارح واختلاف
الحالة كما فى عوارف المعارف (والذكر الدائم) أى ولزوم الذكر على سبيل الدوام
(مستقبلا) لبيت الله الحرام (مع الحضور) أى حضور القلب فى مشاهدة الرب، ولعله
اراد بالحضور هنا مجرد نفي الغفلة، وأما الذكر قائما يكون (باللسان) أى بلسان البيان او
بلسان القلب والجنان او بالجمع بينهما وهو اكل، وان كان الذكر الخفى افضل لقوله تعالى
(واذكر ربك فى نفسك) وهو يحتمل أنه اراد به الخفية عن الخلق واخفى منها وهى السر مع
الحق كما لا يخفى، وكذا ماورد «خير الذكر الخفى» وورد «ان الذكر الذى لا تعلمه
الحفظة افضل مما تعلمه سبعين ضعفا» فلذا اختاره النقشبندية لتسليك المريدين فى أمورهم
بان يلصقوا لسانهم الى حنكهم، ويقولون بلسان قلوبهم: لا اله الا الله ويشيرون
فى (لا اله الا الله) الى نفى ما سوى الله، وفى (الا الله) الى اثبات ذاته وصفاته، ويريدون بالكلمة
معنى لا اله معبودا وموجودا ومشهودا بحسب مراتبهم وتفاوت مناقبهم . واما
أهل الذكر الجلى باللسان فيشيرون بالنفى الى جانب اليمين، وفى الاثبات الى جانب
اليسار وهو القلب . وهذه كلها اصطلاحات للمشايخ الكبار واختيارات لهم فى مقام
الاعظهار والاسرار، والافا ثبت عن النبي المختار تلقين ذكر ولا اعطاء خرقة ولا طريق
مصافحة، انما الثابت بالتواتر الصحبة ومتابعة الكتاب والسنة . اذا عرفت هذا
(قيل) افضل الذكر (هو الله) لانه المقصود لاسواه، الا انه لا يحصل التوحيد
فى مقام التفريد اذ اثبات وجوده لاشك لاحد فى شهوده، ولذا (قالت رسلهم أى الله
شك) وقال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) فلا بد
من كلمة التوحيد لتحقيق صفة التفريد؛ وقد امر جميع الانبياء والرسل بذلك لاتباعهم
واشياعهم (وورد) عن نبينا ﷺ افضل الذكر لا اله الا الله تمامه، وافضل
الدعاء الحمد لله « كما رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر

وَقِيلَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، فَوردَ الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَآلِ عِمْرَانَ
وَهُمَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ

مرفوعا ﴿ وقيل لا اله الا هو الحي القيوم ﴾ وهو لا يتأني ما تقدم لما فيه من زيادة الى
القيوم ، ولانه آية من القرآن دالة على التوحيد مع زيادة البرهان ، فالحي الازلي الابدی
يشير الى ان غيره لا يصلح للالوهية ، لانه اما لا حياة له او حياته حادثة ، والقيوم هو
الذى يقوم بذاته ويقوم غيره باظهار صفاته من قدرته وارادته وحكمته في مصنوعاته ،
وفي هذا تلويح الى بطلان ما يقوله الوجودية من المعية في المراتب الشهودية حيث
قال ابن العربي : سبحان من اوجد الاشياء وهو عيناها ، وقد وقع التناقض في عين
كلامه المنافي لمرامه ، فانه سبحانه اذا اوجد الاشياء واحداثها كيف يتصور ان يكون
عيناها ، فما للتراب ورب الارباب ، فهو ابعد من قوله من قال بالاتحاد في مقام الاتحاد
والله رؤف بالعباد ﴿ فورد ﴾ في بعض الروايات تقوية لما تقدم ﴿ الاسم الاعظم ﴾
ثابت ﴿ في آية الكرسي ﴾ أى في اولها ﴿ وآل عمران ﴾ أى في صدر سورتها ﴿ وهما
يشتركان فيه ﴾ أى في وجود لفظ الله لا اله الا هو الحي القيوم فيهما دون غيرهما من
السور ، فانها خالية عنهما . والحديث رواه ابر داود والترمذى وابن ماجه وابن ابى
شيبه عن اسماء بنت يزيد مرفوعا بلفظ « اسم الله تعالى الاعظم في هاتين الآيتين : والهمك
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ، وفاتحة آل عمران : الم الله لا اله الا هو الحي
القيوم) والظاهر انه في الآيتين لثنيهما معا على سبيل الاجتماع ، ويحتمل الانفراد ، وكذا
الكلام فيما ورد من حديث ابى امامة « اسم الله الاعظم في ثلاث سور : البقرة وآل
عمران وطه » قال القاسم النابغى : فالتسته فوجدته انه الحي القيوم لو جوده فيها .
ويؤيده حديث اصحاب السنن الاربعة وغيرهم ، ان الاسم الاعظم يا حي يا قيوم ، وهو
المناسبت لما تقدم والله اعلم . وأما ما اورده المصنف فما رأيت في حديث . ثم في المستدرك
للحائم عن سعد بن ابى وقاص « اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل
به اعطى لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين » وهو دعوة ذى النون
يونس عليه السلام ، ويؤيده قوله سبحانه (فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك تنجى
المؤمنين) وقيل هو هو حيث صدر به وختم به في قوله (هو الله الذى لا اله
الا هو) ويقال .

وَالْأَوَّلَى فِيهِ الْإِسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ وَيُوَاطِّبُهُ حَتَّى تَسْقُطَ حَرَكَةُ اللِّسَانِ وَيَجْرَى دُونَ
اخْتِيَارٍ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْقَلْبِ، ثُمَّ تَنْمَحِقُ الْحُرُوفُ وَيَبْقَى الْمَعْنَى ثُمَّ يَرْتَفِعُ الْعَدَدُ
وَتَصِيرُ حَالَةً مُسْتَدِيمَةً وَحِينَئِذٍ تَحْدُثُ الْحَبَّةُ فَلَا يَنْسَى الْمَذْكُورُ،

اعد ذكر نعمان لنا أن ذكره هو المسك ما كررته بتضوع
ومن هنا قبل أن في ظمة الجلالة أنواعا من الجمالة اذ لو حذف الفه بقى لله والله
يسجد من في السموات ومن في الارض، واذا حذف لامه الاولى بقى له وله ما في
السموات وما في الارض وله الحمد في الاولى والآخرة وله الكبرياء في السموات
والارض، واذا حذف لامه الثانية بقى هو لا اله الا هو قل هو الله احد الى آخره
وهو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ليس مثله شيء وهو
السميع البصير فسبحان من لا يعرفه ما هو الا هو، وقد جاء في الاسم الاعظم روايات
اخر كما بينته في شرح الحصن الحصين والجهور على أن الاسم الاعظم هو الله وقد قال
القطب الرباني السيد عبد القادر الجيلاني: أن الله هو الاسم الاعظم لكن بشرط أن
تقول الله وليس في قلبك سوى الله، ومن هنا قال شيخ مشايخنا الشيخ أبو الحسن
البكري قدس الله سره السرى في اول حزه استغفر الله بما سوى الله وتعقبه بعض
علماء الظاهر حيث لم يعرف الله ولا ما سواه وقد شرحته في جوابه وبينت القول
بصوابه (والاولى فيه) أي في المختار من الاذكار (الاستفتاء من القلب)
فيختار ما يلهمه الرب (ويواظبه) ليلا ونهارا وسرا وجهارا (حتى تسقط حركة
اللسان) أي لطفها (ويجري) الذكر على اللسان (دون اختيار) أي من غير
تسكف تذكار واحضار (ثم يرجع) الذكر (الى القلب) أي ينتهي اليه
ويستولى عليه (ثم تنمحق) وتنمحق (الحروف) من المبني (ويبقى المعنى
ثم يرتفع العدد) من المائة والالف ونحوها بما لا بدله من احضار المبني (وتصير)
مداومة تصور الذكر (حالة مستديمة) دالة على رتبة مستقيمة (وحينئذ تحدث
الحبة) وتظهر المودة (فلا ينسى المذكور) في حال من احوال الذكر كالاكل
والشرب والخلطة والعزلة والسكوت والكلام واليقظة والنمائم فقد قال الحبة دوام
الذكر ويؤيده حديث من أحب شيئا أكثر ذكره، وقال سفيان الحبة اتباع صاحب
النبوة ويؤيده آية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني والله در القائل

ثُمَّ يَغِيبُ عَنْ مُشَاهَدَةِ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا حَتَّى عَنْ النَّفْسِ وَعَنْ مُحَاضَرَاتِهَا
فِي الْمَذْكُورِ وَهُوَ الْقُرْبُ ، ثُمَّ يَغِيبُ عَنِ الذِّكْرِ أَيْضًا فِي شُهُودِ الْمَذْكُورِ وَهُوَ الْفَنَاءُ
ثُمَّ يَحْدُثُ الْإِتِّصَالُ وَيُشَاهِدُ مَا يُشَاهِدُ لظُهُورِ النُّورِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الشُّوَاعِلِ

عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل انسى فاذا ما نسيت
اموت اذا ذكرتك ثم احيا ولو لا حسن ظني ما حيت
فاحيا بالمني واموت شوقا فكم احيا عليك ولم اموت
فليت خيال له نصب لعيني فان قصرت في نظري عميت
شربت الحب كاسا بعد كاس فما نقد الشراب ولا رويت

وقال ابن الجلاء: اوحى الله الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبدى فلم اجد
فيه الدنيا والآخرة ملائته من حبي وتوليته بحفظي ﴿ ثم يغيب ﴾ الذاكر ﴿ عن ﴾
مشاهدة جميع الاشياء ظاهرا وباطنا ﴿ في مكشوفاتها من ارضها وسمواتها ﴾ حتى عن
النفس ﴿ وجودها واجزائها ﴾ وصفاتها ﴿ أى وعن شهود وصفاتها الذميمة والمحمودة
وسائر حالاتها ﴾ ﴿ ويغيب ﴾ عن محاضراتها في المذكور وهو القرب ﴿ أى المأثور
عن الجمهور ، فمن الخواص المحبة محور الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات
﴿ ثم يغيب ﴾ الذاكر ﴿ عن الذكر ﴾ أى عن وجوده وشهوده ﴿ ايضا ﴾
كما غاب عما عداه من المسطور ﴿ في شهود المذكور ﴾ أى حضوره بطريق الفرح والسرور
﴿ وهو الفناء ﴾ في بحر النور ﴿ ثم يحدث الاتصال ﴾ وهو كمال البقاء في القرب
الناشئ من جمال الحب ﴿ ويشاهد ﴾ الذاكر ﴿ ما يشاهد ﴾ من عالم الوصال ﴿ لظهور
النور ﴾ من اشعة الجمال ولمعة الجلال في مقام السكال ﴿ والغفلة ﴾ أى والغفلة
والذهول ﴿ عن الشواغل ﴾ والموانع من حصول الوصول إلى تحقيق الفروع والاصول
وقالت رابعة العدوية يوما: من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية لها حبيبنا معنا ولكن
شغل الدنيا عنه قطعنا ، وكانته ما اخذ من قوله تعالى ه وهو معكم اين ما كنتم ه وقوله
شغلنا اموالنا واهلونا وقال السري: من احب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش
والاحق يغدو ويروح بلاش والعاقل عن عيوبه فتاش وكانته مقتبس من قوله تعالى ،
(فلنحتينه حياة طيبة) ه وقال هرم بن حبان اقول المؤمن اذا عرف ربه احبه واذا احبه
اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة

وَيَصِيرُ مِنْ مُلُوكِ الدِّينِ • وَقَدْ انْتَهَى الْكِتَابُ مُتَحَلِّى الْمَقْطَعِ بِالْدَّعَاءِ

بعين الرغبة وبقي بحسده في الدنيا وبروحه في العقبى مع المولى في المقام الاعلى وما قال الشبلى اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود ذكرى لذا كرين وجنتى للمطيعين وزيارتى للمشتاقين وانا خاصة للمحبين (ويصير) اذا كر حينئذ (من ملوك الدين) ومن الائمة المجتهدين ومشايخ المسلمين ووحيد عصره وفريد دهره بتوفيق ربه وهو خير المعين لتحقيق علم اليقين فكملى ايمانه واسلامه واحسانه فى عين اليقين واستغرق فى بحر التوحيد ونهر التفريد وغاص فى عين العلم وغاب عن عين غيره فى زين الحلم فلنذكر بعض احوال المحبين فقد قال بعضهم لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب فكانه اشار الى انه مجذوب ومطلوب وأنه بسبب لذته فى خدمة محبوبه غير متعوب، ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو اسألت الله عز وجل دفعهم فسكت ثم قال لله عباد فى هذه البلدة لودعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات فى ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل ولم؟ قال لانهم لا يحبون ما لا يحب الله وقيل ابشر باى شىء بلغت هذه المنزلة؟ فقال كنت اقام الله حالى يعنى أسأله ان يكتب على ويخفى أمرى، وروى أنه رأى الخضر فقال له ادع الله لى فقال يسر الله عليك طمأننته قلت زدنى قال وسترها عليك فقبل معناه سترها عن الخلق حتى لا يطلعوا عليها وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت اليها، وفى الاخبار أن الله تعالى اوحى الى انبيائه انما اتخذ لخاصتى من لا يفتقر عن ذكرى ولا يكون له هم غيرى ولم يؤثر على شىئا من خلقى وأن أحرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وأن قطع بالمنشار لم يجد لمس الحديد الماغم من لم يبلغ الى دارة غلبة الحب الى هذا الحد فن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب ووراء كمال الايمان ولا حصر لمقامات الايمان وتفاوته فى الزيادة والنقصان والله المستعان ، وما يؤيد هذا الشأن من البرهان ما روى أنه عليه السلام قال لاني بكر الصديق أن الله قد أعطاك مثل ايمان كل من آمن بى من أمتى واعطانى مثل ايمان كل من آمن بى من ولد آدم رواه الديلمى عن على (وقد انتهى الكتاب) الذى هو لب الباب لكل فصل وباب عند ارباب الالباب (متحلّى المقطع) المشير الى أن ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون (بالدعاء

الْمَأْتُورَ اللَّهُمَّ أَنَا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ
وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَآخِرُ دَعْوَانَا

الْمَأْتُورَ) عن سيد الابرار وسند الاخبار (اللهم انا نسألك الهدى) بالايان
(والتقى) عن العصيان (والعفاف) بالدقاف للانسان (والتقى) عن
الحاق في جميع الاحيان، والحديث رواه مسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود
بلفظ اللهم اني اسألك الحديث، فلعل ما ذكره رواية في المبني أو نقل بالمعنى، واختار
صيغة الجمع لتدخل معه ويدخل معنا كما في قوله (ونعوذ بك من علم لا ينفع) وهو
يحتمل احتمالين، أحدهما انه في نفسه لم يكن من العلوم النافعة كما يشير اليه ماورد ان
من العلم جهلا، وثانيهما أنه لم يكن ينفع صاحبه بالعمل به لما ورد اشد الناس عذابا
عالم لم ينفعه الله بعلمه ونعم ما قال ذو الحالة الفاخرة:

يا من تباعد عن مكارم خلقه ليس التفاخر بالعلوم الذائرة

من لم يهذب علمه اخلاقه لم ينفع بعلمه في الآخرة

(وقاب لا يخشع) بان اسود بالغفلة ولم تؤثر فيه النصيحة والموعظة واسباب
المعرفة كما قال تعالى في قول للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقال عز وعلا الم يأن
للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا
الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وقال عز وجل ثم قست قلوبكم من
بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة (ونفس لا تشبع) من الدنيا فتكون حريصة عليها
ومقبلة بكليتها اليها أو كناية عن كثرة أكلها وعدم قناعتها بمقدار كفايتها (ودعاء لا يسمع)
أي لا يقبل في حال دعوتها والحديث رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر والطبراني في الأوسط عن
ابن عباس وزاد اللهم اني أعوذ بك من هؤلاء الأربع ورواه الحارثي وابن أبي شيبة عن ابن
مسعود بلفظ اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا
تشبع، وفي رواية لابن حبان وغيره عن أنس اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع
وقلب لا يخشع وقول لا يسمع وفي رواية لابن داود عن أبي هريرة اللهم اني أعوذ بك من
الأربع من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ودعاء لا يسمع ففي هذه
الروايات دلالة واضحة على عدم منع جواز السجود الصادر عن استقامة الطبع كما حكى أنه قيل
لصاحب المنازل اترك السجود فقال رجعت عما سجدت (وآخر دعوانا)

أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ
خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى أَتَقِيَاءِ أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ *

(ان الحمد لله رب العالمين) فيما أولانا في أولانا وآخرانا وفيه إيماننا إلى قوله سبحانه أخبارا عن
أهل الجنة أن يقولوا فيها هذا الكلام وهو (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحتهم فيها سلام
وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وفيه تنبيه نبيه على أن آخر مقامات أهل
الجنة في درجات المعرفة والمحبة هو الرضاء والشكر بزيادة النعمة وإزالة المحنة لما يومي
إليه قوله سبحانه (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحانا
دار المقامة من فضله لا يمسنافيهما نصب - أي تعب - ولا يمسنافيهما الغوب - أي كلال وكسل ،
وفسر الحزن بأنواعه بحسب ما كان كل أحد مبتلى بفرد من أصنافه فقيل حزن الفقراء
كرأه البيت أو التحويل منه أو حزن الفراق وحجابه وهو لأهل الاشتياق إلى مشاهدة الله ورفع
نقابه وهو أعلى مراتب أرباب الكمال وأعلى مناصب أصحاب الجلال المتزايد المترقى
ساعة فساعة إلى أزل الآزال والله سبحانه أعلم بحقائق الأحوال (وسلام على عباده
الصالحين) من الأنبياء والمرسلين السابقين (والصلاة على محمد رسول الله) سيد
الأولين والآخرين (خاتم النبيين وعلى أتقياؤه أمته) من أهل بيته وصحابته
وأتباعهم وأشياعهم أجمعين (إلى يوم الدين) أمين يارب العالمين، وكان الفراغ
منه على يد مؤلفه رحم وغفر مع سلفه وخلفه آخر يوم الخميس المشرف على ليلة
الجمعة المسماة بليلة الرغائب من شهر الله المعظم رجب المرجب أحد الأشهر الحرم
من شهر عام أربعة عشر بعد الألف من هجرة خير البشر وشافع المحشر من
مكة الأمنية إلى المدينة الأمانة النازل فيها للمؤمنين أنواع السكينة - حامدا ومصليا
ومسلما ومفوضا ومتوكلا وموثقا ومسلما - والصلاة والسلام
على سيد المرسلين وأفضل الخلق أجمعين * وعلى آله وأصحابه
وأتباعه إلى يوم الدين أمين أمين بحرمة سيد المرسلين

فهرست

(الجزء الثاني من شرح عين العلم وزين الحلم لمنلا على القارى)

صفحة		صفحة
٤٣	بيان أن السبب لحب المدح ثلاثة أمور	٢ (الباب العاشر في الاناة والحكم والعفو والنصيحة والحق)
٤٤	بيان أن علاج حب المدح شيان	٢ تفسير الاناة والحق
٤٦	(الباب الثاني عشر في التواضع وذكر المنة)	٣ آفات العجلة
٤٦	بيان ماورد في التواضع	٤ الغضب وتعريفه ومفاسده
٤٧	علامات الكبر ثلاثة عشر ويانها	٧ بيان أن باعث الغضب ستة أشياء وذكرها مفصلة
٤٩	عمل السلف وتواضعهم	٨ بيان مراتب الغضب في الاشخاص
٥٢	آيات الكبر ستة	١٠ علاج الغضب
٥٥	علاج الكبر خمسة أشياء	١٢ ذم الحقد وعلاجه
٥٦	آفات العجب	١٥ ذم الحسد وبيان آفاته
٦٥	(الباب الثالث عشر في الاخلاص والنية والصدق)	١٨ بيان أسباب الحسد
٦٥	تعريف الاخلاص وبيان أغلى مراتبه	٢٠ (الباب الحادى عشر في العزلة والخنول وحب الذم وبغض المدح)
٦٧	تعريف النية	٢٠ بيان أقوال العلماء في تفضيل العزلة على الخلطة
٧١	بيان أن النية الأصل وما عداها الفرع	٢٠ ذكر فوائد العزلة
٧٥	بيان أدنى رتب الصدق	٢٧ بيان آفات العزلة
٨٠	بيان أن الرياء يختص بعمل الظاهر ٨٢ آفات الرياء	٣٥ التفصيل في حب الجاه
٩٩	بيان علاج داء الرياء	٣٧ آفات حب الجاه
١٠٢	الأنبياء أمروا باظهار العمل للاقتداء	٣٨ بيان سبب حب الجاه
١٠٤	بيان أن كنهان المعاصى مأموره	٣٩ علاج رفع حب الجاه خمسة أشياء